مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق



البرق المتألق في محاسن جلق

تأليف

محمد بن مصطفى ابن الراعي

١١١٩ - ١١٩٥هـ

تحقيق

محمد أديب الجادر

بسم الله الرحمن الرحيم

وأفضل الصلاة وأتم التسليم

على محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين

مقدمة التحقيق

دمشق: ﴿ربوة ذات قرار ومعين﴾

دمشق: ﴿إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾

شُغِفَ بها البعيد فما ظنك بالقريب، وأثنى عليها ربُّ العرش على لسان نبيه الحبيب، احتضنت الجافي اللئيم، وراضت الشَّمُوس العنيد.

دمشق: ما أغمَضَتْ على قذًى عيناً، ولا فتحت إلا على نورٍ جفناً.

دمشق: لم تعرف إلاّ عطاءً، ولم تَدُرَّ إلا حبًّا ونوالاً.

قال شيخ المعرة:

فللشّامِ الوفاءُ وإنْ سِواهُ تَوافَى مُنْطقاً غَدَرَ اعتقادا

كُتب عنكِ الكثير الطيب، ولم يخرج من مهاجع الظلمة، ورفوف العتمة من هذا الطّيِّب إلا أقلّه. ومن هذا الطيب البشام الذي تعطرت به صفحات الأيام:

البرق المُتألِّق في مَحاسنِ جلِّق[1]

المؤلف:

هو محمد بن مصطفى بن خُداوِيْرْدِي[2] عاش في القرن الثاني عشر، ترجم له المرادي في كتابه «سلك الدرر» لكنّا لا نجد له ذكراً في المطبوع من الكتاب، وهذا من الأدلة القاطعة على نقص المطبوع، وقد هدى الله أحد نسّاخ كتابنا أن يترجم للمؤلف في أول صفحة من المخطوطة الموجودة الآن في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة حيث جاء بها نقلاً عن «سلك الدرر»:

هو محمد بن مصطفى بن خُداويردي بن مراد بن إبراهيم الشهير بالراعي ـ بفتح الراء ـ الحنفي الدمشقي الكاتب المنشئ الأديب، أحد الكتّاب الماهرين بالفنون.

وُلد بدمشق في سنة تسع عشرة ومئة وألف، ونشأ بها، وأخذ الكتابة والمعارف عن أربابها، وتخرَّج بذلك على يد محمد عاصم بن عبد المعطي أحد أعيان الكتّاب بدمشق.

ومَهَر بصناعَتَي النظم والنثر، وصار يكتب الخطوط المتنوعة كالرقعة، والديواني، والقرمة، والسياقة، والنسخي، وغير ذلك، وبرع باللغتين الفارسية والتركية.

وصار مقاطعجياً[3] بباب الدفتري[4] بدمشق، وكاتباً في أوقاف الحرمين المحترمين.

---

(١) جلِّق: كحِمِّصٍ بكسرتين مشدَّدة اللام، وكقِنَّب: دمشق. القاموس.

(٢) خُداوِيْرْدِي: كلمة تركية مركبة، تعني: عطاء الله، هبة الله.

(٣) المقاطعجي: نسبة إلى دائرة مقاطعة الخواص (المكتب الخاص) من مكاتب نظارة المالية العثمانية القديمة لتسجيل العقارات والأراضي الخاصة بالأسرة المالكة في الدولة في دفاتر خاصة، وتنظيمها والإشراف على الأراضي، ومنحها للملتزمين بالمقطوع. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية.

(٤) باب دفتري: الموسسة الإدارية التي كانت تسيّر الأمور المالية للدولة العثمانية، وكان يطلق على رئيسها: باش دفتردار. وقد تعرضت لتغييرات إدارية كثيرة حتى تحولت إلى نظارة المالية. المعجم الموسوعي للمصطلحات.

وكان يغلب على شعره الهجو، وله أهاجٍ في الناس كثيرة، ونكتٌ ونوادر مقبولة.

وفي آخر أمره تراكمت عليه الأمراض والعلل والأكدار، وقلَّ ما بيده، إلى أن مات.

وله من الآثار «البرق المتألّق في محاسن جِلّق» يحتوي على ذكر دمشق ورياضها وغياضها ومياهها، ورسائل أُخَرُ في الأدب. وشعره كثير.

وكانت وفاتُه في يوم الثلاثاء خامس صفر الخير سنة خمس وتسعين ومئة وألف. رحمه الله تعالى.

انتهى ملخصاً من تاريخ جناب المولى الهمام العالم الإمام السيد محمد خليل أفندي المرادي المفتي بدمشق الشام.

ومن خلال هذه الترجمة الموجزة، ومن صفحات كتابنا نستشف جملة متميزة من الجوانب العلمية لشخص المؤلف أهمها:

١ـ ثقافته وعلمه: يتحلى ابن الراعي بثقافة تراثية عالية تتبدى من:

أ ـ الاستشهادات الشعرية والأدبية التي ملأت فصول الكتاب، وزينت صفحاته، والتي تعود إلى دواوين فحول الشعراء، وأمات كتب الأدب.

ب ـ الكتابات النثرية البيانية التي تنم عن معرفة بعلوم شتى، فلو تتبعنا ما كتبه من مقامات وما يشبهها لوجدناها قد تنوعت بمفردات فقهية (ص ٢٠٦) أو مصطلحات حديثية (ص٢٠٧) واستطاع أن ينظم من أسماء الكتب (ص٢١٠) مقالة تثلج الصدور، وتقرُّ بها العيون، أما أسماء الرجال فانظرها صفحة (٢١٦)، وقد أدرج الأمثال والحكم في الصفحة (٢٢١) إدراج عارف متقن.

٢ـ ومع أن كتاب سلك الدرر الذي نقل إلينا ترجمة مؤلف كتابنا ملخّصة فإنه لم يذكر من أسماء كتبه إلا «البرق المتألق» ثم أردف قائلاً: ورسائل أُخرى، في الأدب، فأغلب الظن أن له كتباً أخرى، إذ لا يمكن أن يكون كتابه هذا بيضة الديك.

٣ـ أما شاعريته فقد مهر بها وسخّرها لأمورٍ وافقت هوى في نفسه؛ فكتابنا ينص على أنه قد نظم القصيدة التي جعلها فاتحة كتابه وغرّة كلامه، نجد فيها دقة والتزاماً بأداء ما ألزم به نفسه من وصف دمشق وذكر أوديتها وأنهارها وأعينها. إضافة إلى خمسة أبيات فقط.

والذي في ترجمته أنه صاحب شعر كثير غلب عليه الهجو إضافة إلى معرفته باللغتين الفارسية والتركية، ومهارتِهِ بعلم الخطوط المتنوعة.

الكتاب:

إن التفريق بين المؤلِّف والمؤلَّف في كتابنا هذا تفريق صوري قولي بياني، إنه وصفُ ذاتٍ، وتعريفُ نَفْسٍ حلاً في جِرْمٍ، فغدا جوهراً فرداً. فدمشق هي ابن الراعي، وابن الراعي هو دمشق، وبهذه المشاكلة من الاتحاد والحلول فهمتُ قول قيس عندما سئل عن اسمه، فقال: ليلى، وكيف نادى محبٌّ محبوبه: يا أنا. لقد حلَّ بدمشق، وحلّت دمشق به، وغدا في كتابه يقول: ما في الجُبّة غيرُ الشّام.

أما سبب تأليف الكتاب، فإننا نستنبط من مقدمة المؤلف سببين بارزين كانا وراء تأليف الكتاب:

١ـ السبب الموضوعي: وهو ما أشار إليه بقوله:

وَلِعْتُ بالتنزُّهِ في حدائقِ الأدبِ وأزهارِهِ، والنّهلِ من سائغِ مناهلِهِ وأنهارِهِ، سيَّما كتبُ التاريخِ والأخبارِ، وما يتعلّقُ بالمدنِ والأمصارِ، التي أحلاها في الأفواهِ ذِكْرًا، وأعلاها في الأسماعِ قَدْرًا، أخبارُ الثغرِ البسّامِ، والمِصْرِ المحفوفِ بطرائِفِ الإنعامِ، جِلِّقَ الفيحاءِ ذاتِ الظلالِ، الموسومةِ بأنواعِ المحاسنِ والجَمالِ، التي ميَّزها الله تعالى على جميعِ البلادِ، وشرَّفَها بِقَولِهِ سبحانَهُ: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾.

٢ـ الحمية الوطنية والغيرة العصبية المباركة المحمودة[١]، وقد ذكرها المؤلف رحمه الله بقوله:

فحرَّكتْني نسائمُ الحَمِيَّة، وهزَّتني الشنشنَةُ العصبيـة، أنْ أكشـفَ نِقـابَ مُحَيَّاهـا، وأُديـرَ على الأسماعِ كؤوسَ حميّاها، وأنْ أنظمَ في حدائقِ الأدبِ عِقْدًا مـن زهرِهـا المنثـورِ، وأُوردَ منه ما يزهو على روضاتِ الزهور.

أما عمل المؤلف في كتابه فقد شرحه في مقدمته أيضاً بقوله:

وجمعْتُ مِن محاسِنِها مـا هـو لسـماءِ الأدب نجـومٌ، ولجِيْـدِ البلاغـةِ عِقـدٌ بفرائـدِ الـدُّرَرِ منظومٌ، فجاء ـ بحمده تعالى ـ سِفرًا يقطُرُ منه مـاءُ الآدابِ؛ بـل روضًـا تتعطَّـرُ بعبـيرِ نَشْـرِهِ مَسامُّ ذوي الألبابِ، وَشَّحْتُهُ بطريفِ الكناياتِ، ولطيفِ الاستعاراتِ، ورشيقِ الإشـاراتِ، ورقيـقِ العبـاراتِ، مِـنَ التشـبيهاتِ المُصيبـةِ، والاختراعـاتِ الغريبـةِ، والأسـاليبِ العجيبـةِ، بلطائِفِ الإبداعِ، وتوليـداتِ الاختراعِ، بسهولةِ تفصيلٍ، وإصابةِ تمثيلٍ، ممّا يَصبو إليه القلبُ والطَّرْفُ، ويَرْشَحُ مِن وجهِ محاسنِهِ ماءُ المَلاحةِ والظَّرْفِ.

وبنى مؤلّفنا كتابه مادحاً دمشق على ثلاث طرائق:

١ـ ما قيل عن دمشق وصفاً ومدحاً، وهو عماد الكتاب، وجلُّ ما جاءت به الصفحات.

٢ـ ما قيل في مدنٍ أو أماكن سوى دمشق، وليس للتي قيلت الأبيات فيها ذكـر ضمـن المتن، أورد ابن الراعي الأبيات دون أي تغيـير، وجعلهـا في جلـق الشـام، فهـذا محمـد بـن إدريس المعروف بمرج كحل ينشئُ قصيدة في نهر الغنـداق في لوشـة بـالأندلس، فيصيّرهـا مؤلف كتابنا في نهر عقربا (صفحة: ١٧٠).

نهـــرٌ يَهيـــمُ بحُسْـــنِهِ مَـــن لم يَهِـــمْ ويُجيـــدُ فيـــه الشِّـــعرَ مَـــن لم يُشْـــعِرِ

---

(١) إنها منافسة بين أبناء الأمة الواحدة شعارها: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾.

مـا اصفـرَّ وجـهُ الشـمس عنـد غروبـه		إلا لفرقـــة حُسْـــنِ ذاك المَنْظَـــرِ

ومن أمثلتها:

- ذكر أبي فراس لمدينة منبج، جعلها في دمشق صفحة: ٩٨.

- علي بن ظافر يصف قصراً بظاهر الإسكندرية، يجعله وصفاً للقصر الأبلق، صفحة ١١٤.

- ابن سارة يصف غرناطة، يجعلها في الفيجة ص ١٤٦.

٣- ما قيل في سوى دمشق من المدن والأماكن، وللتي قيلت فيها الأبيات ذِكْرٌ وتسمية، أتى مؤلف كتابنا بالأبيات بعد أن غير أسماء الأماكن، ليجعلها في دمشق، وأمثلة ذلك كثيرة منها:
وصفُ ابن المعتز نَهر الفرات قائلاً:

أَجـرى الفـراتُ إليهـا مِـنْ سلاسِـلِهِ		. نهـراً تمشَّـى علـى جَرْعـاء ميثـاءِ

موكَّـلٌ بالمَسَـاحي في جَداولِها		حتّـى يـدلَّ عليهـا حيّـةَ المـاءِ

فجعلها ابن الراعي لنهر يزيد صفحة ٩٥ فقال: أجرى يزيد إليها...

وها هو أحمد بن صالح بن أبي الرجال يصف روضة صنعاء:

روضَ صنعـاء فقـتَ طبعـاً ووصفـاً		فكثـيرُ الثنـاءِ فيـكَ قليـلُ

تِـهْ على الشِّـعْبِ شِـعْبِ بـوَّانَ وافخَـرْ		فعلـى مـا نقـولُ قـامَ الدَّليـلُ

أخذ مؤلف كتابنا البيتين، فجعلهما في روض كيوان صفحة ٢٠٩ بلفظ: روض كيوان فقت طبعاً..

- وكذلك بدَّل قول القاضي التنوخي صفحة ١٠٠ من: (وإذا نظرْتَ إلى الأُبُلَّةِ) إلى قوله:

وإذا نظـرتَ الصَّالحيّـةَ خِلتَهَـا		مِـنْ جنَّـة الفـردوس حـينَ تخيَّـلُ

فابن الراعي ما استحلى درًّا إلا نحلها الشام، وما وجد عقدًا إلا زيّن بـه جيدهـا. إن استعذب منطقاً جعله في وديانها وروابيها، وإن استحلى نظماً وضعه فيها، ولو غير الكلام أو بدّل الأعلام.

فإن ذكر جدولٌ بالأندلس فهو بردى، أو تُكلّـم عـن جنـان فـارس فهـي الغوطـة، وإن مدحت روضة مصر وقصر صنعاء فهما الأبلق والقنوات.

إنه نَفَس مقاتل منافح عن محبوبته دمشق زينة الدنيا وشامةِ الدهر وواسطةِ العقد، متحدٌ بجمالها من سواها، ومن سواها جمالاً وروعة إلا الأندلس ومصر، فما كان منه إلا أن جرّد اليراع، وانبرى يناضل عن الشام مُدلّلاً بسؤددها ونيلها قصب السَّبْق.

أ ـ **أما مصر**، فقـد تـرك أمـر اعترافهـا لسيادة الشـام إلى أبنـاء مصـر، فهـذا الدمـاميني الإسكندري يقول عن دمشق والشام صفحة (٢٨):

وما أقولُ إلاّ مُنتزهاتُ مِصرَ عاريةٌ مِن المَحاسنِ، وهذهِ ذاتُ الكِسوةِ، والنِّيلُ ما احترقَ إلاّ مِنَ الأَسَفِ، حيثُ لمْ يُسْعِدْهُ الدهرُ بالصُّعودِ إلى تلكَ الرَّبوةِ، وَحُـقَّ لِمِصـرَ ألاّ تُجـري حديثَ المُفاخرةِ في وَهْمِها، وأنْ تَتّـقي شرَّ المنازَعةِ قبلَ أنْ تُصابَ مِن هذه البلدةِ بِسَهمِهَا.

وللشام الشرف الأعلى على مصر ونيلها:

وإن شَـرُفَتْ بـالنيل مصـــرُ فلـم تـزل   دمشـقُ لهـا بالغُوطـةِ الشَّـرفُ الأعلـى

ـ **وأما الأندلس** وما ذكر عن جنانها ورياضها، وما قيل من الموشحات في معالمهـا ومحاسـنها، فقد عقد الفصل الأخير من الكتاب للرد على هذا البيان، وإفحام المُناظِر في هذا المقام، فقال:

ولّما مدحَ شُعراءُ الأندلُسِ قُطرَهُـم البَديـعْ، بموشَّـحاتٍ هـيَ أزهَـى وأنضَـرُ مـنْ وَشْـيِ الربيع، ووَصفوا مَعالِمَها ومَحاسِنَها بأبدَعِ لَفظٍ وأعذَبِ عِبارَة، ووَسموا تلـكَ المُوشَّـحاتِ بالكَواكِبِ السبْعةِ السّيارَة، انتُدِبَ لِمُبـاراتِهم مـنَ الشـامِ رِجـالٌ وأيُّ رِجـال! ونَظمـوا في جلّقِهم مـا يُـزْري بعُقـودِ الـلآل، شَبَّبوا بِذِكْـرِ رياضِهـا الّـتي تَسْتَوقِفُ النـاظِر، ووَصفـوا مُتَنزَّهاتِها الّتي تُفْحِمُ المُناظِر.

وفي النهاية لا يستطيع أي معاند أو مكابر إلا أن يسلّم بما قاله ابن الراعي مؤلف كتابنا في الصفحة ٣٠:

وبالجملة فالاعتراف بالحق فريضة، ومحاسن الشام وأهله طويلة عريضة.

إن الكتاب نفثة مقروح، وآهةُ محبٍّ محروق، ترجمها إلى حروف وكلمات، فغدت روحاً وريحانا، وجواريَ غيداً حسانا.

وقد قام الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد بنشر أرجوزة المؤلف المذكورة في بداية الكتاب في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٢٥/٢٧ سنة ١٩٥٢، ثم تكلّم عن حياة المؤلف في مجلة المجمع أيضاً ٦٩٣/٣٤ سنة ١٩٥٩، وكأني به وهو المحبُّ لدمشق الذي سخّرَ قلمَه لها قد أراد إخراج الكتاب، ولكن صارفاً أبعده عن مشروعه هذا.

النسخ المخطوطة للكتاب:

ولقد اعتمدت في إخراج هذا الكتاب على ثلاث نسخ خطية وهي:

مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق ذات الرقم (٢٠٣): ويغلب على الظنِّ أنها نسخة مكتبة فيينا ذات الرقم (١٢٦٨) وهي بخط المؤلف، وتقع في (٩٧) ورقة، في كل صفحة منها (٢١) سطراً، وخطُّها نسخيٌّ جميل، قال في نهايتها: إنه انتهى من تأليفها غرّة جُمادى الآخرة سنة ١١٧١ للهجرة أي قبل وفاته بأربع وعشرين سنة. ورمزت لها بحرف (أ).

٢ـ نسخة مكتبة عارف حكمت ذات الرقم (٥٩: تاريخ) وتقع في (٩٧) ورقة، في كل صفحة منها (٢١) سطراً، نسخها محمد درويش بن يحيى بن مصطفى بن محمد الطالوي. وقد انتهى من نسخها في شهر محرم سنة ١١٩٩ للهجرة وخطُّها نسخيٌّ جميل. منسوخة عن نسخة المؤلف. ورمزت لها بحرف (ب).

٣ـ نسخة مكتبة دار الكتب المصرية ذات الرقم (٥٥١٦: تاريخ)، وهي نسخة مبتورة تقع في (٤٦) ورقة، في كل صفحة (٢١) سطراً. كتب بأولها اسم ناسخها، وهو محمد كمال الدين بن محمد شريف العامري الحسني ابن الغزي، وهي تنتهي في المطبوع صفحة (١٤٣). عند قوله: «همومي وقد عاينت في خده سطرا»، وخطُّها نسخي جميل أيضاً. ورمزت لها بحرف (ج).

وللكتاب نسخ خطية لم أطلع عليها[1] وهي:

١ـ نسخة في المكتبة التيمورية، ذات الرقم (٢١٨٧: أدب).

٢ـ نسخة في مكتبة برلين، ذات الرقم (٦٠٩٠).

٣- نسخة في الخزانة العامة بالرباط ذات الرقم (٢٦٤٤).

عملي:

حاولت أن يرقى العمل إلى رتبة الرضا قدر استطاعتي، واتبعت المتعارف عليه عند أصحاب الصنعة أرباب التحقيق.

ـ و لم أدخر وسعاً بإعادة كل قول إلى صاحبه معرِّفاً بقائله، عائداً إلى المطبوع من كتب الأدب العامة والدواوين، مضاهياً، مثبتاً الفروق.

ـ ذيلت الكتاب بجملة من الفهارس تعين المراجع على نيل مبتغاه و لم أقتصر على النشر، بل ضممت إليه فهرس كل ما جاء في الأشعار من آيات، وأحاديث، وأعلام، وأماكن، وأقوام، و كتب، وأمثال، وورود.

---

(١) كوني اكتفيت بنسخة المؤلف الأم عن النسخ الأخرى.

ـ أبقيت لغة المؤلف على ما كانت عليه من الأخطاء النحوية والصرفية. ولا تخفى أهمية هذا لمن يدرس تطور اللغة، ويسبر درجة الثقافة من خلال النصوص، ويستشف حالة المجتمع[1].

والحمد لله أولاً وآخرًا

رب بما أنعمت عليَّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين

دمشق: ربيع الآخر ١٤٢٧ — محمد أديب الجادر

أيـار ٢٠٠٦

---

(١) **مصادر البحث:**

ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٢٥/٢٧، ٦٩٣/٣٤.

ـ معجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة، تأليف الدكتور صلاح الدين المنجد صفحة ٣٧١.

ـ المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية. إعداد د. سهيل صابان.

ـ تاريخ الأدب العربي تأليف بروكلمان، القسم الثامن، صفحة ٤٠.

ـ هدية العارفين ٣٣١/٢.

ـ الأعلام للزركلي ١٠٠/٧.

صور المخطوطات
التي تم تحقيقُ الكتاب عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غرس دواح التوحيد في رياض قلوب
اهل العرفان وامطرها من سحايب فيضه فاثمرت افنان
الهداية والايمان وفجر فيها ينابيع الحكمة فاهتزت
وربت وانبتت من البلاغة ما علت به كلمة الفصاحة
وسمت ابدع الموجودات من غير مثال سابق وابرزها
من كنز علمه المودع في اسرار الحقايق رفع السماء بقدرته
وبسط الارض وقضى بمشيئته ان شرف بعضها على
بعض فزينها بانواع الازهار وميزها بصنوف الفواكه
والثمار وجعل لها جنات تجري من تحتها الانهار وبسط
على الغبراء بساط السندس بباهر الابداع ونشر عليها
الوية الازاهر لما اغرورقت بدمع المزن عيون الروابي
والتلاع ونطقت بتوحيده السن الاطيار في منابر
الغصون على خرير الانهار وشهدت بقدرته ضماير
النسايم واقرت بوحدانيته اطفال الازاهر في مهود
الكمايم وصلى الله تعالى على سيدنا محمد صاحب الوجه الازهر
والحوض والكوثر من حن الجذع لفراقه ومشى الشجر
لدعوته على ساقه الوارد عنه صلى الله عليه وسلم في
السنة ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة
صلى الله عليه وعلى اله الذين سقوا من عذب موارد
السيادة العظمى شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها

الصفحة الأولى من نسخة (أ)

ما استبان ابن ذكاء اوخفاه ٥ بارق من طيبة والعين
وتحلى كل نظم الفا ٥ باقتباح واختتام حسن

وهنا جبسنا عنان البراعة لا عن كلل بل اكتفينا عن التفصيل
بالجمل ولو استقصينا ما بها من الاعاجيب لا تسع بنا
المجال وضاقت المهارق فاقتصرنا على ما ذكرناه فهذه
الرسالة البديعة الاساليب العديمة المثال المتحلية
بكل معنى رايق وضبط محاسنها بعيد المرام صعب على من رام

محاسن الشام جلت ٥ عن ان تحد بحد
عن حسنها فتحدث ٥ وعن سواها فحد

كما قال المرحوم عبد الباقي الحنبلي

محاسن الشام قالت ٥ كل المداين جندي
فلا تمثني بغيري ٥ واترك لشوم التعدي

وقول الاخر

محاسن الشام نادت ٥ انا الفريدة وحدي
وكل حسن لغيري ٥ فانما هو بعدي

وهذا اخر ما سرده اليراع وسلك به مهيع الابداع
والله الموفق وعليه الاتكال وهو محمود في كل حال
وقد ختمتها بهذين البيتين البديعي النظام راجيا من
الله سبحانه حسن الختام وهما

وبحمد الاله منذ ٥ حاز لطفا نظامها
قلت فيها مؤرخا ٥ جاء مسك ختامها

دون

الصفحة قبل الأخيرة من نسخة (أ)

وقد يسر الله تعالى الفراغ من تأليفها نهار الخميس غرة شهر
جمادى الآخرة سنة احدى وسبعين ومائة والف على يد محررها
الفقير الى الله تعالى السيد محمد ابن المرحوم السيد مصطفى ابن المرحوم
خداويردي بن مراد بن ابراهيم الشهير بابن الراعي الدمشقي
غفر الله تعالى له ولوالديه ولساير المسلمين اجمعين وصلى الله
تعالى على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين
والحمد لله رب العالمين

الصفحة الأخيرة من نسخة (أ)


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غرس ادواح التوحيد في رياض قلوب اهل العرفان
وامطرها من سحايب فيضه فاثمرت افنان الهداية والايمان
وفجر فيها ينابيع الحكمة فاهتزت وربت وانبتت من البلاغة ما
علت به كلمة الفصاحة وسمت ابدع الموجودات من غير مثال
سابق وابرز هامن كنز علمه المودع في اسرار الحقايق رفع السما
بقدرته وبسط الارض وقضى بمشيته ان شرف بعضها على بعض
فزينها بانواع الازهار ومیزها بصنوف الفواكه والثمار
وجعلها جنات تجري من تحتها الانهار وبسط على الغبراء بساط
السندس بباهر الابداع ونشر عليها الوية الازاهر لما اغرورقت
بدمع المزن عيون الروابي والتلاع ونطقت بتوحيده السن
الاطيار في منابر الغصون على خرير الانهار وشهدت بقدرته
ضماير النسايم واقرت بوحدانيته اطفال الازاهر في حجور
الكمايم وصلى الله تعالى على سيدنا محمد صاحب الوجه الازهر
والحوض والكوثر من حن الجذع لفراقه ومشى الشجر لدعوته
على ساقه الوارد عنه صلى الله عليه وسلم في السنة ما بين

الصفحة الأولى من نسخة (ب)

لا تسع بنا المجال وضاقت المهارق فاقتصرنا على ما ذكرنا في
هذه الرسالة البديعة الاساليب العديمة المثال المحلية
بكل معنى رائق وضبط محاسنها بعيد المرام صعب على من رام
محاسن الشام جلت عن ان تحد بحد
من حسنها فتحدث وعن سواها فحد
كما قال المرحوم عبد الباقي الحنبلي
محاسن الشام قالت كل المداين جندي
فلا تقسني بغيري واترك لشوم التعدي
وقول الآخر
محاسن الشام نادت [illegible] وحدي
وكل حسن لغيري [illegible]
وهذا آخر ما سرده اليراع وسلك به منهج الابداع والله الموفق
وعليه التكال وهو حسبي في كل حال وقد ختمتها بهذين البيتين البديعي
النظام راجيا من الله سبحانه وتعالى حسن الختام وهما
وبحمد الله منه حان لطفا بنظامها
قلت فيها مؤرخا جاء مسك ختامها
قال مؤلفها وقد يسر الله تعالى الفراغ من تاليفها نهار الخميس غرة شهر
جمادى الاخرة سنة احدى وسبعين ومائة والف على يد محررها الفقير الى
الله تعالى السيد محمد بن السيد مصطفى ابن المرحوم خليل بردى بن بردى بن
ابراهيم الشهير بابن الراعي وقد وافق الفراغ من نسخها نهار الاثنين
سلخ محرم الحرام سنة ١١٩٩ تسع وتسعين ومائة والف على يد افقر الورى الى
عفو ربه البريه محمد درويش بن يحيى بن مصطفى بن محمد العطاري الشهير بحاوي انسابنه

الصفحة الأخيرة من نسخة (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غرس ادواح التوحيد في رياض قلوب اهل
العرفان، وسقاها من سحايب فيضه، فاثمرت افنان الهداية
والايمان، وفجر فيها ينابيع الحكمة فاهتزت وربت، وانبتت
من البلاغة ما علت به كلمة الفصاحة وسمت، ابدع الموجودات
من غير مثال سابق، وابرزها من كنز علمه المودع في اسرار الحقايق،
رفع السماء بقدرته وبسط الارض، وقضى بمشيئته ان شرف بعضها
على بعض، فزينها بانواع الازهار، وميزها بصنوف الفواكه والثمار،
وجعلها جنات تجري من تحتها الانهار، وبسط على الغبراء بساط
السندس باهر الابداع، ونشر عليها الوية الازهار لما افترقت
بدمع المزن عيون الرواب والتلاع، ونطقت بتوحيده السن
الاطيار في منابر الغصون على حزير الانهار، وشهدت بقدرته
ضماير الكمايم، واقرت بوحدانيته اطفال الازهار في حجور
الكمايم، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد صاحب الوجه الازهر
والحوض والكوثر، من حن الجذع لفرقته، ومشى الشجر لدعوته،

عل

الصفحة الأولى من نسخة (ج)

وذاكه بالأصائل خفق هو آية الممدود بتحريك الهوى المقصود

سل بانة المقصود في حديثه . المرفوع عن ذيل الصبا المجرود

أراضي سطراهي محسوبة من منتزهاتها الغنّاء رياضها

حلت في منظر الناظر وتاهت بوشيها على كل روض ناضر

تخفق ألوية الأفنان في هضابها، وتلعب خيول النسيم في ميادين

شعابها، أعلام روضاتها مرفوعة . وثمارها لا مقطوعة ولا ممنوعة

انظر إلى الأشجار تلتقي رؤوسها . شابت وطفل ثمارها ما أدركا

وعبيرها قد ضاع من أكمامها . وغدا بأذيال الصبا متمسكا

تشتها جداول وأنهار تجري بين نغم أزاهر وغناء أطيار .

وفاح للورد نشر من كمائمه — والنهر كالصل في الأدواح ينسحب

غنى الهزار على أغصانه طربا — حتى ترقصت الأفنان والقضب

وقد اعتنت الشعراء بذكرها لما أعدتهم من طيب نشرها

فقال ابن خطيب داريا

سألتكما إن جئتما الشام بكرة — وعاينتما الشقرا والغوطة الخضرا

قفا واقرآ مني كتابا كتبته — بدمعي لكم منثري ولا تنسيا سطرا

وقال آخر

قالوا أما في جلق نزهة — تنسيك ما أنت به مغرى

يا عاذلي دونك من لحظه — سهما ومن عارضه سطرا

ومن التوجيه الحسن قول الأسعردي في بعض منتزهات

الشام — فقال

وريم جلا لي خمرة مزجت — هومي وقد عاينت في خده سطرا

الصفحة الأخيرة من نسخة (ج)

البرق المتألق

في محاسن جلق

تأليف

محمد بن مصطفى ابن الراعي

١١١٩ - ١١٩٥هـ

تحقيق

محمد أديب الجادر



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي غرس أدواح التوحيد في رياض قلوب أهل العرفان، وأمطرها من سحائِب فيضِه، فأثمرَتْ أفنانَ الهدايةِ والإيمان، وفجَّر فيها ينابيع الحكمة، فاهتزَّتْ وربَتْ، وأنْبتتْ من البلاغة ما علت به كلمةُ الفصاحة وسمَت، أبدعَ الموجوداتِ من غير مثالٍ سابق، وأَبْرزَها من كَنْزِ عِلْمِهِ المُودَعِ في أسرار الحقائق. رفع السماء بقدرته وبسط الأرض، وقضى بمشيئته أن شَرَّفَ بعضَها على بعض، فزيَّنها بأنواع الأزهار، وميَّزها بصنوف الفواكه والثمار، وجعلها جناتٍ تجري من تحتها الأنهار، وبسط على الغبراء بِساطَ السندس بباهر الإبداع، ونشَر عليها ألويةَ الأزاهر لمَّا اغرَوْرَقَتْ بدمعِ المُزْنِ عيونُ الروابي والتلاعِ، ونطقت بتوحيده ألسنُ الأطيار، في منابر الغصون على خرير الأنهار، وتنهَّدتْ بقُدرته ضمائرُ النسائم، وأقرَّتْ بوحدانيتهِ أطفالُ الأزاهرِ في حُجور الكمائِم، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد صاحبِ الوجه الأزهرِ، والحوضِ والكوثر، مَنْ حنَّ الجِذْعُ لِفراقه، ومشى الشجرُ لدعوتِهِ على ساقه، الواردِ عنه في السنة: «**ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنة**»[1] صلى الله عليه وعلى آله الذين سقوا من عَذْبِ موارد السيادةِ العظمى، شجرةً طيِّبةً أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السما، وعلى أصحابهِ الذين عبروا

---

(١) رواه البخاري ٥٧/٣ في التطوع، باب فضل ما بين القبر والمنبر، ومسلم (١٣٩٠) في الحج، باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، والموطأ ١٩٧/١ في القبلة، باب ما جاء في مسجد النبي ﷺ، والنسائي ٣٥/٢ في المساجد، باب فضل مسجد النبي ﷺ، من حديث عبد الله بن زيد.

رياضَ الإيمانِ بينَ جَدْوَلٍ مِنَ الخُلوصِ وَنَهَر، فتفتَّحَتْ لهم كمائِمُ الحُصونِ عن زهراتِ التأييدِ والظفَرِ، وأخلصوا لله تعالى فخاضوا لُجَجَ الجهادِ، وغاصوا بحورَ التوكّلِ في أكملِ همَّةٍ واستعداد، حتى قطفوا ثمارَ رؤوس الأعداء من رياضِ الفتوحات الجَنيَّة، وأَيْنَعَتْ بهواطلِ النصرِ لهم حدائقُ المِلَّةِ المحمَّديةِ، لا برحَتْ شآبيبُ الرضوانِ تَهطِلُ على غِياضِ مضاجعِهم الشريفةِ، وسحائبُ الرحمةِ مخيِّمةً على تُرْبِ مراقدهم الوريفةِ، ما سقى جدولُ المجرّة رياضَ الشام، وازدهرَ نرجسُ النجم تحت بنفسج الظلام.

وبعد، فلما انفصمتْ عنّي عُرى الطُفوليةِ، وانشقَّتْ في غصن شبابي بُرْعُمَةُ الرجولية، وَلِعْتُ بالتنزُّهِ في حدائقِ الأدبِ وأزهارِهِ، والنَّهلِ من سائغِ مناهلِهِ وأنهارِهِ، سيَّما كتبُ التاريخِ والأخبارِ، وما يتعلَّقُ بالمدنِ والأمصارِ، التي أحلاها في الأفواهِ ذِكْرًا، وأعلاها في الأسماعِ قَدْرًا، أخبارُ الثغرِ البسَّامِ، والمِصْرِ المحفوفِ بطرائِفِ الإنعام، جِلَّقَ الفيحاءِ ذاتِ الظلال، الموسومةِ بأنواعِ المحاسنِ والجَمالِ، التي ميَّزها الله تعالى على جميعِ البلادِ، وشَرَّفَها بقَولِهِ سبحانَهُ: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ [الفجر: ٧] وقد اعتنَت الجهابِذَةُ بتخليدِ أخبارِها، وابتَنَت الأساتذةُ بُيوتَ افتخارِها، وتناقلت أنباءَها ألسنُ الراوين، ومع ذلك فَهُمْ في التعبيرِ عنها غيرُ متساوينَ، منهم مَنْ قَصَّرَ، ومنهم مَنْ طَوَّلَ، ومنهم مَنْ جَرَّحَ، ومنهم من عدَّلَ، يأتونَ مِن مقولِهم، على قدر عقولهم. [الطويل]

على قَدْرِكَ الصهباءُ تُوليكَ نَشْوَةً	بها سيءَ أعداءٌ وسُرَّ صِحابُ
فلو أنّها تُعطيكَ مِنها بِقَدْرِها	لَضاقتْ بكَ الأكوانُ وهي رحابُ

فحرَّكتْني نسائمُ الحَمِيَّة، وهزَّتني الشنشنَةُ العصبية، أنْ أكشفَ نِقابَ مُحَيَّاها، وأُديرَ على الأسماعِ كؤوسَ حميّاها، وأنْ أنظمَ في حدائقِ الأدبِ عِقْدًا من زهرِها المنثورِ، وأُوردَ

منه ما يزهو على روضاتِ الزهور، وإن كنت في ذلك طفيلَ العرائس، وكشاةِ سعيدٍ[1] بين الأسودِ الشوامسِ، لكنَّ التشبُّهَ بالكرامِ جميل، والاقتداءَ بأهلِ الفضلِ فيه على القَبولِ أكبرُ دليل. [الوافر]

إذا منعَتْـــك أشـــجارُ المعــــالِي جَنَاهـــا الغَـــضَّ فـــاقنع بالشَّـــميمِ[2]

فنفَخْتُ مَجْمَرَ الخاطِر حتى نفَحَ عنبرًا ونـدًّا، وهـززتُ قضيـبَ اليراعـة علـى غديـرِ المهارق فأثمر آقاحًا وورِدًا، وجمعْتُ مِن محاسِنها ما هو لسماءِ الأدب نجومٌ، ولجيـدِ البلاغـةِ عِقدٌ بفرائدِ الدُّرَرِ منظومٌ، فجاء ـ بحمده تعالى ـ سِفْرًا يقطُـرُ منـه مـاءُ الآدابِ؛ بـل روضًـا تتعطَّرُ بعبيرِ نَشْرِهِ مَسامُّ ذوي الألبابِ، وَشَّحْتُهُ بطريفِ الكنايـاتِ، ولطيـفِ الاسـتعاراتِ، ورشيقِ الإشاراتِ[3]، ورقيـقِ العبـاراتِ، مِـنَ التشـبيهاتِ المُصيبـةِ، والاختراعـاتِ الغريبـةِ، والأساليبِ العجيبةِ، بلطائِفِ الإبداعِ، وتوليداتِ الاختراعِ، بسهولةِ تفصيلٍ، وإصابةِ تمثيلٍ، ممّا يَصبو إليه القلبُ والطَّرْفُ، ويَرْشَحُ مِن وجهِ محاسنهِ ماءُ المَلاحةِ والظَّرْفِ، وليس لي مِنْ شِعْرِهِ سوى الأرجوزةِ مع خمسةِ أبياتٍ[4]، وما عداها فأبناءُ عَلاَّت.

وسمَّيتُه بـ «**البرق المتألّق في محاسن جلّق**» مُستَمِدًّا من فيض ذي الجـلالِ والإكـرام، كما يَسَّرَ الابتداءَ أن يُحْسِنَ الخِتامَ، وها أنا أُمَتِّعُ الطَـرْفَ والأسمـاعِ، بربيـعِ ألمى الظـلالِ أحوى التّلاعِ، متوكّلاً على ذي الكرمِ، المُفيضِ على عبادهِ أنواعَ النِّعَم، مبتديًا بـالأرجوزة الغرّا، إذ جعلتُها لِعروسِ الأقاليمِ مَهْرًا، وهي[5]:

---

(١) هي شاة سعيد بن أحمد، وكان سعيد أهدى إلى صديقه الحمدوني شاة مهزولة، فأصبحت يضرب بها المثل في الهزال، لكثرة ما قال الحمدوني فيها، وتسييره الملح في وصف هزالها. ثمار القلوب ١/٥٦٢

(٢) البيت لابن قلاقس، الديوان صفحة ٥١٥، ورواية شطره الثاني فيه: حباها الغضّ فاقنع بالهشيم.

(٣) في (ب): بظرائف الكنايات، ولطائف الإشارات.

(٤) هناك بيتان صفحة: ٢٩٠ نص على أنهما من قوله، أما الأبيات الأخر فلم أقف عليها، وهي مجال رجم وتخمين.

(٥) نشر هذه الأرجوزة الدكتور صلاح الدين المنجد في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٢٢٥/٢٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

١- الحمـــــد للهِ مُفِيـــــضِ النِّعَـــــم مـــولِ لِمَـــنْ شـــاءَ صُنـــوفَ الكَـــرَمِ

٢- مكـــــوِّنِ الأكـــــوانِ بالإتقـــــانِ صُنــــعَ حكيـــمٍ مُبـــــدِعٍ مِتْقـــانِ

٣- بِـــلا مِثـــالٍ ســـابقٍ قـــد صـــوَّرا هـــذا الوجـــودَ كُـــنْ بِـــذا مُعتَـــبِرا

٤- ففيـــــهِ أكـــــبرُ شـــــاهدِ التوحيـــــدِ ولقـــــوّةِ الإيمـــــانِ كالتّشـــــييدِ

٥- فكـــم بِقـــاعٍ خَصَّهـــا بالشَّـــرَفِ وأختهـــا قضـــى لهـــا بالسّـــخَفِ

٦- وبلـــدةٍ حـــوت رياضًـــا وزهـــرْ ووروداً يانعـــــاتٍ وَنَهَـــــرْ

٧- وبلـــدةٍ مِـــنْ عاصفـــاتِ الحَـــرِّ ظمـأى وسَـقيا أرضِهـا مِـنْ بـئرِ

٨- وقريـــةٍ ربَـــتْ مِـــنَ الأمطـــارِ تُســـقى بمـــاءِ الدِّيمَـــةِ المِـــدْرارِ

٩- مشـــيئةٌ قـــد شـــاءها الرَّحمـــنُ بِكفِّـــهِ الإعطـــاءُ والحِرمـــانُ

❁ ❁ ❁

١٠- هـــذي دمشـــقُ الشـــامِ دارُ اللّهـــوِ فاسـنِدْ حديثـي عـن رُباهـا وَارْوِ

١١- حـــاكت جنـــانَ الخُلْـــدِ عنـــد العَـــرْضِ بـل قيـلَ عنهـا: جَنـةٌ في الأرضِ

١٢- بـــل شـــامَةُ الدُّنيـــا وعـــينُ المُلْـــكِ وتعـرفُ الدّينـارَ عنـدَ السَّـبْكِ

١٣- أنهارُهـــا عَـــدُّ النُّجـــومِ الزُّهْـــرِ وليـــسَ إلاّ في ريـــاضٍ تجـــري

١٤- وكـــلُّ روضٍ في مِثـــالِ الجَنّـــةِ واقٍ لإخـــوانِ الصَّفَـــا كالجُنَّـــةِ

١٥- فإنْ تَرُمْ تفصيلَ ذا قِفْ واستمِعْ سَهْلَ القريضِ أخا الزُّكاء المُمْتَنِعْ[١]

❁ ❁ ❁

١٦- بعدَ التحيَّاتِ الغِزارِ الجَمَّهْ تُهدى لِخَيرِ الخَلقِ مُهدي الأُمَّهْ

١٧- وآلهِ الأخيارِ ثُمَّ الصَّحْبِ وَكُلُّهُم في فَضْلِهِ كالسُّحبِ

١٨- هاكَ استمِعْ منّي حديثَ الشامِ دارِ التّصابي والنّعيمِ السّامي

١٩- قَدْ خَصَّها الرَّحمنُ بالأنهارِ وطيِّبِ الأرواحِ والأزهارِ

٢٠- وخَصَّها المولى بذاكَ الجَبَلِ وقَلَّ أن يخلو مكانٌ مِن وَلي

٢١- فكم نَبيٍّ ضَمَّهُ **قاسُونُ**[٢] وكم وَليٍّ عندَه مَدْفونُ

٢٢- وكم صَحابيٍّ بِها استُشْهِدا وفي خبايا أرضِها قد لُحِدا

٢٣- **ودَيرُ مُرّانَ** علاَ قاسونَ[٣] كأنَّهُ في مُلْكِ أفريدونَ[٤]

٢٤- وتحتَهُ تلكَ الرِّياضُ الغضَّهْ وبينَها الأمْواهُ مِثْلُ الفضّهْ

٢٥- غنَّتْ بِها الأطيارُ في الأفنانِ فمالتِ الأغصانُ كالنَّشوانِ

٢٦- كذا **الحواكيرُ** التي يَنسابُ[٥] فيها **يزيدُ** السَّلسلُ المِطْيابُ[٦]

---

(١) في (ب): أخا الذكاء.

(٢) يريد جبل قاسيون.

(٣) دير مران: انظرها صفحة ٩٠.

(٤) أفريدون بن أثفيان بن جم: ملك أسطوري من ملوك الفرس الأولى.

(٥) الحواكير: جمع حاكورة وهي: بساتين تحبس لزرع الأشجار، قريبة من المنازل والدور، وتقع في سفح قاسيون الغربي، حول التربة العادلية البرانية الكائنة اليوم في ساحة المالكي، وتعرف بأرض الحواكير. سميت بذلك نسبة لحواكير نبات الصبّارة المزروع فيها.

(٦) يريد نهر يزيد.

٢٧- كـــم أَنَّ دولابٌ عليـــه وَشَـــكَا وشَـــاقَهُ عهـــدُ الرِّيـــاضِ فبكَـــى

٢٨- وقَطَّــرَ الدُّمــوعَ في الحيـــاضِ وبَـــاحَ بالأســـرارِ للرِّيـــاضِ

٢٩- **وقريـــةُ النَّخْـــلِ** مكـــانُ الصُّلَحـــا فكـــم بهـــا قصـــدُ نزيـــلٍ نجحـــا

٣٠- **بالصالحيـــةِ سُـــمِّيَتْ** يـــا صـــاحِ[1] بـــل منتـــدى اللـــذّاتِ والأفـــراحِ

٣١- تَحفُّهـــا القصـــورُ والجواسِـــقُ كأنَّهـــا بـــينَ الرُّبـــى سُـــرادِقُ

٣٢- تُظِلُّهـــا الأدواحُ كـــالأعلامِ تزورُهـــا الأرواحُ للســـلامِ

٣٣- وكـــلُّ طـــيرٍ آخـــذٌ في مَغْنـــى وكـــلُّ حِـــزبٍ منهـــمُ في مَغْنـــى

ذِكْرُ أزهارِها[2]

٣٤- وموكـــبُ الأزهـــارِ في المكافحـــهْ ونافحـــاتُ الطِّيـــبِ منهـــا نافحـــهْ

٣٥- فلـــو تَـــرى الرَّيْحـــانَ بـــينَ الآسِ وأصفـــرَ الخِـــيريِّ كالنِّـــبراسِ

٣٦- كذلـــكَ المنثُـــورُ والسَّوســـانُ وعنـــدهُ خَشخاشُـــهُ ألـــوانُ

٣٧- وحلقـــةُ المحبـــوبِ بـــينَ الزهْـــرِ حـــاكَتْ سَـــنَا اليـــاقوتِ فـــوقَ النَّحْـــرِ

٣٨- وفـــاقَ عَـــرْفُ الطِّيـــبِ عُـــرْفَ الديـــكِ لـــه مقـــامُ السَّـــبْقِ كـــالتمليكِ

٣٩- لليـــاسمينِ الغَـــضِّ عِطـــرٌ زاكـــي يحكـــي ضيـــاءَ الزَّهْـــرِ في الأفـــلاكِ

٤٠- وعِنـــدهُ النِّســـرِيْنُ ثـــم الفاغيـــهْ قـــد أشْـــبَهَا في الطِّيـــبِ نفْـــحَ الغاليـــهْ

---

(١) الصالحية: انظرها صفحة ٩٧.

(٢) انظرها مفصلة صفحة ١٠٣.

٤١- كذاكَ زهرُ الأرغوانِ الباهي ... وثَمَّ عَنْبَرْبوي زهرٌ زاهي

٤٢- شقائقُ النُّعمانِ في الأزهار ... كَجُلّنارٍ فاحَ في الأَسحارِ

٤٣- وسنبلٌ في اللّونِ كالفيروزجِ ... وزنبقٌ يَزهو بوجهٍ أَبْلَجِ

٤٤- ونرجسٌ بالطّلِّ عينٌ شكرى[1] ... باتتْ تُناجينا بعينٍ سهرا

٤٥- وغايةُ الآمالِ زهرُ المُضعِفِ ... وفعلُهُ في الرَّوضِ فِعْلُ القَرقَفِ

٤٦- وأطيبُ الأزهار بعد الوردِ ... زَهْرُ القرنفلْ[2] عطرُهُ كالنَّدِ

٤٧- زهرُ الأقاحي حُقَّةٌ من تِبْرِ ... كذا البهارُ قطعةٌ من صُفْرِ

٤٨- وعِندَ زَهرِ البَانِ لذَّ القَصفُ ... وطابَ لِي فيه الثَّنا والوَصفُ

٤٩- وكم مُنادي الشوق فينا لعلعْ ... لدى زهورٍ سُمِّيتْ باللَّعلَعْ

٥٠- كذلك البَلْسانُ زاكي العِطْرِ ... باللَّيْلَكِ انْعمْ يا لَهُ من زهرِ

٥١- إنَّ البنفسجْ[3] فضلُهُ لا يُنكَرُ ... وعَرْفُهُ الزّاكي كذا النّيلوفرُ

٥٢- وزهرُ آذريونَ في الأزهارِ ... يَحكي عبيرَ المِسكِ في الأسحارِ

٥٣- وعندَ مَرْزَنْجوشَ طابَ النَّشرُ ... فلا تقل دارين لا والشحرُ

٥٤- ومُبْهَمُ الأسما زهورٌ شتّى ... ولم أقلْ في وصف شيءٍ حتّى



(١) عند المنجد: عين سكرى. وانظر ما قيل صفحة ١٣١ حاشية (٢).

(٢) سُكّنت كلمة (القرنفل) للضرورة الشعرية.

(٣) سُكّنت كلمة (البنفسج) للضرورة الشعرية.

ذِكْرُ مُتنزهاتِها

٥٥- وانظرْ إلى السَّهْمَيْنِ[1] والمَيْطورِ[2] — تَراها جَنّاتٍ بلا مَحظورِ

٥٦- والنَّيْرَبُ الأعلى محلُّ الأُنْسِ — كذلكَ الأدنى[3] حياةُ النَّفْسِ

٥٧- ونزهةُ الدُّنيا أراضي سطرا[4] — لمْ تَلْقَ إلاّ روضةً أو نهرا

٥٨- وفي نَصِيبٍ[5] جَحفَلُ الأطيارِ — ومَجْمَعُ الأزهارِ والأنهارِ

٥٩- تمشي بها الأمواهُ مَشْيَ الصِّلِّ — وحُلْيُها الزُّهرُ ونَقْشُ الظلِّ

٦٠- وفرشُها الياقوتُ والزُّمرُّدُ — وفوقَها شُحرُورُها يُغَرِّدُ

٦١- فكم بِها روضٌ وكم مِنْ مَغْنَى — طَيرُ التّصابي في رُباها غَنَّى

٦٢- وفي رياضِ السفحِ[6] واللّوانِ[7] — هبَّت رِياحُ الشّيحِ والحَوذانِ

٦٣- والجبهةُ[8] الغرّا محلُّ البَسطِ — وسرحةُ الوادِي مكانُ الشَّطِّ

٦٤- واذكرْ رياضَ القصرِ[9] والخلخالِ[10] — والفيجةِ الخضراءِ[11] والسلسالِ

---

(١) انظر صفحة ١٣٥.

(٢) انظر صفحة ١٤١.

(٣) انظر صفحة ١٣٧.

(٤) انظر صفحة ١٤٢.

(٥) نصيب من متنزهات دمشق ومركزها قرب جسر الغيضة (جسرين). غوطة دمشق. صفحة ٧٠.

(٦) السفح: سفح جبل قاسيون.

(٧) اللوان: متنزه بين المزة وكفرسوسة. انظر الحاشية (٣) صفحة ١٤٤.

(٨) انظر صفحة ١٤٥.

(٩) القصر: يعني قصر الإمارة (الأبلق)، وكان محله مكان التكية السليمانية، انظر صفحة ١٥١.

(١٠) انظر صفحة ١٤٩.

(١١) عند المنجد: والمرجة الخضراء

٦٥- مسارحُ الآرام والغزلانِ معاهدٌ للحُورِ والوِلْدَانِ

٦٦- مَحاسِنُ الدُّنيا رياضُ الغوطهْ لَمّا غدَتْ في حُسْنِها مَغْبُوطهْ

٦٧- تَشُقُّها الأنهارُ والخلجانُ وكلُّ نَهْرٍ منهمُ سَيْحانُ

٦٨- فأينَ منها الشِّعْبُ يا بَوّانُ وما حوى الخابُورُ والمَيْدانُ

٦٩- ومَجْمَعُ الأَمْواهِ جسرُ الغَيْضَهْ[1] وحيثما يممْتَ تَلْقَ روضهْ

٧٠- مُلْتفَّةَ الأغصانِ بالأغصانِ ومرتعَ الأطيارِ والغُزلانِ

٧١- ومنتدى الأفراحِ وادي الرَّبْوهْ وَادٍ حَبَاهُ ربُّهُ بالحُظْوَهْ

٧٢- تجري بهِ الأنهارُ كالكواكبِ لكنَّها تَمشِي على المَراتِبِ

٧٣- قَدْ ساقَها حكيمُها المهندسُ وَخَطَّها فهو الرَّئيسُ الأَكْيَسُ

٧٤- وكُلُّهم قد جاوَرَ الرِّياضا وبِرُّهُ عليها قد أفاضا

٧٥- فَقَسَّموا من بعضِها أقساما وخصَّصوها لِلقُرى سِهاما

تَفْصيلُ أنْهارِها[2]

٧٦- أوَّلُها أَصلُ النُّهورِ بردى كم شَوْق مَخْرُورٍ لديه بَرَدا

٧٧- وعند ثَوراها يثورُ الوَجْدُ غِذاؤُهُ القيصومُ ثُمَّ الرَّنْدُ[3]

٧٨- كذا يَزيدُ أطيبُ الأنْهارِ إذْ جَرْيُهُ في داخلِ الأحجارِ

---

(١) انظر صفحة ١٥٥.

(٢) سيذكر المؤلف الأنهار بشكل مفصل صفحة ١٦٥.

(٣) القيصوم: شجر من نوع الشيح يكثر في البادية.
الرند: شجر طيب الرائحة، من الفصيلة الغارية، ينبتُ في سواحل الشام والغور والجبال الساحلية.

٧٩- يـا طِيـبَ مـاءِ **القَنـواتِ** العَـذْبِ إذْ خصَّصـوه أهلُهـا للشُّـرْبِ

٨٠- وصِنْـوُهُ في فِعْلِـهِ **بانـاسُ** نهـرٌ زَهـى في حُسْنِهِ يـا نـاسُ

٨١- يتلـوُه نهـرٌ اسْمُـهُ **الدَّارانـي** يمشـي كمَشْـي الوالِـهِ الحيرانِ

٨٢- وجَـدْوَلٌ يُسْـمى **قنـاةَ المِـزَّه** مقامُـهُ فيهـم مقـامُ العِـزَّه

٨٣- هـذي النُّهـورُ السَّـبعةُ الأُصـولُ اسمعْ ـ فدَتْـكَ النَّفـسُ ـ ما أقـولُ

٨٤- أمـا أبـو الأنهـار زاهـي البهجـة يشـقُّ جـوفَ الأرضِ نحـو **المرجـة**

٨٥- **المرجـةِ الخضـراءِ** ذاتِ الشَّـرَفِ وقـد زهَـتْ أكنافُهـا بـالغُرَفِ

٨٦- يَمُـرُّ مِثْـلَ السَّـهمِ كالمُجْتـازِ حتـى يُرَى قَدْ شَـقَّ **صَـدْرَ البـازِ**[1]

٨٧- وقـد جَـرى في ذلـكَ المَيـدانِ كأنّـهُ سـابورُ في الإيـوانِ

٨٨- تَضُمُّـهُ قَنـاطرٌ مِـنْ جَلْمَـدِ ترنـو كألحـاظِ الغَـزالِ الأغْيَـدِ

٨٩- هُنـاكَ يلقـى جـدولاً قـد عَذُبـا سَمَّـاهُ أهـلُ الشـامِ **نهـرَ عَقْرَبـا**

٩٠- وبَعْـدَهُ مَـنْ للتّصـابي داعيـه[2] سَـمَّوْهُ مِـنْ أنهارهـا **بداعيـه**

٩١- ثـم **المَنيحـي** جَـدْوَلٌ كبـيرُ كأنّـهُ مِـنْ بينِهـم أمـيرُ

٩٢- كـذاكَ نَهْـرٌ اسمُـهُ **الزبديـني** يسـيرُ بـينَ الـوَرْدِ والنّسـرينِ

٩٣- وثَـمَّ نهـرٌ اسْمُـهُ **الوسـطاني** **ومَقْسَـمُ الغربـيِّ** نهـرٌ ثـاني

٩٤- يـا مَجْمَـعَ الأحبـابِ يـا **دَرْمِيْنـا**[3] كـم ذا بأشـراكِ الهَـوى ترمينـا

---

(١) صدر الباز: موضع بين الشرفين الأعلى والأدنى. قرب ساحة الأمويين. سمي بذلك تشبيهاً له بطائر الباز، لأن وادي الربوة ينضم من رأسه، ويعلوه جبلان، ويشكل الشرفان جناحيه. معجم دمشق.

(٢) عند المنجد: من التصابي.

(٣) درمينا: نهر يتفرّع من نهر زبدين.

٩٥- ويا حياةَ النَّفْسِ نهرَ **الماصيه** — **والحاجي** نهرٌ سَمَا في الساميه

٩٦- ولستُ أنسى الجَدْوَلَ **البالاني** — يسيرُ سَيْرَ الآبِقِ الوَلْهانِ

٩٧- يمشي رويدًا صِنْوُهُ **الزابونُ** — كذاك **نهرُ المَلِكِ** المَصُونُ

٩٨- كذا خليجٌ اسمُهُ **الشَّيْداني** — ونهرُ **تَلِّ الذَّهبِ** السَّاماني

٩٩- **وبيتُ نايمَ** نهرُها قدْ عَظُما — وجدولٌ يسقي أراضي **حزرما**

١٠٠- وجدولٌ يسعى إلى **الغَريفهْ**[١] — يمشي كَخود شيِّق مُهَفْهَفَهْ

١٠١- وآخَرُ يسقي رياضَ **المُتْبَنِ**[٢] — يمشي إليها كالحكيم المُتقِنِ

١٠٢- **وللبلاليةِ**[٣] خَصُّوا جَدْوَلا — يمشي إلى صحرائِها مُهَرْوِلا

١٠٣- وما بقي يجري إلى **العَبَّادَه**[٤] — يسعى كسَعْي الحَيَّةِ المُرْتادَه

الذي ينقَسِمُ في نَهرَي المنيحي والدّاعياني[٥]

١٠٤- **الجامعي** نهرٌ بِها قَد عُرِفا — وراقَ حُسنًا ماؤُه فَوقَ الصَّفا

١٠٥- وجدولٌ يُسْمى بنهرِ **البيرهْ** — يا حُسْنَ رَوضاتٍ به معمورهْ

١٠٦- وجدولُ **المَزَّازِ**[٦] ثم **الشقّ** — غنَّتْ عليهم صادحاتُ الوُرْق

---

(١) الغريفة: قرية في شرق بيت نايم. منجد.

(٢) المتبن: قرية بالقرب من حرستا القنطرة، وتُسمّى اليوم حوش المتبن. منجد.

(٣) البلالية: في شرق تل الصالحية. منجد.

(٤) العبادة: هي قرية العبادية في مرج الغوطة. غوطة دمشق ٢٨٣.

(٥) انظرهما صفحة ١٧١.

(٦) انظره صفحة ١٨٠.

١٠٧- وراقَ مـاءُ الجـدولِ السُّـلطاني[1] كـم سارَ مـن روضٍ إلى بسـتانِ

١٠٨- وَفاقَـهُ في الحُسـنِ نهـرُ الزُّلَـفِ[2] قـد أُتحِفَـتْ أدواحُـهُ بـالطُّرَفِ

١٠٩- وجـدولٌ يَسـعَى إلى الخِيـارةْ وجريُـه فِـي رونـقِ الإمـارةْ

١١٠- ولا تـدع ـ يـا صـاح نهـر ـ الشَّبْعا كـذا البلاطـي جـدولٌ كـالأفعى

١١١- كـذا كُليبًـا جـدولٌ معـروفُ وعـينُ ترمـا نهرُهـا موصـوفُ[3]

١١٢- إلى كَفَـرْ بِطنـا خَليـجٌ يجـري ونهـرُ جسـرينَ كـذَوبِ القَطْـرِ

١١٣- وجـدولٌ يجـري إلى حموريـا سَـقيًا لأوقـاتٍ مضـت فيـه ليـا

١١٤- ونهـرُ سـقبا في صفـا اللُّجَيْـنِ كأنّـهُ الإسـفنطُ في الدَّنَّـينِ[4]

١١٥- والأفْـتَريسُ القريـةُ المصطـافُ يجـري إليهـا جـدولٌ خطّـافُ

١١٦- الزّهـرُ والأدواحُ في بيـتٍ سـوا لهـا خليـجٌ كالحَبـاب ذا التـوى[5]

١١٧- هـذا الـذي قـد قسَّـموا مـن بـردى فـاسمعْ وكـنْ في قولنـا مُعتَمِـدا

❁ ❁ ❁

---

(١) الجدول السلطاني: لعله منسوب إلى طريق السلطاني، وهو طريق الميدان حالياً.

(٢) نهر الزلف: ذكره ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٣/١٤٧، وابن عبد الهادي و لم يحدِّدا موقعه، والزلف: الحياض الممتلئة، فإذا كان بالضم فمعناه ساعات الليل الآخذة من النهار، وساعات النهار الآخذة من الليل، وهذا الاصطلاح ما زال معمولاً به في السقيا في كل قرية. غوطة دمشق ١١٨..

(٣) عند المنجد: عين ثرما، وهو اسمها الصحيح.

(٤) الإسفنط: بالكسر، وتفتح الفاء: المطيّب من عصير العنب، أو ضرب من الأشربة، أو أعلى الخمر. القاموس.

(٥) الحَبابُ: طرق تظهر على وجه الماء تصنعها الريح.

الذي ينقسم من الداراني[1]

١١٨- أَمَّــا الـــذي قســـمتَهُ يـــا دارا
يـــا مَـــنْ تخـــيّرتَ الفيـــافي دارا

١١٩- نهـــرُ **العـــرا** **والذيـــب** **والشّـــراكِ**
كـــذاكَ نهـــرُ **الميلقـــونِ** الزاكـــي

١٢٠- **والحجَـــرُ الدائـــرُ** شِـــعْبٌ خامِسَـــهْ
وجـدولٌ قـد خُـصَّ بالكفارسـهْ[2]

١٢١- فقسَّـــموهُ عندَهـــم يـــا صـــاحِ
يـــا مَـــنْ ســـناهُ في ضِيـــا المِصبـــاحِ

١٢٢- **نهـــرُ الكريمـــي** ثـــم **نهـــرُ الغربـــي**
أبـــو عيـــارٍ جـــدولٌ كـــالقضبِ[3]

١٢٣- وجـــدولُ **الأشـــعاب** نهـــر طـــامي
يَخُـــدُّ وَجْـــهَ الأرضِ كالصَّمصَـــامِ

الذي ينقسم من قنوات[4]

١٢٤- وقُسِّـــمتْ قَنْـــواتُ يـــا مســـرورُ
نهـــرُ **القُصَـــيْرِ** حَظُّـــهُ التصغـــيرُ

الذي ينقسم من تورا[5]

١٢٥- ونهـــرُ تَـــوْرا قسّـــموهُ فاسْـــمَعِ
نظمًـــا حَـــلاً في الذّهـــنِ ثـــم المَسْـــمَعِ

---

(١) عنوان من المنجد فقط.

(٢) الكفارسة: نسبة إلى كفر سوسيا. قرية جنوب دمشق.

(٣) القضب: كل شجرة طالت وبسطت أغصانها.

(٤) عنوان من المنجد فقط.

(٥) عنوان من المنجد فقط. وانظره صفحة ١٦٨.

١٢٦- أولُهـــا **الأنصـــارُ** نهـــرٌ طـــافحُ	يجـري ونَشْـرُ الزَّهـرِ منـه فـائحُ

١٢٧- **ونهـــرُ بِشْـــرٍ** جـــدولٌ سَلســـالُ	والمـاءُ فيـه قَرْقَـفٌ جِرْيـالُ[1]

١٢٨- **وغـــالبٌ** نهـــرٌ ســـليمُ القلـــبِ	ومـاؤُهُ عـذْبٌ لذيـذُ الشُّـرْبِ

١٢٩- كـــذاكَ نهـــرٌ **بـــالمَحلاّتِ** اشْـتَهَرْ	وصِنْـوُهُ **السِّـرداب** نهـرٌ معتـبَرْ

١٣٠- كذلـــكَ **الشُّـــباك** نهـــرٌ زاخِـــرُ	كـذا **الفراديـسُ** الزكـيُّ العـاطِرُ

١٣١- ونهـــر **قلبـــين** ونهـــر **الزينـــبي**	ونهر **باب الثلثِ** عـذبُ المَشْـربِ

١٣٢- كـــذاكَ **علّيتـــا** خليـــجٌ منـــهُ	حديـثُ عِطْـرِ الـرَّوضِ يُـروى عَنْـهُ

الذي يَنقسِمُ مِن يَزيدٍ[2]

١٣٣- ومِـــنْ يزيـــدَ جـــدولُ **الشَّـــجريَّهْ**	ونهـــرُ **مهـــدي** فرقـــةٌ فِضيّـــهْ



١٣٤- فهـــذهِ الأُصـــولُ بالأقســـامِ	وكلُّهـا تَجـري علـى الـدَّوامِ

١٣٥- مواهـــبُ اللهِ العلـــيِّ الأعلـــى	نالتهـا جِلّقُنـا فكـانَتْ أَهْـلا

---

(١) القرقف: الخمر، والماء البارد الصافي. والجريال: صبغ أحمر، والخمر أو لونها.

(٢) العنوان من المنجد فقط.

ذِكْرُ أوديتِها[1]

١٣٦- ولنشـــرعِ الآنَ بذِكـــرِ الأوديـــهْ
اللاتــي لأمــراضِ القلــوبِ أدويــهْ

١٣٧- إذْ كُلُّهُـــمْ في دَوحـــةِ المِعطـــارِ
بــالطِّيْبِ يحكــي جَونَــةَ العطّــارِ

١٣٨- تخالُـــه يَختـــالُ كـــالعرائسِ
في حُلَـــلِ الدِّيبـــاجِ والأطـــالسِ

١٣٩- وكلُّهـــم في حُسْـــنِهِ تَيَّـــاهُ
تَحُفُّـــهُ الأزهـــارُ والأمـــواهُ

١٤٠- أوَّلُهُـمْ - يـا صـاحِ - **وادي بـردى**
وادٍ تَـرى للأُنْـسِ فيـهِ مَـدَدا

١٤١- تجـري عليـهِ بـالدُّموعِ الأعْيُـنُ
إذ قصَّـرَتْ عمـا حـواهُ الألْسُـنُ

١٤٢- ثـانيهُمُ وادي حيـاةِ النفـسِ
الربـوةُ الغَنّـا محـلُّ الأُنْـسِ

١٤٣- **وادي المُكَـرَّمْ**[2] عِنـدَهُ **كيـوانُ**
كلاهُمـا في حُسْـنِهِ غَمْـدانُ[3]

١٤٤- بـالقربِ منهـم **واديُ الجَنادِلـه**
دعْ عنـكَ في أوصافِـه المُجادَلـه

١٤٥- **وادي السَّـفرجَلْ**[4] منظـرٌ فَتّـانُ
أنهـارُهُ في وسـطِهِ غُـدرانُ

١٤٦- **ووادِيُ الحمصـي** صديـقُ الـرُّوحِ[5]
كـم ذا يُغنّـي طَـيرُهُ للـدَّوْحِ

١٤٧- واذكـرْ محـلَّ الشَّطْحِ **وادي الشَّـقرا**
فـأينَ وادي آشِ[6] أيـنَ الزَّهْـرا

---

(١) سيذكرها المؤلف مفصلة صفحة ٢٠١.

(٢) سكّنت كلمة (المكرم) للضرورة الشعرية.

(٣) غمدان: مدينة باليمن بها قصر عظيم مشرف يُنسب إليه. معجم البلدان.

(٤) وادي السفرجل: واد أول الغوطة عند باب الشرقي، مشهور بزهر السفرجل. المنجد. وسكّنت كلمة (السفرجل) للضرورة الشعرية.

(٥) عند المنجد: وادي الحصا.

(٦) وادي آش: في الأندلس بين غرناطة وبجانة، تنحدر إليه أنهار من جبال الثلج، كثير الشجر.

١٤٨- تُظِلُّــهُ **الشــرفين** مِــنْ طَرْفَيْــهِ[1] يُفــاخِرُ المَرِّيــخَ في شَــرَفيهِ

١٤٩- **وادي الصُّفَــيرا**[2] موســمُ اللَّــذاتِ أوقاتُــهُ مــن أطيــبِ الأوقــاتِ

١٥٠- وأشــرفُ الوديــانِ وادي **بــرزه** فيـه بِقـاعُ الفَضـلِ حتـى أَرْزَه[3]

١٥١- **لِحرْنَــةٍ** وادٍ ووادي **مَعْرَبــا** كلاهمـا عـن حُسْنِهِ قـدْ أَعْرَبـا

١٥٢- **ووادِيُ التَّــلِّ** الرّفيــعِ القَــدْرِ يَضـوعُ نَشْـرًا مِـنْ عبـيرِ الزَّهْـرِ

١٥٣- **وادي منــينَ** أَنْضَــرُ الوُديــانِ أطيــارُهُ تشْــدو علــى العِيــدانِ

١٥٤- **وادي الدُّرَيْــجِ** الطيِّــبِ الأرواحِ قــدْ غَــصَّ بــالأمواهِ والأَدواحِ

١٥٥- **وادي حلبــونَ** ســقاهُ القَطْــرُ علـى غِنـاءِ الطَّـيرِ فـاحَ العِطـرُ

١٥٦- ونزهــةُ الدنيــا بديــعُ الســيما وادي التَّصــابي والهنــا **بَسِّــيما**

١٥٧- **ووادِيُ الخضــرا** مَحَــطُّ الرَّحْــلِ كـم ذا شـدَدْنا نحـوَهُ مـن رَحْـلِ

١٥٨- يــا صاحبــايَ نــارَ شــوقي هَيِّجَــا وعرِّجـا بـي نحـوَ **وادي الفِيْجـا**

١٥٩- وأَطرِبــا سَــمعي بذِكــرِ الــوادي وادٍ سُـمَا يــا صــاحِ **بــالعَرَّادِ**

١٦٠- ونهــرُهُ الطَّــامي البَهــيُّ المَنْظَــرِ وليـسَ مَـرأى العيـنِ مِثْـلَ المَخْـبَرِ

١٦١- **ووادِيُ الشــرقي** عــروسُ الدنيــا إذْ بينهـم بالحُسْـنِ نـالَ العَلْيَـا



(١) عند المنجد: يظله الشرفان.

(٢) وادي الصُّفيرا: بالتصغير قرب الميطور، قبيل برزة.

(٣) أرزة: قرية محلّها اليوم حي الشهداء في طريق الصالحية.

ذِكْرُ الأعْيُنِ[1]

١٦٢- ونُتْبِعُ الذكرَ بذِكرِ الأَعْيُنِ ... وَقاها ربُّ الشّامِ شرَّ **الأَعْيُنِ**[2]

١٦٣- أشهرُها في الحُسْنِ **عينُ الصَّاحبِ** ... تفوقُ بالمَنْثُورِ نَثْرَ الصاحبِ[3]

١٦٤- وفي صفا الراوُوق[4] **عينُ الخَضْرا** ... ماءٌ كَذَوْبِ الدُّرِّ حازَ الفَخرا

١٦٥- كذاكَ عينٌ اسْمُها **سَيَّافه** ... وماؤُها في غايةِ اللّطافه

١٦٦- واجْلُ صدا قلبي **بعينِ مَنينِ** ... بينَ الرُّبا والتينِ والزيتونِ

١٦٧- يا عينَ ذاكَ الرّوضِ يا فتّانه ... يا مَن سُميتِ عندهم **مرجانه**[5]

١٦٨- ولا تسلْ عَنْ لُطْفِ **عينِ الكِرشِ** ... ماءٌ قَراحٌ لؤلؤيُّ الفَرْشِ

١٦٩- وكم جَمَعْنا الشَّمْلَ في **الورَّاقه** ... عينٌ تراها بالصَّفا **بَرَّاقه**

١٧٠- يا عينُ مَنْ **بالزينبيه** عُرِفَتْ ... مَنْ لي بأوقاتٍ لَديكِ سَلَفَتْ

١٧١- وعندَ **عينِ الشِّرْشِ** روضٌ زاهي ... تأوي إليهِ زُمَرُ المَلاهي

١٧٢- وانْعَمْ بعينِ اللذّةِ الفِضّيه ... قَدْ سُمِّيَتْ - يا صاحِ - **بالدُّقّيه**

١٧٣- **وعينُ قرقوزٍ** سقى عهدي بها[6] ... كم للتّصابي بعتُ غاياتِ النُّهى

---

(١) انظرها مفصلة صفحة: ٢٣١.

(٢) في (ب): رقاها ربُّ.

(٣) الصاحب هو إسماعيل بن عباد، انظر الحاشية (٤) صفحة (١١١).

(٤) الراووق: المنفذ الذي يجيء منه الريح، ويُسمّى راووق النسيم. شفاء الغليل.

(٥) المنجد: يا من دعوك عندهم.

(٦) المنجد: عين قرقور.

١٧٤- **وعـينُ أقلايـا** حكـت بـالرَّصْفِ ضيـاءَ مِـرآةٍ لـرَوْضِ القَصْـفِ

١٧٥- **عـينُ حـروش** كـالزُّلالِ الصـافي قـد أحـرزَتْ مَحاسِـنَ الأوصـافِ

❁ ❁ ❁

١٧٦- فهـذهِ العيـونُ ذاتُ القَـدْرِ إذ سَـقْيُها الريـاضَ سـقيُ النَّهْـرِ

١٧٧- فـالبعضُ منهـا قـارَبَ المدينـهْ والبعـضُ منهـا للقُـرى مَعونـهْ

١٧٨- ومـا سِواهـا - صـاحِ - ليسَـتْ تُحْصَـى ولا تـرومُ العَـدَّ والاسْـتِقصَا

١٧٩- فـانهضْ وشمِّـرْ للتّصـابي باعـا قـد خُـصَّ بالحِرمـانِ مَـنْ أضاعـا

١٨٠- فهـذهِ الدنيـا وهـذا العَيْـشُ وغـيرُ ذِكْـرِ الشـامِ عنـدي طَيْـشُ

١٨١- إلاَّ مَنَـاطَ العـزِّ والتّمكـينِ ومَهْبِـطَ القُـرآنِ والتَّبْيـينِ

١٨٢- وادٍ حبـاهُ اللهُ بالتَّشـريفِ وخصَّـهُ بالسَّـعيِ والتَّعريـفِ

١٨٣- وعنـدَهُ الأَوزارُ حقًّـا تُطـرَحُ وفيـهِ للغفـرانِ نِعْـمَ المَطْمَـحُ

١٨٤- وبلـدةُ المختـارِ عـينُ المُلْـكِ حامي حمـى الإسلامِ مـاحي الشِّرْكِ

١٨٥- قـد صحَّـتِ الأقـوالُ عنـدَ السُّـنَّهْ في أنَّ فيهـا مـن ريـاضِ الجَنَّـهْ

١٨٦- ونـالتِ العَليـا بخـيرِ الخَلْـقِ وخـيرِكم بعـدي خَدِيـنِ الصِّـدقِ

١٨٧- وصِنـوُهُ الفـاروقُ مُحيـي الدِّيـنِ وثـالثُ الخُلَفـاءِ ذو النُّورَيـنِ[1]

١٨٨- هواطـلُ الرِّضـوانِ فيهـا تَهْمِـي وبالرِّضـا والعفـوِ أَرجـو خَتْمـي

❁ ❁ ❁

---

(١) لم يذكر رابع الخلفاء عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لأنه لم يدفن بالمدينة.

ذِكْرُ الشامِ وفضائلِها ومَحاسِنِ رياضِها ومُتنَزَّهاتِها وما وَرَدَ فيها من الأحاديثِ والآثارِ وأقوالِ أصحابِ الأخبارِ

فمِن ذلكَ أن الشامَ مَوطِنُ الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ، ومعدِن الزُّهَّادِ والعُبَّادِ.

❁ عن عون[1] بن عبد الله بن عتبة رضي الله تعالى عنه، قال: قرأتُ فيما أنزلَ الله عزَّ وجلَّ على بعضِ الأنبياءِ، أنَّ الله تعالى يقولُ: الشّامُ كِنانَتِي، فإذا غَضِبْتُ علَى قَومٍ رَمَيْتُهُم مِنها بِسَهْمٍ[2].

❁ وعنِ الوليدِ بنِ صالحٍ الأزديِّ، قال: في الكُتُبِ الأُوَلِ، الله تعالى يقولُ للشامِ: أنتِ الأندَرُ[3]، ومنكِ المَنشَرُ، وإليكِ المَحشَرُ، فيك ناري ونُوري، مَنْ دَخلَكِ رَغبةً فيكِ فَبِرَحْمَتي، ومَنْ خَرَجَ عَنكِ رَغبةً عنكِ فَبِسُخطي، تَتّسعُ لأهلِها كما تَتّسِعُ الرَّحِمُ لِلوَلَدِ[4].

❁ وعن زيدِ بنِ ثابتٍ رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله يقولُ: «يا طُوبى لِلشّامِ، يا طُوبى لِلشّامِ، يا طُوبى لِلشّامِ» قالوا: يا رسولَ اللهِ، وبِمَ ذلكَ؟ قال: «تِلكَ مَلائكةُ اللهِ باسِطُو أجنِحَتِها علَى الشّامِ»[5].

---

(١) في الأصل: عن عروة بن عبد الله. والمثبت من مصادر الخبر.

(٢) رواه الربعي في فضائل الشام ٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٧٥/١.

(٣) في الأصول: أنت الأنذر.

(٤) رواه الربعي في فضائل الشام ٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٤٢/١.

(٥) رواه أحمد في المسند ١٨٤/٥، والربعي في فضائل الشام ٤، والترمذي (٣٩٥٤)، والحاكم في المستدرك ٢٢٩/٢، وانظر ابن عساكر ١١٢/١ - ١١٥، وفي «أ»: «يا طوبى للشام» قالها ثلاثاً.

❁ وقال قتادة: أَقسَم ا للهُ تعالى بمساجدَ أربعةٍ، قالَ: ﴿والتّينِ﴾ وهو مسجدُ دمشقَ، ﴿والزّيتونِ﴾: وهو بيتُ المَقْدِسِ، ﴿وطُورِ سِينِينَ﴾: وهو حيثُ كَلَّمَ ا للهُ موسى عليه السلام، ﴿وهذا البلدِ الأمينِ﴾: وهو مكّةَ، شرَّفَها ا للهُ تعالى[1].

❁ قال عبدُ ا للهِ بنُ سلامٍ: بالشامِ من قُبورِ الأنبياءِ أَلفا قَبْرٍ وسبعُ مِئةِ قَبرٍ، وقبرُ مُوسى بدمشقَ، ودمشقُ مَعقِلُ الناسِ في آخرِ الزمانِ[2].

❁ قال ابنُ عباسٍ رضيَ ا للهُ تعالى عنهُما: مَنْ أرادَ أن يَرى المَوْضِعَ الذي قالَ ا للهُ فيه: ﴿وآويناهُما إلى رَبوةٍ ذاتِ قَرارٍ ومَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠] فلْيأتِ النَّيْربَ الأعلى بدمشقَ بينَ النَهْرينِ، ولْيَصْعَدِ الغارَ في جبلِ قاسيونَ، فيُصلِّ فيهِ؛ فإنه بيتُ عيسى وأمهِ، [وهو كان معقلهم من اليهود]، ومَنْ أراد أن يَنظُرَ إلى إرَمَ، فلْيأتِ نَهرًا في [حصن] دمشق، يقالُ لهُ: بردى، ومَنْ أرادَ أن ينظُرَ إلى المَقْبَرةِ التي فيها مريمُ بنتُ عِمرانَ والحواريّونَ، فليأْتِ مقبرةَ الفَراديسِ[3]. انتهى.



---

(١) رواه الربعي في فضائل الشام ٣٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١/٢٠٦.

(٢) رواه الربعي في فضائل الشام ٥٠.

(٣) رواه الربعي في فضائل الشام ٥٠، وما بين معقوفين مستدرك منه.

ومقبرة الفراديس كانت مجاورة لمرج الدحداح، ولمّا غدا المرج مقبرة، اندمجت مقبرة الفراديس بها وشكلا مقبرة واحدة تعرف بمقبرة الدحداح نسبة إلى أبي الدحداح المحدث الذي توفي سنة ٣٧٢ هـ ودفن بها.

وأما محاسِنُ رياضِها ومتنَزهاتُها فقد كثُرَتْ بذلكَ الأخبارُ.

❁ قال ابنُ عساكر[1]: هذهِ المدينةُ مِنَ الإقليمِ الثالثِ، طولُها سبعونَ درجةً، وعرضُها ثلاثةٌ وثلاثونَ درجةً، طالِعُها بُرْجُ السنبُلةِ، وصاحِبُ ساعةِ بنائِها عُطارِدُ.

وقال[2]: [وبلَغني] مِن وجهٍ آخر، أنَّ الذي بَنَى دمشقَ، بناها على الكواكبِ السبعةِ، وأنَّ طالِعَ بنائِها المُشتري، وجعل لها سبعةَ أبوابٍ، وَصَوَّرَ على كُلِّ بابٍ أحدَ الكواكبِ السبعةِ.

وناهيكَ من بَلَدٍ هي لِلأَبْدالِ وطنٌ، ولِلأَبْرارِ سَكَنٌ، ومعقِلُ الإسلامِ يومَ تَشتَدُّ الفِتَنُ.

❁ وقال غيرُهُ: إنَّ أولَ مَنْ بناها اليونان، وهمُ الذين وضعوا الأرصادَ، وتكلَّموا على حركاتِ الكواكبِ واتصالاتِها، وبنَوا دِمشْقَ، واختاروا لَها هذهِ البُقْعَةَ، إلى جانبِ الماءِ الواردِ من بينِ هذينِ الجبلينِ، وصَرَفُوا أنهارَها تجري إلى الأماكنِ المرتفعَةِ والمنخفضةِ، وسلَكوا الماءَ إلى دُورِها، وبنَوا هذا المعبدَ، وهو الجامعُ اليومَ، وإنَّهم مكثوا يأخذونَ الطالِعَ لبناءِ دمشقَ ثمانيَ عشرَةَ سنةً[3].

❁ وقال القَلَقْشَندي في كتابهِ «صُبح الأعشى»[4]: دِمَشْقُ، بكسرِ الدَّال، وفَتْحِ الميمِ، وسكونِ الشينِ المُعْجَمَةِ، وَقَافٍ في الآخر، وتُسمَّى أيضًا جلِّقَ، بجيم مكسورةٍ، ولامٍ مشددةٍ.

---

(١) لم أجد قوله في المطبوع من تاريخ ابن عساكر.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١/١٥.

(٣) في الأصل: ثمانية عشر سنة.

(٤) صبح الأعشى ٤/٩٤.

❁ وحكى في «الرَّوضِ المِعطَارِ»[1] تسميَتها جَـيْرُوْنَ، بفتـح الجيـم، وسـكونِ اليـاء المُثناة تحت، وضمّ الراءِ المُهملَةِ، وسكونِ الواوِ، ونونٍ في الآخر.

وسمّاها في موضعٍ آخرَ: العَذْراء[2]، بفتـح العيـنِ المُهملَـةِ، وسـكونِ الـذالِ المُعْجَمَـةِ، وفتحِ الراءِ المُهْمَلَةِ، وألِفٍ بعدَها.

وموقِعُها: في أواخر الإقليمِ الثالثِ من الأقاليمِ السبعةِ.

❁ قـال في «القـانونِ»: وطولُهـا سِتُّونَ درجـةً، وعرضُهـا ثـلاثٌ وثلاثـونَ درجـةً وثلاثونَ دقيقةً.

وقد اختُلِفَ في بانيها، فقيلَ: بناها نوحٌ عليه السلام، وذلكَ أنّه لمّا نزلَ منَ السفينةِ بَنَى دمشقَ.

وقيلَ: بناها جَيْرُونُ بنُ سَعْدٍ بنِ عادٍ، وبهِ سُمِّيتْ جَيْرونُ[3].

ويُقالُ: إنَّ جَيْرونَ وبَريدَ كانَا أخوينِ، وهما ابنا سعدِ بـنِ لُقْمـانَ بـنِ عَـادٍ، وبهمـا يُعرَفُ بابُ جَيْرونَ وبابُ البريدِ مِن أبوابِها[4].

وقيلَ: بناها العـازرُ[5]، غـلامُ إبراهيـمَ عليه السلام، وكـانَ حبشـيًّا، وَهَبَـهُ لـهُ نُمـروذُ بـنُ كنعانَ، حينَ خَرجَ إبراهيمُ منَ النارِ، وكان اسْمُهُ دمشقَ، فسمَّاها باسْمِهِ[6].

❁ وفي كتابِ «فضائِلِ الفُرْسِ» لأبي عُبيدةَ، أنّ بيوراسب ملكَ الفُرسِ بناها[7].

---

(١) الروض المعطار ١٨٦.

(٢) الروض المعطار ٤٠٩.

(٣) انظر تاريخ دمشق ١/ ١١.

(٤) تاريخ دمشق ١/ ١١.

(٥) في الأصل: الغادر، والمثبت من تاريخ دمشق ١/ ١٢.

(٦) تاريخ مدينة دمشق ١/ ١٢.

(٧) تاريخ مدينة دمشق ١/ ١٢، وفي الأصول: أبو عبيد، والمثبت من تاريخ مدينة دمشق.

وقيلَ: إنّ الذي بناها ذو القرنين، عندَ فَراغهِ من السَّدِّ، ووكَّلَ بعمارتِها غُلامًا اسمُهُ دِمَشْقِش، وسكنها دِمَشْقِشُ، وماتَ فيها، فسُمِّيتْ بهِ[1].

وهي مدينةٌ عظيمةُ البناءِ، ذاتُ سورٍ شاهقٍ، ولها سبعةُ أبوابٍ.

❁ ورَوى الحافِظُ ابنُ عساكرَ، عن أبي القاسمِ تمام[2]، أنَّ بانيها جعلَ لكلِّ بابٍ من هذهِ لِكَوكَبٍ من الكواكبِ السبعةِ، وصوَّرَ عليه صُورَتَهُ.

وبكلِّ حالٍ، فهي مدينةٌ حَسنَةُ الترتيبِ، جليلةُ الأبنيةِ، وغوطتُها أحدُ منتزهاتِ الدنيا العجيبةِ، المفضّلةِ على سائرِ منتزهاتِ الأرضِ، وكذلكَ الربوةُ، وهي كَهْفٌ في فمِ واديها الغربيِّ، عندهُ تنقسِمُ مياهُها، يقالُ إنَّ بهِ مَهْدَ عيسى عليه السلام، وبها الجوامِعُ والمدارسُ، والخوانِقُ والرُّبُطُ والزوايا، والأسواقُ المرتّبةُ، والدُّورُ الجليلةُ المفروشةُ بأنواعِ الرُّخامِ، ذاتُ البِركِ بالماءِ الجاري، وربَّما جَرى الماءُ في الدارِ الواحدةِ في عِدَّةِ أماكنَ منها، والماءُ مُحْكِمٌ عليها مِن جميعِ نواحيها بإتقانٍ مُحْكَمٍ، وهي في وطأةٍ مستويةٍ منَ الأرضِ، بارزةٍ عن الوادي المنحَطِّ عن منتهى ذيلِ الجبَلِ، منكوسةِ الجوانبِ لِمَمَرِّ الهواءِ، إلاّ منَ الشّمالِ، فإنّه محجوبٌ بجبلِ قاسيونَ، وبذلكَ تُعابُ وتنسَبُ إلى الوَخامَةِ.

❁ قالَ في «مسالكِ الأبصارِ»: ولولا جبلُها الغَربيُّ المُلْبَسُ بالثلوجِ صَيْفًا وشتاءً، لكانَ أمرُها في ذلكَ أشدَّ، وحالُ سُكانِها أشقَّ، ولكنهُ درياقُ ذلكَ السُّمِّ، ودواءُ ذلكَ الداءِ، وعنايةُ أهلِها بالمباني كثيرةٌ، ولهم في بساتينِهم منها ما تفوقُ بهِ وتحسُنُ.

وبإزاء المدينةِ في سفحِ جبلِ قاسيونَ مدينةُ الصالحيةِ، وهي مدينةٌ ممتدَّةٌ في سفحِ الجبلِ، تُشرِفُ على دمشقَ وغوطتِها.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١/١٣.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١/١٥.

ومَسْقَى دمشقَ وبساتينِها من عَيْنَينِ[1]: البعيدةِ منهُما دونَ قريةٍ تُسمَّى الزبداني، ودونَها عـينٌ بقَرْيةٍ تُسمَّى الفيجة، بذيلِ جبلٍ يخرجُ الماءُ منهُ، مِن صَدْعٍ في نهايةِ أسفلهِ، قد عُـقِدَ على مَخْرَجِ الماءِ منهُ عَـقْدٌ رُوميُّ البناءِ[2]، ثم ترفِدهُ منافعُ في مجرى الماء من النّهرِ، ويُسمَّى هذا الماءُ نهرَ بردى.

ثم يقسم النهر على سبعة أنهُرٍ:

أربعةٌ غربيَّةٌ، وهي: نهرُ داريا، ونهرُ المزّةِ، ونهرُ القَنواتِ، ونهرُ بانياسَ.

واثنانِ شرقيانِ، وهُما: نهرُ يزيد، ونهر ثورا.

ونهرُ بردى مُمتدٌّ بينهم، وسيأتي الكلام عليهم[3] إن شاء الله تعالى.

فأَمَّا نهرُ بانياسَ ونهرُ القنواتِ، فهما نَهرا المدينةِ، حاكِمانِ عليها، ومُسَلَّطانِ على دُورِها.

ويدخلُ نهرُ بانياسَ القلعةَ، ثم ينقسِمُ قِسمينِ: قِسْمٌ للجامعِ، وقِسمٌ للقَلْعَةِ، كلُّ قِسمٍ مِنهما على أقسامٍ كثيرةٍ، ويتفرَّقُ في المدينةِ بأصابعَ مُقدَّرةٍ معلومةٍ.

وكذلكَ ينقسمُ نهرُ القنواتِ في المدينةِ، ولا مَدْخَلَ له في القلعةِ[4] ولا الجامع، ويجري الماءُ في قِنِيٍّ مدفونةٍ في الأرضِ، إلى أنْ يَصلَ إلى مُستحقّاتِها بالدُّورِ والأماكنِ على حَسَبِ التّقسيمِ، وسيأتي تَمامُ الكلامِ على ذلك[5].

---

(١) انظر نهر بردى وما يتفرع عنه مفصلاً صفحة: ١٦٥.

(٢) هو هيكل وثني بُني فوق نبع عين الفيجة، ثم غدا حصناً عُرف بقلعة عزّتا اتّخذ معقلاً زمن الدولة الأيوبية وما بعدها لسجن الملوك والأمراء والمشايخ. ولم يبق منه الآن سوى قسم من جدار قائم في شمالي خزان مياه الفيجة. الريف السوري ٣٣٨/٢.

(٣) كذا في الأصل: بينهم... عليهم.

(٤) جاء في هامش (أ) ما نصه: قوله: (ولا الجامع) هذا ذكره المؤلف قبل جريان الماء إليه من القنوات، وقد أجراه المرحوم الوزير عثمان باشا، وجعل له شادروان.

(٥) انظر صفحة: ١٦٥ من كتابنا.

مِن جُملةِ مدائِنِ الجَنَّةِ، والمأهولةُ بالأَهِلَّةِ مِن أربابِ الكتابِ والسُنَّةِ، والمعروفـةُ بـ ﴿إرَمَ ذاتِ العِمادِ﴾ والمَوصُوفةُ بـ ﴿لَم يُخلَقْ مِثلُها في البلادِ﴾[1] [الفجر : ٧ ، ٨].

❁ وقال الدَّماميني الإسكندري[2]: تأمَّلَها المملوكُ، فإذا هي جنـةٌ ذاتُ رَبـوةٍ وقـرارٍ ومَعينٍ، وبلدةٌ تبعثُ محاسِنُها البِكْرُ على حُسْنِ الوصفِ وتُعينُ، وحُسْنُها بالجامعِ[3] الفـارقِ بينَها وبينَ سواها، والأنهارِ التي إذا ذُكِرَتْ قَبْلَ المَحْلِ فما أجراها، وما أقولُ إلاّ مُنتزهـاتُ مِصرَ عاريةٌ مِن المَحاسنِ، وهذهِ ذاتُ الكِسوةِ، والنِّيلُ ما احترقَ إلاّ مِنَ الأَسَـفِ، حيـثُ لَمْ يُسْعِدْهُ الدهرُ بالصُّعودِ إلى تلكَ الرَّبوةِ، وَحُقَّ لِمِصرَ ألاّ تُجري حديثَ المُفاخرةِ في وَهْمِها، وأنْ تَتَّـقي شرَّ المنازَعةِ قبلَ أنْ تُصابَ مِن هذه البلدةِ بِسَهمِهَا.

❁ وقال غيرُه: هي ذاتُ الشَّرفِ الأعلى، والسَّهمِ المُعلَّى، والمَوردِ الأحلى، والرَّوضِ المُحَلَّى، والمَحاسنِ التي تقول للمُضاهِي هكذا هكذا وإلاَّ، جبهتُها واضِحةُ الجَبينِ, ورَبوتُها ذاتُ قرارٍ ومَعينٍ، وجَنْكُها[4] المُطرِبُ شامخُ العِرنينِ. [البسيط]

أمَّـــا دمشـــقُ فَجَنَّـــاتٌ مُعَجَّلَـــةٌ   للطَّـالبينَ، بهـا الوِلــدانُ والحُــورُ[5]

---

(١) نزهة الأنام ٤٤، ٤٥.

(٢) هو محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي القرشي، بدر الدين، المعروف بالدماميني (٧٦٣ - ٨٢٧ هـ) عالم بالشريعة وفنون الأدب، ولد بالإسكندرية، واستوطن القاهرة، ولازم ابن خلدون، وتصدر للإقراء بالأزهر، ثم تحول لدمشق، وعاد لمصر، فولي قضاء المالكية، ثم رحل لليمن، وانتقل إلى الهند، فمات فيها، له مؤلفات عدة، منها تحفة الغريب شرح مغني اللبيب.. الأعلام.

وكلامه في نزهة الأنام ٤٨، ٤٩. وجاءت فيه كلمة (منتزهات) (متنزهات) على الصواب.

(٣) في نزهة الأنام: محاسنها الفكر.. وحسبها بالجامع.

(٤) انظر الحاشية (٣) صفحة (١٥٦).

(٥) البيت لعرقلة الكلبي، الديوان ٤١، وانظر خريدة القصر (قسم الشام) ١/٢٠٤.

❁ وقال في «عَرْف الطِّيبِ»[1]: دمشقُ الشامِ، ذاتُ الحُسْنِ والبَهاءِ والاحتِشام، والأدواحِ المتَنوِّعةِ، والأرواحِ المُتَضوِّعَةِ... والغُوطةِ الغَنَّاءِ والحديقةِ... والزهرِ الذي تَخالُهُ مَبْسِمًا والنَّدى ريقَه... فهيَ المدينةُ المُستَولِيةُ على الطِّباعِ، المَعمورَةُ الرُّبوعِ والبِقاعِ... أنهارُها ذاتُ انسجامٍ، تَترَعُ فيها مِن جريالِ الأُنْسِ جَامٌ، وأزهارٌ مُتوَّجَةُ الأدواحِ[2]، مُرَوِّحَةٌ للنُّفوسِ بعاطرِ الأرواحِ... جِنانُ أفنانِها في الحُسْنِ ذَواتُ افْتنانٍ... وبِطاحٌ راقَ سَناها، وكَمُلَ حُسْنُها وتناهى.

❁ وقالَ ابنُ جُبَيْرٍ في «رِحلَتِهِ»[3]: هي خاتِمةُ البلادِ التي استَقْريناهَا، وعَروسُ المُدنِ التي اجتَنيناها[4]، قد تحلَّتْ بأزاهِرِ الرياحينِ، وحَلَّتْ مِن الحُسْنِ بمكانٍ مَكينٍ، وتَشرَّفَتْ بأنْ آوى اللهُ تعالى المسيحَ وأمَّهُ منها ﴿إلى رَبوةٍ ذاتِ قَرارٍ ومَعينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

❁ وقالَ المَقَّريُّ[5] رحِمَهُ اللهُ تعالى: دَخلْناها فَرأَينا من مَحاسِنِها ما لا يَستَوفيهِ مَن تأنَّقَ في الخِطابِ، وأطالَ في الوَصفِ وأطابَ، وإنْ مَلأَ مِن البلاغةِ الوِطابَ.. فللّهِ مرآها

---

(١) هو «نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب» ١/٥٨، ٦٥، ٦٦.

(٢) في نفح الطيب ١/٦٥: للأدواح.

(٣) رحلة ابن جبير، صفحة ٢١٠.

(٤) في رحلة ابن جبير: التي اجتليناها.

(٥) نفح الطيب ١/٥٨، ٥٩، ٦٨، والشعر للمقري المؤلف نفسه.

وهو: أحمد بن محمد بن أحمد أبو العباس المقري – نسبة إلى مقرّة، من قرى تلمسان – التلمساني (٩٩٢ - ١٠٤١ هـ) المؤرخ، الأديب، الحافظ، صاحب «نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب»، ولد في تلمسان، وارتحل إلى فارس، فكان خطيبها والقاضي بها، ومنها إلى القاهرة سنة ١٠٢٧هـ، وتنقل في الديار الشامية والحجازية، توفي في مصر، وقيل توفي في الشام مسموماً، وله شعر حسن، ومزدوجات رقيقة، وأخبار ومطارحات مع أدباء عصره. الأعلام.

الجميلُ الجليلُ! وبيوتُها التي لم تَخرُجْ عن عَروضِ الخليل! ومَخْبَرُها الذي هو على فَضْلها وفَضلِ أهلِها أدلُّ دليلٍ! ومَنظرُها الذي ينقلِبُ البَصرُ عن بَهجتهِ وهو كليلٌ. [المجتث]

مَحاسِـنُ الشّـامِ أَحْلَـى[1] مِـنْ أَنْ تُسَـامَ بِحَـدِّ
لـولا حِمَـى الشَّـرعِ قلْنَـا ولَـمْ نَقِـفْ عنـدَ حَـدِّ
كأنَّهـا مُعْجِـزاتٌ مَقرونـةٌ بالتَّحَدِّي

وبالجُملةِ، فالاعترافُ بالحقِّ فريضةٌ، ومحاسِنُ الشامِ وأَهْلِهِ طويلةٌ عريضةٌ.

ولو استقْصَيْتُ هذا البابَ لَطالَ، وأكسبَ قارئَهُ المِلالَ، ولْنَقتَصِرْ عَلَى ما حَرَّرْناهُ، ونكتفي بما أورَدْناهُ.

❁ **وأمَّا جامِعُها**[2]: فَقد مَلأَتْ مَحاسِنُهُ المَهارِق، وامتلأَتْ مِن أخبارِهِ دواوينُ المَغاربِ والمَشارِق. [الطويل]

مَحاسِـنُ تَهـدي المـادِحينَ لِوَصْفِهـا فَيَحسُـنُ فيهـا منهُـمُ النَّثرُ والنَّظـمُ

وأحسنُ ما قيلَ فيهِ، بلْ مِن أصْدقِ التَّمثيلِ والتَّشبيهِ قولُهُ: [من البسيط]

كأنَّـهُ فَلَـكٌ والعـاكفونَ بـهِ بدورُ تَـمٍّ عَلاهـا السَّـعْدُ والشَّـرَفُ

---

(١) في نفح الطيب: الشام أجلى.

(٢) الجامع الأموي قلب دمشق وفخرها ومنبر العلم وراية جند الشام، كان في مطلع الألف الأول قبل الميلاد معبد حَدَد الآرامي، ثم تحول زمن الرومان إلى معبد جوبيتر، ثم غدا كنيسة عرفت بكنيسة يوحنا المعمدان (النبي يحيى عليه السلام) وذلك في أواخر القرن الرابع الميلادي، وبعد الفتح الإسلامي لدمشق تحوّل نصفه إلى جامع، وقد شرع في عمارته الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان سنة ٨٦ للهجرة، واستغرق بناؤه عشر سنوات وأنجز في خلافة سليمان بن عبد الملك، وأنفق في عمارته أموالاً كثيرة حتى أصبح غاية في الروعة والجمال، ويشتهر بمآذنه (مئذنة عيسى ـ مئذنة العروس) وبقبته قبة النسر.

❁ وقالَ الآخرُ[1]: [من الطويل]

تقـولُ دِمشـقُ إذْ تُفـاخِرُ غيرَهـا ... بِمَعْبَدِهـا الزَّاهـي البَديـعِ المُشَـيَّدِ
جَـرَى لِيُبـاهي حُسْـنُهُ كُـلَّ مَعْبَـدٍ ... (ومـا قَصَبـاتُ السَّـبْقِ إلاَّ لِمَعْبَـدِ)[2]

❁ وقالَ الآخرُ: [من الوافر]

دمشـقٌ لَمْ تَـزَلْ لِلشَّـامِ وَجْهًـا ... ومَسـجِدُها لِوَجـهِ الشـامِ شـامَهْ
أدامَ اللهُ بهجَتَـهُ وأبْقَـى ... مَحاسِـنَهُ إلى يـومِ القِيامَـهْ
مُصَلّـىً فيـهِ لِلـرَّحمنِ سِـرٌّ ... ومثـوًى لِلقَبـولِ بـهِ علامَـهْ[3]

❁ ولِصَديقِنا الفاضِلِ البارعِ، مُصطفى أسعد اللُّقَيميّ الدّمياطي[4] من قصيدةٍ فيهِ: [من الوافر]

حِمًـى عنـدَ المَشـارقِ أنبأَتْنـا ... أحـاديثَ الضِّيـا سَـندًا قويّـا
تَسـامَى إذْ حَـوَى مَولًـى رسـولاً ... حَصُـورًا سـيِّدًا بَـرًّا تَقِيّـا
دمشـقُ الشـامِ مِـنْ عَليـاهُ تَسْـمُو ... بمشـهدِهِ الشّـريفِ ذرًى عَلِيّـا
فَبُشـرَى لِلّـذي وافـى حِمَـاهُ ... يَحُـوزُ سَـعادةً مَيْتًـا وحَيّـا

❁ ❁ ❁

---

(١) قال البدري في نزهة الأنام ص٤٦: ونقلت من خط الشيخ صلاح الصفدي قوله فيه.

(٢) عجز البيت لأبي تمام، وصدره: محاسن أصناف المغنين جمّةٌ. الديوان ٢/٢٩. ومعبد: المغني المشهور. انظر الحاشية (١) صفحة ٢٠٩.

(٣) الأبيات في نفح الطيب ٢/٣٩٠ من غير عزو.

(٤) هو مصطفى أسعد بن أحمد بن سلامة اللقيمي الشافعي (١١٠٥ - ١١٧٨ هـ) حاسب، من الشعراء الكتاب، ولد ونشأ في دمياط، وسكن دمشق إلى أن توفي بها، ونسبته إلى لقيم بلدة بالطائف، وأصل أجداده منها، من كتبه «موانح الأنس بالرحلة إلى وادي القدس» و «رسائل الحساب والفرائض»، وديوان شعر. سلك الدرر ٤/١٨٠.

فصلٌ فيما قيلَ في الشام ومحاسنِها وذكرِ جامعِها مِنَ الشِعْرِ وما تَفَنَّنتْ به الشعراءُ مِنْ ذكرِ رياضِها ومياهِها وحُسْنِ مُنْتَزَهاتِها

التي تأخذُ[1] بمَجامعِ القلوبِ، وتُسْكِرُ الأسماعَ من سُلافَةِ أخبارٍ هي أشْهى مِنْ وِصالِ المحبوبِ، وتَبعَثُ الأحداقَ للتَنزُّهِ في حدائِقِها المُطَّرِدَةِ الحِياض، وأنهارِها التي تساهمَتْ تلكَ الخمائلَ والغياضَ، يا لها من رياضٍ ماسَتْ أعطافُ أغصانِها، وتكلَّلَتْ بجواهرِ الأزاهرِ أجيادُ قُضبانِها، وقد أحاطتْ بها الأنهارُ، كما يُحيطُ بالمِعْصَمِ السِّوارُ!

فللّهِ دَرُّ القائلِ فيها: إنْ كانَتِ الجَنَّةُ في الأرضِ، فدمشقُ لا شكَّ فيها، فإنها حِمًى، تَتَقاصَرُ عن إدراكِ وصفِها أعناقُ الفصاحةِ، وتُقَصِّرُ عن مُناولةِ ضَبْطِ محاسنِها في ميدانِ الأوصافِ كلُّ راحة.

فمَنْ شَرَّفَها بذكرهِ إيّاها جنابُ سِدْرَةِ منتهى العارفينَ، والجوهرُ المُركَّبُ مِنْ عُنصَرَيْ عِلْمٍ ودين، كشّافُ غوامضِ المُشكلاتِ في عِلمَي الباطن والظاهر، إمامُ الحضرةِ القُدسيَّةِ المُودَعةِ في قلوبِ أهلِ العرفانِ المُشرقَةِ شموسُها في سماءِ المَظاهرِ، الأستاذُ الذي كَمُلَتْ بالقرب معانيه، فإذا عزوتُ لهذا اللفظِ شِعرًا فهو الذي أعنيه، مَنْ تزيَّنتْ بتاجِ ذِكْرِهِ هامُ الأيامِ، وتاهتْ به على سائرِ الأمصارِ دمشقُ الشامِ، صاحبُ المقامِ القُدسيِّ،

---

(١) الأصل: الذي تأخذ.

مولانا عبدُ الغني النابلسيّ[1]، لا زالتْ سُحُبُ الرّحمةِ مُخيِّمـةً على مَضْجَعـهِ، وتحايا المُزنِ يتلوها لِسانُ الرّعدِ على مَسْمعِهِ، فقالَ: [من الكامل]

١- إنْ سـامَكَ الخطـبُ المَهُـولُ فَأقْلَقـا	انْـزلْ بـأرضِ الشـامِ واسْـكُنْ جِلَّقـا
٢- تَجِـدِ المـرامَ بهـا وكُـلَّ مُنـاكَ بـلْ	وتَـرَى بهـا عِـزًّا وتَفْصُـحُ مَنْطِقـا
٣- بلـدٌ سَـمَتْ بـينَ البـلادِ مَحاسِـنًا	ونَمَـتْ بهـاءً واسْـتَزادَتْ رَونَقـا
٤- لا ينبغـي حَـثُّ الرِّكـابِ لِغَيرِهـا	هـامَ الفـؤادُ بِحُسْـنِها فَتعلَّقـا
٥- حَسْـبي ﴿وآويناهُمـا﴾ فَضْـلاً لهـا	قـدْ جـاءَ في القـرآنِ[2] ذاكَ مُحَقَّقـا
٦- هـيَ صفـوةُ الدُّنيـا وشـائِعُ فَضْلِها	بـالقُدسِ والحَرَمَيْـنِ أضْحـى مُلْحَقـا
٧- زادَ السُّـرورُ بِهـا لِكُـلِّ مُعَـرِّجٍ	لاسـيَّما إنْ كـانَ مِـنْ أهـلِ التُّقـى
٨- إنْ تَعشَـقُوا وطنًـا فـذا أوْلَـى لَكُـم	دُونَ البـلادِ بـأَنْ تُحَـبَّ وتُعْشَـقا
٩- خَـيرُ الأُنـاسِ أُناسُـها يَرْعَـوْنَ أنْـ	ـواعَ الـودادِ ويَحْفظُـونَ المَوْثِقـا
١٠- هـيَ جنَّـةٌ للطـائِعينَ مُعَـدَّةٌ	يتمتَّعـونَ ولا يَـرَوْنَ بهـا شَـقا
١١- طـابَتْ هـواءً للنفـوسِ وماؤُهـا	عَـذْبٌ زُلالٌ سـائِغٌ لِمَـنِ اسْـتَقَى
١٢- وبهـا تَـرى الوِلْـدانَ والحُـورَ الـتي	وعَـدَ الإلـهُ بِهِـنَّ في دارِ البَقـا
١٣- جَلَّـتْ محاسِـنُها عـنِ التَّعْـدادِ فلْـ	ـنأتي بمـا يُختَـارُ منـه ويُنْتَقـى
١٤- يـا حُسْـنَ واديهـا وطِيْـبَ شَـميمِهِ	قَـدْ فـاحَ عَـرْفُ الزَّهْـرِ فيـه وعَبَّقـا

---

(١) عبد الغني بن إسماعيل النابلسي (١٠٥٠ - ١١٤٣ هـ)، شاعر، عالم بالدين والأدب، مكثر من التصنيف، متصوف، ولد ونشأ في دمشق، رحل إلى بغداد، وتنقل في بلاد الشام، وسافر إلى مصر والحجاز، واستقر في دمشق، وتوفي بها.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥٠.

١٥- وتراسلَتْ أطيارُهُ بينَ الرُّبا ... سَحَرًا فَهَيَّجَتِ القُلوبَ الشُّيَّقا

١٦- للهِ أيامُ الجُموعِ بِظلِّهِ ... كادَتْ بأيامِ الصِّبا أن تُلْحَقا

١٧- كيفَ اتَّجَهتَ يَخِرُّ نَحوَكَ ماؤُهُ ... وإليكَ يَركَعُ كُلُّ غُصنٍ أَوْرَقا

١٨- يا حبَّذا إشراقُ مَرْجَتِها التي ... أضحى غَنِيُّ الهَمِّ فيها مُمْلِقا

١٩- عَذُبَتْ جَداوِلُها فطابَتْ مَوْرِدًا ... تحكي الصَّوارِمَ صَيقلاً وتألُّقا

٢٠- وتَلاعَبَتْ فُرسانُها وتراكَضَتْ ... ما بَيْنَها تعلو الجِيادَ السُّبَّقا

٢١- لم أنسَ بالنَّوروزِ مَحفَلَها الذي ... بِسُرورِهِ قلبُ الحزينِ تَعَلَّقا

٢٢- جَمَعَ الأنامَ أكابِرًا وأصاغِرًا ... وحَوى المِلاحَ مُقَرْطَقًا ومُمَنْطَقا

٢٣- والرَّبوةُ الفَيحاءُ يا نَسَماتِها ... مُرِّي عَلَيَّ ورفرفي عِندَ اللِّقا

٢٤- أيامَ قَطْعِ النَّهْرِ يُوصَلُ شَمْلُنا ... بأَحِبَّةٍ أَلِفُوا الخَلاعةَ مُطْلَقا

٢٥- بالقاسيونِ قَسَتْ قُلوبُ أَحِبَّتي ... وَلَكَمْ سَرَى فيهِ الصَّبا فَترفَّقا

٢٦- جَبَلٌ كثيرُ الخَيْرِ كَلَّمَهُ الإلـ ... ـهُ فَجالَ في ذاكَ اللسانِ وأَنْطَقا

٢٧- كَمْ مِنْ وَلِيٍّ قدْ تَوَسَّدَ سَفْحَهُ ... بلْ مِنْ نَبِيٍّ حَلَّ فيهِ مُحَقَّقا

٢٨- وكذلكَ الشهداءُ فيه تَخالُهُمْ ... أحياءَ مِنْ عَدَمِ البِلاءِ وَرُزِّقا

٢٩- ومَغارَةُ الدَّمِ[1] والمحاريبُ التي ... للأَربعينَ مِنَ الرِّجالِ ومَنْ رَقا

---

(١) مغارة الدم: أعلى جبل قاسيون في دمشق، ذُكر أن هابيل قُتل بها، وأن أثراً من دمه ما يزال سائلاً يلمع، جعله الله آية للعالمين، وهي موضع الحاجات والمواهب، والله لا يردُّ سائلاً في ذلك الموضع، وقد نزل بها يحيى بن زكريا وأمه أربعين عاماً، صلى فيها عيسى بن مريم والحواريون، وأن عدداً من الأبدال تجتمع بها في الليالي الفاضلة. انظر زيارات الشام، صفحة ٢٠، وفضائل الشام، صفحة ٦٢.

٣٠- ومَغَـارةُ الجـوعِ[١] الـتي قـالوا بهـا   كـمْ مِنْ نَبيٍّ مـاتَ جُوعًـا فـالتَقَى[٢]

٣١- للهِ سَـفْحُ النَّـيْرَبَيْنِ فكَـمْ بـهِ   مـن رَوضـةٍ غَنَّـاءَ طـابَتْ رَوْنَقـا

٣٢- ضَحِكـتْ أزاهِرُهـا علـى أغصانِهـا   فـأتى النَّسـيمُ بمَيْلِهِـنَّ وصفَّقـا

٣٣- قـدْ دَنْدَنَـتْ أنهارُهـا في جَرْيِهـا   لَمَّـا شَـدَا ذاكَ الحَمَـامُ وشَقْشَـقا

٣٤- والصَّالحيـةُ يـا لَهـا مِـنْ مَـنزِلٍ   فيهـا قُبـورُ الصـالحينَ أُولي التُّقَـى

٣٥- وبهـا القصـورُ العالِيـاتُ تَزخْرَفَـتْ   مِثلَ النُّجـومِ زَهَـتْ بكـلِّ مَـن ارْتَقـى

٣٦- تسـمو علـى أَطْـرافِ جِلِّـقَ بهجـةً   وطـلاوةً فيهـا السُّـرورُ تَحقَّقـا

٣٧- سُـقِيَتْ دمشـقُ الشَّـام صَـوْبَ غَمامَـةٍ   أشْـفَى علـى غِيْطانِهـا فَتَدفَّقـا

٣٨- كـمْ نُزْهـةٍ للعـينِ فيهـا قـد زَهَـتْ   وسـرَتْ على طَـرْفِ الهُمـومِ فأطرَقـا

٣٩- مـا الجـامعُ الأُمـويُّ إلاّ نُزْهَـةٌ   فيهـا تَـراهُ بالعِبـادة مُشْـرِقا

٤٠- قَـدْ أتْقَنَـتْ صُنَّاعُـهُ بُنيانَـهُ   فـأتى المُزَخْـرفُ زانَـه وتأنَّقـا

٤١- ولِـرأسِ يَحيـى فيـه نُـورُ مَهابَـةٍ   مـا بـينَ هـاتيكَ السَّـواري أشْـرَقا

٤٢- والحـائِطُ القِـبليُّ زادَ جلالُـهُ   بِمَقـامِ هُـودٍ[٣] مَـنْ يَـزُرْهُ تَحقَّقـا

٤٣- وانْظـرْ مكـانَ التِّـينِ[٤] فيـهِ مُبَلَّطًـا   لا زالَ في الجُمُعـاتِ يَجْمَـعُ صَنْجَقـا

---

(١) مغارة الجوع: أعلى جبل قاسيون بدمشق، مات بها أربعون نبياً من الجوع، وهو مكان شريف، الدعاء فيه مستجاب. انظر الزيارات، صفحة ٥.

(٢) كذا الأصول، ولعلها: جوعاً فارتقى.

(٣) جاء في تاريخ ابن عساكر ٢/٨، ٩، ٢٨ أن هود عليه السلام أسس الحائط القبلي من مسجد دمشق، وبنى حيطانه الأربعة. وما زال مقامه قائماً على يسار منبر المسجد في الحائط القبلي.

(٤) روى ابن عساكر ٢/٦ عن محمد بن شعيب قال: سمعت غير واحد من قدمائنا يذكر أن ﴿والتين﴾ مسجد دمشق، وأنهم أدركوا فيه شجراً من تين قبل أن يبنيه الوليد.

٤٤- وتَـــرى دُروسَ العِلْـــمِ فِيـــهِ دائِمًـــا ... في كُـلِّ فَـنٍّ مَـنْ تَداوَلَـهُ رَقـا

٤٥- وعلـى كَراسِـيهِ رَقَـتْ وُعَّاظُـهُ ... تَتلُـو أحـاديثَ النَّبـيِّ المُنْتَقـى

٤٦- مِـنْ كُـلِّ مَـنْ لَـو مِلْـتَ مُسـتَمِعًا لـه ... شـاهدْتَ حـالَ النـاسِ في دارِ البَقـا

٤٧- يـا ليلـةَ النِّصـفِ الشَّـريفةَ فـازَ بالـ ... إسعادِ مَنْ قَـدْ كـانَ فيـكِ مُوَفَّقـا

٤٨- هـذي قِبـابُ النُّـورِ تُشْـعلُ في الدُّجـى ... لا يسـتطيعُ لهـا امـرُؤٌ أنْ يَرمُقـا

٤٩- مِـن كـلِّ شمـسٍ نِيـطَ أَوْجُ كَمالِهـا ... بِمُفَتَّـلٍ حتـى سَـمَتْ فتعَلَّقـا

٥٠- وثـلاثُ هـاتيكَ المـآذنِ تَنجَلـي ... مِثْلَ العرائِـسِ قـدْ لَبِسْـنَ اليَلْمقَـا[1]

٥١- مِـنْ فَوقِهـا أَهْـلُ الأَذانِ تَراسَـلوا ... بـتَرَنُّمٍ يُشْـجِي الفُـؤادَ الشَّـيِّقا

٥٢- مِنْ كلِّ مَنْ لو رُحْـتَ تَسـمَعُ صَوتَـهُ ... لَحَسِـبْتَهُ فـوقَ الأراكِ مُطَوَّقـا

٥٣- والعَشْـرَةُ الأبـوابُ لَمّـا أنْ زَهَـتْ ... فَتَحَـتْ علـى المُشـتَاقِ بابًـا مُغْلَقـا

٥٤- صُفَّـتْ بهـا الحَلْـوى أفانِينًـا فَمَـنْ ... وافَـى غَنِيًّـا راحَ عنهـا مُمْلِقـا

٥٥- لَمْ أَنْـسَ لَيـلاتِ الصِّيـامِ وأُنْسَـها ... فيـهِ لَعَمْـري فهـي لَيـلاتُ اللِّقـا

٥٦- تَتَلَفَّـتُ الآرامُ حَـولَ قِبابِـهِ ... فَـتزيدُ نُـورًا سـاطِعًا وتَأَلُّقـا

٥٧- يـا حبـذاكَ الصَّخْـرُ أشـرقَ وانْجلَـى ... فَغَـدا بـهِ مـاءُ النَّسـيمِ مُرَقْرَقـا

٥٨- مِنْ حَوْلِـهِ الأسـواقُ تُشـرِقُ في الدُّجـى ... مِثْلَ النَّهـارِ بمـا بِهـا قَـدْ عُلِّقـا

٥٩- فيهـا تَـرى مـا تَشـتهي وتَلَـذُّهُ ... وبيـوت قهـواتٍ شَـذَاها عَبَّقـا

٦٠- هـي شـامُنا أعلَـى الإلـهُ مَنارَهـا ... وبهـا أدامَ اللهُ عَيْشًـا رَيِّقـا

٦١- لم تـرضَ عَينِـي غيرَهـا مِـنْ مَنْظَـرٍ ... ولـذا تَـرى قلـبي بهـا مُتعَلِّقـا

---

(١) اليلمق: القباء، فارسي معرب. متن اللغة.

ومعلوم أن للمسجد الأموي ثلاث مآذن، الشمالية منها تُسمّى مئذنة العروس.

٦٢- للهِ أيامٌ تَقَضَّتْ لِيْ بها ... مازلتُ نحوَ ظِلالِها مُتَشَوِّقا

٦٣- حَيَّا الحَيا تِلكَ الرُّبوعَ فإنّها ... أرضٌ تكادُ بفَضْلِها أنْ تَنْطِقا

٦٤- هيَ مَنْشَئي لا حاجِرٌ وطُوَيلِعٌ ... ومحلُّ أُنسي لا الغُوَيْرُ ولا النَّقا[(١)]

٦٥- لُذْ يا فؤادُ بِمَنْ بها مِنْ مَعْشَرٍ ... إنْ سامَكَ الخَطْبُ المَهولُ فَأقْلقا

❁ وقالَ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ العَزيزَ[(٢)]: [من السريع]

١- يا حبَّذا جِلَّقُ مِنْ بَلْدَةٍ ... اليُمْنُ للأَمْنِ بها قَدْ تَلا

٢- والخَيرُ والخَيرُ غَدَا سِتْرُهُ الضْـ ... ـضَافي على سكانِها مُسْبَلا

٣- لاسِيَّما والرَّوضُ مُستبشِرٌ ... حيثُ الرَّبيعُ الطَّلْقُ قد أقْبَلا

٤- واخْضَرَّ وَجْهُ الأرضِ حتّى لقد ... كادَ مِنَ الخُضْرَةِ أن يَجْهَلا

٥- لَمْ أَنْسَ بالنَّيْروزِ يومًا مَضى ... بالمَرْجَةِ الفَيْحاءِ ذاتِ الكَلا

٦- وقدْ أَتى يختالُ عَرْفُ الصَّبا ... عنهُ فُؤادي والحَشا ما سَلا

٧- كم نظرَتْ عيني بها أَهْيَفًا ... إذا رَنا يَسْبي الرَّشا الأكْحَلا

٨- يا سَفْحَةَ الوادي سَقاكِ الحَيا ... كَمْ فِيكِ مِنْ يومٍ لنا قدْ خَلا

٩- حيثُ النَّسيمُ الرَّطْبُ في النَّهْرِ قدْ ... خاضَ ومِنْهُ سَلْسَلَ السَّلْسَلا

١٠- بالنَّيْرَبَيْنِ القلبَ أودَعْتُهُ ... يَشَمُّ من تلكَ الرُّبا الشَّمْألا

١١- للهِ أيامٌ تَقَضَّتْ لَنا ... بظِلِّهِ أَعهدُها أَولا

١٢- لطائِفٌ منها الهَنا يُجْتَنى ... عفائفٌ فيها المُنى يُجْتَلا

١٣- قد كَبَّرَ الشحرورُ في دَوْحِهِ ... لَمّا رأى البُلْبُلَ قد هَلَّلا

---

(١) حاجر وطويلع والغوير والنقا: مواضع في البادية من جزيرة العرب.
(٢) هذه القصيدة لم أجدها في ديوانه.

١٤- وقلّدَ الأغصانَ زهرُ الرُّبا | والجَدْوَلُ المُنسابُ قد خَلْخَلا
١٥- وانقضّتِ الشَمْألُ لمّا هفَتْ | كأنّها تختَطِفُ الجَدْوَلا
١٦- والربوةُ الربوةُ كم لي بها | مِنْ مجلسٍ للبَالِ قد بَلْبَلا
١٧- بمَهدِ عيسى القلبَ مَهّدْتُهُ | فاسْتَتْمَمَ الأفراحَ واسْتَكْمَلا
١٨- كمْ مَرَّ بالمُرَّانِ لي مجلسٌ | أُنادمُ الصَّحْبَ بهِ الكُمَّلا
١٩- محاسِنٌ لو أنّها فُصِّلَتْ | كَلَّ لِسانُ المَرْءِ أنْ يُجْمِلا
٢٠- ما جلّقٌ في الشّامِ والشامُ في الـ | أرضِ سِوى إنسان عينِ العُلا
٢١- تَكفَّلَ الرَّحْمنُ للمُصطَفى | بأهْلِها من نَازِلاتِ البَلا
٢٢- وجاءَ في الآثارِ ما لَفْظُهُ | طُوبى لأهلِ الشامِ[1] فَاسْتَرْسَلا

❁ وقالَ روَّحَ اللهُ روحَهُ: [من الطويل]

١- وصَحْبٍ سَرَيْنا في الصَّباحِ بهِمْ عَلَى | نَجَائبِ شوقٍ للرُّبا زائدِ الحدِّ
٢- نَخوضُ إلى أَوْجِ الخمائلِ لُجَّةً | مِنَ النَّشْرِ بعدَ الطَّيِّ منشورةَ البُرْدِ
٣- وقد عطَفَتْ بالنَّيْرَبَيْنِ حديقَةٌ | علينا فَمِنها نحنُ في جَنَّةِ الخُلْدِ
٤- وأرْشَفَنَا الجرْيالَ جَدْوَلُ مائِها | وفيها لنا قد عُطِّرَتْ نَسمَةُ الوردِ
٥- وَهَبَّتْ صَبًا في قاسيونَ فحرَّكَتْ | صبابَةَ قلبٍ قَلَّبَتْهُ يدُ البُعْدِ
٦- وشَطَّ يَزيدٍ[2] زادَ قلبي تَوَلُّعًا | بِمَنْ شَطَّ عنّي والأضالِعُ في وَقْدِ

---

(١) أخرج أحمد في المسند ١٨٥/٥، والترمذي (٣٩٥٤) والحاكم ٢٢٩/٢، وابن حبان ٢٩٣/١٦ بسند صحيح عن زيد بن ثابت: قال رسول الله ﷺ يوماً ونحن عنده: «طوبى للشام» قال: «إن ملائكة الرحمن لباسطةٌ أجنحتها عليه».

(٢) انظر الحاشية رقم (٤) صفحة ١٦٩.

٧- يُجَرِّدُ سَيْفًا في الحدائقِ مُصْلَتًا بهِ قَطَعَ الأحزانَ من داخلِ الكَبْدِ

٨- عَلَيْهِ لِهاتيكَ الذّوائِبِ أنّةٌ كأنّهُ صَبٌّ ريعَ بالهَجْرِ والصَّدِّ

٩- أسالَتْ دمُوعًا من عُيونٍ سَوَاهِرٍ على خَدِّ رَوْضٍ بالنّدى فائحِ النّدِّ

١٠- سقى اللهُ ذاكَ العهدَ ما كان في الرُّبا ألذُّ وأهنا منهُ يومَ اللّقا عِندي

❁ وقالَ أسْكَنَهُ اللهُ الفِرْدَوسَ: [من الخفيف]

١- قُمْ بنا نَنْهَبُ الهَنا بُرهةً مِنْ بينِ أَيْدي الأيامِ ذاتِ الشَّجاعهْ

٢- نحنُ في جِلّقٍ وقدْ هَجَمَ الصيـ ـفُ على عَسْكَرِ الشتاءِ فَرَاعَهْ

٣- والأزاهيرُ في الحدائقِ تزهو هكذا هكذا تروحُ أضاعهْ

٤- حبّذا المَرْجَةُ الرقيقُ هَواها عُتِّقَتْ في حضورِ كُلِّ لَكاعَهْ

٥- حيثُ وافى النَّيْروزُ طلقَ المُحَيَّا باسمَ الثّغْرِ قدْ أَمَاطَ قِناعَهْ

٦- وتهادَتْ نَسائمُ النَّيْربِ الغَضْـ ـضِ بها مِنْ جماعةٍ لِجَماعَهْ

❁ وقالَ رحِمهُ اللهُ تعالى يتشوّقُ إليها من الروم: [من الخفيف]

١- حدِّثوني عنْ نَسْمَةِ الأسحارِ وغناءِ الطُّيورِ في الأشجارِ

٢- وصَبَا النَّيْرَبينِ والمَرْجَةِ الفيـ ـحاءِ لَمَّا تَفوحُ بالأزهارِ

٣- وخريرِ المياهِ بينَ غُصونٍ خافِضاتِ الرُّؤوسِ بالأثْمارِ

٤- وصِفُوا ليْ دمشقَ إنّي مَشُوقٌ لِحِماهَا وطِيْبِ تلكَ الدِّيارِ

٥- بلدٌ آمِنٌ وربٌّ جَوادٌ ببُلُوغِ الأوطانِ والأوْطارِ

٦- وعَلَى ساكِنِيْ دِمشقَ سَلامٌ مِنْ طَريحٍ بالرُّومِ نَهبِ القِفارِ

❁ وَلِجنابِ طَوْدِ الشرفِ الشامخِ، وحِصْنِ السيادةِ الباذخِ، أُنموذجِ الدولةِ العَلَويةِ، وثَمَرةِ الدَّوحةِ النبويةِ، فَتَفرَّعَ مِنْ شجرةِ مَجْدٍ وَسَنا، أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السَّما، مَنْ سماءُ معاليهِ مكلَّلةٌ بزواهرِ المجدِ، وجيدُ الدَّهرِ مُطوَّقٌ منهُ بأبهى عِقْدٍ، منظومٌ بابٍ وجدٍ، حتى عَبَقَتْ أَرواحُ العُلا مِن غَلائلِهِ، وتعطَّرَتْ أردانُ النسائمِ من طِيْبِ شَمائلِهِ. [الخفيف]

خُلُقٌ كالنَّسيمِ لَو فَاحَ يومًا ... كانَ وردًا جميعُ نبتِ الفَلاءِ
وعُلومٌ تُكاثِرُ البَحْرَ مَوْجًا ... وتُضاهي قَطْرَ السَّما في الصَّفاءِ

سيِّدُنا المرحومُ السيدُ **عبدُ الرحمنِ بنُ حمزةَ**[1]، سقاهُ اللهُ رحيقَ غُفرانِهِ، ونَزَّهَ عيونَ رجائهِ في رياضِ جنانِه، قوله[2]: [من البسيط]

١- حَيَّا دِمشقَ فكَمْ فيها لِذي وَطَرِ ... مَنارَةٌ هِيَ مِلْءُ السَمْعِ والبَصَرِ
٢- فإنْ توخَّيْتَ مِنها طِيْبَ مُختَبَرٍ ... وتَجْتَني عِنْدَهُ باكورةَ العُمُرِ
٣- فاعْمدْ إلى الفيجةِ الفَيْحاءِ مُرْتَشِفًا ... بها زُلالَ مَعِينٍ رائقٍ خَضِرِ
٤- وانزِلْ بِبَسِّيمَةَ الزَّهراءِ مُنْتَشِقًا ... نسيمَها اللَّدْنَ في الآصالِ والبُكَرِ
٥- واسلُكْ خَمائلَ وادي أَشْرفيَّتِها ... بِظِلٍّ مُشْتَبِكِ الأغصانِ والشَّجَرِ
٦- ثُمَّ الجُديدةَ الغَرَّاءَ فَالْوِ بِها ... عِنانَ طَرْفِكَ وانزِلْ جانِبَ النَّهَرِ
٧- واقصُدْ رُبَا الهامةِ الغَنَّاءِ مُسْتَمِعًا ... شَدْوَ القِيانِ مِنَ الأطيارِ في السَّحَرِ
٨- واسرَحْ مَدى الطَّرْفِ مِنْ ألفافِ دُمَّرِها ... بينَ الغِياضِ لَدى مُسْتَشرِفٍ خَضِرِ

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن كمال الدين الحسيني ابن النقيب (١٠٤٨-١٠٨١ هـ) أديب دمشق في عصره، له الشعر الحسن والأخبار المستعذبة، كان من فضلاء النبلاء، له كتاب «الحدائق والغرف» وله ديوان شعر مطبوع. ووفاته في دمشق.

(٢) ديوان ابن النقيب ١٣٥ - ١٣٨.

٩- واصعَدْ ذُرا السَّفْحِ وانشُدْ فيــه مُدَّكِـرًا عُهـودَ أُنسٍ مَضَتْ في سالفِ العُمـرِ

١٠- يـا ليلـةَ السَّــفْحِ هَــلاَّ عُـدْتِ ثانيـةً سَـقى زمـانَكِ هَطّـالٌ مـنَ المَطَـرِ[1]

١١- وَقِـفْ على دَيْـرِ مُـرَّانَ الـتي شَـخَصَتْ آثــارُهُ تَلْــقَ فيــهِ مَسْــرَحَ النَّظَــرِ

١٢- واقصـرْ مـدى الخَطْـوِ واعـبُرْ صالِحِيَّتَهـا تَـرى القُصـورَ بهـا تَسمو علـى الزَّهـرِ

١٣- حيـثُ الحدائـقُ تُجْلَـى مِــنْ مَطَارِفِهــا عرائــسُ السَّــروِ في مَوْشِـيَّةِ الحُـبرِ

١٤- واذكـرْ مَقالــةَ مَــنْ ظَلَّــتْ خَواطِــرُهُ تُرْبي علـى السِّـحْرِ في أوصافِهـا الغُـرَرِ

١٥- مــذْ راحَ ينشــدُ فيهــا والمُنــى أمــمٌ (خَيِّـمْ بِجِلِّـقَ بـينَ الكـاسِ والوَتَـرِ)[2]

١٦- ومَتِّــعِ الطَّــرْفَ في مَــرْأى مَحاسِــنِها بِـرَوْضِ فِكـرِكَ بـينَ الـرَّوضِ والزَّهـرِ

١٧- وانظــرْ إلى ذَهَبيــاتِ الأصيــلِ بهــا واسمَـعْ إلى نَغَمـاتِ الطَّـيْرِ في السَّـحَرِ

١٨- وعُــدْ إلى الرَّبْــوةِ الغَنّــاءِ تَلــقَ بِهــا مَحاسِـنًا تُجْتَلـى في أحسـنِ الصُّـورِ

١٩- ظِــلٌّ ظليــلٌ ومــاءٌ راحَ مُطَّــرِدًا بـينَ الغُصـونِ وطـيرٌ جِـدُّ مُسْـتَحِرِ

٢٠- وعُـجْ علـى نَيْرَبَيْهـا كَـمْ بهـا فِتَـنٌ مِـنَ المَحاسـنِ قـد دَقَّـتْ عَـنِ الفِكَـرِ

٢١- حيـثُ النَّسـيمُ تَمَشَّـى في جوانِبِهـا يَسـتعْطِفُ البانــةَ الغَنّــاءَ في البُكَــرِ

٢٢- حيثُ الجـداولُ مـن تحـتِ الظّـلال غَـدَتْ تنسـابُ مـا بـينَ مَيّـالٍ ومُنحَـدَرِ

٢٣- واعطِفْ على المَرْجَةِ المَيْثاءِ تلـقَ بهـا[3] داعٍ[4] إلى اللَّهـوِ مِعْوانًـا علـى الوَطَـرِ

---

(١) في (أ) و (ج): هطالاً.

(٢) صدر بيت قاله أحمد بن محمد بن أبي الخليل مفرّج الأموي، وعجزه: في جنّةٍ هي ملء السمع والبصر. الإحاطة ٢١٣/١. وورد بها محرفاً: خيمٌ تَخلّقَ بين الكأس..

(٣) الميثاء: الرابية الطيبة.

(٤) داعٍ، كذا للوزن.

٢٤- مِـنْ كُـلِّ مُسْتَشْـرِفٍ ظَلَّـتْ أزاهِـرُهُ تَنْدَى فتُهـدي لنـا مِـن نَشْـرِها العَطِـرِ
٢٥- وادٍ بـهِ للمُنـى أغصـانُ مُهْتَصِـرٍ تهدَّلَـتْ بفُنـونِ الزَّهْـرِ والثَّمـرِ
٢٦- حيَّـا الإلـهُ بِصَـوبِ الـوَدْقِ غُوطَتَـهُ وصانَهـا مِـن عُيـون الزَّهـرِ والبشَـرِ

❁ وقوله[1]: [من الطويل]

لِغَربـيِّ ذاكَ السَّـفحِ والموطـنِ الـذي شَـهِدْنا بـهِ الدَّيـرَ المُشـيَّدَ والصَّرْحـا
بِمُسْتَشْـرِفٍ للغوطَتَـينِ ومَـا حَـوَتْ مِـنَ الحُسْـنِ مِمّـا راحَ يُعجِزُنـا شَـرْحا
تَـراءَتْ لَدَيْنـا مِنْـهُ جنَّـةُ عَبْقَـرٍ جرَتْ حولَها الأنهـارُ في سـائِرِ الأَنْحـا

❁ وله في الربوة[2]: [من الطويل]

١- وبَطْـنٍ مِـنَ الـوادي حَلَلْنـا مَقِيلَـهُ وفي ضِفَّتَيـهِ العُشْـبُ يدعـوكَ للخِصْـبِ
٢- لِمُسْتَشْـرِفٍ زَرَّتْ فَـوارزُ جَيْبِـهِ على جِسْمِ مَيْثاءِ الـثَّرى نـاعِمِ القَضْـبِ
٣- بَـرُودُ مَـدَبِّ الظِـلِّ فَيْنـانُ أخضـرٍ عَطِيْرُ شَمِيمِ الرِّيـحِ يُلهـي عـن الكَـرْبِ
٤- إذا اطَّـرَدَتْ أنهـارُهُ خِلْـتَ جنَّـةً بِمَدْرَجَـةِ الأَرْواحِ قـامَتْ إلى اللَّعِـبِ
٥- أُتيْـحَ لَهـا مِنْهَـا حَبِيْـكُ سَلاسِـلٍ تُنـاطُ بـأَيدي الرِّيـحِ مِـنْ بـاردٍ عَـذْبِ

---

(١) ديوان ابن النقيب ٧١.

(٢) ديوان ابن النقيب ٢٥، وفيه: ورأيت بخطه ما مثاله: وكتبت على شجرة بالربوة، وهي دار النشاط، ومنزل الصبوة، وكنت قد أنخت إلى جانبها، فأفاءت علي، وقدم لي مستشرف مقيلها صورة الجنة إلى بين يدي، فقمت مرتاحاً، وجعلت الأوصاف للتمتع مفتاحاً، وارتجلت ما ترى..

❁ ولِجَنابِ تـاجِ مَفْرِقِ السيادَةِ، وفَذْلَكَةِ دَفاتِرِ الفَخْرِ والسَّعادَةِ، نَيرِ الشرفِ الأعلى، وسُوْرَةِ بَهائِهِ التي على أَلْسُنِ المَفاخِرِ تُتْلَى، المرحومِ السيِّدِ **عبدِ الكريمِ بنِ حَمْزَةَ**[1] قولُهُ: [من الكامل]

١- والرَّوضُ وَشَّتْهُ الأزاهرُ تَستَبي الـرْ ـرائِـي ثُغـورُ أقاحِـهِ البَسَّـامِ

٢- يَستوقِفُ المُجتـازَ رَوْنَـقُ حُسْـنِهِ ونَضَـارَةُ الرَّيْحـانِ والنَّمـامِ

٣- وجَـداولُ المـاءِ الـزُّلالِ خِلالَـهُ تَدعـو بتَصْفيـقٍ حليـفَ أُوَامِ

٤- تَحكي السُّطورَ مِـنَ اللُّجَيـنِ بقرطِسٍ مِـنْ سُـنْدُسٍ تَزهُـو بحُسْـنِ نِظـامِ

٥- والطَّيرُ مِـنْ طَـرَبٍ غَـدا مُتَفَـرِّدًا في دَوْحِـهِ بالشَّـجْوِ والتَّرْنـامِ

٦- فَسَقى الحَيـا أبدًا دمشـقَ ولا عَـدَا الـ ـوَسمِـيُّ أرْضًـا في حُـدودِ الشَّـامِ

❁ وللمرحومِ الشَّيخِ صَادقِ الخَرَّاطِ[2]: [من مجزوء الكامل]

١- يـا نَسْـمَةَ الـرَّوضِ الخَصيـبِ بـالنَّيْرَبِ الغَـضِّ الرَّطيـبِ

٢- حَيَّـاكِ هَطَّـالُ الحَيـا وحَمـاكِ مِـنْ وَشْـيِ المُريـبِ

٣- وَرَعَـى الإلـهُ مَهَبَّـكِ الـزْ زَاكـي علـى عَـرْفِ الجَنـوبِ

٤- بـاللهِ بـالعهدِ الـذي مـا صافَحَتْـهُ يَـدُ الكَـذوبِ

---

(١) هو عبد الكريم بن محمد بن محمد كمال الدين الحسيني، المعروف بابن حمزة الحنفي الدمشقي، نقيب السادة الأشراف، ولد في دمشق ١٠٥١ هـ، حصل علماً وافراً على يد جملة من علماء الشام، منهم والده محدث دمشق، والشيخ نجم الدين الغزي، توفي في دمشق، ودفن في مرج الدحداح سنة ١١١٨ هـ. سلك الدرر ٧٥/٣.

(٢) صادق بن محمد بن حسين، الشهير بالخراط الحنفي الدمشقي، أديب فاضل، داهية، تولى نيابة محكمة الباب، لازم الشيخ عبد الغني النابلسي وتزوج ابنته، توفي سنة ١١٤٣ هـ، ودفن بتربة باب الصغير، وتوافق أنه هو وأستاذه وشيخه ووالد زوجته الشيخ عبد الغني انتقلا في شهر واحد، في سنة واحدة. سلك الدرر ٢١٩/٢، والقصيدة فيه.

٥- وبمَطْلَــــــعِ الأقمـــــــارِ في[١] فَلَـــكِ المَحاسِـــنِ والجُيـــوبِ

٦- وبمَجْمَــــعِ الشَـــمْلِ الـــذي أهْـــدى المَسَـــرَّةَ للكئيـــبِ

٧- وبطيـــــبِ مُصطَلَـــحِ اللّقـــا يـــا نَســـمةَ الـــرَّوضِ الخَصيـــبِ

٨- إنْ جـــزتِ رَوضَ الصالِحيـــــْـ ـيَــةِ في الشُّـــروقِ وفي الغُـــروبِ

٩- ورأيـــــتِ غِـــــزلانَ النّقـــا في ظِـــلِّ بانـــاتِ الكثيـــبِ

١٠- وسمعـــتِ أطيـــارَ الرُّبـــا تَشـدُو بِحَـيَّ علـى الطُّـروبِ

١١- ولثَمْـــتِ مِـــنْ بَيْـــنِ الأزا هِـــرِ وَجْنَـــةَ الـــوردِ النَّصيـــبي

١٢- فَتَنَشَّـــــقي أرَجَ المُنَـــــى مِـــنْ طيبِـــهِ الزّاكـــي وطيـــبي

١٣- وإذا مَـــرَرْتِ علـــى اللّـــوى مِـــنْ سَـــفْحِ قاسُـــونَ المَهيـــبِ

١٤- فاســـتصحبي نَشْـــرَ القَرَنْـــ ـفُـــلِ والخُـــزامَ مـــعَ الهُبـــوبِ

١٥- وخُذيـــهِ نحـــوَ مَراتِـــعِ الــــ ـغِـــزلانِ والظَّـــبي الرَّبيـــبِ

١٦- وادي دمشـــقَ ســـقَى الحَيـــا أكنافَـــهُ أوفَـــى نَصيـــبِ

❁ وللمرحومِ السيدِ محمدٍ القُدسي[٢]: [من مجزوء الكامل]

١- يـــا نَسْـــمةً نَسَـــمَتْ حَبيـــبي وتَمسَّـــكَتْ مِنْـــهُ بِطيـــبِ

---

(١) في سلك الدرر: الأقمار من.

(٢) هو محمد بن علي بن محمد القدسي الدمشقي، المعروف بابن خصيب الشافعي (١٠١٢ - ١٠٨٢ هـ)، الحسيب الشريف الأديب، أخذ العلم فيها عن علمائها، ثم ارتحل إلى القاهرة وقرأ فيهـا، وأخذ علم القراءات والتفسير، وأجيز بالإفتاء والتدريس، ثم عاد لدمشق، ثـم رحـل إلى الـروم، ولازم شيخ الإسلام يحيى بـن زكريـا، مـات بدمشق، ودفن بمقبرة باب الصغير. خلاصة الأثر ٦٠/٤، نفحة الريحانة ٣٣٦/١، والقصيدة في نفحة الريحانة ٣٣٧/١.

٢- وَغَـدَا يُحَـرِّكُ لُطْفُهَـا ... أعطـافَ بانـاتِ الكَثِيْـبِ

٣- تَمشـي وتَسـحَبُ ذَيْلَهـا ... قَبْـلَ العُيـونِ عَلَـى القُلُـوبِ

٤- إنْ جُـزْتِ وادي جِلّـقٍ ... وَحَلَلْـتِ بـالرَّوضِ الرَّحيـبِ

٥- أو جُـزْتِ أرضَ النَّيرَبَيْـ ... ـنِ مـعَ الصَّبـاحِ أوِ المَغيـبِ

٦- ودخلْـتِ جامِعَهـا الشريـ ... ـفَ مقـامَ أربـابِ القُلـوبِ

٧- ورأيْـتِ بالشَّـرَفينِ مـا ... يدعـو المُحِـبَّ إلى الحبيـبِ

٨- وسمعْـتِ بُلْبُلَهـا يُنـا ... دينـا بِحَـيَّ عَلَـى الطَّـروبِ

٩- ونظـرْتِ وَرْقاهَـا تَجُـسُّ الـ ... ـعُـودَ بـالكفِّ الخَضيـبِ

١٠- فَـاقْرِي التحيَّـةَ أهْلَـهُ ... عنّـي وبالتّذكـارِ نُوبـي

١١- واسـتنطِقيْ بِـالدُّفِ ثُمْـ ... ـمَ الجَنْـكِ أنـواعَ الضُّـروبِ

١٢- ثـم الثُمـي الخَلْخَـالَ في ... سُـوقِ الغُصـونِ مـعَ الكُعـوبِ[1]

١٣- فَسَـقَى دِمشـقَ ومـا حَـوَتْ ... مِـنْ أنْهُـرٍ مِثْـلَ الضَّريـبِ[2]

١٤- فَلِبانيـاسَ ورَقْمِـهِ ... نَقْـشٌ علـى كَـفٍّ رَطِيْـبِ

١٥- وَبِـبَرْدِهِ بَـرَدَى يُزيـ ... ـلُ لُجَيْنُـهُ صَـدأ القُلـوبِ

١٦- قَنواتُهـا برَحِيقِهـا الـ ... ـمَختـومِ فِضـيِّ الصَّبيـبِ

١٧- وَيَخـورُ ثَوْرَاهـا فَـيَرْ ... وي الحَـرْثَ مِـنْ تِلـكَ الشُّـعوبِ

١٨- كَـمْ وَجْنَـةٍ مِـنْ عَقْرَبـا ... فِيْهـا بَـدا أخفـى دَبيـبِ

---

(١) النفحة: شوق الغصون.

(٢) الضريب: اللبن، والتلج يريد تشبيهه به.

١١- وهَلْ أُمويُّ العِلْمِ والدِّينِ جامِعٌ ... شعائِرَهُ والذِّكْرُ فيهِ مُقامُ

١٢- وهل قاسِيونٌ قلبُهُ مُتفطِّرٌ ... وفيهِ الرِّجالُ الأربعونَ صِيامُ

١٣- ألا ليتَ شِعْري هل أعودُ لِجِلِّقٍ ... وهَل لِي بِوادِي النَّيْرَبينِ مُقامُ

١٤- وهل أرِدَنْ ماءَ الجزيرةِ وامِقًا ... بِمَقْصَفِها والحظُّ فيهِ مَرامُ[1]

١٥- سلامٌ على تلكَ المَغاني وأهلِها ... وإنْ رِيشَ لي مِنْ نأيِهنَّ سِهَامُ

١٦- لقدْ جُمِعَتْ فيها محاسِنُ أصْبَحَتْ ... لدرجِ فِخامِ الشّامِ وهي خِتَامُ

١٧- بِلادٌ بِها الحصباءُ دُرٌّ وتُرْبُها ... عَبيرٌ وأَنفاسُ الشَّميمِ مُدامُ

١٨- وَغُرَّتُها أضْحَتْ بِبهجةِ رَوْضِها[2] ... تُضيءُ وخلخالُ الغَديرِ لِزامُ

١٩- تناءَيْتُ عنها فالفؤادُ مُشَتَّتٌ ... وذُعْرُ الفيافي بيننا وَرُغامُ[3]

❁ وللمرحوم أمين جلبي المحبي[4]: [من الرجز]

١- سقَى دمشقَ مَوطِنَ الأوطارِ ... دَمعِي وصوبُ العارضِ الزَّخارِ

٢- حتَّى يُرَوِّيا بها كُلَّ رُبًا ... تَصَوَّرَتْ في صُورَةِ الأَنْوارِ

٣- يسافِرُ الطَّرْفُ بها إلى مَدًى ... يُغْني بِهِ الخَبْرُ عَنِ الأَخْبارِ

٤- وَباكَرَتْ نَيْرَبَها نُسَيْمَةٌ ... عابِقَةٌ في رَوْضِهِ المِعْطارِ

---

(١) خلاصة الأثر: الجزيرة رائعاً.. فيه مدام.

(٢) خلاصة الأثر: بجبهة روضها، وكلاهما بمعنى.

(٣) خلاصة الأثر: ووعر الفيافي.

(٤) محمد أمين بن فضل الله بن محب الله المحبّي، الحموي الأصل، الدمشقي (١٠٦١ - ١١١١ هـ)، مؤرخ، باحث، أديب، عني بتراجم أهل عصره، فألف «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» و «نفحة الريحانة ورشحة طِلى الحانة»، سافر إلى الآستانة وبروسة وأدرنة ومصر، وولي القضاء في القاهرة، وتوفي في دمشق، ودفن بتربة الذهبية في مرج الدحداح، قبالة قبر أبي شامة. سلك الدرر ٤/٨٦، والقصيدة بتمامها في نفحة الريحانة ٢/٢٢٢، وذيل النفحة ٢٧٢.

٥- مِـنْ قَبْـلِ أَنْ تَصْـدَى بأَنفـاسِ الـوَرَى | بليلَـةُ الأذْيـال ِفي الأَسْـحارِ
٦- فَنبَّهَـتْ أَطْفـالَ نَبْـتٍ نُوَّمًـا | ترضَـعُ ثَـدْيَ الدِّيمَـةِ المِـدْرارِ[1]
٧- وللريـاضِ طيْـبُ أنفـاسٍ بِهـا | تُهـدي الثَّنـاءَ الجَـمَّ للأَمْطـارِ
٨- يتْلـو خَطِيبُهـا بصَـوتٍ شَـاكِرٍ | مِدْحَتَـهُ في مِنْـبَرِ الأَشْـجارِ
٩- ويَنْـثُرُ الزَّهْـرُ فَيَنْظِـمُ النَّـدَى | يـا حُسْـنَ ذاكَ النَّظْـمِ والنَّثـارِ
١٠- لَـوى القَضيـبَ ثُـمَّ جِيْـدًا غَنِمَـتْ | تَقْبِيْلَـهُ مَباسِـمُ الأَنْـوارِ
١١- والمـاءُ في خَريـرِه مُنْهَمِـكٌ | والطَّـيرُ عـاكِفٌ علـى التَّهْـدارِ
١٢- إنْ رَدَّدَ اللَّحْـنَ انْثَنَـتْ غُصونُهـا | تَسْـمَعُ مِنْـهُ رَنَّـةَ الأَوْتـارِ[2]
١٣- وَرُبَّمـا انْحنَـتْ لِتَقْـرا أَسْـطُرًا | في النَّهْـرِ خَطَّهـا النَّسِـيمُ السَّـاري
١٤- والنَّـورُ قَـدْ فَتَّـحَ عَـنْ أَكْمامِـهِ | وفَكَّـكَ الـوردُ عـن الأَزْرارِ
١٥- والرَّبْـوةُ الغَنَّـاءُ حَيَّاهـا الصَّبـا | فَنَفحـتْ عـن جَوْنَـةِ العطَّـارِ
١٦- أُعيـذُ بالسـبْعِ المَثـاني دَوْحَهـا | علـى احْتـواءِ السَّـبْعَةِ الأَنْهـارِ[3]
١٧- ودَيْـرُ مُـرَّانَ القديـمُ لا عَـدَتْ | سُـحْبُ الحَيَـا مـا فيـهِ مِـنْ آثـارِ
١٨- فيـهِ حديْـثُ البَبَّغـاءِ وعَهْـدِهِ[4] | حَلْـيٌ لِجيـدِ سَـالِف الأعصَـارِ
١٩- والمَرْجَـةُ الفَيْحـاءُ والـوادي الـذي | مَنْظَـرُهُ البَـاهي جَـلاَ الأبصـارِ
٢٠- مَعـاهِدٌ فيهـا النَّدامـى أَغْصُـنٌ | مُثْمِـرَةٌ فَواكِـهَ الأَسْـمارِ

---

(١) النفحة: الديمة المعطار.

(٢) في (ب): تسمع منها.

(٣) السبعة الأنهار هي: يزيد، وثورا، وبردى، وبانياس، والقنوات، والقناية (قناية المزة)، والداراني.

(٤) انظر الحاشية (١) صفحة (٩١).

٢١- مـنْ كُـلِّ وَضَّـاحِ الجَبـينِ مُسْـفِرٍ ... عَـنْ طَلْعَـةٍ تهـزأُ بالأَقمـارِ

٢٢- فـالنَّجمُ سـارٍ طالِبًـا لِقيَتَـهُ ... لِـذاكَ قَـدْ لُقِّـبَ بالسَّـيّارِ

٢٣- وشَـابَ حُزْنًـا طَرْفُـهُ ومـا رَأى ... شَـبيْهَهُ في الفَلَـكِ الـدَّوّارِ

٢٤- مُنَقَّـبٌ بـالوَرْدِ مِـنْ خَجْلَتِـهِ ... جُـودًا وَمُرْتَـدٍ حُلـى الوَقـارِ

٢٥- وكُـلُّ مُخْتـارِ المَعـاني حُسْـنُهُ ... قَيْـدُ النُّهـى وَعُقْلَـةُ الأَفْكـارِ

٢٦- تِلميـذُهُ هـاروتُ يَـروي فَنَّـهُ ... عَـنْ لَفْظِـهِ عَـنْ طَرْفِـهِ السَّـحّارِ

٢٧- خَـطَّ الجَمـالُ فَـوقَ طِـرْسِ خَـدِّهِ ... سَـطْرًا بِـرَأسِ القَلَـمِ الغُبـاري[1]

٢٨- أرى عَلَـى وَجْنَتِـهِ دائـرَةً ... حَرَّرَهـا الجَمَـالُ بالبِرْكـارِ

٢٩- فَالخـالُ في كُرْسِـيِّها قَـدْ استَوى ... كَمَرْكِـزٍ لِذلِـكَ المـدارِ

٣٠- قَـدْ كـادَ مَـوجُ رِدْفِـهِ يُغرِقُـه ... لـولا اعتـلاقُ الخَصْـرِ بالزُّنّـارِ

منها:

٣١- وَلِـيْ إلى الجَـامِعِ شَـوْقٌ والِـهٌ ... لا يفـتُرُ الدَّهـرَ عَـنِ التَّذْكـارِ

٣٢- للهِ أقـوامٌ بـهِ أَعِـزَّةٌ ... مِـنْ خُلَّـصِ الأَخيـارِ والأَبْـرارِ

٣٣- في جُنْـحِ لَيْلاتِهِـمُ أذكـارُهُم ... تَعْرِفُهـا بَلابِـلُ الأَسْـحارِ

منها:

٣٤- لا زالَ رَيْحـانُ تَحيّـاتي لَهُـمْ ... يَـرِفُّ في رَوْضِ الثَّنـا المِعْطـارِ

٣٥- واللُّطْـفُ مـا زالَ يُحَيّـي أَرْضَهُـم ... تَحِيَّـةَ النَّسـيمِ للأَزهـارِ

---

(١) القلم الغباري: قلم ضئيل، وسمي بذلك لدقته، كأن النظر يضعف عن رؤيته لدقته، كما يضعف عن رؤية الشيء عند ثوران الغبار، وبالقلم الغباري تكتب بطائق الحمام، التي تحملها على أجنحتها. انظر صبح الأعشى ٣/١٢٥.

❁ وللسيد يوسف الحسيني[1] من قصيدة[2]: [من الكامل]

١- يا نَسْمَةَ الرَّوضِ الأنيقِ إذا سَرَتْ ... يَعبَقُ مِنْ أذيالِها نَشْرُ الصَّبا

٢- مَرَّتْ عَلَيْنا سُحْرَةً فأَذْكَرَتْ ... لِلصَّبِّ عَهْدًا قَدْ مَضَى شَرْخُ الصِّبا

٣- إنْ جُزْتِ أَرْضَ جِلَّقٍ ورَوْضَهُ الـزْ ... زاهي الأنيقِ الغَضُّ حُلْوِ المُجْتَنَى

٤- أوْ عُجْتِ نحوَ المَرْجَةِ الخَضْراءِ بَيْـ ... ـنَ الشَّرَفَينِ نحوَ هاتِيْكَ الرُّبا

٥- حيْثُ حكَتْ خَضراؤُها زَبَرْجَدًا ... وحَوْلَها الأزهارُ تَحكي أنْجُما

٦- قدْ مَدَّتِ الأنْهارُ فيها جَدْوَلاً ... تَخالُهُ يَنْسابُ صِلاًّ أرْقَما

٧- وَجِئْتِ قاسُونَ فَحَيِّي أَهْلَهُ ... وساكِنِيهِ لَهُمْ مِنِّي الْوَلا

٨- قَومٌ بِكُلِّ مِنْحَةٍ وَرُتْبَةٍ ... قَدْ خَصَّهُم رَبُّ السَّمواتِ العُلا

❁ وللمرحومِ الطالوي[3]: [من الطويل]

حِمَى الشَّامِ جادَ الغَيْثُ مَاحِلَ تُرْبِهِ ... مَغاني الهَوى فِيْها مغاني أَحِبَّتي

وباتَتْ بأَعلى النَّيْرَبَيْنِ مَعَ الصَّبا ... تُطارِحُها ذِكرى عُهودٍ بِرَبْوَةِ

على نَهَرٍ حَصْباؤُهُ الشُّهْبُ قَدْ جَرَى ... خِلالَ سَمَا رَوْضاتِها كالمَجَرَّةِ

يُجاوِبُ تَسْجَاعَ الحَمامِ خَرِيرُهُ ... فَتُصغي لَهُ الوَرْقاءُ مِنْ فوقِ أيكَةِ

---

(١) هو يوسف بن حسين الحسيني الحنفي الدمشقي، جمال الدين أبو المحاسن الفقيه، نزيل حلب ونقيب أشرافها، ولد بدمشق ١٠٧٣ هـ، ونشأ بها، وأخذ العلم عن أفاضلها، ارتحل إلى الروم وإلى حلب، ودرس بها، توفي بحلب سنة ١١٥٣ هـ. ذيل نفحة الريحانة ١٥٨، سلك الدرر ٣٠١/٤.

(٢) ذيل النفحة ١٦١، وقال: ومن درره التي حَلّى بها جيد الآداب، وبعثها بكراً لذوي الألباب قصيدته المقصورة التي عليها البلاغة مشهورة.

(٣) الطالوي: درويش بن محمد بن أحمد الطالوي الأُرتُقي، أبو المعالي، أديب له شعر وترسل، من أهل دمشق، مولده بمحلة التعديل (قنوات)، ووفاته فيها، ودفن بباب الصغير، وقصيدته في ريحانة الألبا ٣٩.

❁ المرحومُ عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ الرزاقِ[1]: [من الخفيف]

١- نبَّهَتْ مُقْلَةَ الرِّياضِ نَسائِمْ	وأثارَتْ عبيرَ تِلكَ الكَمائمْ
٢- وتَثَنَّتْ مَعاطِفُ الدَّوْحِ لَمَّا	قَلَّدتْها عَقْدَ الزُهورِ الغَمائمْ
٣- وشَدَتْ فَوْقَها سَواجعُ وُرْقٍ	فأهاجَتْ بلَحْنِها كُلَّ هَائمْ
٤- ونُجومُ الغُصونِ تَزهو إذا ما	حَرَّكَتْ عِقْدَها أيادي النَّعائمْ
٥- فَوْقَها العَنْدليْبُ قامَ خَطيبًا	يَتَهادى ما بينَ خُضْرِ العَمائمْ
٦- وثُغورُ الأقاحِ قَدْ بسمَتْ مُذْ	أيْقظَ الطَّلُّ جَفْنَهُ وهو نائمْ
٧- وبها الجُلّنارُ قامَ يُرينا	أكؤُسًا زانَها عُقودُ التَّمائمْ
٨- وخَريرُ المياهِ غَنَّى فَخِلْنَا	حَولَهُ طائرَ المَسَرَّةِ حائمْ
٩- فَسَقَى جِلَّقَ الشآمِ سَحابٌ	كُلَّما سامَ نَيْرَبَ السَّفْحِ سائمْ
١٠- ورَعَى عَهْدَها بِتِلكَ الرَّوابي	ما تغَنَّتْ على الغُصونِ حَمائمْ

❁ المرحومُ القاضي مُحبُّ الدينِ الحَمَويِّ[2] في الشامِ[3]: [من الطويل]

أتَيْنا فَسَلَّمْنا عليها عَشِيَّةً	فغَنَّى لنا فيها الحَمامُ وحَيَّانا
وأبْدَى لنا ثَغْرُ الأقاحي تَبسُّمًا	وأحْسَنَ مَلْقَانا وأكرَمَ مَثْوانا

---

(١) هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد الحنفي الدمشقي، المعروف بابن عبد الرزّاق، ولد سنة ١٠٧٥ هـ، ودأب في طلب العلم على مشايخ عدة، منهم عبد الغني النابلسي، وكان خطيب جامع السنانية، وله منظومة في الفرائض سماها «قلائد المنظوم في منتقى فرائض العلوم» وشرحها شرحاً وافياً، وله ديوان شعر وديوان خطب، توفي سنة ١١٣٨ هـ. ذيل نفحة الريحانة ٢٠٦، سلك الدرر ٣٠٦/٢، وقصيدته في ذيل النفحة ٢١٦ وسلك الدرر ٣١٢/٢.

(٢) القاضي محب الدين: محمد بن أبي بكر تقي الدين بن داود المحبي الحموي، جد والد محمد أمين المحبي صاحب خلاصة الأثر. نفحة الريحانة ١٨٢/٢.

(٣) ريحانة الألبا ٩٩.

ومـا هِـيَ إلاّ جَنَّـةٌ قَـدْ تَزَخْرَفَـتْ		ألَمْ تَرَ فيهـا العَيْـنُ حُـورًا وَوِلْدانـا
ومِـنْ تحتِهـا الأنهـارُ تجـري وكُلُّهَـا		عُيـونٌ إلى الرَّوضـاتِ تُرسِـلُ غُدْرَانـا

❁ المرحوم المَقَّري في كتابهِ «عَرْفِ الطِّيْبِ»[1]: [مجزوء الكامل]

١- أمَّـا دِمَشْـقُ فَحَضـرَةٌ		لعِبَـتْ بألبـابِ الخلائـقْ
٢- هِـيَ بَهْجَـةُ الدُّنيـا الـتي		مِنْهـا بديـعُ الحُسْـنِ فـائقْ
٣- للهِ مِنْهـا الصالِحيـةُ		فـاخَرَتْ بِـذَوي الحَقـائقْ
٤- والغُوطـةُ الغَنّـاءُ حَيْـ		ـيَـتْ بـالورودِ وبالشَّـقائقْ
٥- والنَّهْـرُ صَـافٍ والنَّسيـ		ـمُ اللَّـدنُ للأشـواقِ سـائقْ
٦- والطَّـيرُ في العيـدانِ أبْـدَتْ		في الغِنَـا أَحْلـى الطَّرائـقْ
٧- ومَـرَاوِدُ الأمْطـارِ قَـدْ		كُحِلَـتْ بهـا حِـدَقُ الحدائـقْ
٨- لا زالَ مَغْناهـا مَصُـو		نًـا آمِنًـا كُـلَّ البوائـقْ

❁ وله: [من المجتث]

١- دمشـقُ راقَـتْ رَواءً		وبهجـةً وغَضَـارَهْ
٢- فيهـا نَسـيمٌ عَليـلٌ		صحَّـتْ فوافَـتْ بِشـارَهْ
٣- وغوطـةٌ كَعـروسٍ		تَزْهَـى بـأَعْجَبِ شـارَهْ
٤- يـا حُسْـنَها مِـنْ ريـاضٍ		مِثْـلِ النُّضـارِ نَضـارَهْ
٥- كـالزَّهْرِ زَهْـرًا وعَنْهـا		عَـرْفُ العَبـيرِ عِبـارَهْ

---

(١) لم أجد أبياته في نفح الطيب، وهي في سلافة العصر ٥٩٨، ولعل العبارة الصحيحة: المرحوم المقري صاحب كتاب: نفح الطيب.

٦- والجـــــامعُ الفـــــردُ منهـــــا أَعلـــــى الإلـــــهُ مَنَـــــارَهْ

٧- وحــــاصِلُ القـــولِ فيهـــا لِمَـــــنْ أرادَ اختصـــــارَهْ

٨- تذكيرُهـــا مَـــنْ رَآهـــا عَدْنًـــا وحســـبي بشـــارَهْ

٩- دامَـــتْ تَفُـــوقُ سِـــواها إنالـــةً وإنـــارَهْ

❁ وله: [من الخفيف]

قـالَ لِيْ: مـا تَقـولُ في الشَّـامِ خَـبِّرْ كُلَّمـا لاحَ بـارِقُ الحُسْـنِ شَـامَهْ

قلْـتُ: مـاذا أقـولُ في وصـفِ قُطْـرٍ هِـيَ في وَجْنَـةِ المَمـالِكِ شَـامَهْ

❁ وله: [من البسيط]

لمْ أَنْسَ بالشَّامِ أُنْسًـا شِـمْتُ بارِقَـهُ جـادَتْ مَعـاهِدَهُ أَنْـواءُ نَيْسـانِ

لَهْفـي لِعَيْـشٍ قَضَيْنـا في مَعاهِدِهـا مـا بَيـنَ حُسْـنٍ مـنَ الدُّنيـا وإحسـانِ[1]

❁ وله: [من الطويل]

تَزيـدُ عَلـى مَـرِّ الزَّمـانِ طَـلاوَةً دمشقُ الذي[2] وافَتْ بِحُسْنِ المَشارِبِ

لَهـا في أقـاليمِ البـلادِ مَشـارِقٌ مُنَزَّهَـةٌ أقمارُهـا عـنْ مَغـارِبِ

❁ وله: [من الكامل]

وإذا وصَفْـتَ مَحاسِـنَ الدُّنيـا فَـلا تَبْـدأْ بغَـيْرِ دِمشـقَ فيهـا أَوَّلا

بَلَـدٌ إذا أَرْسَـلْتَ طَرْفَـكَ نَحْـوَهُ لمْ تَلْـقَ إلاَّ جَنَّـةً أَوْ جَـدْوَلا

---

(١) هذا البيت ذكره المقري في نفح الطيب ٧/٣٤٧ منسوباً لإبراهيم بن علي الكفعمي.

(٢) كذا في الأصول: الذي.

ذا وَصْفُ بَعْضِ صِفاتِها وَهي التي تُعْيي البَليغَ وإنْ أجادَ وطَوَّلا

❁ وللمرحومِ ابنِ قضيبِ البانِ الحلبي[1]: [من الطويل]

سَقَى جِلّقًا صَوْبُ السَّحابِ المُزرَّدِ وباكَرَ مِنْ أفْنانِها كُلَّ مَعْهَدِ
وقَلّدَ أجْيادَ الرُّبا في عِراصِها يَدُ الغَيْثِ عِقْدَيْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدِ
أشِيمُ بُروقًا بالشآم مُثيرَةً عَقابيلَ شَوْقٍ بالفُؤادِ المُشَرَّدِ

❁ البدرُ بنُ حبيب[2]: [من السريع]

١- عَرِّجْ إذا مَا شِمْتَ بَرْقَ الشَّآمْ وَحَيِّ أَهْلَ الحَيِّ واقْرا السَّلامْ
٢- وانْزِلْ بإقْليمٍ جَزيلِ الحَيا بارَكَ فِيْهِ اللهُ رَبُّ الأنامْ
٣- العِزُّ والنَّصْرُ لَدَيْهِ وَما لِعُرْوَةِ الإسلامِ عَنهُ انفصامْ
٤- مِنْ أَوْلياءِ اللهِ كَمْ قَدْ حَوَى رُكْنًا بِمَرآهُ يَطيبُ المقامْ
٥- وهو مَقَرُّ الأنبياءِ الألى والأصْفياءِ الأتْقياءِ الكِرامْ
٦- كَمْ مِنْ شهيدٍ في حِماهُ وكَمْ مِنْ عالِمٍ فَرْدٍ وكَمْ مِنْ إمامْ

---

(١) هو عبد الله بن محمد حجازي بن عبد القادر الحلبي الحنفي، المعروف بابن قضيب البان، دأب في طليعة عمره، وحصل على علوم، وتفوق، وتصدر للتدريس، وولي نقابة الأشراف وأُعطي رتبة قضاء ديار بكر، وكان أديباً بليغاً، له تآليف منها «حل العقال»، توفي سنة ١٠٩٦، اجتمع عليه أهل بلده وقتلوه في قصة. نفحة الريحانة ٥٦٥/٢، خلاصة الأثر ٧٠/٣، والأبيات في نفحة الريحانة ٥٧٠/٢، وخلاصة الأثر ٧٨/٣، كتب بها إلى الأمير منجك.

(٢) هو بدر الدين الحسن بن حبيب الحلبي، ولد في دمشق، وانتقل إلى حلب، ثم إلى مصر، وتنقل في بلاد الشام. الدرر الكامنة ٢٩/٢، والأبيات في نفح الطيب ٦٩/١.

❁ وقال آخر[1]: [من الطويل]

١- سَقَى جِلَّقَ الفَيْحاءَ مَغْنَى النَّواسِمِ ... وجَادَ رُباها هَاطِلاتُ الغَمائمِ

٢- وَلا بَرِحَتْ تُهدِي إِلَيْها يَدُ الصَّبا ... نَسائمَ يُزْرِيْ نَشْرُها باللَّطائمِ[2]

٣- وَلا زالَ يَجْري في أَنِيقِ رِياضِها ... جَداوِلُ تَنْسابُ انسيابَ الأَراقِمِ

٤- ودامَتْ عَلَى الأغصانِ تَهتِفُ بالضُّحى ... حَمائمُ يُشْجِي صَدْحُها قَلْبَ هائمِ

٥- وَحَيَّا الحَيَا تلكَ المَعاهِدَ مِنْ فَتًى ... يَرَى حِفْظَ عَهْدِ الوِدِّ ضَرْبَةَ لازِمِ

❁ وقال آخر[3]: [من البسيط]

إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَعْدِلْ بِها بَلَدًا ... هَيْهاتَ ما الدُّرُّ والحَصْباءُ سِيَّانِ

تاهَتْ عَلَى الأَرْضِ ما نهرُ الأُبلَّةِ والـ ... ـوادي المُقدَّسِ أو ما شِعْبُ بَوَّانِ

ما حَلَّ فيها امرؤٌ إلاَّ وَعايَنَها ... جَنَّاتِ عَدْنٍ عَلَيها حُورُ رِضْوانِ

❁ السيد كبريت المدني[4]: [من الطويل]

ومَا الشَّامُ إلاَّ في البِلادِ كَشامَةٍ ... وأقمارُ واديه الشمام تَمامُ[5]

---

(١) الأبيات لمحمد بن علي بن أحمد، المعروف بالحريري وبالحرفوشي (نسبة لآل الحرفوش أمراء بعلبك)، العاملي الدمشقي، اللغوي النحوي الأديب، البارع الشاعر، توفي سنة ١٠٥٩ هـ. خلاصة الأثر ٤/٤٩، والأبيات فيه ٤/٥٢.

(٢) اللطائم: الطيب.

(٣) الأبيات للحسن بن مطهر بن محمد الحسني اليمني الجرموزي، الأديب النحوي الفقيه، له مؤلفات منها «شرح نهج البلاغة»، توفي بصنعاء ١١٠٠ هـ. نفحة الريحانة ٣/٣٩٠، والأبيات فيها صفحة ٤٠٩.

(٤) كبريت المدني: محمد بن عبد الله بن محمد الحسيني (١٠١٢ - ١٠٧٠ هـ)، أديب، مولده ووفاته بالمدينة، اشتغل بالعلوم النقلية والعقلية، ورحل إلى الروم ودمشق والقاهرة، له مؤلفات منها «رحلة الشتاء والصيف». نفحة الريحانة ٤/٣٥٥، والأبيات فيه ٣٦١.

(٥) النفحة: واديه الشميم.

فَحَيَّا مُحَيَّاها الإلهُ وزانَهُ ... ولا زالَ بَرْقُ الحُسْنِ فيه يُشامُ

❁ القيراطيُّ[1]: [من الكامل]

١- أَشْتاقُ في وَادِي دِمَشْقَ مَعْهَدًا ... كُلُّ الجَمَالِ إلى حِمَاهُ يُنْسَبُ

٢- ما فِيهِ إلاَّ رَوْضَةٌ أَوْ جَوْسَقٌ ... أو جَدْوَلٌ أَو بُلْبُلٌ أو رَبْرَبُ

٣- وكأَنَّ ذاكَ النَّهرَ فيهِ مِعْصَمٌ ... بِيَدِ النَّسيمِ مُنَقَّشٌ وَمُكَتَّبُ

٤- وَإذا تَكَسَّرَ ماؤُهُ أبْصَرْتَهُ ... في الحالِ بينَ رِياضِهِ يَتَشعَّبُ

٥- وشَدَتْ عَلَى العِيدانِ وُرْقٌ أَطْرَبَتْ ... بِغنائِها مَنْ غابَ عنهُ المُطرِبُ

٦- فالوُرْقُ تَشدو والنسيمُ مُشَبِّبٌ ... والنَّهرُ يَسعى والجَداولُ تَشْرَبُ[2]

٧- وضِياعُها ضاعَ النَّسيمُ بها فَكَمْ ... أَضحى لهُ مِنْ بَيْنِنا مُتَطَلِّبُ[3]

٨- وَحَلَتْ لِقلبي مِنْ عَساكرِ جنَّةٍ[4] ... فِيها لأَربابِ الخَلاعَةِ مَلعَبُ

٩- وَلَكَمْ طَرِبْتُ عَلى السَّماعِ بِذِكْرِها[5] ... وَغَدا بِرَبْوَتِها اللِّسانُ يُشَبِّبُ

١٠- فمَتى أزورُ مَعالِمًا أبوابُها ... بِسماعِها كُتُبُ الكِرامِ تُبَوَّبُ[6]

❁ وله: [من الطويل]

سَقى الجَنكَ مُنْهَلُّ الرَّبابِ فَشَوقُنا ... لِطِيبِ مَغَاني أَرْضِهِ ما لَهُ حَصْرُ

---

(١) القيراطي: إبراهيم بن عبد الله بن محمد، شاعر من أعيان القاهرة، جمع بين الفقه والأدب، توفي بمكة سنة ٧٨١ هـ، له ديوان شعر سماه «مطلع النيّرين». الدرر الكامنة ٣١/١، والأبيات في نفح الطيب ٣٩٧/٢.

(٢) في نفح الطيب: فالورق تنشد.. والنهر يسقي.

(٣) في نفح الطيب: من بين روض مطلب.

(٤) في الأصل: من عسال جبة، والمثبت من نفح الطيب.

(٥) نفح الطيب: ولكم رقَصت على السماع بجنكها.

(٦) نفح الطيب: بسماحها كتُب السماح تبوّب.

وَحَـيٍّ بِقُطْـرِ الشَّـامِ أنهارَهـا الـتِي   عَلى شَهْدِها للدَّمعِ مِنْ مُقْلَتِي قَطْرُ

❁ وله: [من الخفيف]

إنَّ لـلرُّوحِ في دمشـقَ لَمـأوىً   ذَا قـرارٍ وذَا مَعـينٍ وَرَبْـوَهْ

وبِرَوْضاتِهـا بَسـاتينُ وَرْدٍ   لِـيْ بأزرارِهـا صَبابَـةُ عُـرْوَهْ[1]

❁ ابن عُنَيْن[2]: [من الكامل]

فَسَقى دِمَشْـقَ وَوادِيَيْهـا والْحِمَـى[3]   مُتَواصِـلُ الأَرْهـامِ[4] مُنْفَصِـمُ العُـرَى

حتَّى تَـرى وَجْـهَ الرِّيـاضِ بِعـارِضٍ   أَحْـوى وفـودَ الـدَّوْحِ أَزْهَـرَ نَـيِّرَا

تِلـكَ المَنـازِلُ لا ملاعِـبُ عَـالِجٍ[5]   ورِمـالُ كاظِمَـةٍ ولا وادِي القُـرى

أرْضٌ إذا مَـرَّتْ بهـا ريـحُ الصَّبـا   حَمَلَـتْ عَلَى الأغْصانِ مِسْكًا أذفَـرَا

❁ وله[6]: [من الطويل]

دمشـقُ فَـبِي شَـوقٌ إليـكِ مُـبَرِّحٌ   وإنْ لَـجَّ وَاشٍ أوْ أَلَـحَّ عَـذولُ

---

(١) هو عروة بن حزام العذري، شاعر من متيمي العرب.

(٢) ابن عُنَين: محمد بن نصر الله الدمشقي الأنصاري، شرف الدين الزرعي الحوراني الدمشقي الأنصاري (٥٤٩ - ٦٣٠ هـ)، أعظم شعراء عصره، مولده ووفاته بدمشق، كـان هجّـاءً، قلّ مـن سلم مـن شرّه في دمشق، حتى السلطان صلاح الدين، ونفاه، فذهب إلى العراق وأذربيجان والهند، قال ابن النجار في تاريخه عنه: «هو من أملح أهل زمانه شعراً، وأحلاهم قولاً، ظريف العشرة، ضحوك السن، طيب الأخلاق»، والأبيات في ديوانه صفحة ٤، قالها يمدح الملك العادل، ويستأذنه في العودة إلى دمشق.

(٣) يريد بواديي دمشق: وادي بردى، حيث يجري بردى من منبعه إلى دمشق، والثاني الأرض المنخفضة من الغوطة، المعروفة بين أهل الغوطة بأرض الوادي، وأوله عند مقسم الأحد عشرية، وآخره في جسر الغيضة قرب قرية المنيحة. من حاشية الديوان.

(٤) الرِّهمة: بالكسر المطر الضعيف الدائم. وفي الديوان: متواصل الإرعاد. (٥) الديوان: لا أعقّةُ عالج.

(٦) الديوان ٦٩، قالها يحن إلى دمشق ويتشوق إليها، وهو في اليمن سنة ٥٨٧ هـ.

بـــلادٌ بِهـــا الحَصْبـــاءُ دُرٌّ وَتُرْبُهـــا ... عَبـــيرٌ وأنفـــاسُ الشَّـــمالِ شَـــمُولُ

● عَرْقَلةُ الدِّمشقيُّ[1]: [من الكامل]

والشَّـامُ شـامَةُ وَجْنَـةِ الدُّنيـا كَمـا ... إنســانُ مُقْلَتِهــا الغَضيضَــةِ جِلَّــقُ

سِـيْما وقَـدْ رَقَـمَ الرَّبيـعُ لِرَبْعِهـا ... وشْيًا بـهِ حـدقُ الحدائـقِ[2] تُحْـدِقُ

في نَـيْرَبٍ ضَحِكَـتْ ثُغـورُ أقاحِـهِ ... لَمَّـا بَكـاهُ العـارِضُ المُتـألِّقُ

● وله[3]: [من البسيط]

١- مـا فَتَّـحَ النَّـوْرُ إلاَّ أَشْـرَقَ النُّـورُ ... فَمَـا انتِظـارُكَ[4] والمَنْثـورُ مَنثـورُ

٢- ولـلرَّبيعِ رُبـوعٌ كُلَّمـا ضَحِكَـتْ ... بَكـى على نَشَـواتِ الخَمْـرِ مَخْمـورُ

٣- أمَّـا دِمشـقُ فَجَنَّـاتٌ مُزَخْرَفَـةٌ[5] ... لِلطَّـالِبينَ، بِهـا الوِلْـدانُ والحُـورُ

٤- مـا لاحَ فيهـا عَلـى أغصانِهـا قَمَـرٌ[6] ... إلاَّ وغَنَّـاهُ قُمْـرِيٌّ وشُـحْرورُ

٥- يـا حبَّـذا ودُروعُ المـاءِ تَنْسـجُها ... أنـامِلُ الرِّيـحِ إلاَّ أنَّهـا زُوْرُ[7]

---

(١) عرقلة الكلبي: هو الشاعر حسان بن نمير، أبو الندى، شاعر من الندماء، من سكان دمشق (٤٨٦ - ٥٦٧ هـ)، والأبيات في الديوان صفحة ٦٨، في الربيع ووصف دمشق.

(٢) الديوان: الربيع ربوعها.. حدق البرايا.

(٣) الديوان ٤١.

(٤) الديوان: فما اشتغالك.

(٥) الديوان: فجنات معجّلة.

(٦) الديوان: ما صاح فيها.

(٧) الديوان: لولا أنها زور.

❁ التلعفري[1]: [من البسيط]

أحبابَنـا بِنَواحـي الغُوطَتـينِ سَـقَى ... رُبوعَكُـمْ وابِـلٌ مِـنْ دَمْعِـيَ الـذَّرِفِ

ولا تَعَـدَّاكَ يـا بانـاسُ مُنْهَمِـرٌ ... يَهمِيْ على القَصْرِ فالمَيْدانِ فالشَّرَفِ

مَلاعِبٌ كَمْ بهـا مِـنْ شـادِنٍ غَنِـجٍ ... حُلْوِ الشَّمائلِ مَعسولِ اللَّمى تَـرِفِ

❁ وله[2]: [من البسيط]

١- جـادَتْكَ يـا شَـرَفَ المَيْـدانِ سـارِيةٌ ... وَلا تَعَـدَّاكَ هَـامِي الـوَدْقِ هَتَّـانُ

٢- وَدَبَّجَتْ لـكِ يـا سَـطْرا سُـطورُ رُبًـا ... مِـنَ الرِّيـاضِ لَهـا بـالزَّهْرِ أَلـوانُ

٣- وفـاحَ يـا وادي الشَّـقْراءِ مِنْـكَ شـذىً ... يَضيـعُ حـينَ يَضُـوعُ الـوَرْدُ والبـانُ

٤- وراقَ مـاؤُكَ يـا ثَـوْرًا ولا بَرِحَـتْ ... تَميـلُ فَوْقَـكَ بالأَطيـارِ أَغْصـانُ

٥- ودامَ دَفْقُـكَ يـا بَانـاسُ مُتَّصِـلاً ... حتَّـى يُـرى كُـلُّ ظامٍ وَهُـو رَيَّـانُ

٦- تِلْكَ الجِنانُ الـتي حَيْـثُ التَفَـتَّ تَـرَى ... قَصْـرًا مُنيفًـا بـهِ حُـورٌ وَوِلْـدانُ

٧- تَدعـوكَ فيهـا إلى اللَّـذاتِ أَرْبَعَـةٌ ... بَيْـعُ الحَيـاةِ بِهـا مـا فيـهِ خُسْـرانُ

٨- ظِـلٌّ ظَليـلٌ ومـاءٌ بـارِدٌ غَـدِقٌ ... وجَوْسَـقٌ مُشْـرِفٌ عـالٍ وبُسْـتانُ

---

(١) محمد بن يوسف بن مسعود الشيباني التلعفري - نسبته إلى تل أعفر -(٥٩٣ - ٦٧٥ هـ)، ولد وقرأ بالموصل، وأقام في دمشق، فكان من شعراء صاحبها الملك الأشرف موسى الأيوبي، وابتلي بالقمار، فطرده الأشرف إلى حلب، وقرر له رسوماً، فجعل يضيعها في القمار، ثم عاد إلى دمشق يستجدي بشعره ويقامر، ثم قصد حماة، وتوفي فيها، والأبيات في الديوان صفحة ٢٠٥.

(٢) الديوان: ١٩٦.

❁ وله[1]: [من البسيط]

١- يا بارِقَ الشَّامِ حَيِّ الأَهلَ وَالبانا[2] ... وانقُلْ حَديثَكَ عَنْ لُبْنى ولُبْنانا

٢- وَهاتِ ما حَمَلَتْ عِطْفاكَ مِنْ خَبَرٍ ... فَإِنَّ لي برُبا جَيْرُونَ جيْرَانا

٣- سَقَتْ لَيالِيَ بالأحبابِ سَارِيَةٌ[3] ... تُعِيدُ ظَامِئَ ذاكَ التُّرْبِ رَيَّانا

٤- ولا تَعدَّى الرُّبا مِنْ قاسيونَ حَيا ... يُعِيدُ فَوقَ الصَّياصي مِنْهُ غُدْرَانا

٥- تِلكَ الرُّبوعُ التي لم تَأْلُ مُذْ عُمِرَتْ ... في الأَرْضِ لِلَّهْوِ والأَوْطارِ أَوْطَانا

❁ سبع بن خلف الأسدي[4]: [من الرجز]

١- سَقَى دمشقَ الشَّامِ غَيْثٌ مُمْرِعٌ ... مِنْ مُسْتَهَلِّ دِيمَةٍ دَفَّاقِها

٢- مدينةٌ لَيْسَ يُضاهي حُسْنَها ... في سائرِ الدُّنْيا ولا آفاقِها

٣- تَوَدُّ زَوْراءُ العِراقِ أنَّها ... تُعْزَى إليها لا إلى عِرَاقِها

٤- فأرضُها مِثْلُ السَّماءِ بَهْجَةً ... وزَهْرُها كالزَّهرِ في إشْراقِها

٥- نَسِيْمُ ريَّا رَوْضِها مَتى سَرَى[5] ... فَكَّ أخا الهُمومِ مِنْ وَثاقِها

٦- قَدْ رَبَعَ الرَّبيعُ في رُبوعِها ... وَسِيقَتِ الدُّنيا إلى أسْواقِها

---

(١) الديوان ٢١٥.

(٢) في الديوان و (ب): حيِّ الأثل.

(٣) الديوان: سقت لياليك.

(٤) في الأصل: سيفي خطأ، وهو سبع بن خلف بن محمد الأسدي الفقعسي أبو الوحش، ويقال وُحيش، شاعر مطبوع، من شعراء الخريدة (قسم الشام ٢٤٢/١)، وقد وردت الأبيات في رحلة ابن بطوطة ٣٠٢/١، وفي نفح الطيب ٦١/١ منسوبة لسبع، وهي في ديوان فتيان بن علي الشاغوري - نسبة إلى الشاغور أحد أحياء دمشق - (٥٣٣ - ٦١٥)، صفحة ٢٨٨ و ٦٢١، وهي في الخريدة لفتيان أيضاً (قسم الشام ٢٤٨/١).

(٥) في (ب): إذا سرى.

٧- لا تَســأَمُ العيــونُ والأنــوفُ مِــنْ رُؤْيَتِهــا يومًــا ولا اسْتِنْشــاقِها

❀ شمسُ الدِّينِ الأسديِّ[1]: [من الوافر]

إذا ذُكِــرَتْ بِقــاعُ الأرضِ يومًــا فقُــلْ سَــقْيا لِجِلَّــقَ ثُــمَّ رَعْيــا

وقُــلْ في وَصْفِهــا لا في سِــواها بِهــا مــا شِئْتَ مِــنْ دِيــنٍ ودُنْيــا

❀ وَلَهُ يَذكُرُ مُنْتَزَهاتِها، وهيَ بديعةٌ كَما تَرى[2]: [من الكامل]

١- لي نَحْــوَ رَبْعِــكِ دائِمًــا يــا جِلَّــقُ شَــوْقٌ أَكــادُ بِبَعْضِــهِ أَتَمَــزَّقُ[3]

٢- وَهُمــولُ دَمْــعٍ مِــنْ جَــوىً بِأضــالِعي ذا مغْــرِقٌ طَــرْفي وَهَــذا مُحْــرِقُ

٣- أشْــتاقُ مِنــكِ مَنــازِلاً لَــمْ أَنْسَــها أَنّــى وقلــبي في رُبوعِــكِ مُوْثَــقُ

٤- رَبْــعٌ بِــهِ خَلْقِــي تَكــوَّنَ أوَّلاً وبِــهِ عُرِفْــتُ بِكُــلِّ مــا أَتَخَلَّــقُ

٥- أَدمشْــقُ لا بَعُــدَتْ دِيــارُكِ عَــنْ فَتــىً أبــدًا إليــكِ بِكُلِّــهِ يَتَشــوَّقُ

٦- أَنْفَقْــتُ في نَــاديكِ أَيّــامَ الصِّبــا حُبًّــا وذاكَ أَعَــزُّ شَــيْءٍ يُنْفَــقُ

٧- فــالأَرْضُ في طُــولٍ وعَــرْضٍ دائمــاً لَــمْ تَحْــوِ مِثْلَــكِ غَربُهــا والمَشــرِقُ

٨- للهِ وادي النَّــــيْرَبينِ وظِلُّــــهِ لا الرَّقْمَتــانِ وحــاجِرٌ والأَبْــرَقُ[4]

٩- وسَــقَى دِيــارَ الصَّالِحيــةِ وابِــلٌ بِهْمِــي علــى تِلْــكَ المَنــازِلِ مُغْــدِقُ

---

(١) البيتان في نفح الطيب ٦٢/١، منسوبان لشمس الدين الأسدي الطيبي. انظر الحاشية التالية.

(٢) القصيدة في فوات الوفيات ٣٢٧/٣ لمحمد بن الحسن بن سباع الدمشقي، شمس الدين الصائغ العروضي (٦٤٥ - ٧٢٢)، كان له نظم ونثر، وشرح ملحة الإعراب، واختصر صحاح الجوهري، وله ديوان كبير في مجلدين كبيرين، وهذه القصيدة قالها وهو في مصر يتشوق إلى دمشق. الدرر الكامنة ٤١٩/٣، وفوات الوفيات ٣٢٦/٣.

(٣) فوات الوفيات: أكاد به جوىً أتمزق.

(٤) فوات الوفيات: لا الرقمتان ورامة.

١٠- والسَّـهْمُ لا افْـتَرَّتْ ثُغـورُ بُروقِـهِ   إلاّ ودَمْـعُ سَـحابَةٍ يَـتَرقْرَقُ

١١- كَـمْ فيـهِ مِـنْ قَصْـرٍ مُنِيـفٍ مُشْـرِفٍ   يَـبْدو بِـهِ قَمَـرٌ مُنِـيرٌ مُشْـرِقُ

١٢- وَسَـقاكِ يـا سَـطْرا وَمُقْـرَى صَيِّـبٌ   لِرُعـودِهِ في الزَّجْـرِ هَطْـلٌ شَـيِّقُ[1]

١٣- وَحَبـاكِ يـا أطـلالَ جَوْسَـقَ واصـلاً   أَطْـرافَ جَدْيـا مُسْـتَهِلٌّ مُشْـفِقُ[2]

قوله: أطلالَ جَوْسَق وجَدْيا: هما من منتزهات الشام.

١٤- للهِ سـرحةُ ذلـكَ الـوادي الـذي   قلـبي يَهيـمُ بِـهِ وذاكَ الجَوْسَـقُ

١٥- والوادِيـانِ كِلاهُمـا الغَربـيُّ والشـ   ـشَرقيُّ نُزْهَـةُ مَـنْ بِرِفْـقٍ يَرْمُـقُ

١٦- فَغِياضُـهُ ورياضُـهُ بعيونِـهِ   هـذا يَعـومُ بهـا وَهَـذا يَغْـرَقُ[3]

١٧- مِـنْ سُـكْرِ زِبديـنَ إلى جِسْـرينَ كـم   حيّـا الحيـا رَوْضٌ عَليـهِ رَوْنَـقُ[4]

١٨- أَنّـى اتَّجَهْـتَ رأيْـتَ رَوْضًـا مـاؤُهُ   مُتَسَلْسِـلٌ يَعْلـو عليـهِ جَوْسَـقُ

١٩- والربـوةُ الفَيْحـاءُ حتّـى الهامـةُ الـ   ـعَلْيـاءُ كَـمْ مِـنْ جَـدْوَلٍ يَتَدَفَّـقُ

٢٠- والقَصْـرُ والشَـرَفانِ والمَيْـدانُ والشـ   ـشَـعْراءُ عِشْـقٌ لِلّـذي لا يَعْشَـقُ[5]

٢١- فَلَكَـمْ حَـوَتْ تلـكَ المنـازِلُ صـورَةً   فيهـا الجَمـالُ مُجَمَّـعٌ وَمُفَـرَّقُ

---

(١) مُقرى: قرية كانت غربي طاحونة الأشنان من أرض الصالحية، بجوار نهر ثوراء بمنطقة المزرعة اليوم. معجم دمشق. والبيت ليس في فوات الوفيات.

(٢) فوات الوفيات: وحباك يا أطلال جوبر واصلاً.. غيث مريع مستهل.

(٣) فوات الوفيات: كعيونه هذا يعوم به.

(٤) في الأصل: حتى الحمى روض.

(٥) فوات الوفيات: والقصر والشرفات والشقراء والميدان عشقاً.

❁ وللأديبِ مجدُ الدينِ الحَنَفي[1]، وهي أُختُها في النَمَطِ والقافيةِ والمَلاحَةِ والظَرافَـةِ:

[من الطويل]

١- لَعَـلَّ سَـنَا بَـرْقِ الحِمَـى يَتَـألَّقُ ... على النَّأيِ أَوْ طَيفًا لأَسْماءَ يَطْرُقُ

٢- فَـلا نَارُهـا تَبْـدُو لِمُرْتَقِـبٍ وَلا ... وُعـودُ الأَمـانيِّ الكَـوَاذبِ تَصْـدُقُ

٣- لَعَـلَّ الرِّيـاحَ الهُـوجَ تُدنـي لِنـازِح[2] ... مِـنَ الشَّـامِ عَرْفًـا كاللَّطيمـةِ يَعْبَـقُ

٤- دِيـارٌ قَضَيْنـا العَيْـشَ فِيْهـا مُنعَّمًـا ... وأيامُنـا تَحْنُـو علينـا وتُشْـفِقُ

٥- سَـحَبْنا بِهـا بُـردَ الشَّـبابِ وشُـربُنا ... لَدَيْنـا كمـا شِئْنا لذيـذٌ مُـرَوَّقُ[3]

٦- مَواطِنُ فِيْهـا السَّـهْمُ سَـهْمي وَظِلُّـهُ[4] ... تَخُـبُّ مَطَايـا اللَّهْـوِ فِيْهـا وَتَعْنَـقُ

٧- جَـلا جانِبَيْـهِ مَعْلَـمٌ مُتَجَعِّـدٌ[5] ... مِـنَ المـاءِ في أطلالِـهِ يَتدفَّـقُ

٨- إذا الشَّمْسُ حَلَّتْ مَتْنَـهُ فَهوَ مُذْهَـبٌ ... وإنْ حَجَبَتْهـا دَوْحَـةٌ فَهُـو أَزْرَقُ

٩- وإنْ فَـرَّجَ الأوراقَ جـادَتْ بِنُورِهـا ... فَرَقْـمٌ أَجادَتْـهُ الأَكُـفُّ مُنَمَّـقُ

١٠- يُطِـلُّ عَلَيْـهِ قاسـيونُ كَأَنَّـهُ ... غَمَـامٌ مُعَلَّـى أَو لَغَـامٌ مُعلَّـقُ[6]

١١- تُسافِرُ عَنْـهُ الشَّـمسُ قَبْـلَ غُروبِهـا ... وتَزْحَـفُ إجْلالاً لَـهُ حِيْـنَ تَشْـرِقُ[7]

---

(١) هو محمد بن أحمد بن عمر بن أبي شاكر، مجد الدين ابن الظهير الإربلي الحنفي الأديب، ولد بإربل سنة ٦٠٢ للهجرة، وهو من أعيان شيوخ الأدب، له ديوان في مجلدين، توفي بدمشق ٦٧٧ هـ، ودفن بمقابر الصوفية، وهذه القصيدة قالها يتشوق إلى دمشق. فوات الوفيات ٣٠١/٣، وفي الأصل: محيي الدين الحنفي.

(٢) فوات الوفيات: تهدي لنازح.

(٣) فوات الوفيات: شئنا مصفّى مُصفق.

(٤) فوات الوفيات: سهمي وكلنا.

(٥) فوات الوفيات: كلا حانبيه.

(٦) في الأصل: نعام، واللغام: الطيب.

(٧) فوات الوفيات: وترجف إجلالاً.

١٢- وتَصْفَرُّ مِنْ قَبْلِ الأَصيلِ كأنَّها | مُحِبٌّ مِنَ البَيْنِ المُشَتَّتِ مُشْفِقُ
١٣- وفي النَّيْرَبِ المَيْمونِ لِلُّبِّ سالِبٌ | مِنَ المَنْظَرِ الزّاهي ولِلطَّرْفِ مُومِقُ[(١)]
١٤- بَدائعُ مِنْ صُنْعِ القَديمِ ومُحْدَثٌ | تَأَنَّقَ فِيْها المُحْدِثُ المُتأَنِّقُ
١٥- رِياضٌ كَوَشْيٍ للبُرودِ تَشُقُّها[(٢)] | جَداوِلُها فالنّور بالماءِ يَشْرُقُ
١٦- فَمِنْ نَرْجِسٍ يخشى فِراقَ فَريقِهِ | تَرَى الدَّمْعَ في أَجْفانِهِ يَترَقْرَقُ
١٧- ومِنْ كُلِّ رَيحانٍ مُقيمٍ وزائرٍ | يُصافِحُ رَيّاهُ الرِّياضَ فَيَعْبَقُ[(٣)]
١٨- كَأَنَّ قُدودَ السَّرْوِ فِيهِ مَوائِسًا | قُدودَ عَذارى مَيْلُها مُتَرَفِّقُ[(٤)]
١٩- إذا ما تَداعَتْ لِلشَّقائقِ صَدَّها[(٥)] | عُيونٌ مِنَ النَّوْرِ المُفَتَّحِ تَرْمُقُ
٢٠- وقَصْرٍ يَكِلُّ الطَّرْفُ عَنْهُ كَأَنَّهُ | إلى النَّسْرِ نسْرٌ في السَّماءِ مُعَلَّقُ
٢١- وَكَمْ جَدْوَلٍ جارٍ يُطارِدُ جَدْوَلاً | وَكَمْ جَوْسَقٍ عالٍ يُوازيهِ جَوْسَقُ
٢٢- وكَمْ بِرْكَةٍ فِيْها تُضاحِكُ بِرْكَةً | وَكَمْ قَسْطَلٍ لِلماءِ فيهِ تَدَفُّقُ[(٦)]
٢٣- وكَمْ مَنْزِلٍ يُعْشي العُيونَ كأَنَّما | تَأَلَّقَ فيها بارِقٌ يَتَأَلَّقُ
٢٤- وفي الرَّبْوةِ الفَيْحاءِ لِلقَلْبِ جاذِبٌ | وللغينِ مَسْلاةٌ ولِلْعَيْنِ مَرْمَقُ[(٧)]
٢٥- عَروسٌ جَلاها الدَّهرُ فَوْقَ مِنَصَّةٍ | مِنَ الدَّهْرِ والأَبْصارُ تَرْمي وتَرْمُقُ

---

(١) فوات الوفيات: النيرب المرموق.. للطرف مونق.

(٢) فوات الوفيات: كوشي البرد تزهو بحسنها.

(٣) فوات الوفيات: يضاعف رياه.

(٤) فوات الوفيات: ميلها يترقرق.

(٥) فوات الوفيات: تداعت للتعانق.

(٦) فوات الوفيات: قسطل في الماء للماء يدفق.

(٧) غانت النفس غَيناً: غَثَتْ وخبثت وجاشت. معجم متن اللغة (غين - غثو). وفي (أ) و (ج): وللغبن، وفي فوات الوفيات: وللسمع إصمات وللعين.

٢٦- فَهامَ بها الوادي فَفاضَتْ عُيونُهُ فَكُلُّ قَرارٍ مِنْهُ بالدّمعِ يَشْرُقُ

٢٧- تكفَّلَ مِنْ دونِ الجَداولِ شُرْبُها يَزيدُ يُصَفِّيها بهِ ويُروِّقُ[٨]

❁ البحتري[١] من قصيدة[٢]: [من البسيط]

١- العَيْشُ في ظِلِّ داريّا إذا بَرَدا والرَّاحُ تَمْزِجُها بالماءِ مِنْ بَرَدى

٢- أمَّا دمَشْقُ فقَدْ أبْدَتْ مَحاسِنَها وقَدْ وَفَى لكَ مُطريها بما وَعَدا[٤]

٣- إذا أرَدْتَ مَلأْتَ العَيْنَ مِنْ بَلَدٍ مُسْتَحْسَنٍ وزَمانٍ يُشبِهُ البَلَدا

٤- تَمْشي السَّحابُ عَلَى أجبالِها فِرَقًا ويُصبِحُ المَاءُ في صحرائِها بَرَدا[٥]

٥- فلسْتَ تُبْصِرُ إلاّ واكِفًا خَضِلاً أوْ يانِعًا خَضِرًا أو طائرًا غَرِدا

❁ ابن المُشِدّ[٥]: [من البسيط]

كَأنَّ جِلِّقَ حَيَّا اللهُ ساكِنَها أهْدَتْ إلى الغَوْرِ مِنْ أزْهارِها مَدَدا

فاسْتَرْسَلَ الجَوُّ منهلاً يَزيدُ على ثَوْرا ويَعْقِدُ مَحلولَ النَّدى بَرَدى

---

(٨) فوات الوفيات: يزيد يصفيها لها ويصفق.

(١) البحتري: الوليد بن عُبيد الطائي (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ)، الشاعر الكبير، يقال لشعره سلاسل الذهب.

(٢) الديوان ٧٠٩/٢، وانظر تاريخ ابن عساكر ١٧١/٢: وفي دخول المتوكّل دمشق يقول...

(٤) في الأصل: ومن لك منظرها، والمثبت من الديوان.

(٥) في الديوان: يمسي السحاب.. ويصبح النبت.

(٥) ابن المشد: علي بن عمر بن قزل التركماني، شاعر من أمراء التركمان، ظريف، طيب العشرة، كان مُشِدّ الدولة (أي رفيقاً للوزير ينقل أوامره إلى رؤساء القرى في دفع الضرائب) بدمشق، ولد بمصر ٦٠٢ هـ، وتوفي بدمشق ٦٥٦ هـ. فوات الوفيات ٦٣/٢، والبيتان في ديوانه صفحة (٧٣) وهما في نفح الطيب ٤٠٩/٢.

❀ ابن تميم[1]: [من الكامل]

عَجَبًا لِمَيْدانِي دِمَشقَ وقَدْ غَدَا ... كُلٌّ لَهُ شَرَفٌ إليهِ يَؤُولُ
والنَّهرُ بَيْنَهما لِغَيرِ جنايةٍ ... سَيْفٌ عَلَى طُولِ المَدى مَسْلُولُ

❀ لسان الدين بن الخطيب[2]: [من الكامل]

بَلَدٌ تَحُفُّ بِهِ الرِّياضُ كَأنَهُ ... وَجْهٌ جَميلٌ والرِّياضُ عِذارُهُ
وكَأنَّما وَادِيْهِ مِعْصَمُ غَادَةٍ ... ومِنَ الجُسورِ المُحْكَماتِ سِوارُهُ

❀ وقال آخر[3]: [من الكامل]

بَرَزَتْ دمشقُ لِزائري أوطانِها ... مِنْ كُلِّ ناحيةٍ بوَجهٍ أزهَرِ
لَوْ أنَّ إنسانًا تَعمَّدَ أنْ يَرى ... مَغْنًى خَلا مِنْ نُزْهةٍ لم يَقْدِرِ

❀ وقال آخر: [من الوافر]

دمشقٌ لا يُقاسُ بِهَا سِوَاها ... ويَمتنِعُ القِياسُ مَعَ النُّصوصِ

---

(١) هو الأمير مجير الدين محمد بن يعقوب، المعروف بابن تميم الحموي الشاعر، من أمراء الجند، دمشقي، استوطن حماة، قال ابن العماد: «كان من العقلاء الفضلاء الكرماء وشعره في غاية الجودة»، توفي سنة ٦٨٤ هـ. انظر البداية والنهاية ٣٠٧/١٣، شذرات الذهب ٦٧٩/٧.

(٢) لسان الدين بن الخطيب: محمد بن عبد الله الغرناطي الأندلسي (٧١٣ - ٧٧٦ هـ)، الأديب الشاعر، والوزير النبيل، ولد ونشأ بغرناطة، ومات بفاس، كان يلقب بذي الوزارتين: القلم والسيف، ويقال له: ذو العُمْرين، لاشتغاله بالتصنيف في ليله، وبتدبير المملكة في نهاره، مؤلفاته نحو ستين كتاباً، منها «الإحاطة في تاريخ غرناطة»، والبيتان في الإحاطة ١١٥/١، ونفح الطيب ٦٢/١، وبه: وكأن لسان الدين بن الخطيب عناها [أي دمشق] بقوله المصيب.

(٣) البيتان في نفح الطيب ٣٩٦/٢ من غير عزو.

حَلاهـا راقَـتِ الأَبصـارَ حُسْـنًا على حُكْـمِ العُمـومِ أو الخُصـوصِ
بِسـاطُ زُمـرُّدٍ نُـثِرَتْ عَلَيْـهِ مِـنَ اليـاقوتِ أنـواعُ الفُصـوصِ

❁ وقال غيره: [من الخفيف]

إِنْ تَكُـنْ جَنَّـةُ الخُلـودِ بِـأَرْضٍ فَدِمَشْـقٌ ولا يكـونُ سِـواها
أَوْ تَكُـنْ في السَّـماءِ فهـي عَلَيْهـا قـد أَمَـدَّتْ هَواءَهـا وَهَواهـا
بَلَـدٌ طيِّـبٌ وربٌّ غَفـورٌ فاغْتَنِمْهـا عَشِـيَّةً أَوْ ضُحاهـا[1]

❁ وقال غيره: [من الطويل]

أَلا إنَّ وادي الشَّـامِ أصبـحَ آيـةً مَحاسِنُهُ ما بَـينَ أَهـلِ النُّهَـى تُتْلَـى
وإِنْ شَرُفَتْ بـالنِّيلِ مصـرُ فلَـمْ تَـزَلْ دِمَشـقُ لهـا بالغُوطَـةِ الشَّـرَفُ الأعلـى

❁ وقال غيره[2]: [من الكامل]

لِلّـهِ مـا أحْلـى مَحاسِـنَ جِلّـقٍ وَجِهاتِهـا اللاّتـي تَـروقُ وتَعْـذُبُ
بـيزيد ربوتِهـا الفـراتِ وجَنْكِهـا يـا صـاحِ كَـمْ كُنّـا نخـوضُ ونلعَـبُ

❁ وقال الآخر فيها[3]: [من البسيط]

أَنهارُهـا فِضَّـةٌ والمِسْـكُ تُرْبَتُهـا والخَـزُّ رَوْضَتُهـا والـدُّرُّ حَصْبـاءُ

---

(١) هو من قوله تعالى في سورة سبأ، الآية ١٥: ﴿بلدة طيبة ورب غفور﴾. وقوله في سورة النازعات الآية (٤٦) ﴿إلا عشية أو ضحاها﴾.

(٢) البيتان للبدر بن حبيب، نفح الطيب ٣٨٩/٢. وفي الأصول: فيزيد.

(٣) الأبيات لابن سفر المريني في مدح الأندلس. نفح الطيب ٢٠٩/١، ٢٢٧.

وَلِلهــواءِ بهــا لُطْــفٌ تَــروقُ بــهِ مَـنْ لَـمْ يَـرِقَّ وتَبـدُو مِنْـهُ أَهـواءُ[1]

وكيــفَ لا تُبْهِـجُ الأبصــارَ رُؤْيَتُهــا وكُـلُّ رَوْضٍ بِهــا في الوَشْـيِ صَنْعـاءُ

❁ وقد جمعَ الأميرُ أبو الفضلِ إسماعيلُ بنُ الأميرِ أبي العساكرِ سلطانُ بن علي بنِ مُنْقِذٍ الكِناني[2] في قصيدةٍ لهُ طويلةٍ محاسنَ دمشقَ التي ذكرَها غيرُهُ [من الشعراء]، فأجمَلَها، فأتى بها مُستقصاةً وفصَّلها، فَشرَّفَها بما قال فيها وجَمَّلها، وقد أثبتُّ في هذهِ الرسالةِ ما اختَرْتُهُ منها، وهي[3]: [من الكامل]

١- يــا ذَائِــدًا يُزجــي القـــروم الـــبُزْلا دَعْ عنـكَ بغـداذًا وخَـلِّ المَوْصِـلا[4]

٢- لا تُزْجِهــا لسِــوى دمشــقَ فإنّـــهُ سـيطيلُ حَـزًّا مَـنْ تَعـدَّى المِفْصَـلا

٣- بلـدٌ جَـلا صَـدَأَ الخَواطِـرِ فـانْجَلَتْ[5] كالمُرْهَفـاتِ البِيـضِ وافَـتْ صَيْقَـلا

٤- عَوَّضْتُــهُ عَــنْ مَوْطِــنِي فوجَدْتُـــهُ أحلى وأعـذبَ في الفُـؤادِ وأَجْمَـلا

٥- لَمْ أَلْتَمِــسْ فيــهِ لِجســمي مَــنْزِلاً حتّـى وَجـدْتُ لـهُ بقلـبي مَـنْزِلا

٦- ذُو رَبــوةٍ جــاءَ القُــرانُ بِذِكْرِهــا ومســاجدٍ بَركاتُهــا لَـنْ تُجْهَـلا

---

(١) نفح الطيب: لطفٌ يرقُّ به من لا يرقُّ.

(٢) هو الأمير شرف الدولة إسماعيل بن أبي العساكر سلطان، قال في الخريدة (قسم الشام) ١/٥٦٤: سمعت أنه كان شاباً فاضلاً، وسكن دمشق بعد أخذ شيزر من بني منقذ، توفي سنة ٥٦١ هـ، وانظر معجم الأدباء ٢/٥٨٩.

(٣) هذه المقدمة (وقد جمع الأمير...) والقصيدة في تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢/١٧٨. وعدد أبياتها هناك (١٠٠) بيتٍ.

(٤) ابن عساكر:

يــا زائــراً يزجــي القــروم الــبزلا دع قصــد بغــداد وخــلِّ الموصــلا

وجاء في الحاشية: القروم: جمع قرم، وهو البعير. البُزل: جمع بزول وبازل، وهي الناقة أو الجمل في تاسع سنيه.

(٥) ابن عساكر: الخواطر فانثنت.

٧- ومدارسٍ لم تَأْتِها في مُشْكِلٍ إلا وجَدْتَ فتًى يَحُلُّ المُشكِلا

٨- ما أمَّها مَرْءٌ يُكابِدُ حَيْرَةً وخَصاصَةً إلا اهْتَدى وتَمَوَّلا

٩- [وبها وُقُوفٌ لا يَزالُ مُغِلُّها يَسْتَنْقِذُ الأَسرى ويُغني العُيَّلا]

١٠- وأئمَّةٌ تُلْقي الدُّروسَ وسَادَةٌ تشفي النُّفوسَ ودَاؤُها قَدْ أعْضَلا

١١- ومعاشرٌ تخذوا الصَّنائِعَ مَكْسَبا وأفاضِلٌ حَفِظُوا العُلومَ تَجَمُّلا

١٢- وقُبُورُ قَومٍ مَنْ دَعَا في مَطْلَبٍ مُتَعَسِّرًا أضْحى بِها مُتَسَهِّلا

١٣- مِنْ صالِحينَ وتابِعينَ وزُمرةٍ شُهداءَ شاهَدَتِ النبيَّ المُرْسَلا

١٤- قَدَحُوا بِزَنْدِ هُدًى تَطايَرَ سَقْطُهُ رُشْدًا فأوْعَرَ في البِلادِ وأسْهلا

١٥- وَجَحافِلٌ تُوفِي على عَدَدِ الحَصَى تَذَرُ المُحَرَّمَ بالسُّيوفِ مُحَلَّلا

١٦- وكأنَّ جامِعَها البديعَ بِناؤُهُ مُلْكٌ يَميرُ مِنَ المَساجِدِ جَحْفَلا

١٧- ذو قُبَّةٍ رُفِعَتْ فَضَاهتْ قُلَّةً[1] ومَنابِرٍ بُنِيَتْ فَحاكَتْ مَعْقِلا

١٨- تَبدو الأَهِلَّةُ في أعالِيْها كما يَبدو الهِلالُ تَعالِيًا وَتَهلُّلا

١٩- ويُرِيكَ سَقْفًا بالرَّصاصِ مُدَثَّرًا يَعلو جِدارًا بالرُّخامِ مُزَمَّلا

٢٠- قَدْ أَلَّفَ الأَقْوامُ بَيْنَ شُكولِهِ فَغَدا الرُّخامُ بِذاتِهِ مُتَشَكِّلا

٢١- فكأنَّما مِحْرابُهُ مِنْ سُنْدُسٍ أوْ لُؤْلُؤٍ وَزُمُرُّدٍ قَدْ فُصِّلا

٢٢- تُلِيَ القُرآنُ بِهِ وراعَ بِحُسْنِهِ فَهَدى المُصِيْخَ وحَيَّرَ المُتَأمِّلا

٢٣- وتَرَى صَبيحَةَ كُلِّ يَومٍ زُمْرَةً في السَّبْعِ يَتلونَ الكِتابَ المُنْزَلا

٢٤- ولَهُ مَصابيحٌ لَهُنَّ سَلاسِلٌ تَحْكِي الأَسِنَّةَ والرِّماحَ الذُّبَّلا

---

(١) شبّه قبة المسجد الأموي التي تُسمّى قبة النسر بالقلّة. والقلّة: رأس الجبل. وانظر الحاشية (١) صفحة ٧٦.

٢٥- تَبْدو القِبـابُ بِصَحْنِـهِ لـكَ مِثْـلَ مـا تبـدو العَرائـسُ بـالحُليِّ لِتُجْتَلـى

٢٦- وَعَلَـتْ بـه فَـوَّارةٌ[1] مِـنْ فِضَّـةٍ سـالَتْ فَظَنُّوهـا مَعينًـا سَلْسَـلا

٢٧- يَحـوي إذا مَتَـعَ النهـارُ[2] مَعاشِـرًا شَـتّى الخَلائـقِ والطرائـقِ والحِـلا

٢٨- فـإذا دَجَـا لَمْ يَحْـوِ إلاّ خاضِعًـا مُتَوكِّـلاً أو خاشِـعًا مُتَبَتِّـلا

٢٩- أوْ خالِيًـا مُتَفَكِّـرًا أوْ قارِئًـا مُتَبصِّـرًا أوْ داعِيًـا مُتَوَسِّـلا

٣٠- كُـلُّ امْـرِئٍ منهـم تَـراهُ بِمَعْـزِلٍ وَمَحَلُّـهُ يَعْلـو السِّـماكَ الأَعْـزَلا

٣١- وإذا مـرَرْتَ علـى المَنـازِلِ مُعْرِضًـا عنْهـا قضَـى لـكَ حُسْـنُها أَنْ تُقْبِـلا

٣٢- إنْ كُنْـتَ لا تَسـطيعُ أن تَتمثَّـلَ الـفِـرْدَوْسَ تَنظُرهـا[3] تَصِـرْ مُتَمثِّـلا

٣٣- وإذا عنـانُ اللَّحْـظِ أَطْلَقَـهُ الفَتـى لم يَلْـقَ إلاّ جَنَّـةً أوْ جَـدْوَلا

٣٤- أو رَوْضَـةً أو غَيضَـةً أو قُبَّـةً أو بِرْكَـةً أو ربـوةً أو هَيْكَـلا

٣٥- أَو وادِيًـا أو نادِيًـا أو مَلعَبًـا أو مَذْهَبًـا أو مِجـدلاً[4] أو مَوئِـلا

٣٦- أو شـارِعًا يَزهـو بِرَبْـعٍ قـد غَـدا فيـهِ الرُّخـامُ مُجَزَّعًـا وَمُفَصَّـلا

٣٧- وفواكِـهٌ مُتَخـالِفٌ أصْنافُهـا مِمَّـا يشـوقُك مَطْعَمًـا وتَـأَمُّلا

٣٨- وإذا البلابـلُ أَسْـمَعَتْ تَرْجيعَهـا السْـسَالي تَراجَـعَ وَجْـدُهُ فَتَبَلْبَـلا

٣٩- وكـأنَّ واديهـا قـرابٌ أخضـرٌ يَسْتَلُّ مِـنْ بـردى حُسَـامًا مُنْصَـلا

---

(١) هي فوارة باب جيرون الباب الشرقي لجامع بني أمية ينزل عليه بدرج كثيرة، في حوض من رخام، وقبة خشب يعلو ماؤها نحو الرمح. معجم البلدان (جيرون).

(٢) الأصل: إذا منع النهار، والمثبت من تاريخ ابن عساكر.

(٣) المثبت من تاريخ ابن عساكر: فانظرها.

(٤) المجدل: كمنبر: القصر.

٤٠- والمَــرْجُ والمَيْــدانُ مَــأْهولانِ مِــنْ   أُسْدِ الشَّرى التَفُّوا بِغِزلانِ الفَلا

٤١- مُتَمــاثِلانِ وَكُــلُّ مِثْــلٍ مِنْهُمــا   تلفيهِ[1] مِنْ باقي البَسيطَةِ أَمْثَلا

٤٢- وكأنَّـهُ مِــنْ قَـومِ كِسْـرى إذْ غَـدَا   بلباسِهِمْ مُتَأَزِّرًا مُتَسَرْبلا

٤٣- وَعَــلا عليهــا قاسـيونُ كأنَّــهُ   بسَناهُ تَاجٌ[2] بالجَواهِرِ كُلِّلا

٤٤- قـدْ بَـرَّزُوا في المَـأْثُراتِ وأحْـرَزُوا   قَصَبَ المَفاخِرِ وارْتَقَوا دَرَجَ العُلى

٤٥- ومَحَـا الإخـاءُ حقودَهُـمْ فكأنَّمـا[3]   طَلَلٌ عَفَا بينَ الدَّخُولِ وَحَوْمَلا

٤٦- كَلِفُـوا بتَجْديـدِ المَـوَدَّةِ والنَّـدى   لَمَّا رَأَوْا أَنَّ الجديدَ إلى بِلَى

٤٧- فـتراكَضُوا خَيْـلَ السَّـماحِ بدَعْـوَةٍ   أضْحى دُخانُ العُودِ فيها القَسْطَلا[4]

٤٨- مِـنْ كُـلِّ فَـادٍ عِرْضَـهُ بِنُضـارِهِ   يَذَرُ المُؤَمِّلَ راحَتَيْهِ مُؤَمَّلا[5]

٤٩- يُبـدِيْ نَـدًى يُغْـني وحِلْمًـا راجحًـا   وسَجِيَّةً تُرضى وقَوْلاً فَيْصَلا

٥٠- نِعْـمَ الجَليـسُ فَـإنْ غَـدَا في خَلْـوَةٍ   فَكَأَنَّهُ فِيْها يُجالِسُ مَحْفَلا

٥١- مَقَـتَ الرَّوافِـضَ والخَـوارجَ وانْثَنـى   يَحبُو القَرابَةَ والصحابَةَ بالوَلا

٥٢- مُتَمَسِّـكًا بالسُّـنةِ البيضـاءِ قَـدْ   أَضْحَى لها مُتَقَيِّلاً مُتَقَبِّلا

٥٣- تَـا اللهِ لَسْـتُ بـآمِنٍ في وَصْفِهـا   خَطَلاً ولو أنِّي فَضَلْتُ الأخْطَلا

٥٤- فابْسُطْ بِفَضْلِـكَ عُـذرَ خِلِّـكَ إنْ بَـدا   زَلَلٌ فإنَّكَ لم تَزَلْ مُتَفَضِّلا

٥٥- وغَريـبُ وَصْفـي قـدْ أتـاكَ مُفَصَّـلا   وسِواهُ لا يأْتيكَ إلاَّ مُجْمَلا

---

(١) ابن عساكر: تلقاه من...

(٢) ابن عساكر: ببناه تاج.

(٣) ابن عساكر: حقودهم فكأنها.

(٤) القسطل: غبار الحرب.

(٥) ابن عساكر: راحتيه مولا.

❁ ولِجنابِ مَالكِ أعنَّةِ الفضْلِ الباذخِ، وصاعدِ ذِرْوَةِ المَجْدِ الشَّامخِ، العلاَّمةِ الذي جعلَ الأدبَ لِكتابِ فَضْلِهِ عُنوانًا، فامتَلأتِ المهارقُ مِنْ بَدائعِ فوائدهِ بيانًا وإتقانًا، ديباجةُ الحقائقِ، ومفتاحُ العلومِ الذي فتحَ اللهُ بهِ كنوزَ الدقائقِ، حتّى أضْحتْ كلمةُ النُّورِ تَبْسُمُ في الأكمامِ، والنُّورُ تُمحى بهِ سطورُ الظلامِ، فَخَلَبَ الألبابَ بنظمِهِ ونثرِهِ، ومَلَكَ القُلوبَ بنَهْيِهِ وأمْرِهِ: [من الكامل]

بمَنــاقِبٍ تُلِيَــتْ لَنــا آياتُهــا ... عنهـا يكـادُ يبيـنُ نُطْـقُ الأخـرسِ
ورِيـاضِ طَبْـعٍ بالفضـائلِ أثْمـرَتْ ... وغَـدتْ تُحدِّثُنا بِطيـبِ المَغْـرِسِ[1]

الهُمامُ الذي سماءُ مَعاليهِ مُزيَّنةٌ بزواهرِ النجومِ، وصدرُ الزمانِ مُحَلًّى مِنهُ بأبْهَى عِقْدٍ من الكمالِ منظومٍ، البدرُ المُشرقُ في أُفقِ الهُدى، والنورُ السّاطعُ في فَلَكِ الاهتدا، الحاوي قَصَبَ السَبْقِ في مَيْدانِ الإفادةِ، مولانا **الأستاذُ أحمدُ بنُ علي المَنيني**[2] بَلَّغَهُ اللهُ منَ الخيرِ ما أرادَهُ، قوله: [من الكامل]

١- كَـمْ ليلـةٍ بـالنَّيْرَبَيْنِ قطَعْتُهـا ... مِـنْ بَعدِهـا لِـي رَنَّـةٌ وشـهيقُ
٢- وبِدَيْـرِ مُـرَّانَ ونهـرِ يزيـدَ كَـمْ ... زادَ السُّـرورُ وقـد صفَـا الـراووقُ
٣- والربـوةُ الغَنّـاءُ كـم فِيهـا مَضـى ... عَيْـشٌ بـهِ وَجْـهُ الزَّمـانِ طَليـقُ
٤- آهٍ علـى زَمـنٍ مَضـى في ظِلِّهـا ... عَجِـلاً ووجْـهُ شَـبيبَتي مَوْمـوقُ
٥- حيـثُ الزمـانُ مُسـاعِدٌ وضمـيرُهُ ... كمِياهِهـا أبـدًا تَـراهُ يَـروقُ

---

(١) البيتان لشهاب الدين الخفاجي، صاحب كتاب ريحانة الألبا. انظر كتابه هذا صفحة ٢٩.

(٢) أحمد بن علي بن عمر، شهاب الدين المنيني - نسبة إلى عين منين من قرى دمشق - (١٠٨٩ - ١١٧٢ هـ)، أديب، من علماء دمشق، نشأ وتوفي بها، وله شعر جيد، وله جملة كتب، منها «الفتح الوهبي في شرح تاريخ العتبي» و«الإعلام بفضائل الشام». سلك الدرر ١٥٣/١.

٦- والسَّـبعةُ الأنهـــارُ تَخـرِقُ دَوحَهَـــا　　فَيُشَـقُّ بُـــرْدُ ظِلالِهـــا المرتُـــوقُ

٧- يَجري بِهـا الماءُ النَّميرُ علـى حَصًـى　　هـيَ لُؤْلُـؤٌ قـدْ نُضِّـدَتْ وعَقيـقُ

٨- قـدْ ضمَّـني مُـذْ كنتُ طِفـلاً حِجْرُها　　أيكـونُ منّـي بَعـدَ ذاكَ عُقـوقُ

٩- لا وَالـذي عَلَقًـا بَرانـي لم يَكُـنْ　　في غيرِهـا لِلقلـبِ قَـطُّ علـوقُ

١٠- يـا ليـتَ شِـعْري هـلْ تُبَلُّ بوقْفَـةٍ　　مِنّـي علـى وادي مَنِيـنَ عُـروقُ

١١- وأعَـلُّ مِنْهـا بـالزُّلالِ يَسِـيحُ في　　رَضْـرَاضٍ[٣] دُرٌّ زانَـهُ التّنميـقُ

١٢- وأرى بِعَيـني رأسَ عـينٍ ماؤُهـا　　يَشـفي العَليـلَ ومـا بِـهِ تَرنيـقُ

١٣- عـينٌ غَـدَتْ عـينُ الحيـاةِ تَمُدُّهـا　　عَنْهـا تَضَـاءَلَ للسُّـلافِ رَحيـقُ

١٤- هـيَ مَعهـدُ اللّـذّاتِ مـع بيـضِ الدُّمـى　　كـمْ كـانَ لي عهـدٌ بِهِـنَّ وَثيـقُ

١٥- فسقَى مَعاهِدَ قدْ مَضـى شَـرْخُ الصِّبا　　فيهـا لِهَطّـالِ العِهـادِ دُفـوقُ

١٦- مـا لِـي طريـقٌ لِلبَقـا إنْ لَمْ يَكُـنْ　　لِرياضِهـا لي زَوْرَةٌ وطُـروقُ

١٧- يـا جَنَّـةً فارَقْتُهـا مُـذْ ذَا دَنـا　　عَنهـا زمـانٌ دَأْبُـهُ التّفريـقُ

❀　❀　❀

ولِجَنابِ مَنْ طَلَعَ بدرُ سَعْدِهِ مِنْ أُفقِ الكمالِ، وكَرَعَ مِنْ مَنْهَلِ الفَضْلِ ما هـو أعـذَبُ مِنْ سائغِ الزُّلالِ، حتى اتخذَ الأثـيرَ مَقامًا، وغـدا لأربـابِ المَجـدِ والبلاغـةِ إمامًـا، وهَطلتْ سحائبُ بَلاغَتِهِ على حَدائقِ الآدابِ، وتَفَجَّرتْ يَنابيعُ بَراعتِهِ على رياضِ الفَصاحةِ سائغةَ الشرابِ، وغرَّدَتْ على أفنانِ الكَمالِ حَمائمُهُ، وهَبَّتْ على أدْواحِ الأدبِ الناضرِ نَسائمُهُ: [الخفيف]

بَحرُ فَضْـلٍ لـو قِيسَ بـالبَحْرِ كـانَ الـ　　ـبَحـرُ في جَنْبِـهِ كَلَمْـعِ السَّـرابِ

---

(٣) الرضراض: انظر الصفحة (٧٧) الحاشية (٣).

وإذا قِيلَ خُلْقُهُ الرَّوضُ أضحَى الـرْ ... ـرَوضُ طَلْقًا بذلـكَ الانْتِسابِ[1]

وَضَّاحُ الجَبينِ والمُحَيَّا، إذا نَفَثَ السِّحْرَ أدارَ على أفواهِ الأسْماعِ كؤوسَ الحُميَّا، بحرٌ يُنبتُ اللؤْلُؤَ والمَرْجانَ، بمعانٍ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إنْسٌ قَبلَهُ ولا جانٌ، مولانا البارع **محمد سعيد بن السمّان**[2]، فَمِنْ عَذْبِ مَوْرِدِهِ الذي راقَ وصَفا، ما مَدَحَ بهِ دِمشقَ الشامَ دارَ الصَّفا، بقوله: [من الكامل]

١- شَوقٌ تَقَطَّعُ دونَهُ الأعْلاقُ ... وهَوًى يُؤَجِّجُهُ نَوًى وفِراقُ

٢- وَهُطولُ دمعٍ كُلَّما ذُكِرَ الحِمَى ... أسَفًا علَى تِلكَ الطُّلولِ يُراقُ

٣- كَمْ ليلةٍ كابَدْتُ في ظَلمائِها ... حُرَقًا تَضاءلَ عندَها الإحْراقُ

٤- أَطْوي علَى بُرَحِ الأَسَايا بَرْدَها ... بزَفيرِ قَلبٍ مِلْؤُهُ أشْواقُ

٥- مُتَعَلِّلاً وَإنِ اسْتَطالَ ظَلامُها ... أنْ سوفَ يَعقُبُ ما حوَتْ إشْراقُ

٦- حَدِّثْ ولا تَبْخَلْ أيَا بَرْقَ الحِمَى ... لا زالَ يَبْسُمُ ثَغرُكَ البَرَّاقُ

٧- هَلْ جُزْتَ مُعتَنِيًا بِوادي جِلَّقٍ ... حَيَّا رُباها الوابِلُ المِغْدَاقُ

٨- وأتَيْتَ نَيْرَبَها الخَضيلَ مُهَيْنِمًا ... وَسَلكْتَ مِنْ قاسونَ ما يُشْتاقُ

٩- وعلَوْتَ سَفْحَ الصَّالِحيةِ رَيْثَما ... شامَتْ لُمُوعَ وَمِيضِكَ الآماقُ

١٠- وَنَهجْتَ رَبوتَها بحيثُ تَأَرَّجَتْ ... مِنْكَ الرُّبا واسْتَأْنَسَ المُشْتاقُ

---

(١) البيتان لمحمد بن قاسم الحلبي، ريحانة الألبا ٤٥.

(٢) محمد سعيد، أو سعيد بن محمد بن أحمد السمان الدمشقي (١١١٨ - ١١٧٢ هـ)، كاتب مترسل، له شعر وعناية في التاريخ، له «الروض النافح فيما ورد على الفتح من المدائح» مجموع شعري، ونظم «المغني» في النحو، وباشر تأليف كتاب في تراجم شعراء عصره، فقام برحلة من أجله، فتوفي قبل إتمامه، وبقي مسودّات، فأثبته المرادي متفرقاً في كتابه سلك الدرر، له ديوان شعر سماه «منائح الفكر». سلك الدرر ٢/١٦١.

١١- وخَطَرْتَ تِيْهًا بالحَواكيرِ الّتي	بعَبيرِها تَسْتَرْوِحُ العُشّاقُ
١٢- ونظَرْتَ مَرْجَتَها وفي أَدْواحِها	رَقَّ النّسيمُ الطّيِّبُ الخَفّاقُ
١٣- ومَرَرْتَ بِالشَّرَفِ الرَّحيبِ المُنتَدى	وتَطاوَلَتْ لِوَميضِكَ الأعْناقُ
١٤- ورَسَفْتَ بالخَلْخالِ حَيْثُ مَقاسِمُ الـ	ـأنهارِ يَجري ماؤُها الرَّقْراقُ
١٥- وعبَرتَ بالقَصْرين جادَهُما النّدى	وسَقاهُما عَهْدُ الحَيا الدَّفاقُ
١٦- ووقفْتَ بالمَيْطورِ وقْفَةَ مُشْفِقٍ	قَلِقٍ ودمعُ شُؤونِهِ مُهْراقُ
١٧- ورأيْتَ مَسْرحَ غُوطَتَيْها يانِعًا	ومِنَ العُيونِ تَحُفُّهُ الأَحْداقُ
١٨- واجْتَزْتَ بالوادي الخَصيبِ وقَدْ غَدا	فيهِ لكَ الإرْعادُ والإبراقُ
١٩- ولَثِمْتَ جَبْهَتَها وفي أطْرافِها	لكَ لَذٌّ مِنْ تِلكَ الشَّذى استِنْشاقُ
٢٠- وحَظِيْتَ بالسَّهْمَينِ مِنْ رَبواتِها	وعليكَ مُدَّ مِنَ الحُبورِ رُواقُ
٢١- ونزلْتَ بالسَّطْرا وحُزْتَ مِنَ الهَنا	ما قَرَّ فيهِ فُؤادُكَ المِقْلاقُ
٢٢- وأخذْتَ حظًّا مِن نَصيبِ زُهورِها الـ	ـلاتي لأدواحِ النّدامِ رِفاقُ
٢٣- وسَبَرْتَ جامِعَها الذي أرجاؤُهُ	فيها لأربابِ الهُدَى إطْراقُ
٢٤- وسَمَوْتَ قُبَّةَ نَسْرِهِ مُتَأمِّلاً[1]	ما أتْقَنَ الصُّنّاعُ والحُذّاقُ
٢٥- وشَقَقْتَ مِن أنْهارِها أرْدانَها	وتَركْتَها تَنسابُ وهِيَ دِهاقُ
٢٦- وسَمِعْتَ بُلْبُلَها علَى أعْوادِهِ	يَشْدو وَيَنْشُرُ ما طَوَى إسحاقُ[2]

(١) قبة النسر: في المسجد الأموي، من الرصاص، سامية في الهواء، عظيمة الاستدارة، قد استقل بها هيكل عظيم هو غارب لها، يتصل من المحراب إلى الصحن، فإذا استقبلتها أبصرت منظراً هائلاً، يشبهه الناس بنسر طائر، كأن القبة رأسه، والغارب جؤجؤه، ونصف جدار البلاط عن يمين ونصف عن شمال جناحاه، ومن أية جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء، منيفة على كل علو، كأنها معلقة في الجو. رحلة ابن جبير ٢١٣.

(٢) إسحاق الموصلي: من أشهر مغني العصر العباسي. انظر الحاشية (٤) صفحة ٢٠٩.

٢٧- وشَممْتَ أنفاسَ الأَصائلِ في الرُّبا ... مِنْ دَيْرِ مُرَّان إليكَ تُساقُ

٢٨- ورَكضْتَ ما بينَ الغُصونِ وجُلْتَ في ... لَوَّانِها[1] وَصَفَتْ لكَ الآفاقُ

٢٩- ومشيتَ في الرَّوضِ الأريضِ وقدْ حَلا ... فيهِ لكَ الإسْآدُ والإعناقُ[2]

٣٠- فَهيَ التي وأبيكَ عنْ أَوصافِها ... ضاقَ النِّطاقُ وكيفَ ذاكَ يُطاقُ

٣١- بلدٌ إذا يَمَّمْتَها أَلْفَيْتَها ... ثوبَ الجَمالِ أَباحَها الخَلاَّقُ

٣٢- نهرٌ علَى الرَّضْراضِ سالَ لُجَيْنُهُ[3] ... فَلِوَرْدِهِ تَتَشَوَّقُ الأرْماقُ

٣٣- وجداولٌ بِخَريرِها يُجلَى الصَّدَى ... وحَمائمٌ قَدْ زانَها الأَطْواقُ

٣٤- تُبدي أَنِينَ مُتَيَّمٍ في سَجْعِها ... فتَحُفُّها الأغصانُ وهي رِشاقُ

٣٥- لي حَنَّةٌ لِرَنينها حيثُ اشْتكَتْ ... أَلَمَ النَّوى واهْتاجَها التَّشْواقُ

٣٦- والزَّهْرُ كالزَّهْرِ اتِّساقًا في الرُّبا ... قدْ شَقَّقتْ عَنْ نَشْرِهِ الأزياقُ[4]

٣٧- وعَليهِ جَرَّ ذُيولَهُ ريحُ الصَّبا ... ولَهُ علَى صَفَحاتِهِ إطلاقُ

٣٨- سَقيًا لِعَهْدٍ في مَحانيْها انْقَضى ... وقَضَتْ أَمانيها بهِ الأَرْفاقُ

٣٩- أَيَّانَ لا وَاشٍ هُناكَ مُرَوِّعٌ ... وجَديدُ وَجْدي ما لَهُ إخْلاقٌ

٤٠- أرْعَى السُّهَا لا رَعْيَ مِنْ كحلَ السُّها ... دُ جُفونَهُ وأراعَهُ الإشْفاقُ

٤١- وأُنادِمُ الوَرْقاءَ حيثُ يَضُمُّنا ... ظِلُّ الرُّبَا وتُظِلُّنا الأَوراقُ

---

(١) اللّوان: انظر الحاشية (٣) صفحة (١٤٤).

(٢) الإسآد والإعناق: ضربان من السير.

(٣) الزِّيق من القميص ما أحاط منه بالعنق، والزيق في النسائج عند العامة: الخط الدقيق المنسوج فيها مخالفاً لوانَها. محيط المحيط.

(٤) الرَّضْراض: الحصى، أو صغارها. القاموس.

٤٢- وأَبِيتُ والظَّبْيُ الغَريرُ مُغازِلي ... بِلواحظٍ هي للقلوبِ وِثاقُ

٤٣- وأَصونُ سَمْعي عَنْ سِوى ألفاظِهِ ... حيثُ الوِصالُ تَعَتُّبٌ وعِناقُ

٤٤- وأُجيلُ طَرْفي في أَسِرَّةِ وَجْهِهِ ... فَيُلِمُّ بي مِنْ حُسْنِهِ اسْتغراقُ

٤٥- وأُجيدُ في الجِيدِ الذي بَهَرَ النُّهَى ... لَثْمًا بِهِ تتأكّدُ الأَعْلاقُ

٤٦- لا أرعَوي إلاّ لِقالَةِ مُذْنِفٍ ... مِثْلي يَرَى أنَّ السُّلُوَّ نِفاقُ

٤٧- وَبِيَ السَّراةُ الغُرُّ مَنْ نادَمْتُهُمْ ... فِيها وطابَتْ منهُمُ الأَخْلاقُ

٤٨- فإذا ذَكَرْتُ لَهُم أحاديثَ الهَوى ... طَرِبوا إلى تكْرارِها واشْتاقُوا

٤٩- يَتعلَّلونَ بِذِكْرِ مَنْ قَتَلَ الجَوى ... ولِمِثْلِ ذاكَ حديثُهُمْ يُنْساقُ

٥٠- أمّا شَمائِلُهُم فما نَفَسَ الصَّبا ... سَحَرًا وطِيبُ كَلامِهِم دِرْياقُ

٥١- مَلَؤوا مِنَ الأدَبِ الغَضيضِ جَوانِحًا ... ومِنَ الكَمالِ تَناهَلوا وتَساقوا

٥٢- أَبَدًا لهم منّي حَنِينُ طَريدَةٍ ... ولِمُهْجَتي بِهَواهُمُ إغْراقُ

٥٣- لَهْفي وهَلْ يُجْدي التَّلَهُّفُ مَنْ قَضى ... نَحْبًا ولازَمَهُ نَوًى ومُحَاقُ

٥٤- يا لَيْتَ شِعْري والشُّعورُ مُزايلي ... هَلْ مِنْ حُظوظِي تُفْتَحُ الأَغْلاقُ

٥٥- دَهَمَتْنِيَ النُّوَبُ التي لو صافَحَتْ ... بَدْرَ التَّمامِ لَفاتَهُ الإشْراقُ

- ورَمَتْنِيَ الأَوْصابُ حتى شَفَّني ... مِنْها ضَنًى لَمْ يَحْلُ مِنْهُ مَذَاقُ

- تَبًّا لِما أَبْدَيْتَ يا زَمَنَ العَنا ... هل فِيكَ يُرْجَى للكَمالِ نَفاقُ

- ويَعُودُ في فَيْحاءِ جِلَّقَ شَمْلُنا ... مُتَنَظِّمًا وتُساعِدُ الأَرْزاقُ

- وتَمُنُّ مِنْ بَعْدِ التَّنائي بالّلقا ... ويَلَذُّ مِنْ كَنْزِ المُنَى الإنْفاقُ



❁ ولجَنابِ مَنْ غرسَ أغصانَ اليَراعةِ في رياضِ الآداب، وأفاضَ عليها بحـرَ البلاغـةِ فأثمَرَتْ ما تُسْكِرُ بـه الألبـاب، الباسق في حدائـقِ الكمـالِ غُصْنًـا يـترَنّحُ بهبـوبِ نَسـائمِ الفضائلِ، السابق في مَيْدانِ الفَصاحةِ شَهْمًا تخفضُ لهُ رؤوسُ الأفاضلِ: [من الرَّمَل]

عـالِمٌ عَـذْبُ السَّجايا ناسِـكٌ ⁂ كُلَّمـا ازدادَ تُقًـى زادَ خُشـوَعا
طـاهِرُ الشِّـيمَةِ عَـفُّ الذَّيْـلِ لا ⁂ يَزْدَهِيـهِ جـانِبُ الدُّنيـا مَريعـا[1]

عَذْبُ المَوارِدِ والمُحاضَرة، صعْبُ المَرامِ في المُساجَلةِ والمُناظَرة، أَوْلَى مَنْ تَتطرَّزُ الطُروسُ بِطَرْفِهِ، وتُقْرَأُ سُورةُ اللُّطفِ مِنْ صُحُفِهِ، الأديبُ الذي فاقَ الأَوائلَ رِفْعةً وسُمْعَة، صديقي وشقيقُ رُوحي **محمّدُ بنُ عثمانَ، المعروفُ بابْنِ الشَّمْعَةِ**[2]، قولُهُ: [من البسيط]

١- حَيَّـا الحَيـا جِلِّقًـا دَارًا بهـا وَطَـري ⁂ وجـادَ أَرْبُعَهـا سَـحٌّ مِـنَ المَطَـرِ
٢- دارًا بهـا جَمْـعُ لَذّاتِـي ومُرْتَبَعِـي ⁂ زمـان أُنْسي غَـدَا صفـوًا مِـنَ الغِـيَرِ
٣- أيـامَ أرتَـعُ في زَهْـوِ الشَّـبابِ وقَـدْ ⁂ صَفا لِيَ الوقْتُ مِنْ هَمٍّ ومِنْ كَـدَرِ
٤- في ظِـلِّ رَوضٍ يُبـاهِي حُسْـنُهُ إرَمًـا ⁂ هامـاتُ أَدْواحِـهِ كُلِّلْـنَ بـالزَّهَرِ
٥- والرِّيـحُ تَجْـري رُخـاءً فَـوقَ جَدْوَلـهِ ⁂ تَحْكي دِلاصَ[3] لُيوثٍ مِنْ بَني مُضَرِ
٦- كَـمْ بِـتُّ فيـهِ قَريـرَ العـينِ مُرْتَشِـفًا ⁂ ثُغـورَ غِيْـدٍ تُضـاهي بَهْجَـةَ القَمَـرِ
٧- بِيْضِ الطُّلى مائسـاتِ القَـدِّ مِـنْ هَيَـفٍ ⁂ سُودِ الحواجـبِ والأَلْحـاظِ والطُّـرَرِ

---

(١) البيتان لأبي المعالي الطالوي، درويش بن محمد بن أحمد، من قصيدة مطلعها :

شـام بـرق الشـام بـالروم جزوعـا ⁂ فانـبرت أجفانـه تـذري الدموعـا

(٢) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي، وانظر استئناساً ترجمة أبيه في سلك الدرر ١٧٧/٣، المتوفى سنة ١١٢٦ هـ.

(٣) الدلاص: الدروع الملساء. انظر اللسان.

٨- مِـنْ كُـلِّ هَيفـاء مـا أَرْخَـتْ ذَوائِبَهـا إلاّ وضَلَّـتْ بهـا الرُّكْبـانُ في السَّـفرِ

٩- تَعْطـو بجيـدٍ كَجيـدِ الرِّيـمِ مُلْتفِتـا ويَخجَلُ الرّاحُ مِنْ جريالهـا الخَصِرِ

١٠- تَخطـو بِقَـدٍّ كغُصْـنِ البَـانِ مَيْلَتُـهُ لكنّما القَلبُ مِنْها قُـدَّ مِـنْ حَجَـرِ

١١- والنَّرْجِسُ الغَضُّ غَضَّ الطَّرفَ مِنْ خَجَلٍ والبـانُ مـالَ علـى أَغصانِـهِ الخُضـرِ

١٢- والسُّـنْبُلُ الأَهْيَـفُ الزّاهـي بِزُرْقَتِـهِ كَوَشْيِ خُـودٍ على كَـفٍّ كَما الـدُّرَرِ

١٣- وحَبَّـذا الـوَرْدُ لّمـا قـامَ مُزدَهيًـا علـى النُّهـودِ يُبـاهِي نَشْـرَهُ العَطِـرِ

١٤- وحَبَّـذا الّلعْلَـعُ المَيْسِـي بِرَوْنَقِـهِ وتاجـهِ المُزْدَري تِيجـانَ ذِي السُّـرَرِ

١٥- والسَّوسَـنُ الغَـضُّ كـم أَبْـدى مَلاحَتَـهُ والأُقْحـوانُ كَثَغـرِ الرِّيـمِ ذِي الخَفَـرِ

١٦- والياسَـمِينُ عَـلا فَـوقَ البَنفْسَـجِ والـرْ رَيحـانُ يَزهُـو بِتـاجِ أَسْـوَدٍ عَطِـرِ

١٧- والعندلِيـبُ يُغَنّـي والبلابـلُ في أَلْحانِهـا تَـزدَري بالنّـايِ والوَتَـرِ

١٨- فيـا بِرُوحـي دِمشـق الشام مِـنْ بَلَـدٍ عن وَصْفِها صَاحِ كَلَّتْ أَلْسُنُ البَشَرِ

١٩- أَحْبِبْ بهـا جَنَّـةَ الدّنيـا الـتي جَمَعَـتْ مِـنْ كُـلِّ مُنْـتَزَهٍ مُسْـتَكْمِلِ الصّـوَرِ

٢٠- فَدَيْـرُ مُـرّانَ يَعلـو فَـوقَ رَبْوَتِهـا دار السُّعودِ الـتي حـارَتْ بِها فِكَـري

٢١- والنَّيرَبُ السّـاميُ الزّاهـي الـذيْ انْبَسَـطتْ بِـهِ الجَـداولُ في الآصـالِ والبُكَـرِ

٢٢- مِنْ كُـلِّ جَـدْولِ كالخَلْخـالِ مِـنْ وَرِقٍ أَضْحَـى يَـدُورُ بِسُوقِ البانِ والشَّـجَرِ

٢٣- وحبَّـذا المَرْجَـةُ الفَيْحـا وجَبْهَتُهـا مـن شامها يَغتَـدي مُسْـتوقِف النَّظَـرِ

٢٤- والصَّالِحِيـةُ جَنّـاتٌ مُزَخرَفَـةٌ مِنْ كُـلِّ قَصْـرٍ ورَوْضٍ مُدْهِشِ البَصَرِ

٢٥- يَحْـوي زُهـورًا وأنهـارًا مُدَفَّقَـةً جَـرَّتْ عَلَيهـا ذُيُـولاً نَسْـمَةُ السَّـحَرِ

٢٦- فهـذِهِ جَنَّـةُ الدّنيـا وزينَتُهـا فـلا شَـبيهَ لَهـا في البَـدْوِ والحَضَـرِ



❁ ولِجَنابِ غُرّةِ دُهْمِ الليالي، رَضيعِ دُرِّ المَجْدِ والمَعالي، مَنْ نَشأ في حِجْرِ السيادةِ، وبَسَقَ في حدائقِ العِزّ والسّعادةِ: [من البسيط]

حتّى امْتَطى صَهَواتِ المَجْدِ سامِيةً ... تَختالُ في حُلَلِ الأَوْضاحِ والغُرَرِ
يلقاكَ طَلْقَ المُحَيّا وَهُوَ مُبْتسِمٌ ... بِمَنْطِقٍ وِرْدُهُ أَحْلى مِنَ الصَّدرِ
أقلامُهُ السُّمْرُ في بِيْضِ الطُّروسِ إذا ... مَشَتْ أَرَتْكَ فَعالَ البِيْضِ والسُّمُرِ[1]

بَدْرٌ أشرقَ في فَلَكِ المَكارِمِ، بَلْ رَوضَةُ فَخارٍ جادَ رُبَاها هاطِلاتُ الغَمائمِ، بَلْ دَوحَةٌ في هِضابِ المَعالي غَرْسُها، وإذا ذُكِرَتِ البَلاغَةُ في سُوقِ الفضائلِ فهو قُسُّها، إلى بَراعَةٍ تسجُدُ لها أقلامُ البيانِ في مَحاريبِ الطُّروسِ، وتترنَّحُ لها أغصانُ الفَصاحةِ في حدائقِ النُّفوسِ، شَمامةُ العَربِ التي ضاعَ نَشْرُها، ورَيْحانَةُ الأدبِ التي فاحَ عِطْرُها، إنسانُ عَيْنِ الزمانِ، مولانا الأوحَدُ **أحمدُ بنُ الحُسَينِ بنِ كِيوانَ**[2]، قولُهُ[3]: [من الكامل]

١- ولِجِلَّقَ الفَيْحاءِ مِنْ بَلَدٍ ... مِسْكيّةِ الأَرْواحِ والنَّشْرِ
٢- هِيَ وَجْنَةُ الدُّنيا ورَوْنَقُها ... وجَبينُها الزّاهي بِلا نُكْرِ
٣- هِيَ جَنَّةٌ في الأَرضِ واحِدَةٌ ... أنْهارُها مِنْ تحتِها تَجْري
٤- قَدْ صَحَّ مُعتَلُّ النسيمِ بِها ... فأَمالَ ناشِقَهُ مِنَ السُّكْرِ[4]

---

(١) الأبيات لدرويش بن محمد الطالوي، أبو المعالي. ريحانة الألبا ٧١، قالها محاوراً لشيخ الإسلام عماد الدين الحنفي الشامي، وفي الريحانة: سيمت أرتك فعال.

(٢) أحمد بن حسين باشا بن مصطفى بن كيوان الكيواني - نسبة إلى كيوان بن عبد الله، أحد كبراء أجناد الشام، كان في الأصل مملوكاً، ومعنى كيوان: زحل -، شاعر من أهل دمشق، مولده ووفاته فيها، أقام سنين في مصر يقرأ على علمائها، كما قرأ على علماء دمشق، وكان فيه سوداوية، تنفره من معاشرة الناس، توفي سنة ١١٧٣ هـ. سلك الدرر ١/١١٣.

(٣) الديوان، صفحة ٤٥.

(٤) الديوان: فأعلّ ناشقه.

٥- وصَفَـتْ ضَمـائِرُ مائِهـا فَبَـدا ... مـا قَـدْ طَـواهُ ونمّ بالسِّـرِّ

٦- يَنْسـابُ في أَرضٍ قَـدْ افتَرشَـتْ ... بـالزَّعْفَرانِ وعَنْـبَرِ الشَّـحْرِ[1]

٧- فكأنّمـا ذابَ اللُّجَيْـنُ بِهـا ... فجَـرَى علـى أرضٍ مِـنَ التِّـبْرِ

٨- لا زالَ خَفّـاقُ النّسـيمِ بهـا[2] ... يُحيـي مَـواتَ الهَـمِّ إِذْ يَسْـري

وقوله[3]: [من الطويل]

١- فُـؤادٌ إلى تِلْـكَ الرِّحـابِ جَمُـوحُ ... وطَـرْفٌ إلى ذاكَ الجَنـابِ طَمُـوحُ

٢- دمشـقُ فـلا زالَـتْ تُحَيّـا رُبوعهـا ... ويَهْمـي على تِلْكَ السُّفوحِ سَفُوحُ

٣- فكَـمْ مَرتَـعٍ للغِيْـدِ فيهـا ومَـنْزَهٍ ... ورَبْـعٍ خَصيـبٍ للوُفـودِ فَسـيحُ

٤- مَنـازِلُ شِـيْدَتْ للمَكـارِمِ والنّـدى ... فتَغْـدو السَّـواري دُونَهـا وتَـروحُ

٥- على كُـلِّ غُصـنٍ ساجعٌ مِـنْ حَمامِهـا ... لإحيـاءِ أمـواتِ الهمـومِ مَسـيحُ

٦- وفي كُـلِّ وَجْـهٍ رَونَـقٌ مِـنْ مِلاحِهـا ... يُريـكَ جميـلَ الصَّـبْرِ وهـو قَبيـحُ

٧- وفي كُـلِّ نـادٍ مُمْتِـعٌ بحَديثِـهِ ... وشَـادٍ مُجيـدٌ أو أَغَـنٌّ مَليـحُ

٨- إذا القَطْـرُ حَيّـا أرْضَهـا وبِقاعَهـا[4] ... تَبسَّـمَ زَهْـرٌ أو تَنفّـسَ شِـيحُ

٩- ويُلْهيكَ عَـنْ رَشْـفِ اللّمى مِنْ مِياهِهـا ... زُلالٌ علـى مِثْـلِ الجُمـانِ يَسـيحُ

١٠- ويَشـتاقُ لِلخُلْـدِ المُصيـخِ إذا انْـبَرى ... سُـحيرًا حَمـامُ الغُوطتَـينِ يَنـوحُ

١١- وإنْ سَـحَبتْ فيهـا الشَّـمالُ ذُيولَهـا ... تَضَـوَّعَ مِسْـكٌ في الريـاضِ يَفـوحُ

---

(١) في (أ): عنبر الشجر.

(٢) الديوان: خفاق صفصاف.

(٣) الديوان، صفحة ٦٤.

(٤) الديوان: حيّا روضها أو بقاعها.

١٢- سَقَتْها الغَوادي ما أَرَقَّ نَسِيمَها وأندى ومُعتَلُّ النّسيمِ صَحيحُ[1]

❁ ❁ ❁

❁ ولِنُخبَةِ ذَوي الآداب، المُرتَدي مِنَ البَلاغَةِ أَزهَى جِلباب، رَوضِ الفَصاحَةِ الغَضِّ النّاضِر، وعِطرِ نورِهِ بل نَجْمِ البَراعَةِ الزّاهِر، الفاضِلِ الذي هَبَّتْ صَبا الكَمالِ بِنَفَحاتِه، واحتَسَتْ أفواهُ الأسْماعِ سُلافَةَ كَلماتِه: [من الكامل]

الفاضِلُ الحَبْرُ اللّبيبُ اللّوذَعِيْـ ـيُ الأَلْمَعِيُّ الكَوكَبُ الوَقّادُ
إنْ حَلَّ نَظْمًا فالبَديهيْ حاضِرٌ أَمْ ضَمَّ نَثْرًا فالحريري بادِي[2]

مَنْ نَوَّرَتْ حَدائقُ الشّامِ بِغَوادي شَمائِلِه، وتحلّى مِعْصَمُها بِسِوارِ فَضائِلِه، صديقُنا الأديبُ **مُصْطفى أسْعدُ اللّقيميُّ الدِّمياطيُّ**[3]، قولُه: [من الكامل]

١- قَسَمًا سَما حُسْنًا بِصِدْقِ المُقسِمِ بالرَّبْوةِ الفَيْحا بِعِزِّ المُقْسِمِ
٢- الشّامُ يزهُو بالمَشاهِدِ حُسْنُها فَلَها بِسامي الحُسْنِ فَضْلُ تَقَدُّمِ
٣- فغِياضُها قد وُشِّحَتْ بأَزاهِرٍ ورِياضُها أهدَتْ لطيفَ تَنَسُّمِ
٤- وبِدَوْحِها وُرْقُ الحَمامِ صَوادِحٌ بِبَديعِ أَلحانٍ وحُسْنِ تَرَنُّمِ
٥- فَبِمائِها ورياضِها وهَوائِها وقِيانِها للصَّبِّ حُسْنُ تَنَعُّمِ

---

(١) الديوان: وأنضى ومعتل.

(٢) البديهي هو علي بن محمد أبو الحسن، شاعر بغدادي، كان سريع البديهة في نظمه، فنسب إليها، توفي سنة ٣٨٠ هـ. الحريري هو القاسم بن علي أبو محمد البصري (٤٤٦ - ٥١٦ هـ) الأديب، صاحب المقامات.

(٣) تقدمت ترجمته في صفحة ٣١.

❁ وقوله: [من الوافر]

دمشقُ الشامِ في وَصْفٍ تَسامَتْ   فكَمْ تَحْوي رُباها مِنْ مَحاسِنْ
بها الأزهارُ دانيةٌ قِطافًا   كذا الأنهارُ ماءٌ غيرُ آسِنْ

❁ وقوله: [من الطويل]

وأَضْنى الجَوى قلْبي بِتَذكارِ مَعْهَدٍ   بوادِي دِمشقِ الشامِ عَذبِ المَوارِدِ
شَهِدْتُ بسَفحِ السّفحِ مِنه مَشاهِدًا   نَعِمْتُ بها أَنْعِمْ بِتِلكَ المَشاهِدِ

❁ وقوله: [من الوافر]

ألا زِدْني وُلُوعًا بامْتِداحِكْ   مَحاسِنَ جِلّقٍ وَقتَ اصْطِباحِكْ
وَزِدْ بالنَّيْرَبَيْنِ وُلُوعَ قلبي   ورَبْوتِها فيا حُسْنَ اقتِراحِكْ

❁ ❁ ❁

❁ ولأخي المذكورِ السيدِ **محمد السعيدِ الدّمياطي**، من مُزدَوِجةٍ مَنْسوجَةٍ على مِنوالِ اللّطافةِ، مُزَرْكشةٍ بأنامِلِ الظَّرافَةِ:

١- سَقى دِمَشقَ الشامَ صَوبُ عَهْدِ   وحَيّها تحيّةً مِنْ عِندي
واشرحْ بِصَدري لاعِجاتِ وَجْدِي   وما أُقاسِي مِنْ جَفًا وبُعْدِ

لَواعِجًا في القلبِ ذات وَقْدِ

٢- فكَمْ بها مِنْ نُزْهَةٍ وفُرْجَهْ   ورَوضةٍ بالوَردِ ذاتِ بَهجَهْ
وللعروسِ بالمَقامِ لَهْجَهْ   تختالُ كالمُرّانِ حولَ المَرْجَهْ

بالزّعفَرانِ خلقت والندِّ

٣- وا لَهَفِي لِرَنَّةِ الخَلْخالِ ومرشَفي مِنْ رائقِ السَّلْسالِ
أو مِنْ نَصيبٍ لذّ كالجِريالِ والشّرفِ الأعلى الرّفيعِ العالي
وارتقى مِنْ ذاكَ أوجَ مَجدِ

٤- كَمْ أطرَبَتْ بِدُفِّها والجَنْكِ وجبهةٍ ضَوءَ الهِلالِ تحكي
ومُقْسِمٍ أَضْحى قَسيمَ نُسْكي ورَبْوةٍ بالزَّهرِ ذاتِ الحُبكِ
كأنَّها الفِرْدوسُ دارُ الخُلْدِ

٥- فهذِهِ الشَّقراءُ والمَيدانُ قد رَتعَتْ في دَوحِها الغِزلانُ
مِنْ كُلِّ ظَبْيٍ طَرْفُهُ الفَتّانُ عليهِ دَمْعي سَفْحُهُ هَتّانُ
يزيدُ مِنهُ لاعِجٌ مِنْ وَجْدي

٦- وقاسيونَ إنْ سَطا وصَالا مُفَوِّقًا مِنْ سَهْمِهِ نِصالا
بالنَّيْرَبَيْنِ أرْتَجي اتّصالا كعاشِقٍ قدِ ابْتغى وِصالا
مِنْ وَجْنَةِ المَعشوقِ لَثْم الخَدِّ

٧- مَنشوقُ عَرْفُ نَشرِها المَنْشورِ وما ازدَهى في بَهْجَةِ المَنثورِ
وما جَرى في السّبعةِ النُّهورِ تَحكي لِشاذِرْوانَ وَصْفَ الحُورِ
مِنْ كُلِّ عِطْفٍ مائسٍ وَقَدِّ

٨- والصّالِحيةُ حلّها ابْنُ العربي العارفُ القُطْبُ الرّفيعُ النَّسَبِ
مَقامُهُ بالحَقِّ كَنزُ الطَّلَبِ فكَمْ لَه كرامةٌ بها حُبي
لا يُسْتطاعُ حَصْرُها بالعَدِّ





عن كتاب «غوطة دمشق» تأليف صفوح خير

ذِكْرُ قاسيونَ المُبارَكِ[1]

الذي عَظَّمَهُ ربُنا تعالى وتبارَكَ، بأنْ جَعلَهُ مَرقدَ الأنبياء، ومَوْطِنَ الأولياءِ والأصْفياءِ، ومَعدِنَ العُبّادِ، ومَجْمَعَ الصُّلَحاءِ والزُّهادِ، وهو جَبَلٌ عالي الذُّرَى، شامخٌ في الهَوا. [الطويل]

يَـــزُرُّ عليــهِ الجَــوُّ جَيْــبَ غَمامـــه وَيُلبِسُـها مِـنْ رَونَـقِ الأَنجُـمِ الزُّهْـرِ[2]

وفَضائلُهُ ثابتةٌ في كُتبِ الأخبارِ، مُدوّنةٌ عندَ رُواةِ الحديثِ والآثارِ، يَدُلُّكَ على ذلـك قولُهُ وسأَلَهُ رجلٌ عن الآثاراتِ[3] بدِمشقَ، فقالَ: «بها جَبلٌ يُقالُ له قاسيونُ، فيهِ قَتَـلَ ابـنُ آدمَ أخاهُ، وفي أسْفلهِ في الغَرْبِ وُلِدَ إبْراهيمُ عليه السلامُ، وفيهِ آوى اللهُ عيسـى بـنَ مَريَـمَ عليهِ السلامُ وأُمَّهُ مِنَ اليهودِ، [وما من عبد أتى معقل روح الله، فاغتسل وصلى ودعـا، لم يردَّه اللهُ خائبًا]»، فقال لهُ رجلٌ: يا رسولَ اللهِ، صِفْهُ لَنا، قالَ: «هو بالغُوطَةِ، مدينةٌ يُقالُ لها دِمشقُ، وأَزيدكُمْ [إنه] جبل كَلّمَهُ اللهُ، وفيهِ وُلِدَ أَبي إبْراهيمُ الخليـلُ، فَمَـنْ أَتـى ذلـكَ المَوْضِعَ فلا يعجَز في الدعاءِ»[4].

---

(١) قاسيون: جبل في السلسلة الأولى الدنيا لهضبة القلمون، يشرف على مدينة دمشق من الشمال الغربي، ترتفع أعلى قممه إلى ١١٥٣ متراً عن سطح البحر، والقسم الأدنى من هذا السفح يشكل جزءاً مـن غوطـة دمشـق، ويُروى من نهر يزيد. المعجم الجغرافي ٥٠٣/٤.

(٢) البيت من غير عزو في خلاصة الأثر ٢١٧/٢.

(٣) في فضائل الشام للربعي: عن الأمارات.

(٤) رواه الربعي في فضائل الشام ٥٦، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال الشيخ ناصر الدين رحمه الله في تخريجه، صفحة ١٠١: حديث منكر.

❁ وعن ابنِ عباسٍ رضي الله تعالى عنهُ قال: مَوضِعُ الدَّمِ في جَبَلِ قاسيونَ مَوضِعٌ شَريفٌ، كانَ يَحيى بنُ زَكريا وأُمُّهُ فيه أربعينَ عامًا، وصلّى فيهِ عيسى بنُ مريمَ والحواريونَ، فَمَنْ أَتى ذلكَ المَوْضِعَ فلا يُقصِّرْ عن الصلاةِ والدّعاءِ فيهِ؛ فإنّهُ مَوضِعُ الحَوائجِ[1].

❁ وعن الزُّهْرِيِّ أنهُ قالَ: لو يعلمونَ الناسُ ما في مَغارَةِ الدَّمِ مِنَ الفَضْلِ لَمَا هَنَأَ هم طَعامٌ ولا شَرابٌ إلاّ فيها[2].

❁ قال بعضُهُم: [من البسيط]

مَغارَةُ الدَّمِ في قاسيونَ مُشرِقَةٌ ... نورًا بها لِذَوي الحاجاتِ مِيقاتُ

فانْزِلْ بِسَوحِ حِماها دَاعيًا أبَدًا ... عَسى تُوافى مِنَ المَولى إجاباتُ

والأخبارُ في قاسيونَ وفضائِلِهِ كثيرةٌ، والأقوالُ في شَرَفِهِ غَزيرةٌ، تركْناها خَوفَ الإطالةِ، مُقتَصِرينَ على ما تَداوَلَتْهُ الشُّعَراءُ، وذكرَتْهُ البُلَغاءُ، فمِنْ ذلكَ قولُ الأُستاذِ رَحِمَهُ الله تعالى: [من الخفيف]

١- إنّما قاسيونُ في الشّام نُورُ ... ولَهُ بَهجةٌ وفيهِ سُرورُ

٢- جَبَلٌ مُشرِقٌ بأرواحِ قَومٍ ... في ذُراهُ لهم هُناكَ قُبورُ

٣- كمْ وَلِيٍّ بَلْ كمْ نَبيٍّ لهُ في ... سَفحِهِ الرَّحْبِ رَونَقٌ وحُضورُ

٤- إنَّ في صالِحيّةِ الشامِ سِرًّا ... ليسَ يَدْريهِ غيرُ مَنْ فيهِ نُورُ

٥- عَذْبُ ماءٍ جَرى وطِيبُ هَواءٍ ... يَنفَحُ المِسْكَ ليسَ فيهِ كُدورُ

٦- جَنَّةٌ صالحيةُ الشامِ لكنْ ... ليسَ فيها وِلْدانُها والحُورُ

٧- قاسيونُ المباركُ الجبلُ الصا ... لِحُ يَسْمو بفَضْلِهِ مَنْ يَزورُ

---

(١) رواه الربعي في فضائل الشام ٦٦، عن مكحول عن ابن عباس، وفيه: موضع ابن آدم في جبل قاسيون.

(٢) ذكره الربعي في فضائل الشام ٦٧ بصيغة: ورُوي.. وفيه: لو يعلم الناس.. لما هنأهم.

٨- تــــتراءَى بــــهِ البِــــلادُ جَميعًــــا والبســــاتينُ ثَــــمَّ والمَيْطــــورُ

٩- ليــــسَ تَخلــــو رياضُــــهُ أنْ يُغَنّــــي بُلْبُــــلٌ فيــــه غَــــرَّدَ الشُّــــحْرورُ

١٠- والنســــيمُ الرّطيــــبُ في كُــــلِّ وَقْــــتٍ مِــــنْ رُبــــا النَّــــيْرَبينِ فيــــهِ يَــــدورُ

❁ وقال: [من الكامل]

١- جــاءَ النّســـيمُ بــأَطْيَبِ النّفَحــاتِ مِــنْ قاســيونَ ومَــنزِلِ السّــاداتِ

٢- يــا مَعْهَــدًا بالسّــفحِ مِــنْ ذاكَ اللِّــوى لا زِلْــتَ مَــأْوى الخَــيرِ والبَرَكــاتِ

٣- كــمْ مِــنْ وَلِيٍّ فِيــكَ واراهُ الــثّرى بَــلْ مِــنْ نَــبيٍّ في ذُرَى الهَضَبــاتِ

٤- يــا حبَّــذا الكَهْــفُ الرّفيــعُ وحَبّــذا تلــكَ المَغــارةُ مَنْجَــحُ الدّعَــواتِ

٥- سُقِيَتْ دِمشقُ أَجَشَّ مُنبَعِثَ الحَيا[1] أبَــدًا علــى الآصــالِ والغَــدَواتِ

٦- وحَبَــا الإلــهُ مَنــازِلاً نُســِبَتْ لهــا مِــنْ رَونَــقِ الإقبَــالِ جُــلَّ هِبــاتِ

٧- بَــرَدَ الــزُّلالُ وفــاضَ مِــنْ باناسِــها فغَــدا يَزيــدُ تَدَفُّــقَ القَنَــواتِ

٨- وتراسَــلَتْ أطْيارُهــا سَــحَرًا علــى سَــرْدِ الغُصــونِ بــأطيَبِ النَّغَمــاتِ

٩- تُسْــقَى بمَعْلــولِ النّســيمِ رِياضُهــا فتظَــلُّ تَثْــني مِعْطَــفَ الشّــجَراتِ

١٠- وَلَكَــمْ بهــا مِــنْ جَنّــةٍ قــدْ زُخْرِفَــتْ بِصُنــوفِ أزهــارٍ وحُسْــنِ نَبــاتِ

١١- هــيَ مَجْمَــعُ الأبْــدالِ والقُطْــبِ الــذي هــوَ صَفــوَةُ الأخيــارِ والسّــاداتِ

١٢- بَلَــدٌ علــى البُلْــدانِ قــدْ فــاقَتْ كَمــا فــاقَ الضيــاءُ بهــا علــى الظُّلمــاتِ

١٣- لــو قِيــسَ بالمِقيــاسِ[2] نَيْرَبُهــا رَمَــى مِصْــرًا بِــذاكَ السَّــهمِ في الجَبَهــاتِ

---

(١) الأجش: الغليظ الصوت من الرعد.

(٢) المقياس: آلة في جزيرة الروضة بمصر يقاس بواسطتها ماء النيل، فإذا بلغ ستة عشر ذراعاً فقد وفا النيل، وعمّ الخير أرض مصر. انظر المواعظ والاعتبار للمقريزي ٥٨٨/٣.

١٤- تَعْلُو عَلَى ذاتِ العِمادِ بِبَهْجَةٍ ... ما إنْ تَراها في سِوَى الجَنّاتِ

١٥- واهًا لِعَيْشٍ بانَ لي في ظِلِّها ... جَمِّ التَّطَرُّبِ وافِرِ النُّزُهاتِ

١٦- سَقْيًا لها مِنْ فُرْصَةٍ فُزْنا بِها ... والدّهْرُ عنّا في قُيودِ سِناتِ

❁ وقال: [من الطويل]

١- ولَيلَتُنا بالقاسيونِ المُبارَكِ ... على دَيْرِ مُرّانَ رَفيعِ الأرائِكِ

٢- وقدْ هَجَمَ الليلُ البَهيمُ كفارسٍ ... يُواقِعُ هاماتِ النّهارِ المُعارِكِ

٣- وخَيلُ الصَّبا في حَلبَةِ الأُفقِ رُكّضٌ ... تُثيرُ عَجاجَ النّشرِ بَينَ المَسالِكِ

٤- وقد أَعلنَتْ تلكَ الشّحاريرُ في الرُّبا ... بِمُطربِ صوتٍ مُوقِفٍ كُلَّ سالِكِ

٥- جُلوسٌ على أعلى شَريفِ شُرافَةٍ ... به وجَواري الماءِ ذاتِ التّشابُكِ

٦- نُقابِلُ في تِلكَ الخَمائلِ عَسْكَرًا ... لهُ بالصَّبا خَفْقٌ كَخَفْقِ السّنابكِ

٧- وعَيْنُ النّدى تَبْكي على الزَّهْرِ بُكْرَةً ... فَيَفْتَرُّ مِنها بالثُّغورِ الضَّواحِكِ

ودَيْرُ مُرّانَ[1]: في سفحِ جبلِ قاسيونَ، بالقُربِ مِن الرّبوةِ، مُطِلٌّ على غُوطَةِ دمشقَ وبساتِينِها وأنهارِها، وهو دَيرٌ قديمٌ، إلاّ أنّ الدّهرَ مَحَا صُورَةَ رَسْمِهِ، و لم يُبْقِ مِنْ مَحاسِنِهِ

---

(١) دير مران: قال أبو الفرج في الأغاني: دير على تلعةٍ، مشرفة عالية، تحتها مروج ومياه حسنة. وقال ابن فضل الله العمري في مسالك الأمصار: بناؤه بالجص الأبيض، وأكثر فرشه بالبلاط الملون، وكان في هيكله صورة عجيبة دقيقة، وأشجاره متراكمة، وماؤه يتدفق. وقال ياقوت: تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة. وذكره الشيخ محمد أحمد دهمان، قال: دير مران محلة كانت عامرة، آهلة بالسكان، ومحلها اليوم في السفح الواقع أسفل قبة السيار وأعلى بستان الدواسة، يطل منها الإنسان على الربوة وحدائقها. قال: ولا نعلم الوقت الذي اندثر فيه هذا الدير، ولعل ذلك كان في أواخر القرن الخامس الهجري. انظر جبل قاسيون، تأليف الشيخ محمد أحمد دهمان، صفحة ٧.

غيرُ اسمِهِ، وقدْ تَداوَلَتْ ذِكْرَهُ البُلَغاءُ، وحَسْبُكَ مِنْ وَصْفِهِ ما حَكاهُ الثعالِبِيُّ عَنِ البَبَّغاءِ[1]، فمِمَّنْ قالَ فيه المرحومُ الأستاذُ: [من الخفيف]

١- يـا صباحًـا بِدَيْـرِ مُـرّانَ راقـا ... هِجْـتَ مِنـا القُلـوبَ والأحْداقـا

٢- ومشَـتْ نَسْـمَةٌ تَؤُمُّـكَ حتّـى ... رَفَعَـتْ بالعَبـيرِ فيـكَ رُواقـا

٣- وأَتَينـا إليـكَ نَقطَـعُ أَرْضًـا ... مَلأَتْنـا إلى اللّقـا أشْـواقا

٤- وسَـمِعْنا الطيـورَ تَصْـدَحُ زَهْـوًا ... حيـثُ سَـكْرانُ طِيبِهـا مـا أَفاقـا

٥- وصَبـا قاسـيونَ تَنْفَـحُ فينـا ... سَـبَكَتْ مِـن هُبوبِهـا رَقْراقـا

٦- فَجَلسْـنا في مَجلِـسٍ مُسْـتَطابٍ ... فيـهِ كـأسُ السُّـرورِ كـانَ دِهاقـا

٧- ونَظَرْنـا مِـن رَبْـوةِ الشـامِ مَـرأىً ... قلبُنـا لم يـزلْ لـهُ مُشْـتاقا

❁ المرحومُ **شهابُ الدينِ العمادي**[2]: [من الطويل]

أَيـا دَيْـرَ مُـرّانٍ سَـقاكَ غَمـامُ ... تَـروحُ وتَغـدو غِبَّهـنَّ سَـلامُ

وحَيّـاكَ مِـنْ دَيـرٍ وحَيّـا مَعَـاهِدًا ... بِمَغنـاكَ مـا نـاحَ الزمـانَ حَمَـامُ

وَقَفْتُ علـى رَسْـمٍ بِـهِ راحَ دارِسًـا ... وقـدْ فـاحَ مِنْ نَشْـرِ الرّيـاضِ خُـزامُ

---

(١) البَبغاء: عبد الواحد بن نصر أبو الفرج، شاعر مشهور، وكاتب مترسل، توفي سنة ٣٩٨ هـ. انظر ترجمته وقصته بدير مران في يتيمة الدهر ١/٢٩٣.

(٢) شهاب الدين عبد الرحمن بن محمد العمادي الحنفي (١٠٠٧ - ١٠٧٨ هـ)، فاضل من أهل دمشق، له نظم حسن، ورسائل وتعليقات في الفقه والتفسير، ولي قضاء الركب الشامي، وحج، وسافر إلى الروم، أعطي فتيا الشام، ثم عزل عنها، فأقام بداره لا يخالط أحداً، شاكيا حتى مات، ودفن بمقبرة الباب الصغير. خلاصة الأثر ٢/٢٣١، نفحة الريحانة ٢/٩٤، والأبيات في النفحة.

❀ الخليعُ الشاعرُ[1]: [من البسيط]

يـا دَيْـرَ مُـرّانَ لا عرّيـتَ مِـنْ سَـكَنٍ	قـد هِجْـتَ لي شَـجَنًا يـا دَيْـرَ مُرّانـا
سَــقيًا ورَعْيًــا لُمُــرّانٍ وســاكِنِهِ	يـا حبّـذا قـاطِنٌ بـالدَّيْرِ مَـنْ كانـا

ومِنْ تحتِهِ الحَواكيرُ، وهي حدائقُ في ذَيْلِ الجَبَـلِ ذواتُ أفنـان، بـل رَوْضـاتٌ لكنّهـا جنان، أزهارٌ تَفوحُ على خَريرِ أنهارِها، وأطيارٌ ثَمِلَتْ مِنْ كُؤوسِ أزهارِهـا، فـإنّ حُكَمـاءَ اليونانِ اختاروا زَرْعَ الرّياحينِ والأزهارِ في سَفحِ قاسيونَ لحكمـةٍ، وهـي أنـهُ يَقِيهـا البَردَ كونها في ذُراهُ، وأنّ النّسيمَ إذا مَرَّ بها تَحْمِلُ مِـنْ عَرْفِهـا إلى مَـنْ تحتَهـا مِـنْ أهـلِ المدينـةِ، وشُربُها مِنْ نهرِ يَزيدَ، مِنْها ما هو مُتّصِلٌ بأَرضِهـا تَشرَبُ مِنْـهُ يـومَ عَدَّانِهـا[2]، ومِنْهـا مـا يَسقي رِياضَها بواسِطةِ الدُّولابِ، وفي ذلكَ يقولُ الأستاذُ: [من الطويل]

١- وحــاكُورةٍ تَحكــي سَــماءَ زَبَرْجَــدٍ	كَواكِبُهــا حَــبُّ الجُمــانِ الُمنَضَّــدِ
٢- أَتَينــا إليهــا في الصّبــاحِ نَؤُمُّهــا	فَبَشَّــتْ بوجْـهٍ مِـنْ خَمائلِهـا نَـدِي
٣- وقـد عَطَّـرَتْ أَرجاءَهـا نَفحـةُ الصَّبـا	بـــأَلْطَفِ هَبَّـــاتٍ وطِيْـــبِ تَـــرَدُّدِ
٤- ومِــنْ حَولنــا مــاءُ الجَــداولِ رائــقٌ	كَصَفْحَـةِ سَـيْفٍ في الرِّيـاضِ مُجَـرَّدِ
٥- ومَــدَّ علينــا الــدَّوحُ وارِفَ ظِلِّــهِ	وكـانَ بِساطُ الـرَّوضِ فيهِـنَّ أَحْمَـدِي
٦- فَلِلّـهِ ذاكَ اليــومُ مــا كــانَ في البَهـا	أَلَـذُّ وأَهْنَـا منْــهُ لِلْمُغـرَمِ الصَّـدِي

---

(١) الخليع الشاعر: هو الحسين بن الضحاك، شاعر من ندماء الخلفاء، وشعره رقيق، والأبيات في الأغاني ١/١٩٣، ومعجم البلدان (دير مران)، والروض المعطار ٢٥٠.

(٢) العَدَّان: عَدَّنَ الأرض: بمعنى وضع السماد فيها لزيادة خصبها، والعدان في مفهوم فلاحي الغوطة: هـو كمية مـن المياه، توزع لري البساتين بشكل دوري لكل بستان، خلال ساعات محددة لـه، ويشرف على التوزيع شخص يرتضيه الفلاحون لهذا الأمر ويسمونه (رأس عدان).

❀ وقالَ آخرُ في ذلكَ: [من الكامل]

١- وجَـرَتْ جَداوِلُهـا شَـبيهَ الفِضَّـةِ الــ ـبَيْضا فَخِلْـتُ الـدُّرَّ مِـنْ حَصْبائِهـا
٢- وتَوَشَّـحَتْ أَفْنانُهـا بِخَمـائِلٍ كَتَوَشُّـحِ الحَسْـنا بِوَشْـيِ رِدائِهـا
٣- دُولابُهـا فَلَـكٌ يَـدورُ عُيونَـهُ الــ ـأبْراجُ تُشرِقُ مِنْ كَواكِـبِ مائِهـا
٤- أبَـدًا يَنُـوحُ ودَمْعُـهُ مُتَبَـدِّدٌ فكأنَّـهُ الخَنْسـاءُ عِنْـدَ بُكائِهـا
٥- رَقَصَـتْ دَلالاً قُضْبُهـا لِمآلِهـا قـدْ صَفَّقَـتْ طَرَبًـا أكُـفُّ رَخائِهـا
٦- وتَخـالُ صـافي المـاءِ تحْـتَ ظِلالِهـا خُـودًا عليهـا ضَـمُّ جيـبِ قِبائِهـا
٧- والظِـلُّ فَـوقَ النَّهـرِ عـارِضُ وَجْنَـةٍ يسـتوقِفُ الأبْصـارَ حُسْـنُ نَقائِهـا

والدّواليبُ في تِلكَ الحَواكيرِ تَئِنُّ على خَريرِ أنهارِها، وتَحِنُّ لِمُفارَقةِ مَغْرِسِ أشجارِها، وتُبَدِّدُ دُموعَها بين تلكَ الحدائقِ، فتتناثَرُ كالدُّرِّ تحْتَ هاتيكَ السُّرادِقِ، وفيها يقولُ الشاعِرُ[1]: [من الطويل]

وذاتِ حَنِـينٍ لا تَـزالُ مُطيفَـةً تَئِـنُّ وتَبْكـي بـالدّموعِ السَّـواكِبِ
كـأنَّ أَلِيفًـا بـانَ عنْهـا فـأصْبَحَتْ بمَرْبَعِـهِ كـالصَّبِّ بَيْـنَ الحَبـائبِ
إذا ابْتسَـمَتْ فيهـا الرِّيـاضُ شَـماتَةً تَرُعْهـا بأمْثـالِ القِسِـيِّ القَواضِـبِ[2]
فكَـمَ رَقَصَـتْ أغْصانُهـا فرَمَـتْ لَهـا نِثارًا كمـا بَـدَّدْتَ حِلـيَ الكَواعِـبِ

---

(١) هو أبو الحسن بن سعيد. نفح الطيب ٢/٢٨٨.

(٢) في نفح الطيب: بأمثال السيوف.

❀ وقالَ الآخرُ[1]: [من الطويل]

وباكِيةٍ والرَّوضُ يَضْحَكُ كُلَّما ... أَلَحَّتْ عليهِ بالدّموعِ السَّواجِمِ
يَرُوقُكَ مِنْها إنْ تَأَمَّلْتَ نَحْوَها ... زَئِيرُ أُسُودٍ والتِفاتُ أَراقِمِ
تخلّصُ مِن ماءِ الغَديرِ سَبائكًا ... فَتُنْبِتُها في الرَّوضِ مثلَ الدَّراهِمِ

❀ ابن الأَبَّار[2]: [من الكامل]

١- لِلّهِ دولابٌ يَدورُ كأنّهُ[3] ... فَلَكٌ ولكنْ ما ارتقاهُ كَوكَبُ
٢- هامَتْ بهِ الأحْداقُ لَمّا نادَمَتْ ... منْهُ الحدائقُ ساقِيًا لا يَشْرَبُ
٣- نَصَبَتْهُ فوقَ النّهرِ أيْدٍ قَدَّرَتْ ... تَرْويحَهُ الأرواحَ ساعةَ يُنْصَبُ
٤- فكأنّهُ وهو الطّليقُ مُقَيَّدٌ ... وكأنّهُ وهو الحَبيسُ مُسَيَّبُ
٥- للماءِ فيهِ تَصَعُّدٌ وتَحَدُّرٌ ... كالمُزْنِ يَسْتَسْقي البِحَارَ ويَسْكُبُ

❀ وقالَ آخرُ[4]: [من الطويل]

ومَحْنِيَّةِ الأضلاعِ تَحْنو على الثَّرَى ... وتَسْقي نَباتَ التُّرْبِ درَّ التَّرائبِ
تُعَدُّ مِنَ الأفْلاكِ أنَّ مِياهَها ... رُجومٌ لِرَجْمِ المَحْلِ ذاتُ ذَوائبِ

---

(١) هو أبو جعفر بن وضاح، قالها في دولاب. نفح الطيب ٣/٦٠١.

(٢) ابن الأبار: أحمد بن محمد الخولاني الأندلسي، من شعراء المعتضد صاحب إشبيلية، مولده ووفاته فيها سنة ٤٣٣ هـ، كان شاعراً فاضلاً عارفاً بالأدب، وهو غير ابن الأبار المؤرخ، والأبيات في ديوانه صفحة ٦١، وانظر نفح الطيب ٢/٢٨٧.

(٣) الديوان: لهجاً بدولابٍ ترقّى نهره.

(٤) الأبيات لمحمد بن الحسين بن سعيد أبو عبد الله. المغرب ٢/١٦٩، نفح الطيب ٢/٢٨٧.

وأَعْجَبُهـا رَقْـصُ الغُصـونِ ذَوابِـلاً   فـدَارَتْ بأمْثـالِ السّـيوفِ القَواضِـبِ

وتَحْسَـبُها والـرَّوضُ سـاقٍ وقَيْنَـةٌ   فمَـا بَرِحَـا مـا بَيْـنَ شـادٍ وشـارِبِ

ومُطِلٌّ على هذه الجَنّاتِ والأنْهارِ قُبَّةُ السَّيّارِ[1]، وهي قُبّةٌ مُحْكَمَـةُ البِنـاءِ، مُحاذِيَـةٌ لِعَقَبَةِ دُمَّرَ، الفاصلةِ بين قَيْسُونَ وبينَ الرَّبْوةِ، وفيها يقولُ الأستاذ: [من الوافر]

١- أَتَيْنـا قُبَّـةَ السَّـيّارِ يومًـا   معَ الأصْحـابِ نَركُـضُ في الصَّبـاحِ

٢- وقَـدْ كـانَ المَسِـيرُ علـى رِيـاضٍ   مُعَطَّـرَةٍ بأنفـاسِ الرِّيـاحِ

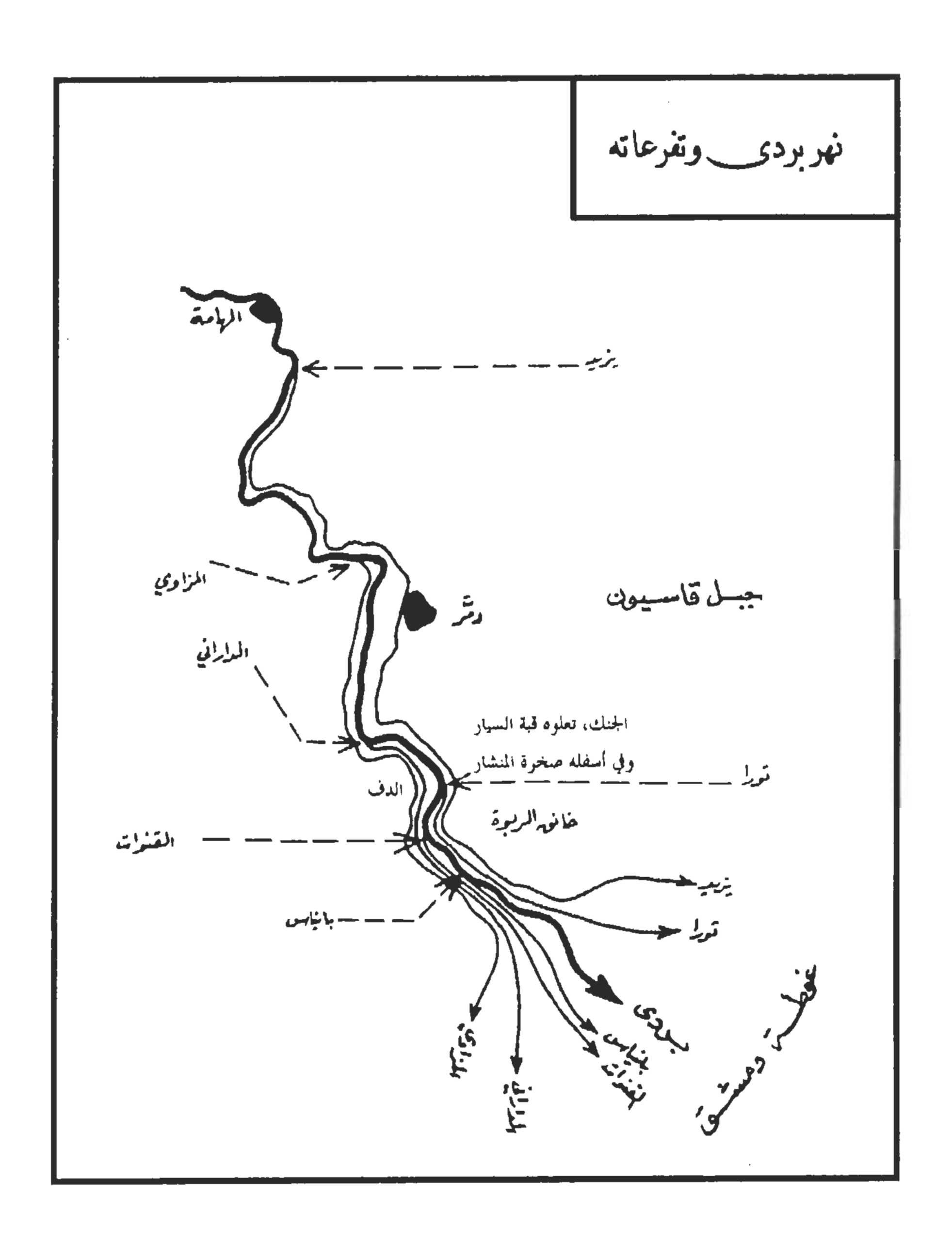
٣- فَغَنَّـتْ سـاجِعاتُ الـدَّوحِ فِينـا   مُهَيْنِمَـةً بأَلْسِـنَةٍ فِصَـاحِ

٤- فَيَـا لَـكِ قُبَّـةً رُفِعَـتْ وطـارَتْ   علـى نَسْـرِ السَّـماءِ بِـلا جَنـاحِ

٥- تَبُـثُّ بِهـا النَّسـائمُ عَـرْفَ زَهْـرٍ   مِـنَ الـوادي وهـاتِيكَ النَّواحِـي



(١) قبة السيار: قبة لا تزال عند الطرف الغربي لجبل قاسيون المطلّ على خانق الربوة، فوق دير مرّان والمنشار، جدد بناءَها الأمير سيار الشجاعي، نائب دمشق، سنة ٦٩٠ هـ. ولعلّها قبة المرصد الذي أقامه الخليفة المأمون خلال السنوات ٢١٥-٢١٨ هـ.



عن كتاب «غوطة دمشق» تأليف صفوح خير

ذِكْرُ الصّالِحيةِ ومَحاسِنِها[1]
وذِكْرُ رِياضِها وما قِيلَ فيها مِنَ الشعرِ والنّثرِ

وهي مَدينةٌ مُمْتَدَّةٌ في سَفْحِ جَبَلِ قاسِيونَ، تُشرِفُ على دِمشقَ وغُوطتِها، ذاتُ بُيوتٍ أَنيقةٍ، ومدارسَ ورُبَطٍ وأسواقٍ، وبِها البساتينُ الأَنيقةُ[2]، تتسلسلُ جَداوِلُها، وتَترَنّحُ أغْصانُها، وتُغرّدُ أطيارُها، وفي أكثرِ بَساتِينِها العمائرُ الضّخمةُ، والجَواسِقُ العاليةُ، والقُصورُ البَديعةُ البِناءِ، بالبِرَكِ المُمْتدّةِ، تتقابلُ بها الأواوينُ والمَجالِسُ، وتَحُفُّ بِها الأدْواحُ المُطَرّزةُ بالسّرْوِ المُلْتفِّ. [من الكامل]

والسَّرْوُ يَحْكي الماجناتِ تَهَيّأتْ لِوُلُوجِ ماءِ قَرارةٍ مُنْسابِ
لاثَتْ غَلائِلَها على هاماتِها تَحْكِي بِهِنَّ قلانِسَ الأعْرابِ[3]

---

(١) الصالحية: هو حي كبير، يقع في الشمال الغربي من مدينة دمشق، على سفح قاسيون، عندما هاجر المقادسة ـ خلال الحروب الصليبية ـ من جماعيل في فلسطين ـ ردّها الله ـ إلى دمشق سنة ٥٥١ هـ نزلوا بمسجد أبي صالح قرب باب شرقي، فاستوخموا مناخ تلك المنطقة، وانتقلوا إلى سفح جبل قاسيون، فقال الناس: الصالحية الصالحية، نسبة إلى مسجد أبي صالح.

وقيل: نسبة إلى صلاح من نزلها من المقادسية. (القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ٦٦/١)، الذين ابتنوا في سفح الجبل بيوتاً لسكناهم، ثم توسعت لتصبح مدينة مستقلة بعد عام ٥٥١ هـ. قال الشيخ دهمان في مقدمة القلائد الجوهرية: واعتبرت الصالحية مدينة مستقلة، فابن بطوطة الذي زارها سنة ٧٢٦ هـ قال عنها: هي مدينة عظيمة، لها سوق، لا نظير لحسنها. ويصفها القلقشندي فيقول: الصالحية مدينة ممتدة في سفح الجبل، تشرف على دمشق وضواحيها، ذات بيوت ومدارس ورُبط وأسواق، ولكل من دمشق والصالحية البساتين الأنيقة، بتسلسل جداولها وتغني دوحاتها، والبحيرات الممتدة، والحور الممشوقة القد، والرياحين المتأرجة الطيب، والفواكه الجنية والثمرات الشهية، والأشياء البديعة التي تغني شهرتها عن الوصف، ويقوم الإيجاز فيها مقام الإطناب. صبح الأعشى ٩٤/٤.

(٢) كلمة (الأنيقة) ليست في (ب).

(٣) البيتان لابن النقيب. الديوان، صفحة ٥٠.

والرّياحينُ العَطِرَةُ، والفَواكِهُ الجَنِيَّةُ، والثَمَراتُ الشّهِيةُ التي يقومُ الإيجازُ في وَصْفِها مَقامَ الإطْنابِ. [الطويل]

مَحاسِنُ يُبْديها العِيانُ كما تَرَى ... وإنْ نَحْنُ حدَّثْنا بِها دفعَ العَقْلُ[1]

ونهرُ يَزيدَ: يخترقُ تلكَ الرياضِ الأَرِيضَةِ، والأزاهِرُ تَرْمُقُهُ مِنْ أجْفانٍ مَريضةٍ. [البسيط]

أجْرَى يَزيدُ إليها مِنْ سَلاسِلِهِ ... نَهْرًا تَمشّى على جَرْعاءِ مَيْثاءِ
مُوَكّلٌ بالمَساحي في جَداوِلِها ... حتى يَدُلَّ عليها حَيَّةَ الماءِ[2]

قدْ أَحْدَقتْ بِها البساتينُ إحْداقَ الهالةِ بالقَمَرِ، وضَمَّتْها ضَمَّ الكِمامِ بالزَّهَرِ، وحَدائقُ تَغْشى أزْهارَها الأحْداقُ، فهي كَمَا قِيلَ عيانُها للخَبَرِ عَنها مِصْداقٌ، وأيُّ مِصْداقٍ!: [الكامل]

كَمْ مَنزِلٍ في نَهْرِها آلَى السُّرُو ... رُ بأنّهُ في غَيْرِهِ لا يَنْزِلُ
وكأنّما تِلكَ القُصورُ عَرائسٌ ... والرّوضُ حَليٌ فهي فيهِ تَرْفُلُ
غَنّتْ قِيانُ الوُرْقِ في أرجائِها ... هَزَجًا يَقِلُّ لهُ الثقيلُ الأولُ[3]

وقدِ اعتَنَتِ الشعراءُ بِوَصْفِ رِياضِها البَهيجَةِ، وتَغَنّتْ بِذِكرِ مُنتَزَهاتِها الأَريجَةِ، فمِنْ ذلكَ الأستاذُ بقولِهِ: [من الكامل]

والصّالِحيةُ يا لَهَا مِنْ مَنْزِلٍ ... فيها قبورُ الصّالِحينَ أُلي التُّقى
وبِها القُصُورُ العالِياتُ تَزَخْرَفَتْ ... مِثْلَ النُّجومِ زَهَتْ بِكُلِّ مَنِ ارْتَقى

---

(١) البيت لأبي الفتح البستي. الديوان ٢٧٩.

(٢) البيتان لابن المعتز. الديوان ٢/٢٠٨، ٢٠٩، وفيه: أجرى الفرات.

(٣) الأبيات للقاضي التنوخي علي بن محمد بن داوود. يتيمة الدهر ٢/٣٩٩، معاهد التنصيص ٢/١٤، وفي اليتيمة: حلي خودٍ ترفل.

تسْمُو على أطرافِ جِلّقَ بَهجةً وَطلاوةً فيها السُّرورُ تَحَقّقا

كَمْ نُزهةٍ للعَينِ فيها قَدْ زَهَتْ وسَرَتْ على طَرَفِ الهُمومِ فَأَطْرَقا

❁ وقالَ: [من الخفيف]

جِلّقُ الشامِ جَنّةُ الخُلْدِ تَجْري بالسّواقِي مِنْ تَحْتها الأنْهَارُ

شاهِدي صالِحيّةٌ هيَ فِيها وهيَ أيضًا للصّالِحينَ قَرارُ

❁ المرحومُ السّيدُ عبدُ الرحمنِ بْنُ حَمزةَ[1]: [من الطويل]

سقى اللهُ عَهْدَ الصّالِحيةِ والصّرْحِ وحَيّا زَمانًا مَرَّ في جانِبِ السَّفْحِ

مَواطنُ أتْرابٍ ومَرْبَعُ صَبْوَةٍ[2] ومَرْتَعُ غِزلانٍ مُخَصَّرَةِ الكَشْحِ

خِلالَ قُصورٍ شاهِقاتٍ تَناظَرَتْ مَناظِرُها تَدْعو المَشُوقَ إلى الفَتْحِ

❁ المرحومُ مَنْجكُ[3]: [من الوافر]

نَزَلْنا الصّالِحيّةَ في العَشَايا فأَغْنانَا الضِّياءُ عَنِ الضِّياءِ

وأبْوابُ القُصُورِ لَها صَرِيرٌ أَلَذُّ لِمَسْمَعِي مِنْ صَوتِ نايِ

❁ آخرُ[4]: [من الطويل]

تَأمَّلْ لِحُسْنِ الصّالِحيةِ إذْ بَدَتْ مَنَاظِرُها مِثْلَ النُّجومِ تَلالا

---

(١) ديوان ابن النقيب، صفحة ٧٢.

(٢) الديوان: مواطن إطراب ومربع.

(٣) الأمير منجك بن عبد الله، أمير داهية جبار، استقر حاجباً بدمشق، وولي الوزارة بمصر سنة ٧٤٨ هـ، أخباره كثيرة، وله شعر حسن. الديوان، صفحة ١٢٣.

(٤) البيتان لعلي بن موسى بن سعيد المغربي، قالها في الجزيرة الصالحية بمصر، وهي الشهيرة الآن بالروضة. الوافي بالوفيات ٢٢/٢٥٦، فوات الوفيات ٣/١٠٥، نفح الطيب ٢/٢٦٩.

وللطَّلْعَـةِ الغَـرّاءِ كـالبَدْرِ طالِعًـا[1] تَفَجَّـرَ صَـدْرُ المـاءِ مِنْـهُ هِـلالا

❁ آخرُ فيها[2]: [من البسيط]

والماءُ يَجْري بِساحاتِ القُصورِ بِها قـدْ حَـفَّ جَدْوَلَها آسٌ ورَيْحـانُ

ونَهرُها العَـذْبُ يَحكـي في تَسَلْسُلِهِ سُيوفَ هِنـدٍ لَها في الجَـوِّ لَمْعـانُ

❁ وقالَ الآخرُ[3]: [من الكامل]

وإذا نَظَـرْتَ الصّالِحِيـةَ خِلْتَهـا[4] مِـنْ جَنَّـةِ الفِـرْدَوسِ حِـينَ تَخَيَّـلُ

❁ المَرحومُ السيدُ إبْراهيمُ بنُ حَمزةَ: [من المجتث]

الشّـامُ دارُ قَـرارٍ لَـدى النُّفُـوسِ الزّكِيّـهْ

بَـلْ جَنّـةُ الخُلْـدِ أَضْحَـتْ عُنوانُهـا الصّالِحِيّـهْ

❁ الأستاذُ: [من المجتث]

دِمَشْـقُ دارُ سُـرورٍ رِياضُهـا سُنْدُسِيّـهْ

كَجَنّـةِ الخُلْـدِ أَضْحَـتْ عُنوانُهـا الصّالِحِيّـهْ

---

(١) في مصادر الخبر: وللقلعة الغراء كالبدر.

(٢) البيتان ليحيى القرطبي من القصيدة المشهورة التي مطلعها:

لكـل شـيء إذا مـا تم نقصـان فـلا يغـر بطيـب العيـش إنسـان

يرثي فيها الأندلس. انظر ريحانة الألبا ١٨٣، ولم أجد البيتين في ديوان أبي البقاء الرندي.

(٣) البيت للقاضي التنوخي علي بن محمد. انظر يتيمة الدهر ٣٩٩/٢، معاهد التنصيص ١٤/٢.

(٤) في مصدري الخبر: وإذا نظرت إلى الأبلة خلتها.

❁ وقالَ: [من المجتث]

ذاتُ العِمـــادِ دِمَشـــقُ ... أخبارُهـــا مَروِيّـــهْ
بِـــذا أَتَانَـــا كِتَـــابٌ ... عُنوانُـــهُ الصّالِحِيـــهْ

❁ ابنُ عبدِ الرّزّاقِ: [من المجتث]

دارُ النّعيـــمِ دِمشـــقُ ... ذاتُ الرّيـــاضِ الزّكِيّـــهْ
تَزهُـــو كَجَنّـــةِ خُلْـــدٍ ... عُنوانُهـــا الصّالِحِيـــهْ

❁ السيدُ إبْراهيمُ بنُ حَمْزَة: [من المجتث]

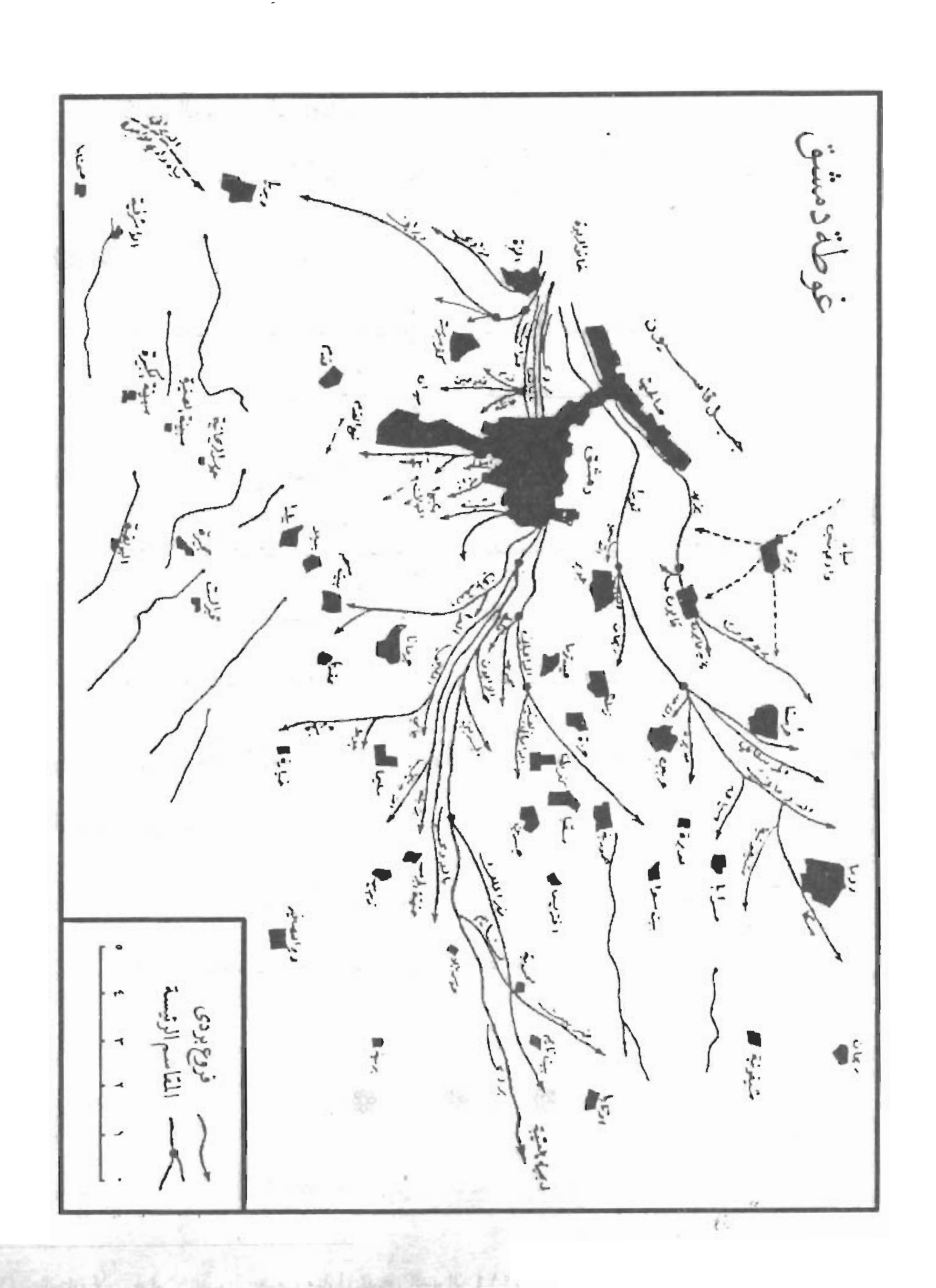
دِمشـــقُ مَوطِـــنُ أُنْـــسٍ ... يَهْـــوِي إلَيها العَلِيـــلُ
حَكَـــتْ لِجَنّـــةِ خُلْـــدٍ ... لَهـــا النُّفـــوسُ تَميـــلُ
والصّالِحِيـــةُ فيهـــا ... مِنْهـــا عَلَيْهـــا دَلِيـــلُ

ومَحَاسِنُها كثيرةٌ لا تُعَدّ، والأقوالُ فِيها غَزِيرَةُ العَدِّ، فَلْنُمْسِكْ عنانَ اليَراعَةِ، ونَكْتفي بِقولِ الشاعِرِ ذي البَراعَةِ[1]: [من مجزوء الكامل]

تِلْـــكَ المَنـــازِلُ والمَـــلا ... عِـــبُ لا أَرَاهـــا اللهُ مَحْـــلا
حيـثُ الْتَفَـتَّ وَجَـدْتَ مـا ... ءً سَـائحًا وسَـكَنْتَ ظِـلاّ



(١) البيتان لأبي فراس. الديوان يصف منازل بمنبج. الديوان ٢١٤.



عن كتاب «غوطـة دمشـق» تأليـف صفـوح خيـر

فصل

قَدْ عَنَّ لِيَ أنْ أذكُرَ ما قِيلَ في الأزاهِرِ، مِمّا تَرَكَ الأولُ للآخِرِ:

١ـ الرّيحان:

قالَ ابنُ عبدِ ربِّه[1]: [من الوافر]

ورَيْحـانٍ يَميـسُ علـى غُصـونٍ ... يَطِيـبُ بِشَمِّهِ شُـرْبُ الكُـؤوسِ
كَسُـودانٍ لَبِسْـنَ ثِيـابَ خُضْـرٍ ... وقَـدْ شَطَحُوا مَكاشِيفَ الـرُّؤوسِ[2]

❀ وقالَ آخرُ[3]: [من الكامل]

رَوْضٌ يَـرُوضُ هُمـومَ قَلْـبي حُسْنُـهُ ... فيـهِ لِكـأسِ الأُنْـسِ أيُّ مَسَـاغِ
وإذا مَضَـتْ قُضْبـانُ رَيحـانٍ بِـهِ[4] ... حَيَّـتْ بِمِثْـلِ سَلاسِـلِ الأَصْـداغِ

❀ وفي الحَديثِ: «مَنْ عَـرَضَ بِرَيْحـانٍ فـلا يَـرُدُّهُ، فَإنّـهُ خَفيـفُ الحَمْـلِ، طَيِّـبُ الرِّيحِ»[5]، يَعْني بالرَّيحانِ كُلَّ ذِي رائحَةٍ ذَكِيةٍ مِنَ الأزْهارِ.

---

(١) ابن عبد ربه: أحمد بن محمد (٢٤٦ - ٣٢٨ هـ)، الأديب الإمام الشاعر، صاحب العقد الفريد.

(٢) البيتان في نزهة الأنام ١٥٨ لابن عبد ربه، ولم أجدهما في ديوانه، وفي نهاية الأرب ٢٥٤/١١، وفي المستطرف ١٢٣/٣ من غير عزو.

(٣) البيتان لأبي الفضل الميكالي، عبيد الله بن أحمد. يتيمة الدهر ٤٢٨/٤، فوات الوفيات ٤٣٢/٤.

(٤) في مصدري الخبر: وإذا بدت قضبان.

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٥٣)، وأبو داود في السنن (٤١٧٢).

❁ قالَ أَبُقراطُ: يَنبَغي للمُعْتني بِمَصالحِ بَدَنِهِ أنْ لا يُضَيِّعَ حَظَّهُ مِنَ الاسْتِمتاعِ بِرَوائحِ الأزْهارِ والرَّياحِينِ، فإنَّها تُقوِّي الرُّوحَ وتُنعِشُ الحَرارَةَ الغريزيّةَ، التي بها قِوامُ الحياةِ، والعَليلُ أَحْوَجُ إليها مِنَ الصّحيحِ، لأنّهُ قدْ عَجِزَ عَنِ الأخْذِ مِنَ المَطاعِمِ والمَشارِبِ، فَهي تَنُوبُ عَنْ بعضِ فِعْلِها في التّقويَةِ.

❁ وسَأَلَ أَبْرويزُ بعضَ نُدَمائِهِ عن رَوائحِ الرّياحينِ، فقالَ: النّرْجسُ كرائِحةِ الشبابِ، والوَرْدُ كرائِحةِ الأحْبابِ، ورائِحةُ الرّيحانِ كرائِحةِ الأولادِ، ورائحةُ المَنثورِ كرائحةِ الأصدقاءِ.

وإنّما خَصَّ هؤلاءِ بالرَّيحانِ، لأنّ اللهَ سُبْحانَهُ وتعَالى أنْبَتَهُ نَباتًا حَسَنًا، غَضًّا طَرِيًّا، سَريعَ الزّوالِ، ولا يُتَمَتَّعُ بِهِ كَغَيرِهِ، واللهُ أعلمُ.

٢- الآسُ[١]:

ابنُ طَباطبا[٢]: [من البسيط]

الآسُ فَردٌ بَديعٌ في مَحَاسِنِهِ ... ما مِثْلُهُ في مَعانِيهِ بِمَوجودِ
يَبْدو بِأغْصانِهِ خُضْرٍ مُلَيَّنَةٍ[٣] ... كَأَلْسُنِ الطّيرِ تُشْوَى في السَّفافِيدِ

---

(١) الآس: سيد الرياحين، ويعظم حتى يصير شجراً، ويثمر ثمراً قدر الحمص، وهو ثلاثة أنواع: أخضر وهو المشهور، وأصفر وهو ما فسد من ورق الأول، وأزرق ويسمى الخسرواني، وبعض ورقه طويل محدد، وبعضه مدور. حاشية كتاب ابن وكيع التنيسي.

(٢) ابن طباطبا: محمد بن أحمد الحسني العلوي، أبو الحسن (٠٠ - ٣٢٢ هـ)، شاعر كبير وعالم بالأدب، مولده ووفاته بأصبهان، وأكثر شعره في الغزل والوصف، والبيتان في الديوان ٤٥، ونزهة الأنام ١٥٤.

(٣) في الديوان، ونزهة الأنام: بأغصانه خضراء تلبسه.

❁ وقالَ آخرُ[1]: [من الطويل]

خَلِيلَـيَّ مـا لِـلآسِ يَعبُـقُ نَشْـرُهُ إذا شَـمَّ أنفـاسَ الرِّيـاحِ الهَواجِـرِ
حَكَـى لَونُـهُ أصْـداغَ رِيْـمٍ مُعَـذَّرٍ وصُورَتُـهُ آذانَ خَيْـلٍ نَوافِـرِ

❁ أَخرَجَ ابْنُ السُّنِّيِّ عنِ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قالَ: أُهْبِطَ آدمُ عليـهِ السـلامُ مِنَ الجَنّةِ بِسيِّدِ رَياحينِ الجَنّةِ الآسِ.

❁ وأخرَجَ ابنُ أبي حَاتِمٍ عنِ ابنِ عَبّاسٍ: أوّلُ شَيءٍ غَرَسَ نُوحٌ عليـهِ السـلامُ الآسَ، فهو سيّدُ الرّياحينِ، لوُجُودِهِ في كُلِّ وَقتٍ وحِينٍ.

٣ـ الخِيْرِيُّ[2]:

قالَ ابنُ الرّوميِّ[3]: [من المنسرح]

خِيـرِيُّ وَرْدٍ أتـاكَ في طَبَـقٍ[4] قـدْ مَـلأَ الخَـافِقَيْنِ مِـنْ عَبَقِـهْ
قـدْ خَلَـعَ العاشِـقونَ مـا صَنَـعَ الـ ـهجـرُ بِـألْوانِهم علـى ورقِـهْ

٤ـ المَنْثورُ[5]:

قالَ الأستاذُ: [من الكامل]

وأَصـابعُ المَنْثـورِ عَضَّتْهـا الصَّبـا لَمّـا غَـدا دُونَ الأزاهِـرِ يَعْبُـقُ

---

(١) البيتان لابن وكيع التنيسي. انظر ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر، صفحة ٦٣.

(٢) الخيّريّ: هو المنثور الأصفر. موسوعة علوم الطبيعة ٥١٧/٢، نبات له زهر، ويقال للخُزامى: خيّريّ البرّ، لأنه أزكى نبات البادية. المعجم الوسيط.

(٣) ديوان ابن الرومي ١٧١٤/٤.

(٤) في الأصل: طبقه، والمثبت من الديوان.

(٥) المنثور: نبات ذو رائحة ذكية، واحدته منثورة. المعجم الوسيط ٩٠٧/٢، ويغلب عليه اللون الأصفر.

فـاصْفَرَّ مِـنْ هـذا البَهـارُ مُقَهْقِهًـا والآسُ في دَمْـعِ النَّـدى مُغْـرَورِقُ

❁ الإسعردي[١]: [من الكامل]

مُـذْ عـايَنَ المَنثُورُ طَرْفَ النَّرْجِسِ الـ ـمُـزْوَرِّ قـالَ وقَولُـهُ لا يُدْفَـعُ
فَتِّـحْ عُيونَـكَ في سِـوايَ فإنّـهُ عِنْـدِي قِبالَـةَ كُـلِّ عَـينٍ إصْبَـعُ

❁ قالَ الفاضلُ مُصطفَى اللُّقَيمي في «رحلتِهِ»[٢]: وأمّا المَنْثور، فَلِواءُ عَرْفِـهِ مَنشـور، وهو أنواعٌ عَديدةٌ، ذو صِفـاتٍ حَسَنَةٍ حَميـدةٌ، فأرْفَعُهـا الذَّهَبيُّ الأصْفرُ اللونِ، الحَسَنُ العَرْفِ في الكـون، لأنّـهُ ضـاعَ عَرْفُهُ وفـاحَ، في الغُدُوِّ وفي الرّواحِ، وأوْسَطُها الخَمْـريُّ والبَنَفْسَجيُّ والأَكْحَلْ، فلا يَفُوحُ عَرْفُـهُ إلاّ في الليـلِ الأَلْيَـلْ، ولـهُ عِطْرِيّـةٌ غَريبـةٌ، ورائحَـةٌ عَجيبةٌ، يُشابهُ القَرَنْفُلَ المُصعَّدَ بماءِ الوَرْدْ، كأنّما بينَهُما مُواصَلَـةٌ وعَهْـدْ، وأدْناهـا الأبْيَضُ الأشْهَبُ، فَهُوَ لِعدَمِ عَرْفِهِ عَنهُ يُرْغَبُ، وأنشَدَ عَرْقَلةُ الدِّمَشقيُّ الشاعِرُ المَشهورُ، بين يَـدَيْ شَمسِ الدّولَةِ، حينَ أُحْضِرَ لهُ المَنْثورُ: [السريع]

قَـدْ أَقبَـلَ المَنثُـورُ يـا سـيّدي كـالدُّرِّ واليـاقوتِ في نَظْمِـهِ
نسـيمُ أنفاسِـكَ مِـنْ عِطْـرِهِ ورأسُ مَـنْ عَـاداكَ مِثْـلُ اسْـمِهِ[٣]

---

(١) هو محمد بن يعقوب، مجير الدين بن تميم الإسعردي، سكن حماه، وكان جندياً محتشماً، شجاعاً، مطبوعاً كريم الأخلاق، توفي سنة ٦٨٤، والبيتان في فوات الوفيات ٦٢/٤.

(٢) ألف في رحلته إلى القدس كتاباً سماه: «موانح الأنس في الرحلة لوادي القدس». سلك الدرر ١٨٠/٣. وأشار الزركلي رحمه الله في أعلامه ٢٢٩/٧ إلى أن الكتاب ما زال مخطوطاً.

(٣) البيتان لعرقلة الكلبي. الديوان، صفحة ٩٤، والبيت الثاني فيه:

ثنـاك لا زال كأنفاسِـهِ ومـخُّ مـن يشنوك مثـل اسمِـهِ

٥ـ السَّوسَنُ[١]:

❀ قالَ الشاعِرُ[٢]: [من البسيط]

وسَوسَنٍ راقَ مَرْآهُ ومَخْبَرُهُ ... وَجَلَّ في أَعْيُنِ النُّظَّارِ مَنْظَرُهُ

كأنّهُ أكْؤُسُ البِلّورِ قَدْ صُبِغَتْ ... مُسَدَّساتٍ[٣] تَعَالَى اللهُ مُظْهِرُهُ

❀ أبو نُواس[٤]: [من البسيط]

سَقْياً لِرَوْضٍ إذا ما نِمْتُ نَبَّهَني ... بَعْدَ الهُجُوعِ بِهِ ضَرْبُ النّواقِيسِ

كأنَّ سَوسَنَهُ في كُلِّ شارِقَةٍ ... على المَيادِينِ أذنابُ الطّواوِيسِ

❀ وقالَ آخرُ في جميعِ ألوانِهِ[٥]: [من الطويل]

بَدَا سَوسَنُ الرَّوضِ المُدبَّجِ أزرَقا ... وأصفَرَ يَعلُو طُولُهُ فَوقَ مُبْيَضٍّ

كأنَّ الرُّبا أرْخَتْ ذُيولَ غَلائِلٍ ... مُصَبَّغَةٍ والبَعْضُ أطولُ مِنْ بَعْضِ[٦]

---

(١) السوسن: جنس زهر من الفصيلة السوسنية، وأجناسه كثيرة، وأطيبه الأبيض، واحدته سوسنة. الوسيط.

(٢) البيتان للوزير أبي عامر بن مَسْلَمة. جذوة المقتبس صفحة ٦١، ونفح الطيب ٣/٥٤٤.

(٣) في مصدري الخبر: قد صنعت مسندسات.

(٤) كذا في الأصل، والبيتان للأخيطل، ولعلّ أصل الوهم هو ما نقله المؤلف من كتاب الأمالي ١/٢٦٤: وأنشدني أبو المَيّاس قال: أنشدني الأخيطل لنفسه، فصحف أبو المياس لأبي نواس، وأسقط اسم صاحب البيتين. والبيتان في الأغاني ١٠/١٣٤ (أخبار علية بنت المهدي) ينسبان لإسماعيل بن يسار أو لإسحاق الموصلي.

(٥) ينسب البيتان لسيف الدولة يتيمة الدهر ١/٥٣، وهما في ديوان ابن الرومي ٤/١٤١٩.

(٦) رواية البيتين في اليتيمة وديوان ابن الرومي:

يطرزها قوس الغمام بأصفرٍ ... على أحمرٍ في أخضرٍ تحت مبيضٍّ

كأذيال خودٍ أقبلت في غلائلٍ ... مصبغة والبعض أقصر من بعضِ

ورواية البيت الأول في ديوان ابن الرومي:

يطرزها قوس السماء بأحمرٍ ... على أخضرٍ في أصفر وسط مبيضٍّ

❁ قالَ اللُّقَيْمِيُّ: وأمّا السَّوْسَنُ فبِفَتحِ السِّينِ، لكنَّ الضَّمَّ أحْسَنُ، هـو زينَـةُ الرِّيـاضِ والفَرَاديسِ، المُشبَّهُ بأذنابِ الطَّواويسِ، وقدْ أنشدَ ابنُ المُعتزّ[1]، حِينَ تَمَـايَلَ غُصْنُهُ واهْتزّ:

[من البسيط]

يـــا رُبَّ سَوسَـــنَةٍ قَبَّلْتُهـــا كَلَفًـــا ... وما لَها غَـيْرُ نَشْرِ المِسْكِ مِنْ رِيقِ[2]

مُصْفَـرَّةُ الوَجْـهِ[3] مُبْيَـضٌّ جَوانِبُهـا ... كأنَّهـا عاشِـقٌ في حِجْـرِ مَعْشُـوقِ

٦ـ الخَشْخَاشُ[4]:

❁ قالَ الشاعرُ: [من الطويل]

ولّما بَـدَا الخَشـخاشُ في الـرَّوْضِ مُزْهِرًا ... وقـدْ نَظَـرَتْ شَـزْرًا إليـهِ الحَدائـقُ

حَكَـى قَلْعَـةً أبْراجُهـا مُسْـتدِيرَةٌ ... مُشَـرَّفَةٌ دارَتْ عليهـا الصَّنـاجِقُ[5]

❁ وقالَ آخرُ: [من الوافر]

أرَى الخَشْـخاشَ كالنُّدَمـاءِ لَكِـنْ ... أتَـتْ أقْدَاحُهُـمْ فَـوقَ الـرُّؤُوسِ

وقـالوا قـدْ طَرِبْنـا إذْ شَـرِبْنا ... إلى أنْ قـدْ رَقَصْنـا بِـالكُؤُوسِ

---

(١) ابن المعتز: الخليفة العباسي عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل أبو العباس (٢٤٧ - ٢٩٦ هـ) الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة. ولم أجد البيتين في ديوان ابن المعتز، وهما في ديوان ابن هذيل القرطبي صفحة: ١٠٨، وجعلهما محقق الكتاب في القسم الصحيح النسبة إلى ابن هذيل، وفي نزهة الأنام صفحة ١٤٥ منسوبان لابن المطرزي.

(٢) ديوان ابن هذيل: المسك منشوقِ.

(٣) الديوان: مصفرّة الوسط.

(٤) الخشخاش: نبات تزييني، له أنواع كثيرة وألوان متعددة، ويُزهِر مدى فصول السنة. انظر موسوعة علوم الطبيعة ١/٣٦٠.

(٥) البيتان وردا في سلك الدرر ١٠٨/٢ من غير عزو.

❁ وقالَ آخرُ: [من الوافر]

وَخَشْـخاشٍ زَهـا بِـالزَّهْرِ لَمّـا ... تَبـدَّى مِنـهُ في رَوضٍ أرِيْـضِ
كـأقْدَاحٍ مِـنَ اليـاقوتِ حُمْـرٍ ... وأقْـدَاحٍ مِـنَ الألْمَـاسِ بِيْـضِ
وأقْـدَاحٍ لَهَـا ضِلْـعٌ بَيَـاضٌ ... وضِلْـعٌ أحْمَـرٌ كَـدَمِ المَريـضِ
وإلاّ كالعَمَـائمِ في رُؤُوسٍ ... مُصَبَّغَـةٍ طَويـلٍ في عَريـضِ

٧ـ الحَوْذَانُ[1]:

قالَ الشاعرُ[2]: [من الطويل]

رِيـاضٌ تَـرَدَّتْ بالرِّيـاضِ مَجُـودَةً ... بِكُـلِّ جَديـدِ المـاءِ عَـذْبِ المَـوارِدِ
كأنَّ جَنَى الحَـوْذانِ في رَونَـقِ الضُّحَى ... دَنانِـيرُ تِـبْرٍ مِـنْ تَـوامٍ وفَـارِدِ

٨ـ حَلَقَةُ المَحبُوبِ:

هو زَهْرٌ بَدِيعُ المَنْظَرِ، عَجِيبُ الشكلِ والتَّكْوينِ، كامِلُ الظَّرْفِ والنَّمَـطِ، وأظُنُّـهُ مِـنْ خُصوصِيّاتِ رِياضِ جِلِّقِ الشّامِ، وا للهُ أعلَمُ.

❁ قالَ يصِفُ شَكْلَهُ المرحومُ السيدُ عبدُ الرّحمنِ بنُ حَمزَةَ[3]: [من الطويل]

وزَهْـرٍ كأمْثـالِ الشُّـنُوفِ لَطَافَـةً[4] ... تَدَاخَلَ مِـنْ أجْزائِـهِ البَعْـضُ في البَعْـضِ
لقـدْ أحْكَمَـتْ إبْرازَهـا المُـزْنُ خِلْقَـةً ... لَدَيْنـا وأعْطَتْـهُ أمانًـا مِـنَ النَّقْـضِ

---

(١) الحوذان: نبات عشبي، من ذوات الفلقتين، منه أنواع تُزرع لزهرها، وأخرى تنبت بريةً. المعجم الوسيط.

(٢) البيتان للبحتري. الديوان ١/٦٢٤.

(٣) ديوان ابن النقيب، صفحة ١٩٠.

(٤) الشنوف: ما يعلق في الأذن من أقراط.

❁ وقالَ المرحومُ الأستاذُ، وقدْ أجَادَ: [من الخفيف]

١- رُبَّ زَهْـــرٍ بَيْـــنَ الرّيـــاضِ رَأَيْنـــا ... هُ يُسَـــمَّى بِحَلْقَـــةِ المَحْبـــوبِ

٢- بَعضُـــهُ أبْيَـــضٌ كَأَقْمَـــاعِ عَـــاجٍ ... نافِحـــاتٌ فِيهـــا بَقِيَّـــةُ طِيْـــبِ

٣- والّـــذي مِنْـــهُ أحْمَـــرٌ كَعقِيـــقٍ ... سَـالَ فيـــهِ النّـــدى مِـــنَ الأُنْبُـــوبِ

٤- ثُـــمَّ نَـــوعٌ يَحكِـــي البَنَفْسَـــجَ لونًـــا ... فَـــوقَ غُصـــنٍ زُمُـــرُّدِيٍّ رَطِيْـــبِ

٥- كَكُـــؤوسِ البِلّـــورِ قَـــدْ صَبَغَتْهـــا ... خَمْرَةُ الـــرَّاحِ فَـــوقَ كَـــفٍّ خَضِيـــبِ

٩ـ عُرْفُ الديكِ[1]:

قالَ فيهِ الأديبُ الكاملُ، مَنْ فاقَ بِآدابِهِ الغَضّةِ على الأواخِرِ والأوائلِ، الأريبُ النّجيبُ، عليُّ بنُ محمدِ بنِ الشّمْعَةِ: [من الوافر]

وعُرْفُ الدّيكِ وَسْطَ الرَّوضِ أضحى ... يَميـــسُ بِحُسْـــنِهِ البَـــاهي العَجيـــبِ

تَجُـــرُّ ذُيولَهـــا الأرواحُ فيـــهِ ... فَيَحْكـــي شَـــكْلُهُ قُـــرْطَ الحَبيـــبِ

١٠ـ الياسَمينُ[2]:

❁ قالَ بَعضُهم[3]: [المنسرح]

أُنظُـــرْ إلى خَيمَـــةٍ وقَـــدْ نُصِبَـــتْ ... خَضْـــراءَ عِنْـــدَ الصَّبـــاحِ مُبْيَضّـــهْ

---

(١) عرف الديك: عشبة تزيينية خملية الملمس، يغلب عليها اللون الأحمر، وازهرارها يستمر من حزيران إلى آب. انظر موسوعة علوم الطبيعة ١٨٢/٢، وهذه الفقرة (عرف الديك مع الشعر) ليست في (ج).

(٢) الياسمين: نوع من النبت، طيب الرائحة، جميل المنظر، من فصيلة الزيتونيات، تزيد أنواعه عن المئة، أكثرها بري، يكثر منه اللون الأبيض فالأصفر فالأحمر، وكله فواح العَرف العطري. انظر موسوعة علوم الطبيعة ٦٠٢/٢.

(٣) البيتان لابن قرناص، ذكرهما المحبي في نفحة الريحانة ٤١/٢.

كأنّهـــــا قُبَّـــــةٌ لِراهِبَـــــةٍ وقــدْ كَسَــتْها صُلْبــانَ مِــنْ فِضّــهْ

❁ وقالَ الآخرُ(١): [من الطويل]

وأدْواحَ خِلْناهَـــا سَــماءَ زَبَرْجَــدٍ(٢) لَهـا أَنْجُــمٌ زُهْــرٌ مِــنَ الزَّهَــرِ الغَـضِّ

تَناوَلَهـا الجَـاني مِـنَ الأرْضِ قــاعِدًا ولَمْ أرَ مَنْ يَجْـني السّماءَ مِـنَ الأرْضِ

❁ وقالَ آخرُ(٣) في الأصْفَرِ مِنْهُ: [من المنسرح]

كأنّمـــا الياسَــمِينُ حِــينَ بَــدَا أصْفَــرُهُ في جَوانِـــبِ الكُتُـــبِ

عَســاكِرُ الــرّومِ نــازَلَتْ بَلَــدًا وَكُــلُّ صُلْبانِهــا مِــنَ الذّهَـــبِ

❁ وفي الحَديثِ: «إنَّ قارئَ القُرآنِ يُؤتى بياسَمِينِ الجَنّةِ في قَبْرِهِ»(٤).

❁ قالَ اللُّقَيميُّ: هو زَيْنُ الرّياضِ، والمَوْسُومُ في الوَجْهِ بالبَياضِ، وفيهِ خَواصُّ إذا وُضِعَ في الكُتُبِ لَمْ يَقْرَبْها أرَضَةٌ، وإنْ كانَتْ فِيها كالجُملَةِ المُعْتَرِضَةِ.

❁ وقدْ أنْشَدَ الصّاحِبُ بنُ عَبّادٍ(٥)، فأحْسَنَ في التّشبيهِ وأجَادَ: [من البسيط]

وياسَـــمينٍ علـــى قُضْـــبٍ مُنَعَّمَـــةٍ قــدْ قَدَّرَتْـــهُ يَــدُ الخَــلاّقِ مقــدورا

مـا خِلْـتُ مِـنْ قَبْلِـهِ سُـبْحانَ خالِقِـهِ قُضْـبَ الزُّمُــرُّدِ أنْ يَحْمِلْـنَ كَـافُورا

---

(١) ذكرهما النويري في نهاية الأرب ٢٣٨/١١ منسوبين لأحمد بن عبد الرحمن القرطبي، وفي نزهة الأنام ١٣٧ نسبا إلى الزُّغاري.

(٢) في مصدري الشعر: ولَفّاءَ خِلناها.

(٣) في نزهة الأنام ١٣٧ نسبا للعلاء بن آيبك الدمشقي.

(٤) هو جزء من حديث طويل رواه البزار في مسنده (٩٩/٧) عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل، قال البزار: وابن معدان لم يسمع من معاذ.

(٥) هو إسماعيل بن عباد أبو القاسم (٣٢٦ - ٣٨٥ هـ)، الأديب الشاعر الوزير، لقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة في صباه، كان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وأدباً وتدبيراً وجودة رأي، وشعره فيه رقة وعذوبة، و لم أجد البيتين في ديوانه، وهو مما فات جامعه.

١١- النِّسْرينُ[١]:

هو زَيْنُ البُستانِ، وفيهِ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ لَونـانِ، يَعْبَـقُ نَشْـرُهُ بَـينَ الأزْهـارِ، لكِـنْ عَزيزُ الوُجودِ في جَميعِ الأمْصارِ.

❀ قالَ الأستاذُ فيهِ، وقدْ أجادَ التّشبيهَ: [من الطويل]

أَبَـانَ لَـكَ النِّسْـرينُ إذْ خِلْـتَ أنّـهُ ... أَكُـفُّ سُـقاةٍ حَمَلَـتْ أَكْؤُسًـا صُفـرا

مَداهِـنَ عـاجٍ حَشـوُها التِّبْرُ إذْ عَلَـتْ ... رُؤوسَ زُنـوجٍ أُلبِسَـتْ حُلَـلاً خُضْـرا[٢]

❀ وقالَ: [من الوافر]

ونِسْـرينٍ مِـنَ الـوَرْدِ ابْيضَاضًـا ... يُرينـا غَـارَ في روضٍ وأنجـدْ

سَـبائكَ فِضَّـةٍ بَيضـاءَ أضْحَـتْ ... مُرَكَّبَـةً علـى قُضـبٍ زَبَرْجَـدْ

١٢- الفاغِيَّة[٣]:

قالَ اللُّقيميُّ: وأمّا الفاغِيّةُ، المُفضّلَـةُ على الرّيـاحِينِ الزّاهِيـةُ، فَقَـدْ ثَبَـتَ لَهـا عَليهـم السَّلْطَنَةُ، وأُقيمَ على ذلكَ الدّلائلُ المُبَرْهنةُ، فقدْ رَوَى البَيْهَقـيُّ[٤]، عـنِ ابْـنِ عُمَـرَ، مَرْفُوعًـا للحَضرَةِ السّامِيةِ: «سيّدُ رَياحينِ الدّنيا والآخرةِ: الفاغيّةُ».

---

(١) النِّسرين: ورد أبيض عطري، قوي الرائحة، واحدته نسرينة. المعجم الوسيط.

(٢) البيتان ذكرهما البدري في نزهة الأنام ١٢٠ - ١٢١ قائلاً: ومن رقيق شعر ذي الوزارتين.

(٣) الفاغية: نَور الحِنّاء خاصة، وهو (تمر الحِنّا) في لغة العامة، ونَورُ كل نبت ذي رائحة طيبة، والرائحة الطيبة، وفغى جسمَه: طيّبه بالفاغية. المعجم الوسيط.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٥/١٣١. عن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: «سيد إدام الدنيا والآخرة اللحم، وسيد ريحان أهل الجنة الفاغية».

وتُسَمّى أيْضًا بِالتّمْرِ حِنّا، لأنّ شَجَرَتَها حَنّتْ على آدَمَ حينَ أُخرِجَ مِـنَ الجَنّـةِ، ولّما انْ زَهَتْ بِرَوضِها الخَصِيبِ، أنشدَ فيها الشاعِرُ المُصِيبُ: [من البسيط]

كأنّمـا دَوْحَـةُ الحِنّـاءِ إذْ فَتّحَـتْ ... أنْوارَهـا وبَـدَتْ في عَـينِ مُرْتَقِـبِ

عَـروسُ حُسْـنٍ تَجَلّـتْ في غَلائِلِهـا ... خضراءُ قـدْ حُلِّيَـتْ بِـاللّؤْلُؤِ الرَّطِـبِ

❀ وقالَ: [من البسيط]

رَأيْـتُ في السَّـمْرَةِ الحِنّـاءِ ذَا عَجَـبٍ ... قـدْ جـاءَ في طِيْبِهـا أنْفـاسُ خَمَّـارِ

إنْ مَـرَّتِ الرِّيـحُ بَـينَ الـدَّوحِ تَحْسَـبُها ... مِـنْ طِيـبِ نَكْهَتِهـا مَـرّتْ بِعَطّـارِ

١٣ـ الأرْغُوانُ(١):

قالَ الأستاذُ في وصفِ النّارنجِ: [من الوافر]

وَصِبْـغُ الأرغُـوانِ عليـهِ بـادٍ ... كأمْثـالِ الدّوائِـرِ يـا رَفِيقِـي

أوِ الخَـدِّ المُـوَرَّدِ مِـنْ حَيـاءٍ ... خِـلالَ عِـذارِهِ النَّضْـرِ الأرِيـقِ(٢)

١٤ـ العَنْبَرْبوي:

ومعناهُ: رائِحةُ العَنبَرِ، وهوَ زَهْرٌ عَظِيمُ المَنظَرِ، شَميمُ الرّائِحةِ، يكونُ ألوانًا عديدةً.

قالَ المَرحومُ السيدُ عبدُ الرّحمنِ بن حَمزَةَ فيهِ(٣): [من الطويل]

---

(١) الأرغوان: نوع من النبت العشبي، بري وزراعي، من فصيلة الأنبوبيات، مركبة الزهر، وأشهر أنواعه الذي يتخذ للزينة، أوراقه مستطيلة لونها إلى خضار، وله عَرف طيب فواح، والأكثر من ألوانه الأزرق والأحمر. انظر موسوعة العلوم الطبيعية ١/٥٥.

(٢) ذكرهما المرادي في سلك الدرر ٣/٣٢ (ضمن ترجمة عبد السلام الكاملي)، منسوبين إلى الشيخ عبد الغني النابلسي.

(٣) ديوان ابن النقيب ١٥٥.

وذِي قامَةٍ في الزّهــرِ تَنْــدَى غَضــارَةً بَدَا فــاختِيَّ اللّـونِ مِنْ عَنبَرِ الشّحرِ[1]
لــهُ جُمَـــمٌ زُغْــبٌ تَفلّــكَ حَولَهـــا مِنَ الزّهْــرِ إفْرِيــزٌ كأجربــةِ العِطْــرِ[2]
تكــوّنُ لُطْفًــا فَـــوقَ زرٍّ زَبَرْجَـــدٍ تَكتّبُ في الألْمــاسِ سَطْرًا على سَطْرِ

❀ ولهُ في الأبْيضِ مِنْهُ[3]: [من الطويل]

وذِي هالَــةٍ في الزّهــرِ أبْيَــضَ نــاصِعٍ تكــوّنُ للنّاشــي مِــنَ العَنــبَرِ الــوَرْدِ
يَروقُــكَ هُــدّابٌ بـــهِ رَاحَ أشْــيَبا تَدَنّـــرَ في زرٍّ كبـــارِزَةِ النّهْـــدِ[4]
أحـــاطَتْ بـــهِ لـــلزّهرِ في زِيِّ دَارَةٍ ظُروفٌ مِـنَ الكـافُورِ مَبْثُوثَـةُ الشّـهْدِ[5]

١٥ـ شقائِقُ النُّعمان[6]:

قالَ بَعضُهم[7]: [السريع]

انظُــــرْ إلى الــــزَّرْعِ وخَاماتِــــهِ يَحكِــي وقــدْ هَبّــتْ عَليــهِ الرِّيــاحُ
كَتِيبَـــــةً خَضـــــرَاءَ مَهْزومَـــــةً شـــقائِقُ النُّعْمـــانِ فِيهـــا جِـــراحُ

---

(١) الفاختة: واحدة الفواخت، ضرب من الحمام المطوّق، والشحر: مكان مشهور بالعنبر.

(٢) في الأصول: تفكك حولها.. كما جونة العطر، والمثبت من الديوان.

(٣) ديوان ابن النقيب ١٠٤.

(٤) في الديوان: تدثر في زر.

(٥) في الديوان: مبثوثة الند.

(٦) شقائق النعمان: نبت بري جميل المنظر، يروق العين والقلب، يعلو من ١٥ - ٣٠ سم، حملي البشرة، أحمر قـانٍ أو ليلكي اللون. موسوعة علوم الطبيعة ٢/٣١.

(٧) البيتان للقاضي عياض بن موسى في زروع بينها شقائق النعمان. خريدة القصر (شعراء المغرب) ٥٠٣، وهما في المطرب صفحة ٩٠، وفي سلك الدرر ٢/١٠٧.

❁ وقالَ آخرُ[1]: [من الكامل]

جَـامٌ تَكـوَّنَ مِـنْ عَقيـقٍ أحْمَـرِ ... مُلِئَـتْ دَوَائِـرُهُ بِمِسْـكٍ أذْفَـرِ

خَـرَطَ الرّبيـعُ قَوامَـهُ فأقامَـهُ[2] ... بَـينَ الرّيـاضِ علـى قَضِيـبٍ أخْضَـرِ

❁ قالَ بعضُهم فيهِ: وإنْ لَمْ يَكُنْ لـهُ في العَرْفِ زَكـا، فقـدْ حـاكَى في الحُسْنِ اِبْنَ ذُكا[3]، فَكَمْ تَرَنَّمَ شاعِرٌ بِذِكْرِهِ، ورَفَعَ لهُ في مَوكِبِ الأزهارِ رايَةَ نَصْرِهِ.

❁ ولقدْ أحسَنَ مَنْ قالَ، وشَبَّهَهُ بالوَجْنَةِ والخالِ[4]: [من البسيط]

حَمْراءُ مِـنْ صَنْعَـةِ البـاري وقُدْرَتِـهِ ... مَصْقولَـةٌ لَمْ يَنَلْهـا قَـطُّ صَقّـالُ[5]

كأنّمـا وَجَنـاتٌ أرْبَـعٌ جُمِعَـتْ ... وكُـلُّ واحِـدةٍ في وَسْـطِها خَـالُ[6]

١٦- الجُلَّنار[7]:

❁ ابنُ عبدِ الظّاهرِ[8]: [من المنسرح]

كأنّمـا الجُلَّنـارُ حـينَ بَـدا ... مُفَتَّحًـا في زَبَرْجَـدِ القُضُـبِ

---

(١) البيتان في المحب والمحبوب ٣/٨٥ - ٨٦، ومحاضرات الأدباء ٤/٤٨٥، وحدائق الأنوار ٢٤٥، منسوبان لأبي العلاء السروي، وفي سلك الدرر ٢/١٠٧ نسبا للشريف الرضي.

(٢) في الأصول، وسلك الدرر: خلط الربيع، والمثبت من مصادر الخبر.

(٣) ذُكا: اسم الشمس، ويقال للصبح ابن ذُكاء؛ لأنه من ضوئها. اللسان.

(٤) البيتان لكشاجم. الديوان، صفحة ٤٠٠.

(٥) الديوان: من صبغة الباري بقدرته.

(٦) الديوان: كأنها وجنات.. في صحنها خال.

(٧) الجلنار: هو زهر الرمان. المعجم الوسيط.

(٨) عبد الله بن عبد الظاهر الجزامي السعدي (٦٢٠ - ٦٩٢ هـ)، قاض أديب مؤرخ، من أهل مصر مولداً ووفاة، وله شعر حسن. فوات الوفيات ١/٢١٢.

كُــوزُ عَقيــقٍ مُشــرِفٌ حَسَـــنٌ   قَــدْ أَوْدَعُــوهُ بُــــرادَةَ الذَّهَـــبِ

❁ قالَ بعضُهم فيهِ: هو المُشَبَّهُ بِهِ خُدودُ القِيانِ، وَوَجْناتُ وُجوهِ الحِسانِ، وقدْ أَنْشَدَ ابنُ خَلُوفٍ، إذْ هُوَ بالحُبِّ مَشْغوفٌ[1]: [من الوافر]

أرانـــا الــــوَرْدَ في حُمْــرِ الخُــدودِ   وقــدْ حَمَلَتْــهُ بانــاتُ القُــدودِ
ولاحَ الجُلَّنــــــارُ بِوَجْنَتَيْـــــهِ   فَبَشَّـــرَنا بِرُمَّـــانِ النُّهـــودِ

١٧ـ السُّنْبُلُ[2]:

المرحومُ السيدُ عبدُ الرحمنِ بنُ حَمزةَ[3]: [الخفيف]

أَصبَـحَ السُّـنبلُ الجَنِـيُّ لَدَينـا   فَـوقَ سُـوقٍ فيهـا النَّـدَى يَـتَرَدَّدْ
كَشُـنُوفٍ لَطُفْـنَ مِـنْ لاجَـوَرْدٍ   عُلِّقَـتْ في مَـراوِدٍ مِـنْ زَبَرْجَـدْ[4]

❁ ولَهُ[5]: [السريع]

وسُـنْبلٍ وَافَـى علـى سُـوقِهِ   غِـبَّ الحَيَـا في زُرْقَـةٍ لا تُحَـدّ[6]

(١) ابن خلوف: أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، شهاب الدين الخلوف (٨٢٩-٨٩٩هـ) شاعر تونسي، أصله من فاس، له ديوان شعر مطبوع، ويغلب على شعره الرقة، ويكثر الوصف، والبيتان في ديوانه، صفحة ٢٨٨.

(٢) السنبل: ويسمى الناردين: نَبت عطري طيب الرائحة، منه الأزرق والحدائقي، يستخرج من جذوره عطر من أجود أنواع الطيب. انظر موسوعة العلوم الطبيعية ٢/٥٣٦.

(٣) ديوان ابن النقيب ١٠٥.

(٤) لاجورد: معرب لازورد، من الأحجار الكريمة، لونها أزرق (المعجم الذهبي) وشنوف: ما يعلق في الأذن من أقراط، والمراود: جمع مرود، وهو القرط.

(٥) ديوان ابن النقيب ١٠٥.

(٦) غب الحيا: بعد المطر.

مَكْفُوفَـــةُ الحافَـــاتِ زَهَراتُـــهُ مَذرُوبَـــةُ الأوراقِ في كُـــلِّ يَـــدْ
كأنّمـــا تَعْقِيـــفُ أطْرافِهـــا مَحـــاجِنٌ صِيغَـــتْ مِـــنَ اللاّجَـــوَرِدْ[1]

❁ ولَهُ[2]: [من السريع]

يـا حُسْـنَهُ مِـنْ سُـنبُلٍ نـاصِعٍ يَبْـدو لَنـا في قـائِمٍ أخْضَـرِ
كأنّمـا مِـنْ حَـولِ زَهْرَاتِـهِ زَرَافِـنٌ صِيغَـتْ مِـنَ العَنْـبَرِ[3]

١٨- الزَّنبَقُ[4]:

❁ صاحبُ المَخا[5]: [المنسرح]

انظُـرْ إلى الزَّنبَـقِ الأنِيـقِ وقَـدْ أبْـدَعَ في شَـكلِهِ وفي نَمَطِـهْ
يَحكـي قنـادِيلَ فِضَّـةٍ غُرِسَـتْ شُـموسُ تِـبْرٍ تُضِـيءُ في وَسَـطِهْ

❁ حَيْدَرُ الرّوميُّ[6]: [من الوافر]

وزَنبَـقِ مَجْلِـسٍ بَـينَ النَّدامـى كشَـيْخٍ حـازَ لُطفًـا في وَقـارِ
يُريـكَ إذا تَـلا ﴿إنّـا فَتَحْنـا﴾[7] عَمـودَ الفَجْـرِ في ضَـوءِ النّهـارِ

---

(١) في (ج): محاجز.

(٢) ديوان ابن النقيب، صفحة ١٥٦.

(٣) زرافن وزرافين: حلقة الباب، وزرفن صدغيه: جعلهما حلقاً.

(٤) الزنبق: نبات له زهر، طيب الرائحة، طويل كالحربة، يغلب عليه الأبيض والخمري، الواحدة زنبقة. المعجم الوسيط.

(٥) هو الحسن بن مطهر بن محمد الحسني اليمني الجرموزي (١٠٤٤ - ١١٠٠ هـ)، أديب شاعر، من مؤلفاته «شرح نهج البلاغة»، اتصل بالمتوكل على الله إسماعيل، وتنقل في الولايات، توفي بصنعاء، والبيتان في نفحة الريحانة ٣/٣٩٦.

(٦) حيدر بن محمد الرومي، من شعراء نفحة الريحانة ٣/٥٤٤، وفيها البيتان.

(٧) سورة الفتح الآية: (١).

❁ وقال الأستاذُ: [السريع]

كأنّمـا الزّنبَـقُ في الـرَّوضِ مُـذْ ... جُـزَّ مِـنَ الزَّهْـوِ علـى السَّـاقِ هَـبْ

عَليـهِ قـدْ عُلّـقَ مِـنْ فِضَّـةٍ ... ماسُـورةٌ فِيهـا حِجـابُ الذَّهَـبْ

❁ ولَهُ: [من الطويل]

وزَنبَـقِ رَوضٍ مُـذْ تَبَـدَّى خِلْتُـهُ ... وقـدْ مـالَ يَزْهـو بالصَّبـا المُـتَرَدِّدِ

صُحُونَ لُجَينٍ أُودِعَتْ حَبَّ عَسْجَدٍ ... مُرَكَّبَـةً مِـنْ فَـوقِ قُضـبِ زَبَرْجَـدِ

❁ ولَهُ: [من الوافر]

وقامَـةِ زَنبَـقٍ كـالرُّمْحِ قـامَتْ ... لِتَغْـزُوَ زَهْـرَ هـاتِيكَ الجِنـانِ

لسـاعِدِها الزَّبَرْجَـدِ كـفُّ دُرٍّ ... تُقَبِّلُـهُ النَّسـائمُ باللِّسـانِ

❁ شيخُنا مُحمدُ بنُ الشَّمعةِ: [من الوافر]

وزَنبـقِ رَوضَـةٍ قـدْ حـازَ حُسْـنًا ... حَكَـى في شَـكْلِهِ لَمّـا يَمِيـسُ

زُنُـودَ زَبَرْجَـدٍ حَمَلَـتْ كُؤوسًـا ... مِـنَ البِلَّـورِ دَاخِلُهـا شُـموسُ

١٩ـ النَّرْجِسُ[١]:

المأمونُ[٢]: [من الطويل]

ويـاقُوتَـةٍ صَفـراءَ في رَأسِ دُرَّةٍ ... مُرَكَّبَـةٍ في قـائِمٍ مِـنْ زَبَرْجَـدِ

---

(١) النرجس: نبت من الرياحين، وهو أنواع كثيرة، تُزرع لجمال زهرها وطيب رائحتها، وزهرته تُشَبّه بها الأعين، واحدته نرجسة. المعجم الوسيط.

(٢) كذا في الأصل، وفي نزهة الأنام ١٢٩: المأمون أمير المؤمنين، والبيتان في حدائق الأنوار ١٩٣، ونسبهما محققه إلى المأموني عبد السلام بن الحسين، من شعراء اليتيمة، والبيت الأول في محاضرات الأدباء ٤/٤٧٨ من غير عزو.

كـــأنَّ جُمـــانَ الطَّـــلِّ في جَنَباتِهـــا بَقِيّـــةُ دَمـــعٍ فَـــوقَ خَـــدٍّ مُـــوَرَّدِ

❁ وقدْ تَدَاوَلَتْ ذِكْرَ مَحاسِنِهِ الناسُ، وأحسَنُ ما قِيلَ فيهِ قولُ أبي نُوَاسٍ[1]: [من الوافر]

تَـــأَمَّلْ في رِيـــاضِ الأرضِ وانْظُـــرْ[2] إلَـــى آثـــارِ مـــا صَنَـــعَ المَلِيـــكُ

عُيـــونٌ مِـــنْ لُجَيْـــنٍ شـــاخِصاتٌ بـــأَحْداقٍ كمَـــا الذَّهَـــبُ السَّـــبيكُ[3]

علَـــى قُضُـــبِ الزَّبَرْجَـــدِ شـــاهِداتٌ بـــأَنَّ اللهَ لَيـــسَ لَـــهُ شَـــرِيكُ

❁ وقدْ وَرَدَ في الخَبرِ عن سيِّدِ البَشـرِ: «شُمُّوا النَّرْجِسَ، فإنّ في القلْبِ حَبَّةً مِنَ الجُنونِ والجُذَامِ والبَرَصِ، لا يَقطَعُها إلاّ شَمُّ النَّرْجِسِ»[4].

❁ ورُوِيَ عنْ أبُقراطَ: أنّ النَّرجِسَ غِذاءٌ للرُّوحِ والعقلِ[5].

❁ ورُوِيَ عنِ الحَسَنِ بنِ سَهْلٍ: أنّ مَنْ أدْمَنَ شَمَّهُ في الشتاءِ أَمِنَ البرسامَ في الصَّيفِ[6].

فهُو عُيونُ الرّياضِ الناظِرَةُ، وزَهَرَاتُها الناضِرَةُ، به يُوصَفُ تَضعِيفُ الأجْفانِ، وهو المُبَشِّرُ بِمَقْدَمِ طيبِ الزمانِ.

---

(١) كذا في الأصل، ولم أجدها في ديوانه، والأبيات في المحب والمحبوب ١٧٥/٣، ومحاضرات الأدباء ٤٦٦/٤، منسوبة لإسحاق بن محارب القمي.

(٢) المحب والمحبوب: تأمل من خلال الشك وانظر، والمحاضرات: تأمل في ربيع الأرض.

(٣) في مصدري الشعر: كأن حداقها ذهب سبيك.

(٤) ذكره الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٣٥٤/٢، عن علي بن أبي طالب ﷺ، وذكره البدري في نزهة الأنام (١٢٢)، رواية عن «أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب» للحافظ شمس الدين الجزري، وقال: حديث مسلسل بالقضاة إلى القاضي شريح، كما ذكره العجلوني في كشف الخفا (١٥٦١): شموا النرجس.. وقال: رواه الطبراني، قال السيوطي في مقاماته الريحانية: حديث راويه غير مُعلّ ولا مفلس.

(٥) في نزهة الأنام (١٢٢): قال أبقراط: كل شيء يغذو الجسم، والنرجس يغذو العقل. وانظر محاضرات الراغب ٣٧٦/٤

(٦) وفيات الأعيان ١٢٣/٢، والخبر في نزهة الأنام ١٢٢ من غير عزو. والبرسام: علّة يُهذَى فيها. القاموس.

❁ وقالَ كِسْرَى: النّرجِسُ ياقوتٌ أصفَرُ، بَينَ دُرٍّ أبْيَضٍ، على زُمُرُّدٍ أخضَرٍ، فَنَظمهُ القائلُ:

ويَاقُوتَةٍ صَفْراءَ في رَأسِ دُرَّةٍ[1]

وقدْ أَثْبَتَ أهلُ المَشرِقِ أنّ النّرجسَ هو البَهارُ[2]، فقالَ ابنُ عامِرٍ[3]: [من الكامل]

أنــا نَرْجِــسٌ حَقًّــا بَهَــرْتُ عُقولَهُــم ببَدِيــعِ تَرْكِيبِــي فَقِيــلَ بَهــارُ

٢٠- المُضْعَفُ:

وَهوَ نَوعٌ مِنَ النّرجِسِ، لكنّهُ أعْطَرُ رَائِحَـةً مِنـهُ، وأبْهَـجُ مَنظَـرًا، وأكْـثَرُ نَفعًـا، قـالَ الشاعِرُ[4]: [من البسيط]

ونَرجِسُ الرّوضِ قـدْ حَيّـا بِمُضْعَفِـهِ في أصْفَـرٍ فـاقِعٍ مـعْ أبْيَـضٍ يَقَـقِ[5]

كأنّــهُ وهــوَ في قُضْــبٍ مُنَعَّمَــةٍ يُلْقِي النّسيمُ علَيها نَفْـسَ مُعْتَبِـقِ[6]

أمْشــاطُ دُرٍّ مِــنَ الإبْرِيــزِ في جُمَــمٍ جَعْـدٍ فمـا بَـينَ مَجْمـوعٍ ومُفـتَرِقِ

---

(١) محاضرات الأدباء ٤/٤٧٧ - ٤٧٨، وفيه: وقيل بالفارسية.. وتتمة الشطر وردت ص ١١٨.

(٢) البَهار: انظر الحاشية (١) صفحة ١٢٧.

(٣) كذا في الأصول، والبيت لأبي مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري الأندلسي، مخاطباً المنصور بن أبي عامر، على لسان ابنته بهار العامرية. انظر الذخيرة لابن بسام ٣٢/٤، ونفح الطيب ٥٣١/١، ٦٦/٤.

(٤) الأبيات لابن النقيب. الديوان ٢٢٥، وذكرها صاحب نفحة الريحانة ٤٥/٢، وقال: ومما يُستبدع ويُستظرف قوله في تشبيه المضعف.

(٥) أبيض يقق: شديد البياض.

(٦) المثبت في النفحة: نفس مُعتنق.

٢١- الوَرْدُ[١]:

قالَ المَرحومُ السيدُ عبدُ الرّحمنِ بنُ حَمزةَ[٢]: [من البسيط]

وأقبلَ الوَرْدُ مِنْ بُرْعُومِهِ خَجِلاً[٣] ... يُبدِي لنا فَوقَ رَيّا نَشْرِهِ العبقِ

دَراهِمًا مِنْ يَواقِيتٍ على قُضُبٍ ... تراكَمتْ تحتَ دِينارٍ على طَبَقِ

وقدْ أحاطَتْ لِرَقصِ الدّسْتَبندِ بها[٤] ... مِنَ الزّبَرجَدِ حِيتانٌ مِنَ الوَرَقِ

❁ قالَ الأمينُ في «نَفْحَتِهِ»[٥]: إنّ البُرعُومَ، والبُرعُمَ، والبُرعُمَةُ، [والبُرعُومة]، بِضَمِّهِنّ زهرةُ الشجَرةِ قَبلَ أنْ تَنفَتِحَ، ورقص الدّستبندِ مَعرُوفٌ لِلعَجَمِ، يأخُذُ بَعضُهُم بِيَدِ بَعضٍ، ويُقالُ لهُ الفَنْزَجُ، بالفاءِ المَفتُوحَةِ[٦]، ولقدْ أتَى بِأبْدَعِ ما يُستَعْذَبُ ويُستَغْرَبُ، وقالَ: [المنسرح]

قدْ فَتحَ الوردُ جُنْبُذًا بَهِجًا[٧] ... يَكادُ مِنهُ الدّينارُ يَنْسَبِكُ

عَقِيقُ أورَاقِها على ذَهَبٍ ... يَحْمِلُهُ مِنْ زَبَرْجَدٍ سَمَكُ

❁ قالَ في كتابِ «ازدِهاءِ الأزهارِ» للشّقاقي[٨]: لمْ أسْمَعْ في زِرِّ الوردِ الأخضَرِ الحاوي للزّهرِ الأحمَرِ، أبْدَعَ مِنْ هذا التشبيهِ، وهوَ مِنْ بدائِعِ التشبيهاتِ، ورَوائِعِ التوجيهاتِ، التي يَطرَبُ عليها الأدِيبُ، ويَهتزُّ لها الأريبُ.

---

(١) الورد: جُنيبة من الفصيلة الوردية، تُزرع لزهرها، وهي أنواع وأصناف، ومن أشهرها الورد الدمشقي أو البلدي، يُستقطَر منه ماء الورد والدهن المسمى عطر الورد. المعجم الوسيط.

(٢) ديوان ابن النقيب ٢٢٥.

(٣) الديوان: برعومه عجلاً.

(٤) سيشرح المؤلف كلمة الدستبند بعد أسطر.

(٥) نفحة الريحانة ٢/٤٣.

(٦) في الأصل، وفي أصل النفحة: الفترج، والتصويب من المعرب ٢٣، وشفاء الغليل ١٦٨. حاشية النفحة.

(٧) الجنبذ: كالجلنار، من الرمان. القاموس.

(٨) المثبت في النفحة: «ازدهار الأزهار» للشقاشقي.

❁ وقالَ آخرُ: [من البسيط]

انظُـرْ إلى الـوَرْدِ مـا أحلَـى شَـمائِلَهُ | سُبحانَ خالِقِـهِ مِـنْ يـابِسِ الحَطَـبِ
كأنّـه وَجْنَـةُ المَحبـوبِ نَقَّطَهـا | كَـفُّ المُحِـبِّ بِدينـارٍ مِـنَ الذَّهَـبِ

❁ وقالَ آخرُ: [من الكامل]

فكأنّمـا الـوَرْدُ الجَنِـيُّ إذا بَـدَا | مِـنْ ريحِـهِ يَزهُـو بخَـدٍّ عَسْـجَدِ
أصْـدافُ يـاقوتٍ لِطـافٌ نُضِّـدَتْ | مِـنْ حَـولِ دِينـارٍ بِكَـفِّ زَبَرْجَـدِ

❁ ابنُ طَباطبا[1]: [من البسيط]

أمَا تَرَى الوَرْدَ يَحكي خَجْلَةً ظَهَرَتْ | في صَحْنِ خَدٍّ مِنَ المَعشُوقِ مَنعُـوتِ
كأنّـهُ فَـوقَ سـاقٍ مِـنْ زَبَرْجَـدَةٍ | نَـثْرٌ مِـنَ التِّـبْرِ في أقـدَاحِ يـاقوتِ

❁ ابنُ طاهرٍ[2]: [من البسيط]

أمَـا تَـرَى شَـجَراتِ الـوَرْدِ مُظْهِـرَةً | لنـا بَدائـعَ قـدْ رُكِّبْـنَ في قُضُـبِ
أوراقُهـا حُمُـرٌ أوْسَـاطُها جَمَـمٌ | صُفْرٌ ومِنْ حَولِها خُضْرٌ مِنَ الشُّطُبِ[3]

❁ الخُوَارِزْمِي[4]: [من البسيط]

أمَـا تَـرَى الـوَرْدَ يَدعُـو لِلـوُرودِ علـى | عِـذارِ صَافِيَـةٍ في لَونِهـا صَهَـبُ[5]

---

(١) في التذكرة الفخرية ٢٧٥ البيتان نسبا للبحتري، ولم أجدهما في ديوانه.

(٢) ابن طاهر: محمد بن أحمد أبو عبد الرحمن القيسي (٠٠ - ٤٨٠ هـ)، أمير أندلسي، شاعر، أديب، كان يُشَبَّه في أدبه بالصاحب بن عباد.

(٣) البيتان في المحب والمحبوب والمشموم ٨٩/٣، وفيه: أوساطها حُمم. وانظر تخريجهما فيه.

(٤) البيتان في نهاية الأرب ١٨٩/١١، وفيه: وقال ابن طاهر، ويروى لابن بسام.

(٥) في نهاية الأرب: للورود إلى خمرٍ معتّقةٍ في لونها.

تَــرَى مَداهِـــنَ يـــاقُوتٍ مُرَكَّبَـــةً على الزُّمُـرُّدِ في أوسَـاطِها ذَهَـبُ[1]

❀ قالَ في «الفِردَوسِ»[2]، بِسَندٍ عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ تعالَى عنهُ، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنّ اللهَ عزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الوَرْدَ مِنْ بَهَائِهِ، وجعلَه مِنْ ريحِ أنبيائِهِ، فَمَنْ أرادَ أنْ يَنْظُرَ في بهاءِ اللهِ، ويَشُمَّ روائِحَ أنبيائِهِ[3]، فَلْيَنظُرْ إلى الوَردِ الأحمَرِ ويَشُمَّهُ».

❀ وفي رِوايةٍ عنِ الحَسَنِ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنّ الـوَرْدَ سيِّدُ رَيـاحينِ الجَنَّـةِ بعدَ الآسِ».

❀ قالَ ابنُ نُباتَة[4] فيهِ: فَكَّكَتْ أزرارَهُ مِنْ أجيادِ القُضُبِ النَّسيم، وخَرَجَتْ أكُفُّهُ مِنْ أكْمَامِهِ تأخذُ البَيْعَةَ على الأزهارِ بالتقديمِ. انتهى.

وأمّا **الوَرْدُ الأصفَرُ:** فهوَ زِينَةُ الرياضِ النّواضِرْ، فاقِعٌ لَونُهُ، يَسُرُّ النّواظِرْ.

❀ قالَ ابنُ عُنَين[5]: [من الكامل]

شَـــجَراتُ وَردٍ أصفَـــرٍ بَعَثَـــتْ في كُـــلِّ قَلْـــبِ مُتَيَّـــمٍ طَرَبـــا

---

(١) في نهاية الأرب:

مداهـــن مـــن يواقيـــت مركبـــة على الزبرجـد في أجوافهـا ذهـب

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ١/١٧١، والحديث لا يصح. انظر كشف الخفا (٧٩٨) تحت قوله: إن الورد خلق.

(٣) الأصل: وجعل له من روائح. والمثبت من الفردوس.

(٤) ابن نباتة: محمد بن محمد الفارقي المصري (٦٨٦ - ٧٦٨ هـ)، شاعر عصره، وأحد الكُتّاب المترسلين العلماء بالأدب.

(٥) ابن عُنين: محمد بن نصر الله بن عنين الدمشقي الأنصاري (٥٤٩ - ٦٣٠ هـ)، أعظم شعراء عصره، مولده ووفاته بدمشق، غلب الهجاء على شعره، وكان وافر الحرمة عند الملوك، والبيتان في نهاية الأرب ١١/١٩٤ منسوبان للطغرائي، ولم أجدهما في ديوان ابن عنين.

يـــا مَـــنْ رَأى مِـــنْ قَبلِهـــا شَـــجَرًا   أَسْـــقى اللُّجَيْـــنَ[1] فـــأنْبَتَ الذّهَبـــا

وأمّا **الوَرْدُ الأبْيضُ:** فهوَ نَديمُ الظُّرَفاء، لكنْ لهُ في طُولِ العَهدِ وَفاء، قالَ فيهِ السَّرِّيُّ الرَّفّاءُ[2]: [من الطويل]

بَـدَا أبْيَـضُ الـوَردِ الجَنِـيِّ كأنّمـا   تَنَشَّـمَ لِلنّاشـي بِمِسْـكٍ وكَـافُورِ

كـأنّ اصفِـرارًا مِنْـهُ وَسْـطَ بَياضِـهِ   بُـرادَةُ تِـبْرٍ في مَداهِـنِ بِلّـورِ

❁ الوَأْواءُ الدِّمَشقِيُّ[3]: [من مجزوء الرجز]

يـــا حُسْـــنَها مِـــنْ وَردَةٍ   بَيضـاءَ جـاءَتْ بـالعَجَبْ

كَجَـــامِ بِلّـــورٍ بِـــهِ   قُراضَـــةٌ مِـــنَ الذّهَـــبْ

❁ خَطِيبُ النّيرَبَيْن[4]: [من الوافر]

وَوَرْدًا أبْيضًـــا قـــدْ زادَ حُسْـــنًا   فَعِنـدَ الضِّـدِّ للخَجَـلِ احْمِـرارُ

يُمثّلُـــهُ النّديـــمُ إذا رَآهُ   مَداهِـــنَ فِضَّـــةٍ فيهـــا نُضَـــارُ

---

(١) في نهاية الأرب: من ذا رأى.. سُقي اللجين.

(٢) السري الرفاء: السري بن أحمد الكندي (٠٠ - ٣٦٦ هـ)، شاعر أديب، من أهل الموصل، وشعره يمتاز بعذوبة ألفاظه، والافتتان في التشبيهات والأوصاف. والبيتان في ديوانه صفحة ١٤٢، وانظر نهاية الأرب ١٩٣/١١.

(٣) الوأواء الدمشقي: محمد بن أحمد الغساني الدمشقي (٠٠ - ٣٨٥ هـ)، شاعر مطبوع، حلو الألفاظ، في معانيه رقة. والبيتان في الديوان ٢٦١.

(٤) هو عبد الوهاب بن أحمد بن سحنون، الحكيم البارع الخطيب، له شعر وأدب وفضائل، من فضلاء الحنفية، عاش ٧٥ سنة، وتوفي سنة ٦٩٤، والبيتان في فوات الوفيات ٤١٩/٢، والمثبت فيه: وورد أبيض.. فعند الضّدّ.

٢٢- القَرَنْفُلُ:

❁ قالَ الشاعرُ[(١)]: [من البسيط]

حَكَى القَرَنْفُلُ مُحْمَرًّا على قُضُبٍ ... خُضْرٍ لها صَارَ بِالتّفضِيلِ مَنعُوتا
كفًّا على مِعْصَمٍ نَقْشٌ بِهِ خَضِرٌ ... غَدا لَهُ كافِرُ العُذّالِ مَبهُوتا
أبْدَتْهُ خَودٌ وقدْ ضَمَّتْ أنامِلُها ... كأسًا تَسعَرُ لُطفًا صِيغَ ياقُوتا

❁ ابنُ خَلّوفٍ[(٢)]: [من البسيط]

ولِلقَرَنْفُلِ راحاتٌ مُخَضَّبَةٌ ... على مَعاصِمَ خُضرٍ فِتنَةُ الرّائي
كأنجُمٍ مِنْ عَقيقٍ في ذُرَا فَلَكٍ ... مِنَ الزُّجاجِ أرَتْ أشْطانَ لألاءِ

❁ وقال الأستاذُ في الأبيضِ مِنهُ[(٣)]: [من الكامل]

هيّا بِنا فالطّيرُ صاحَ مُغَرِّدًا ... ما إنْ يُقاسُ لَدَى الوَرَى بِمُغَرِّدِ
والرّوضُ مَدَّ مِنَ القَرَنْفُلِ لِلنّدى ... كاساتِ دُرٍّ في زُنودِ زَبَرْجَدِ

❁ ولهُ في الأبيضِ المُشرب بِحُمْرَةٍ[(٤)]: [من الوافر]

وزَهْرِ قَرَنْفُلٍ في الرّوضِ يَحكِي ... قُصورَ دَمٍ على صَفَحاتِ ماءِ
رأى وَجَناتِ مَنْ أهْوَى فأغْضَى ... فَبَانَ بِوَجْهِهِ أثَرُ الحَيَاءِ

---

(١) الأبيات لمحمد بن أبي اللطف المقدسي. نفحة الريحانة ٢/٥٠، وانظر خلاصة الأثر ٢/٣٩٤.

(٢) ديوان ابن خلوف ٧٩، والبيتان في نفحة الريحانة ٢ /٥١، وخلاصة الأثر ٢ /٣٩٥.

(٣) البيتان للشيخ عبد الغني النابلسي. نفحة الريحانة ٢/٥٣، وخلاصة الأثر ٢/٣٩٥.

(٤) البيتان للشيخ عبد الغني النابلسي. نفحة الريحانة ٢/٥٣، وخلاصة الأثر ٢/٣٩٦.

٢٣ـ الأَقاحِي[١]:

هُوَ الأُقحُوانُ، وعِندَ أهلِ مِصْرَ هوَ البَابُونَجُ، ولهُ عِندَهُم خُصوصِيةٌ، يَزعُمونَ أنّ مَنْ قَطَعَهُ بالذّهَبِ يومَ تاسِعِ عَشَرَ الحَمَلِ، فلا يعدَمُ الذّهبَ بَقِيةَ عامِهِ، والله أعلمُ.

أنشدَ فيهِ بَعضُ[٢] أهلِ الأدبِ، لَمّا ابتسَمَ ثَغرُهُ الحالِي الشَّنَبِ[٣]: [من الطويل]

وللأُقحُوانِ الغَضِّ ثَغْرٌ مُفَلَّجٌ ... يَعَضُّ بِأطرَافِ الثّنايَا على تِبْرِ

❁ وقالَ ظافرُ الحدّادُ[٤]: [من البسيط]

والأُقحُوانَةُ تَحكِي ثَغْرَ غانِيَةٍ ... تَبَسَّمَتْ فِيهِ مِنْ عُجْبٍ ومِنْ عَجَبِ

كَشمْسةٍ مِنْ لُجَينٍ في زَبَرْجَدَةٍ ... قدْ شُرِّفَتْ تحتَ مِسْمارٍ مِنَ الذّهَبِ[٥]

❁ وقالَ آخرُ: [من الطويل]

وقدْ لاحَ زَهْرُ الأُقحُوانِ كأنّهُ ... تَمِيسُ بِهِ خُضْرٌ رِقاقٌ مِنَ القُضبِ

رُؤوسُ مَسامِيرٍ مِنَ التِّبْرِ رَصَّعَتْ ... دَوائِرَها الصُّيّاغُ بِاللُّؤلُؤِ الرَّطبِ

---

(١) الأقاحي أو الأقحوان: نَبت زهره أصفر أو أبيض، ورقه مؤلّل كأسنان المنشار، ومن أصنافه البابونج. المعجم الوسيط.

(٢) من هنا، وحتى الصفحة ١٣٠ ليس في (ج).

(٣) البيت لمصطفى بن عبد القادر بن بهاء الدين العمري. انظر سلك الدرر ٤/٢١٧.

(٤) ظافر بن القاسم الجذامي، أبو نصر الحداد، شاعر من أهل الإسكندرية، توفي سنة ٥٢٩ هـ، والأبيات في ديوانه صفحة ١٩، من قصيدة قالها يذكر ما مضى من زمانه بثغر الإسكندرية.

(٥) في الديوان: قد أشرقت تحت.

٢٤- البَهارُ[١]:

هو أنْضَرُ أنواعِ الأزهارِ، قالَ الشاعِرُ[٢]: [من الطويل]

تَنَبَّهْ فَقَدْ شَقَّ البَهارُ مُغَلِّسًا[٣] كَمائِمَهُ عن نورِهِ الخَضِلِ النَّدِي
مَداهِنُ تِبْرٍ في أَنامِلِ فِضَّةٍ على أذرُعٍ مَخرُوطَةٍ مِنْ زَبَرْجَدِ

❁ وقالَ آخرُ: [من الكامل]

انظُرْ إلَى حُسْنِ البَهارِ وغُنْجِهِ يَرْنُو إليكَ بِمُقْلَتَيْ وَسْنانِ
فكأنّها هِيَ رَاحَةٌ مِنْ فِضَّةٍ قَدْ ضُمِّنَتْ كأسًا مِنَ العِقْيانِ

٢٥- البَانُ[٤]:

البانُ، رَوْحٌ ورَيْحانٌ، زَاهِي المَنْظَرِ، شَمِيْمُ المَخْبَرِ، قالَ ابنُ الوَرديِّ[٥] في مَدْحِهِ، لَمّا تَعَطَّرَ بزاكِي نَفْحِهِ[٦]: [من الوافر]

تَجادَلْنا: أمَاءُ الزَّهْرِ أذكَى أمِ الخَلّافُ أمْ وَردُ القِطافِ[٧]

---

(١) البهار: كل شيء حسَن منير، وجنس زهر من المركّبات الأنبوبية الزهر، طيب الريح، ينبت أيام الربيع، ويقال له العرار. المعجم الوسيط.

(٢) البيتان لأحمد بن برد الأندلسي في النرجس، وهو البهار عند الأندلسيين. فوات الوفيات ٣٥٠/٧، نهاية الأرب ٢٨٥/١١، الذخيرة ٢/١: ٤٨، نفح الطيب ٢٩٣/٣، ٥٤٦.

(٣) جاء في حاشية نهاية الأرب: مغلساً تحريف، صوابه مقلصاً.

(٤) البان: ضرب من الشجر، سَبطُ القوام، ليّن، ورقه كورق الصفصاف، وتُشبّه به الحِسان في الطول واللين. الوسيط ٧٧/١.

(٥) البيتان في ديوانه ٢٤٤.

(٦) ابن الوردي عمر بن مظفر زين الدين المعري الكندي (٦٩١ - ٧٤٩ هـ) الشاعر، الأديب، المؤرخ، النحوي. فوات الوفيات ١١٦/٢، وبغية الوعاة ٣٦٥.

(٧) الخلاف: شجر الصفصاف.

وعُقبَى ذَلِكَ الجَدَلِ اصْطَلَحْنا   وقدْ وَقَعَ الوِفاقُ على الخِلافِ

❁ وقالَ آخرُ[1]: [من الطويل]

تَبَسَّمَ زَهْرُ البانِ عَنْ طِيبِ نَشْرِهِ[2]   وأقْبَلَ في حُسْنٍ يَجِلُّ عَنِ الوَصْفِ

هَلُمّوا إليهِ بَينَ قَصْفٍ ولَذَّةٍ   فإنَّ غُصونَ البانِ تَصْلُحُ لِلقَصْفِ[3]

❁ وقالَ آخرُ: [من السريع]

لِبُلْبُلِ البانِ غِنا رائِقٌ   يَمِيلُ بالخاشِعِ والنّاسِكِ

قالَتْ لهُ البانَاتُ أطْرَبْتَنا   فقالَ ذا مِنْ طِيْبِ أنفاسِكِ

٢٦ـ اللَّعْلَعُ[4]:

❁ قالَ الأستاذُ: [من السريع]

لَمّا بَدا اللَّعْلَعُ في رَوضَةٍ   يَمِيسُ بِالقامَةِ مِثْلَ الرَّداحْ[5]

جَاءَ شَقِيقٌ عارِضًا رُمْحَهُ   إنّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِماحْ[6]

---

(١) البيتان للشاب الظريف. الديوان ٥٤.

(٢) الديوان: زهر اللوز عن طيب وصفه.

(٣) الديوان: هلمّ إليه.. غصون الزهر.

(٤) اللعلع: نوع شجر حجازي.

(٥) الرداح: الثقيلة الأوراك.

(٦) البيت (جاء شقيق..) لحجل بن نضلة. انظر البيان والتبيين ٣/٣٤٠، وشرح الحماسة للمرزوقي ٢/٥٨٠.

٢٧- البُلْسانُ[١]:

❀ الأستاذُ[٢]: [من الطويل]

وأشـجارِ بُلْسـانٍ بِهـا لَعِـبَ الصَّبـا ... فَبَهْجَتُهـا بَـينَ الحَدائِـقِ مُفرطَـةْ
كـأنّ بَيـاضَ الزّهـرِ فـوقَ غُصونِهـا ... كُفـوفُ لُجَيْـنٍ بِالنُّضـارِ مُنَقَّطَـةْ

٢٨- اللَّيْلَكُ[٣]:

❀ الأستاذُ: [من المجتث]

قُـمْ يـا نَديمـي لِـرَوْضٍ ... شَـذَاهُ عَطَّـرَ ذَيْلَـكْ
فـاللَّيْلَكُ الغَـضُّ وَافَـى ... بِنَشْـرِهِ يَنْطَـوي لَـكْ
لَيْـلٌ بِـهِ طَـابَ حَتّـى ... قَـدْ أشْـبَهَ اللَّيْـلُ لَيْلَـكْ

٢٩- البَنَفْسَجُ[٤]:

❀ قالَ الفاضِلُ اللُّقَيْمِيُّ: وأمّا البَنَفْسَجُ فهوَ اللّطيفُ الذّاتِ، الشّريفُ الحُسْنِ والصّفاتِ، بِهِ تَعَطَّرَتِ الجُيوبْ، وبِهِ يُشَبَّهُ عِذارُ المَحبُوبْ، المُحَاكِي لِزُرْقِ اليَواقِيتِ، وأوائلِ النارِ في أطْرَافِ الكِبْرِيتِ.

---

(١) البُلسان: شجر له زهر أبيض صغير بهيئة العناقيد، وهو من الفصيلة البخورية، ويُستخرج من بعض أنواعه دهن عطر الرائحة. المعجم الوسيط.

(٢) البيتان لعبد الغني النابلسي. نفحة الريحانة ٢/١٥٠.

(٣) الليلك: جنس نباتات برية وتزيينية، أنواعه عديدة وأزهاره قصيرة، وأشهر ألوانه الأزرق. موسوعة علوم الطبيعة ٢/٤٣٧.

(٤) البنفسج: جنس أعشاب صغير، برية وتزيينية، ألوانها عديدة أشهرها البنفسجي والأبيض، يستخرج منها بالتقطير عطر شيق، مستحب الرائحة. موسوعة العلوم الطبيعية ١/١٦٩.

❁ ويَكفِيهِ ما وَرَدَ عن سَيِّدِ وَلَدِ عَدنانَ: «أنَّ دَهْنَهُ سَيِّدُ الأدْهانِ»[1].

❁ فللّهِ دَرُّ القائلِ فيهِ، وقدْ أجَادَ، بلْ أحْسَنَ في التّشبيهِ[2]: [من البسيط]

ولا جَوْرَدِيَّـــةٍ تَزهُـــو بزُرقَتِها ... بَينَ الرِّيـاضِ على حُمـرِ اليَواقِيـتِ[3]

كأنّهـا فَـوقَ قامَـاتٍ ضَعُفْـنَ بِهـا ... أوائـلُ النّـارِ في أطْـرافِ كِـبْرِيتِ[4]

٣٠- النِّيلُوفرُ[5]:

❁ قالَ ابنُ الأثِيرِ في «عَجَائِبِهِ»: يُسَمَّى حَبَّ العَرُوسِ[6].

❁ قالَ الخَفَاجيُّ[7]: هِيَ صَدَفَةٌ لِدُرِّ السَّحابِ، وحُقَّةٌ لِجَوْهَرِ النَّدَى المُـذابِ، كأنّهـا بَوْتَقَةٌ أذابَ بِها الجَوُّ نُضَارَهُ، أوْ كأسٌ في يَدِ مُصْطَبِـحٍ يُـداوي بِهـا خمـارَهُ، أو مُقْلَـةُ صَـبٍّ كَئيبْ، قدْ فَاجَأَهُ على الغَفْلَةِ الرَّقيبْ، بعدَ ما امتلأَتْ بدَمْعِ الهَوى، وتردَّدَ فيهـا الدَّمـعُ مِـنْ حَيْرَةِ النَّوى، وقدْ طَغَا عليها[8] الماءُ الزلالُ، فبلَغَ حافَتَيْها وسَالَ.

---

(١) حديث ذكره الشيرازي في كتاب الألقاب عن أنس، ولهذا الحديث طرق كثيرة كلُّها معلولـة. قـال ابـن القيـم في «التنقيح» عنه: حديث باطل موضوع. انظر فيض القدير ٤/١١٩.

(٢) البيتان في ديوان ابن المعتز ٢/١٦٨، وانظر تخريجهما في المحب والمحبوب ١/١١٤، ٣/٨٧.

(٣) الديوان: ولازوردية أوفت.. على زرق اليواقيت.

(٤) الديوان: طاقات ضعفن.

(٥) النيلوفر: جنس نباتات مائية، فيه أنواع تنبت في الأنهار، وأنواع تزرع في الأحواض لورقها وزهرها، ومن أنواعـه زهر (اللوتس) أي عرائس النيل. المعجم الوسيط.

وهنا ينتهي السقط من نسخة (ج) وكان ابتداؤه صفحة ١٢٦.

(٦) هو كتاب تحفة العجائب وطرفة الغرائب، لابن الأثير عز الدين الجزري. كشف الظنون ٣٦٩، ولم أجد قوله في المصادر الـتي بين يدي، وفي نهاية الأرب ١١/٢١٩، قال ابن التلميذ: النيلوفر اسم فارسي، معناه النيلي الأجنحة، وحبه يسمى حب العروس.

(٧) ريحانة الألبا ٤٠.

(٨) ريحانة الألبا: طفا عليها الماء.

❁ وقد أنشدَ مَن ارْتاحَ لِنَشْقِهِ، وهاجَتْ بِهِ بلابلُ عِشْقِهِ[1]: [من الكامل]

يرتــاحُ للنَّيْلوفَــرِ القلــبُ الــذي ... لا يَســتفيقُ مــنَ الغَــرامِ وَجَهْــدِهِ
والــوَرْدُ أصبــحَ في الروائِــحِ عَبْــدَهُ ... والــنرجِسُ المِسْــكِيُّ خــادِمَ عَبْــدِهِ

❁ المرحوم الطالوي: [من الوافر]

وَنوْفَــرَةٍ كَعَيْــنِ الصَّــبِّ شَــكْرَى ... تَجُــمُّ الدَّمْــعَ خَشْــيَةَ أَنْ يُرَاقــا
ذكــرْتُ لَهــا النَّــوى يومًــا ففَــاضَتْ ... وصــارَتْ كُلُّهَــا للدَّمْــعِ مَاقــا[2]

❁ وقال آخر: [من البسيط]

ونَــاظِرٍ نَحْــوَ عَيْــنِ الشَّــمْسِ يَرْقُبُهَــا ... حتَّــى إذا غَربَــتْ أَغضَــى بِتَنْكِيْــسِ
كأنَّــــهُ ودُروعُ المــــاءِ تَشْــــمَلُهُ ... تَحــتَ الشُّعَاعِ أَكــاليلُ الطَّواويــسِ[3]

❁ وقال آخر: [من الطويل]

وَنَيْلُوفَــرٍ يَحكــي لَنــا المِسْــكَ طِيْبُــهُ ... تَــراهُ علــى اللَّــذّاتِ أَفْضَــلَ مُسْــعِدِ
تَرَكَّــبَ كالكاســـاتِ في ذَهَبِيَّـــةٍ ... علَى قُضُــبٍ مُخْضَــرَّةٍ مــنْ زَبَرْجَــدِ
وفي وَسَــطٍ مِنْــهُ اِصْفِــرارٌ يَزِيْنُــهُ ... كَيَاقُوتَــةٍ زَرقــاءَ في رأسِ عَسْــجَدِ[4]

---

(١) **البيتان** لابن الرومي. الديوان ٢/٨٠٦.

(٢) **ريحانة** الألبا ٤٠، **وقال** الخفاجي: وشكرى بشين معجمة: ممتلئة، وهي من قصيدة للمتنبي ٣/٣٩، أولها :

نظــرت إليهــم والعيــن شــكرى ... فصــارت كلهــا للدمــع ماقــا

(٣) هما في نهاية الأرب ١١/٢٢٥ من غير عزو.

(٤) الأبيات لأبي بكر الصولي. زهر الآداب وثمر الألباب ٢/٢٣٦.

٣١- الآذَرْيُونُ[١]:

قال ابنُ المُعْتَزِّ[٢]: [من مجزوء الرجز]

سَـقْيًا لِرَوْضَـاتٍ لَنَـا ... مِـنْ كُـلِّ نَـوْرٍ حَالِيَـهْ

عُيُـونُ آذَرْيُونِهَـا ... للشَـمْسِ فِيْهَـا كالِيَـهْ

مَداهِـنٌ مِـنْ ذَهَـبٍ ... فِيْهَـا بقايَـا غَالِيَـهْ

❀ وقال آخرُ: [من الطويل]

وحَـوَّلَ آذَرْيُونَـةٌ فَـوْقَ أُذْنِـهِ ... كَكَـأْسِ عَقيـقٍ في قَرارَتِـهِ مِسْـكُ[٣]

❀ الصَنَوْبَريُّ[٤]: [من مجزوء الرجز]

كَـأَنَّ آذَرْيُونَهَـا ... مِـنْ فَـوْقِ تِلْـكَ القُضُـبِ

خِيـامُ مِسْـكٍ فَوْقَهـا ... سُـرَادِقٌ مِـنْ ذَهَـبِ

والآذَرْيُونُ: نَوْرٌ أَصفَرُ، مُعَرَّبٌ أَزَرْكُون، أَيْ لَـونُ النَّـارِ، والعَربُ كـانَتْ[٥] تَجعلُهُ خَلْفَ آذانِها تَيَمُّنًا.

---

(١) الآذريون: جنس نباتات عشبية، من فصيلة المركبات، أنبوبية الزهر، أزهاره خملية الملمس، شعاعية جميلة الصفار الزاهي. موسوعة علوم الطبيعة ١/٣٥.

(٢) الأبيات ليست في ديوان ابن المعتز، وإنما جاءت في الملحق ٢/٤٨٣، وهي في المحب والمحبوب ٣/١٢١ منسوبة لابن المعتز، ونفحة الريحانة ٢/٤٢.

(٣) المحب والمحبوب ٣/١٢٠، وفيه: وحُمِّل آذريونة، وقال محققه: هو لابن المعتز في ديوانه ٢٤٠، ولم أجده في ديوانه الذي بين يدي، والبيت في نفحة الريحانة ٢/٤١، وفيه: وضمير (حول) يرجع إلى المحبوب.

(٤) الصنوبري: أحمد بن محمد الحلبي الأنطاكي، شاعر جيد الشعر، اقتصر في أكثر شعره على وصف الرياض والأزهار، والبيتان في ديوانه، صفحة ٣٩٦.

(٥) كذا في الأصل، وفي النفحة، وفي شفاء الغليل: والفرس كانت.

وأصلُه أن أَزْدَشيرَ بنَ بَابَكْ كان يومًا بِقصْرِهِ، فرآهُ، فَأَعْجَبَهُ، ونَزَلَ لأَخْذِهِ، فَسَقَطَ قَصْرُهُ، فَتَيَمَّنَ بِهِ.

وهُوَ نَوْرٌ خَرِيفيٌّ يُمَدُّ ويُقْصَرُ، قالهُ الشِّهابيُّ في «شِفاءِ الغَليلِ»[1].

❁ وقالَ غَيْرُهُ: هُوَ وَرْدٌ مُدَوَّرٌ، لهُ أوراقٌ حُمْرٌ، في وَسَطِهِ سَوادٌ، لهُ نُتوءٌ وارتفاعٌ، فَيُشَبَّهُ بِكَأْسِ عَقيقٍ، وقد يكونُ أصْفَرَ.

❁ وعليهِ قولُ الآخرَ[2]: وأذَريونُ كَأَنَّهُنَّ مَداهِنُ عَسْجَدٍ، على سواعدِ زَبَرْجد. انتهى[3].

وَيَلْحَقُ بالآذَرْيُون:

٣٢ـ الكِرِكيْشُ[4]:

وهوَ زَهْرٌ مَعروفٌ.

❁ قالَ الشاعرُ: [من الكامل]

انظـرْ إلى الكِرِكِيـشِ وَهُـوَ مُحَـدِّقٌ ... كـالتِّبْرِ مُحتَـاطٍ عليـهِ يـدارُ
فكأنَّـهُ فَـمُ شَـادِنٍ مُتبسِّـمٍ ... مِـنْ فَـوقِ رَأسِ لِسـانِهِ دِينـارُ

٣٣ـ المَرْزَنْجُوش:

مَرْزَنْجُوشُ ومَرْدَقُوشُ: هو الزَّعْفَرانُ[5]، أوْ نَبْتٌ آخرُ طَيِّبُ الرّائِحَةِ، ولَيسَ في كَلامِ العَرَبِ مَرْدَقُوشٌ بِمَعنَى نَبْتٍ، وسَمَّوهُ مَرْزَنْجُوش.

---

(١) شفاء الغليل ١٢.

(٢) هو قول عبد الرحمن بن النقيب، في مقامته الربيعية. نفحة الريحانة ٢/٣٧.

(٣) نقل كلامه من: والآذريون: نور.. إلى هنا من نفحة الريحانة ٢/٤١، ٤٢.

(٤) الكركيش: هو البابونج العطر. موسوعة علوم الطبيعة ٢/٣٦٣.

(٥) الزعفران: نبات بصلي، من الفصيلة السوسنية، منه أنواع برية، ونوع صبغي طبي مشهور. المعجم الوسيط.

❁ قالَ الجَوهريُّ[1]: أظُنُّهُ مُعَرَّبًا.

❁ وقالَ ابنُ البيطارِ[2]: يقالُ: مَرْزَجُوشُ ومَرْدَقُوشُ، وهـو فارِسـيٌّ مُعَـرَّبٌ، واسْمُهُ بالعَربيّةِ: السَّمْسَقُ والعَبْهَرُ[3].

❁ قالَ بَعضُهم في تَشْبيهِهِ[4]: كأنّما مَفرُوقُهُ آذانُ خُرَّدْ، ومَجمُوعُهُ صَرْحٌ مِنَ الزُّمُرُّدِ مُمَرَّد.

❁ قالَ الشاعِرُ[5]: [من البسيط]

وَمَرْزَجُـوشٍ كـأنّ القَطْـرَ شَـنَّفَهُ	دُرًّا كمَـا شُـنِّفَتْ آذانُ أبْكـارِ
إذا أَتَتْـهُ هُبـوبُ الرِّيـحِ جاذِبَـةً	كأنّـهُ مـائلٌ مُصْـغٍ لأَسْـرارِ

٣٤ـ وأمّا أزْهارُها التي لا يُعْلَمُ لَها أسما، فهي - لَعَمْري - عَدَدُ قَطْرِ السّما، والّتي تَرَكْتُها مِنَ العُجْمَةِ كَثِيرَةٌ جَمَّةٌ تَرَكتُها خَوفَ الغَلَطِ، وأنْ يُقصِّرَ بيَ العَجْزُ عنِ التّشْبيهِ والنّمَطِ، فاكْتفَيْنا مِنَ الأزهارِ بِباقَةْ، ولِنَحْبِسَ عِنانَ اليَراعَةِ علَى حَسَبِ الطّاقَة.



---

(١) الصحاح ١٠١٩/٣، وشفاء الغليل ٢٠٧.

(٢) مفردات ابن البيطار ١٤٤/٤.

(٣) العبهر: الياسمين والنرجس. المعجم الوسيط.

(٤) القول لعبد الرحمن بن النقيب. نفحة الريحانة ٣٧/٢ في المقامة الربيعية.

(٥) البيتان في محاضرات الأدباء ٤٩٢/٤، منسوبان لأبي الوفاء محمد بن عبد العزيز الهذلي، وهما في حدائق الأنوار ٢٧٤.

[عود على ذكر الشام وفضائلها
ومحاسن رياضها ومنتزهاتها]

١- أرَاضِي السَّهمَين[1]:

هي رِيـاضٌ، يالَهـا مِـنْ رِيـاضٍ، وحدائِـقُ تَرْنُـو إِلَيـكَ أزاهِرُهـا مـنْ عُيـونٍ مِـرَاضٍ، تساهَمَتْ طِيبَ الهَوا، ومَلَكَتِ القلوبَ بمَنظَرِها الباهِرِ دُونَ السّوا، تَنْسابُ فِيها أنهارٌ كالزُّلالِ، وأعذَبُ مِنْ لِقاءِ المَعشوقِ بَعدَ اليأسِ والمِطالِ، تقلّدَتْ أجْيادُ أغْصَانِها بيَواقِيتِ الثّمارِ، بَعدَما تَتَوّجَتْ رُؤُوسُها بِجَواهِرِ الأزهارِ. يا لَها مِنْ رِياضٍ لَو رآها السّامِعُ، لَطابَتْ مِنهُ العُيونُ والمَسَامِعُ. [من البسيط]

وَمَـا تَنـاهَيْتُ في بَثِّـي مَحَاسِـنَها   إلاّ وأكْـثَرُ مّمـا قُلْـتُ مَـا أَدَعُ[2]

❁ وما أحْسَنَ قولَ القِيراطِيِّ: دِمشقُ سَما سَهمُها على قَوسِ الكواكِبِ، وأقبَلَتْ مِنْ كتائبِ زُهورِها في مَواكِبِ، وتَحَرّكَ عُودُها حتّى غَنّتْ عليهِ منَ الوُرْقِ قِيانٌ، وطَفَحَ يَزيدُها فقُلْتُ وهذا مّما يُعْجِبُ أبا سُفيانَ: [من الطويل]

---

(١) السهمان: من منتزهات الغوطة، متصل بأرض الصالحية، بين ثورى ويزيد، قال البدري في نزهة الأنام، صفحة ٣١٧: وهو درب ما بين دور وقصور وفاكهة وزهور، ومياه تجري بهدير كالبحور.
فالسهمان هما: السهم الأدنى: موضع يمتد من ساحة الجسر الأبيض إلى المدرسة الشلبية البرانية شرقاً، فوق نهر ثورى، انتشر فيها العمران، ثم درس.
السهم الأعلى: شمالي النهر الأدنى، جنوبي نهر يزيد بين جادة ابن المقدم غرباً، والمدرسة الحاجبية شرقاً. وقد درس أيضاً.

(٢) البيت ذكره الصفدي في نصرة الثائر، صفحة ٦٣، من غير عزو.

دِمشـقُ وَوادِيهـا مَسِـيرٌ لِسـائِرٍ فَقِـفْ بمَغـانِي جَنْكِهـا مُتَرَنِّمَـا
بِقـاعٌ إذا قَـوْسُ الربـابِ بِسَـهْمِهِ رَماها غَدَتْ بالوَشْيِ بُـرْدًا مُسَـهَّمَا

❀ وقالَ[1]: [من الطويل]

دِمشـقُ بِوادِيهـا رِيـاضٌ نَواضِـرٌ[2] بِهـا يَنجَلِي عـنْ قَلْـبِ ناظِرِهـا الهَـمُّ
على نَفسِهِ فَلْيَبْكِ مَنْ ضاعَ عُمْـرُهُ ولَيـسَ لـهُ فيهـا نَصِيـبٌ ولا سَـهمُ

قولُهُ: نَصيبٌ ولا سَهمُ: يَعني أراضِي نَصيب والسَّهْمَيْنِ الأعْلى والأدْنَى، وهـذا مِـنَ التَّوجِيهِ الحَسَنِ.

٢- [أراضي نصيب]:

وأراضِي نصيبٌ هي بِالقُربِ مِنْ أراضي الصَّالِحيَّةِ، بل مَعـدُودةٌ مِـنْ جَنّاتِها البَهِيّـةِ، كلُّها رِياضٌ وجِنان، تَجلَّتْ في رَفْرَفٍ خُضْرٍ وعَبْقريٍّ حِسان، أزهارٌ تَنْفَحُ بِهَبَّاتِها، وأطيارٌ تَصْدَحُ بِلُغاتِها. [من الخفيف]

كـمْ غَدِيـرٍ يَنْسـابُ فيهـا لُجَيْنًـا أَعْشَـبَ الـرّوضُ مِنْـهُ بِالعِقْيـانِ
وإذا وُرْقُهـا تَغنَّـتْ سُـحَيْرًا فَـوقَ غُصـنٍ أغْنَـتْ عَـنِ العِيـدانِ[3]

(١) البيتان للأمير منجك. الديوان ١٢٨، وقال البيت الثاني مضمناً بيت ابن الفارض. الديوان ١٤٣.

(٢) الديوان: دمشق بها أضحى رياض نوادر.

(٣) البيتان للأمير منجك، يمدح قرية عربيل (عربين). الديوان ٦٩.

٣ـ أراضِي النَّيْرَبَيْنِ[١]:

أراضي النيربين، التي طارَ صِيتُها في المَشْرِقَيْنِ والمَغْرِبَيْنِ، وتَداوَلَ ذِكْرَ مَحاسِنِها جَهابِذَةُ الشّعَراءِ وهامُوا في وَصفِها، حتى مَلَؤُوا أصْدافَ الأسْماعِ مِنْ قَطْرِ بَلاغَتِهِم دُرَرًا وليسَتْ تحضُرُني عِبارةٌ تقومُ بحُقُوقِ وَصفِها، وتَخدِمُ معانيَ بَديعِ ظَرْفِها، لكنَّ سَرْدَ الأقاوِيلِ، يُوَضِّحُ لَكَ السّبيلَ، فَمِنْ ذلكَ قَولُ البَدرِ الذَّهَبيِّ[٢]: [من الكامل]

أرَأيْتَ وادي النَّيرَبَينِ ومَاؤُهُ ... يُبْدِي لِناظِرِكَ العَجيبَ الأعْجَبَا

يَتكَسَّرُ الماءُ الزُّلالُ على الحَصى ... فإذا غَدا بَينَ الرِّياضِ تَشَعّبا

❀ وقالَ آخرُ: [من الطويل]

رَعَى اللهُ وادي النَّيرَبين فإنّني ... قَطَعْتُ بهِ يَومًا لَذِيذًا مِنَ العُمْرِ

دَرَى أنّني قَدْ جِئتُهُ مُتَنَزِّهًا ... فَمَدَّ لِملقايَ بِساطًا مِنَ الزَّهْرِ[٣]

وأخْدَمَني الماءَ القَراحَ فَحَيْثُما الْـ ... ـتفَتُّ رأيتُ الماءَ في خِدْمَتي يَجْري

---

(١) النيرب: محلة كانت آهلة بالسكان، تلي الربوة من جهة دمشق، على سفح قاسيون، ويقال أيضاً: النيربان: أي النيرب الأعلى وهو البساتين الواقعة بين ثورى ويزيد، والنيرب الأسفل وهو البساتين الواقعة بين ثورى وبردى، مما يلي الربوة من مدخل دمشق الغربي. انظر مخطط الصالحية لدهمان.

ويصف ياقوت (النيرب) فيقول: قرية مشهورة بدمشق، على نصف فرسخ، وسط البساتين، أنزه مكان رأيته. انظر القلائد الجوهرية ١/١٥، وكلمة النيرب مشتقة في الآرامية (نَرْبا) وتعني الوادي.

(٢) هو يوسف بن لؤلؤ الذهبي، بدر الدين الدمشقي الشاعر، توفي سنة ٦٨٠ هـ، والبيتان في ديوانه صفحة ١٣، ووفيات الأعيان ٤/٣٧٨.

(٣) في (أ): فمدّ للقائي.

محمدُ بنُ زَينِ العابدِينَ الجَوهَريِّ مِنْ قَصِيدةٍ[1]: [من الكامل]

١- بـاكِرْ لأرْضِ النّـيرَبين ومَاسِـها ... وانْظُـرْ إلى الأزهـارِ في أجْنَاسِـها

٢- مـا بَـينَ زَنْبَقِهـا الأنِيـقِ ووَرْدِهـا ... وبَديـعِ نَرْجِسِـها الغَضِيـضِ وآسِـها

٣- وتَرَنُّـمِ الأطْيـارِ فَـوقَ غُصونِهـا ... تَـروي لَطِيـفَ اللّحـنِ عَنْ عَبّاسِـها[2]

٤- جَمَعَـتْ مَعـانِي اللُّطْـفِ في ألْحانِهـا ... وبَيـانِ مَنطِقِهـا وحُسْـنِ جِناسِـها

٥- فَتَرَى الغُصونَ لِمَا بِهَـا مِـنْ نَشْـوةٍ[3] ... تَهْـوي إليـكَ مِـنَ السُّـرورِ برَأسِـها

٦- طَـافَ الغَديـرُ بهـا فَـأثْمَرَ فَرعُهـا ... وغَـدَا يُخَبِّرُنـا بِطِيـبِ غِراسِـها[4]

٧- فـانْهَضْ نَديمـي نَصْطَبِـحْ في ظِلِّهـا ... وَدَعِ المَنـاصِبَ في الزَّمـانِ لِناسِـها[5]

الأُستاذُ: [من الكامل]

١- يـا مَجْلِسًـا بالنّـيرَبَينِ أنِيسـا ... حَرَّكْـتَ وَجْـدًا كامِنًـا ودَسِيْسـا[6]

٢- واسْـتَوْقَفَتْ أنْـواعُ حُسْـنِكَ مُقْلَتِـي ... فَزَجَـرْتُ نَحْـوكَ لِلسُّـرورِ العِيْسـا

٣- وتَرَكْـتُ أطْلالِـي بِجِلَّـقَ رَغْبَـةً ... عَنْهـا إلَيـكَ لِكَونِـكَ المَأْنوسـا

٤- سِـيَّما وقَـدْ وَرَدَ الرَّبيـعُ بِـوَرْدِهِ ... فَسَـبَى نَواظِـرَ واسْـتَرَقَّ نُفُوسـا

---

(١) محمد بن زين العابدين الجوهري، نسبة إلى صناعة آبائه، ولم يكن يتعاطاها، له شعر رائق. انظر نفحة الريحانة ٣٨٨/١، والأبيات بها، وسلافة العصر ٣٩٥.

(٢) جاء في حاشية النفحة: لعله يعني العباس بن الأحنف، الشاعر الغزل، المتوفى سنة ١٩٢ هـ، وفي سلافة العصر: عن ميّاسها.

(٣) في الأصل: من نشوة، والمثبت من النفحة.

(٤) في النفحة، وسلافة العصر: بأصل غراسها.

(٥) في سلافة العصر: واترك تباريح الهموم لناسها.

(٦) كذا في (أ) و (ب)، ولعلّها: ورسيسا.

٥- ومَعاطِفُ النارِنجِ يَعطِفُ زَهرُها بنَوافِجِ المِسْكِ الفَتيقِ مُرُوسا

٦- وَجداوِلُ الأنهارِ تَركُضُ حَولَنا فَرَحًا فكانَ سُرورُنا مَحسُوسا

٧- ومَشَى النّسيمُ مُجَرِّرًا أذْيالَهُ فأدَارَ مِنهُ على الغُصُونِ كُؤُوسا

❁ ولهُ: [من الكامل]

١- وعَشِيَّةٍ بالنَّيرَبينِ تَرُوقُ تُزجي الهَنا لِقُلوبِنا وَتَسُوقُ

٢- وَقَفَتْ نَواظِرُنا تُصافِحُ صَفْوَها ولَهُ طُلُوعٌ بَينَنا وشُرُوقُ

٣- وعَواطِرُ النَّسَماتِ قَبَّلَتِ الرُّبا بفَمٍ على المِسكِ الفَتيقِ يَفُوقُ

٤- والطيرُ يَخطُبُ فوقَ مِنبَرِ غُصْنِهِ ولَهُ علينا في السَّماعِ حُقُوقُ

٥- والجَوُّ قدْ رَقَّتْ حَواشِي بُرْدِهِ والرَّوضُ يَنْفَحُ مِسْكَهُ المَحْقُوقُ[1]

٦- في مَجْلسٍ مَشَتِ الجَداولُ حَولَهُ ولِقلبِها بَينَ الرّياضِ خفُوقُ

❁ ولهُ: [من الخفيف]

١- ورِياضٍ بالنَّيرَبينِ أنِيقَهْ تتثنّى بها الغُصونُ الرَّشِيقَهْ

٢- وبِها نَسمَةُ الصَّباحِ تَمَشَّتْ غَضَّةً رَطْبَةَ الهُبوبِ رَقِيقَهْ

٣- أسْكَرَتْنا بطِيبِها فانْتَشَيْنا وأزَاحَتْ عنِ الفُؤادِ حَرِيقَهْ

٤- وجَرَتْ حَولَنا جَداوِلُ ماءٍ ذاتُ ثَغْرٍ قدْ أرْشَفَ الدّوحَ رِيقَهْ

٥- وعلى عُودِها البَلابِلُ غَنَّتْ فأبَانَتْ مِنَ الغَرامِ طَرِيقَهْ

٦- وأهاجَتْ صَبابَةً واشْتِياقًا ولنا أذْكَرَتْ عُهُودًا وَثِيقَهْ

---

(١) في (ب): مسكة المحتوق.

❁ ولهُ: [من الخفيف]

وصَبـــاحٍ بالنّـــيرَبينِ سَـــعيدِ فِيـهِ ضَـجَّ الحَمَـامُ بِـالتَّغرِيدِ
يَتَمَشّـى بِـهِ رَطِيـبُ نَسِـيمٍ شـاقَني بِـالهُبوبِ والـتَّرديدِ
وجَـرَى في الرّيـاضِ جَـدْوَلُ مـاءٍ كَصَقيـلٍ مِـنَ السُّـيوفِ حَديـدِ

❁ ولهُ: [من الخفيف]

يـا سَقَى اللهُ سَفحَةَ النّـيْرَبِ الغَضْـ ـضِ وحَـيَّ الإلـهُ خَـيرَ الأراضِـي
كـمْ مَضَـتْ لِـي بهـا لَيـالِيَ أُنـسٍ بَـينَ تِلـكَ الرُّبـا وتِلـكَ الرّيـاضِ
والأزاهِـيرُ قـدْ بَـدَتْ في سَـماءِ الـدْ دَوحِ مِثْـلَ النُّجـومِ ذاتِ انْقِضـاضِ
والنّسِـيمُ الرّطِيـبُ يَنْـثُرُ نَشْـرًا قـدْ تَمَشّـى بذَيلِـهِ الفَضْفَـاضِ

❁ ولهُ: [من الخفيف]

رُبَّ يَـومٍ بِالنّـيرَبِ الفَوقـاني قـدْ خَطفناهُ مـنْ كُفوفِ الزّمـانِ
وجَلَسْـنا علـى اخْضِـرارِ بِسـاطٍ طَرَّزَتْـهُ شَـقائِقُ النُّعمـانِ
يـا سَـقَى اللهُ ذَلـكَ اليَـومَ مـنْ يَـو مٍ إلَينـا أهْـدَى نَعِيـمَ الجِنـانِ

❁ وقال المرحومُ مَنْجَكُ[1]: [من البسيط]

قَصْـرُ الأمـيرِ بِـوادِي النّـيرَبينِ سَـقَى رُباكَ عَنّـي مِـنَ الوَسْـمِيِّ مِـدْرَارُ[2]
حَيـثُ الخَمـائِلُ أفْـلاكٌ بِهـا طَلَعَـتْ زَهـرٌ مـنَ الزّهـرِ والنُّدْمـانُ أقْمـارُ

---

(١) الديوان، صفحة ٧٩، وفي (أ) و (ب): المرحوم منجك، دون (وقال).

(٢) الديوان: رياك عني.

حَيثُ الرِّياضُ تُغنّيني حَمائِمُها ... بالدُّفِّ وَالجَنْكِ والمَيْطُورُ لِي جارُ

٤- أراضِي المَيْطُور[١]:

مُحاذِيَةٌ لِهذِهِ الجنان، لكنّهمْ في المَحاسِنِ فَرَسا رِهان، بَلْ هِي صيغَةُ مُنتَهى الجُموع، واللّفظُ المُركّبُ منْ رَقيقِ المَحبّةِ والوُلُوع، جَمعَتِ المَحاسِنَ جَمْعَ تَصْحيحٍ، فنالَتْ في المَدائِحِ مَقامَ التّرْجيحِ، اِنْتَصَبَتْ في حَدائِقِها أعلامُ الأغْصَانِ، وارتفَعتْ فوقَ عَساكِرِ أزهارِها سُرادِقاتُ الأفنانِ، وامتدّتْ ظِلالُها على ذائِبِ اللُّجَينِ، ونادَى مُفرَدُها: لا تَطْلُبوا أثَرًا بَعْدَ عينٍ[٢]. [من البسيط]

رِياضُها نَصَبَتْ أعلامَها وغَدا[٣] ... ذَيلُ الصّبا بَينَ مَرفوعٍ ومَجرورِ

قدْ جُمِّعَتْ جَمْعَ تَصْحيحٍ جَوانِبُها ... والماءُ يُجْمَعُ فِيها جَمْعَ تَكْسيرِ

فالنّهرُ ما بَينَ مَصرُوفٍ ومُمْتَنِعٍ[٤] ... والظّلُّ ما بَينَ مَمدُودٍ ومَقصُورِ

تَوَشّحَتْ بالأزاهِرِ أغصانُها المُلد، التي تُشوِّقُ رائِيها لِجَنةِ الخُلد، وقدْ أجادَ الأدِيبُ الحِلّيُّ بِقولِهِ[٥]: [من الكامل]

إنْ جُزْتَ بِالمَيطُورِ مُبْتَهِجًا بِهِ ... ونَظَرْتَ باطِنَ دَوحِهِ المَمْطُورِ[٦]

---

(١) الميطور: قرية درست كانت بسفح قاسيون من أرض الصالحية، على نهر يزيد، (ركن الدين اليوم) وكانت تمتد من الضفة الجنوبية لنهر يزيد بين بستان بصارو وجسر النحاس، وبين القابون ومشفى ابن النفيس. اخترقها شارع ابن النفيس.

(٢) الأبيات التالية لصفي الدين الحلي، عبد العزيز بن سرايا (٦٧٧ - ٧٥٠ هـ)، شاعر عصره، ولد ونشأ في الحلة (بين الكوفة وبغداد). الديوان صفحة ٢٤٨/١، يمدح الملك الصالح شمس الدين أبا المكارم، ويصف نزوله بمدينة الصور.

(٣) الديوان: في روضة نُصبت أغصانها وغدا.

(٤) الديوان: والماء ما بين مصروف.

(٥) الديوان ١٠٢٨/٢.

(٦) الديوان: ونظرت ناضر.

وأرَاكَ بالآصَالِ خَفْقَ هَوائِهِ الـ ـمَمْدُودِ تَحريكَ الهَوَى المَقْصُورِ
سَلْ بانَهُ المَنصُوبَ أيْنَ حَدِيثُهُ الـ ـمَرفُوعُ عَنْ ذَيلِ الصَّبَا المَجْرورِ

٥ـ أراضِي سَطْرَا[١]:

أراضي سطرا، هي مَحْسُوبَةٌ مِنْ مُنتَزَهاتِها الغَرّا، رِياضُها حَلَّتْ في مَنْظَرِ النّاظِرِ، وتاهَتْ بوَشْيِها على كُلِّ رَوضٍ ناضِرٍ، تَخْفُقُ أَلْوِيةُ الأفْنانِ في هِضابِها، وتَلعَبُ خُيولُ النّسيمِ في مَيادِينِ شِعابِها، أعلامُ رَوضاتِها مَرفُوعَةٌ، وثِمارُها لا مَقطوعَةٌ ولا مَمنُوعَةٌ. [الكامل]

انظُرْ إلى الأشجارِ تَلْقَ رُؤوسَها شابَتْ وطِفْلُ ثِمارِها ما أَدْرَكا
وعَبيرُها قدْ ضَاعَ مِنْ أكمامِها وغَدا بأذيالِ الصَّبا مُتَمَسِّكا[٢]

تَشُقُّها جَداولُ وأنهار، تَجْري بَينَ نَفْحِ أزاهِرٍ وغِنَاءِ أطيار. [من البسيط]

وفاحَ لِلْوَرْدِ نَشرٌ مِنْ كَمائِمِهِ والنهرُ كالصِّلِّ في الأدْواحِ يَنسَحِبُ
غَنّى الهَزارُ على أغْصَانِهِ طَرَبًا حتّى تَرَاقَصَتِ الأَفْنانُ والقُضُبُ

وقد اعتَنَتِ الشُّعَراءُ بِذِكرِها، لِمَا أَهْدَتْهُم مِنْ طِيبِ نَشْرِها، فقالَ ابنُ خَطِيبِ دَارِيّا[٣]: [من الطويل]

---

(١) ورد ذكرها كثيراً في الشعر، وهي قرية كانت متنزهاً من متنزهات دمشق، قال الشيخ محمد أحمد دهمان: إنها كانت في الطريق المقابل لباب جامع القصب (مسجد الأقصاب في حي العمارة)، ويعرف هذا الطريق اليوم (بجادة عاصم)، ويخترقه شارع بغداد، ثم يقابله بالجهة الشمالية جادة الخطيب اليوم وحي القصور. انظر غوطة دمشق، لمحمد كرد علي، صفحة ٢١٣.

(٢) البيتان لمحمد بن محمد بن تمرداش شهاب الدين. فوات الوفيات ٢٨٢/٣، وفيه: انظر إلى الأزهار تلق.

(٣) ابن خطيب داريا: محمد بن أحمد بن سليمان الأنصاري الخزرجي، الدمشقي المولد، البيساني الوفاة (٧٤٥ - ٨١٠ هـ)، أديب، جيد الشعر، كان شاعر دمشق في عصره.

سَـأَلْتُكُما إنْ جئتُمــا الشــامَ بُكْــرَةً ... وَعايَنْتُمـا الشَّـقْرَاءَ والغُوطـةَ الخَضْـرا
قِفَـا واقْـرَأا مِنّـي كِتابًـا كَتَبْتُـهُ ... بِدَمْعِي لَكُم مُقرى ولا تَنْسَيا سَطْرا[1]

❁ وقالَ آخرُ[2]: [من السريع]

قـالوا أَمَـا في جِلَّـقٍ نُزْهَـةٌ[3] ... تُنسِيكَ مـا أنـتَ بـهِ مُغـرى
يـا عَـاذِلِي دُونَـكَ مِـنْ لَحْظِـهِ ... سَـهْمًا ومِـنْ عَارِضِـهِ سَـطْرا

❁ ومنَ التَّوجِيهِ الحَسَنِ قولُ الإسْعِرديِّ[4] في بَعضِ مُنْتزَهاتِ الشامِ: [من الطويل]

وريـمٌ جـلا لِـي خَمْـرَةً مـزَّةً جَلَـتْ[5] ... هُمومِي وقد عـايَنْتُ في خَـدِّهِ سَطْرا[6]
وربوتـةُ الشـقراءُ ناعِمَـةٌ غَـدَتْ ... ويـا حُسْنَها مِـنْ بَـرزَةٍ لَيْتَهـا عَـذْرا

قولُهُ (بِدَمعِي لَكُم مُقْرِي)[7]: أرادَ بـهِ أراضِـي مُقْـرِي، بِضَـمِّ المِيـمِ وسُـكونِ القـافِ وكَسرِ الراء، هِي رِياضٌ تُعادِلُها في الحُسْنِ بِـلا مِـراء، أغصـانُ حَدائِقِهـا مُتناسِقَةٌ، وأفنـانُ

---

(١) البيتان في معاهد التنصيص ١٠٥/٤، وانظر ما سيقوله المؤلف بعد أسطر.

(٢) البيتان لشرف الدين الأنصاري. الديوان ٢٤٠، وهما في معاهد التنصيص ١٠٤/٤.

(٣) الديوان: قالوا لنا في جلق.

(٤) الإسعردي: محمد بن محمد بن عبد العزيز أبو بكر نور الدين (٦١٩ـ٦٥٦ هـ) شاعر فيه مجانة وظرف، اتصل بالملك الناصر ومدحه بقصائد، له ديوان شعر. والبيتان في معاهد التنصيص ١٠٥/٤.

(٥) الأصل: جاد لي، والمثبت من معاهد التنصيص.

(٦) هنا ينتهي المخطوط (ج)، وقد ضم إليه ورقتين، لا صلة لهما بالكتاب.

(٧) مُقري: بفتح الراء أو كسرها. قال البدري في نزهة الأنام ٢٧٣: هي من محاسن الأراضي الطيبة الفيحاء، وهي من القرى الدائرة، كانت من أرض الصالحية، على ضفة نهر ثورا الشمالي، شمال حي عين الكرش، كما في مخطط الصالحية لدهمان.

أدواحِها باسِقةٌ، تنافَحَتْ بِنوافِحِ العِطرِ أزهارُها، وتعارَضَتْ بغَرائِبِ التّغريـدِ أطيارُهـا. [من الخفيف]

١- كَجنــانِ الفِـردَوسِ ألـوانُ ولْـدا	ن مِـنَ النّبْـتِ في رُبَاهـا تَجُـولُ
٢- حَبَّذا نَهْرُهـا الّـذي المِسْـكُ والكـا	فُـورُ والشَّـهدُ فيـهِ والزّنْجَبيـلُ
٣- ولِمَوضُـوعِ حُسْـنِها في الحَواشـي	مُلحَقـاتٌ بَدائِـعٌ وفُصـولُ
٤- ومَتـى احْتـاجَتِ الغَزالـةُ في رأْ	دِ الضُّحَـى أنْ يُقـامَ فِيهـا دَلِيـلُ
٥- غـيرَ أنَّ المَجـالَ يُستَحسَـنُ الإجْـ	ـمـالُ فِيـهِ ويَسْـمُجُ التّفْصِيـلُ[1]

قولُهُ (مزَّةٌ جَلَتْ): أرادَ قريةَ المِزَّةِ، وكذلكَ الرَّبوَةُ والشّقراءُ وبَرزَةَ، وسيأتِي الكلامُ عليها في مَحَلِّهِ إنْ شاءَ اللهُ تعالَى.

وقولُهُ (عَذرا)[2]: هي قَرْيَةٌ مِنْ قُرى دِمَشقَ، واللهُ أعلمُ.

٦- أراضِي اللّوّانِ[3]:

تَستوقِفُ النّاظِرَ بِحُسنِ رياضِها البَهيجَةِ، وتَسْحَرُ الألبابَ بِطيبِ أزَاهِرِها الأرِيجَةِ، ما بَينَ نَهرٍ دافِقٍ، وزَهرٍ عابِقٍ، وطَيرٍ بِتوحِيدِ خَالِقِهِ ناطِقٍ. [من الكامل]

---

(١) الأبيات لأحمد صفي الدين بن صالح بن أبـي الرجـال، يصـف صنعـاء. نفحـة الريحانـة ٤٨٨/٣، وخلاصـة الأثـر ٢٢١/١.

(٢) عذرا: أو عدرا: قرية في شمال مرج غوطة دمشق، تتبع منطقة دوما، من محافظة ريف دمشق.

(٣) اللوان: بساتين تقع بين المزة وكفر سوسة، وكانت قرية دثرت ثم أعيد العمران إليها، وهي اليوم حي كبـير يتبـع كفرسوسة، يقول عنها البدري في نزهة الأنام: بها الدور الوسيعة الفناء، المليحة الأساس والبناء، وهي الجامعة بين حسن الأنواع والأجناس، مع الهواء الصحيح والاعتدال بالترجيح، ويتوصل منهـا إلى قريـة (كفـر سوسـة). انظـر نزهة الأنام للبدري، صفحة ٢١٢، وفيها يجري نهر الميلقون، وهو فرع من الداراني. الريف السوري ١٢٥/٢.

...ـق يَسـبِيكَ وَشْـيُ بُرودِهـا حتّـى تُشَـبِّهَها سَـبائِبَ عَبقَـرِ
يَجـري النّسـيمُ خِلالَهـا وكأنّمـا غُمِسَـتْ فُضـولُ رِدائِـهِ في عَنْـبَرِ[1]

وثِمارٌ أَلَذُّ مِنْ مُسامَرَةِ الأحبابِ، وأشْهَى مِنْ بُرْدِ الشّبابِ، تؤتي أُكُلَهَا كـلَّ حِـينٍ، وتُوَسِّعُ بمحاسِنِها مَجالَ المادِحينَ. [من الرجز]

١- فكَـمْ هَـزارٍ في رُباهَـا صَدَحـا وبَـثّ لِـلأدْواحِ فِيهـا مُلَحـا
٢- وكَـمْ تَغَنّـى سَـحَرًا بُلْبُلُهـا وَهَيَّـجَ النَفْـسَ وقـدْ بَلْبَلَهـا
٣- وهَيْنَـمَ الشُّـحْرُورُ في أشْـجارِها وغنّـتِ الـوُرْقُ علـى أوْتارِهـا
٤- وغَـرَّدَ القُمْـريُّ فَفَـاضَ النَّهْـرُ وهَبَّـتِ النَّكْبَـا فَفَـاحَ الزَّهْـرُ
٥- ونَشَـرَتْ أيـدِي الصَّبـا دارهِمـا فعمَّـتِ الرِّيـاضَ والمَعَالِمـا
٦- وعازِفـاتُ الجَنْـكِ فَـوقَ العُـودِ تُهيِّـجُ الأشـجانَ بـالتَّغرِيدِ
٧- يـا صـاحِ قِـفْ وانْظُـرْ بَدِيـعَ الصُّنْـعِ وليـسَ مَـرْأى العَـينِ مِثْـلَ السَّـمْعِ

٧- وأمّا الجَبْهَةُ[2]:

فهي مِنَ المَرْجَةِ الخَضْرا، ومُتَنَزَهاتِها الحَسَنَةِ الغرَّا، كذلكَ صَدرُ البَازِ، لا حَقيقـةً بـلْ مَجاز، هي رِياضٌ يَفصِلُ النهـرُ بَينَهـا وبَـينَ وَادِي كِيـوان، وأراضِـي الخَلخـالِ[3] مُحاذِيـةٌ

---

(١) البيتان للسري الرفاء. الديوان، صفحة ١٠٩، وفيه: حتى تسب لها سبائب.

(٢) الجبهة: من متنزهات دمشق، على حافة بردى غربي المدينة. غوطة دمشق صفحة ٥٣، يعلوها نهر القنوات وبانياس، وفيها حمام النزهة، وهي جزء من المرجة الخضراء، يقول البدري: ومن محاسن الشام مرجتها، وهي من المحاسن التي لا تُدرك، وبعضهم يشبهها (بصدر الباز). نزهة الأنام ٧٤، وصدر الباز هو نهاية هذه المرجة، عند حدود ساحة الأمويين اليوم. ويعرف هذا المنتزه باسم البهجة.

(٣) الخلخال: من متنزهات دمشق، غربي المدينة، بنيت في مكانها الثكنة الحميدية، فهي محل جامعة دمشق وما حولها الآن. انظر غوطة دمشق، صفحة ١٥٣.

لأراضِي اللَّوَّان، وقد سَمَّوا المَرْجَةَ بأسماء تَشرَحُ الصُّدور، وتَبْعثُ للنّفوسِ واردات البَسْطِ والسُّرور، وهي المَيدانُ الأخْضَرُ[١] ووادي الشّقرا[٢]، والجَبهةُ، وصَدرُ الباز، والمَرجةُ الخَضرا، ورياضُ الشَّرَفَين[٣]، فهي حدائِقُ تُطِلُّ على المَرجَةِ مِنَ الطَّرَفَين، وكُلُّها رَوضاتٌ وبَساتِين، وأدواحٌ كأمثالِ الحُورِ العِين، وجَداوِلُ تَخترِقُ تِلكَ الحَدائِقَ، تَجْرِي بَينَ فُرشٍ مِنَ الزَّهْرِ ونَمارِق.

وقدْ أكثرَ الشُّعَراءُ في الجَبْهةِ مِنَ التّوجِيهِ، كَقَولِ اِبنِ نُباتَةَ الأديبِ النّبيهِ[٤]: [من الرجز]

يا حبَّذا يَومي بِوادِي جِلّقِ ... ونُزْهَتِي مَعَ الغَزالِ الحالي

مِنْ أوّلِ الجَبْهةِ قدْ قَبَّلتُهُ ... مُرتَشِفًا لآخِرِ الخَلْخالِ

❁ وكَقَولِ اِبنِ سَعيدٍ المَغربيِّ[٥]: [من الرمل]

إنَّ لِلجَبهَةِ في قلبِي هَوًى ... لمْ يَكُنْ عِندي لِلوَجهِ الجَمِيلِ

يَرقُصُ الماءُ بِها مِنْ طَرَبٍ ... ويَمِيلُ الغُصنُ لِلظِّلِّ الظَّلِيلِ

وتَوَدُّ الشّمسُ لَوْ باتَتْ بِها ... فَلِذا تَصْفَرُّ أوقاتَ الرَّحِيلِ[٦]

---

(١) الميدان الأخضر: تقع في المرجة (ساحة الشهداء)، وقد سميت المرجة باسم المكان كله، وهو المرجة الخضراء، في موقع معرض دمشق الدولي، قبل انتقاله إلى مدينة المعارض، وهي التي تعرف بين الناس (بمرجة الحشيش) إشارة إلى خضرتها، وصدر الباز هو نهايتها.

(٢) وادي الشقرا: بساتين مطلة على المرج الأخضر. غوطة دمشق ٥٠.

(٣) الشرفان: موضعان كانا في دمشق، يفصل بينهما نهر بردى، وهما:

أ ـ الشرف الأدنى (القبلي): محلة كانت تشمل شارع النصر وجامع تنكز ومباني جامعة دمشق ومشافيها.

ب ـ الشرف الأعلى (الشمالي): محلة كانت في سفح قاسيون بين سوق صاروجا وصدر الباز، والطرف الجنوبي لشارعي أبي رمانة والمالكي. معجم دمشق.

(٤) ديوان ابن نباتة المصري ٤١٩.

(٥) ابن سعيد: علي بن موسى، مؤرخ أندلسي، من الشعراء العلماء بالأدب، توفي بدمشق قريباً من سنة ٦٨٥، والأبيات في فوات الوفيات ٣/١٠٥، معاهد التنصيص ٣/٧٧.

(٦) فوات الوفيات: أوقات الأصيل.

ـ وأمّا القَصْرُ والخَلخالُ والفِيجَةُ الخَضراءُ ذاتُ السَّلسال:

٨ـ فالقَصرُ هوَ الأبْلَقُ[1] الّذي طارَ صِيتُهُ في الأقطارِ، وامْتلأتْ مِنْ مَحاسِنهِ الدّفاتِرُ والأسْفارُ، واعْترَفتْ لهُ مُشَيَّداتُ القُصورِ، بالانخفاضِ والقُصورِ، وشَهدَتْ لهُ سامياتُ البُروجِ، بالاعتِلاءِ والعُروجِ، أطلّتْ شَبابيكُهُ على تِلكَ الأرجاءِ المُؤنَّقةِ، والجَداولِ المُتدفّقةِ، ابْتسَمَتْ ثَنايا شُرافاتِهِ، وارتَسمتْ بالحُسنِ حَنايا غُرافاتِهِ، وأشرَفَ على المَرجَةِ وأقطارِها، فَحيَّتهُ مِنْ طِيبِ أزهارِها، وقدْ تلاعَبَتِ الشُّعَراءُ في ذِكرِهِ، كقولِ عبدِ اللّطيفِ المِنقاريِ[2]:

[من الطويل]

وهلْ شَرَفُ الأعلى مُطِلٌّ وقَصْرُهُ[3] ... على المَرجَةِ الخَضراءِ فيهِ كِرامُ

وغُرّتُها أضْحَتْ بِبَهجَةِ رَوضِها[4] ... تُضِيءُ فَخَلْخالُ الغَديرِ لِزامُ

❁ وقالَ آخرُ مِنْ رُباعِيتِهِ[5]: [من الطويل]

وقَصرٍ على الشقراءِ قدْ فاضَ نَهرُهُ

وفاقَ على فَخرِ الكَواكِبِ فَخرُهُ

[وقد شاع ما بين البرية شكره]

هوَ الأبْلَقُ الفَرْدُ الّذي شاعَ ذِكْرُهُ[6] ... يَعِزُّ على مَنْ رامَهُ ويَطُولُ

---

(١) القصر الأبلق: يقع مكان التكية السليمانية اليوم، التي بُنيت على أنقاضه وفي مكانه، بعد أن هدمه تيمورلنك، وقد وصفه ابن فضل الله العمري بأنه يشتمل على قاعات ملوكية، مفروشة بالرخام الملون البديع الحسن، المؤزر بالرخام، المفصّل بالصدف، والفص المذهب.. إلخ.. انظر غوطة دمشق لكرد علي، صفحة ٢٢٧.

(٢) تقدم التعريف به صفحة (٤٧)، والبيتان من قصيدة أُرسلها من ديار بكر، يتشوق إلى دمشق، ويذكر متنزهاتها. نفحة الريحانة ١/١٦٥، ١٦٦، خلاصة الأثر ٣/٢٢، ٢٣.

(٣) نفحة الريحانة: مطلٌّ وقعره.

(٤) نفحة الريحانة: أضحت بجبهة، وهما بمعنى واحد.

(٥) الأبيات لصفي الدين الحلي عند نزوله بدمشق، مُسمِّطاً لقصيدة السموأل. الديوان ١/٨١، نفح الطيب ٢/٣٩٨.

(٦) الأبلق: حصن السموأل بتيماء.

❁ وقالَ التَّلَعْفَرِيّ[1]: [من البسيط]

ولا تَعــدَّاكَ يــا بانَــاسُ مُنْهَمِــرٌ   يَهْمِي على القَصْرِ فالَميدانِ فالشَّرَفِ
مَلاعِبٌ كَمْ بِهـا مِـنْ شـادِنٍ غَنِجٍ   حُلْوِ الشّمائِلِ مَعْسولِ اللّمَى تَـرِفِ

❁ وقالَ آخرُ: [من الكامل]

قَصْــرٌ زَهَـا فَــرَوَى عَلِيــلُ نَسِـيمِهِ   خَــبَرَ الشِّــفا لِحَدائِــقِ الأزهــارِ
صَدَحَــتْ بَلابِلُــهُ علــى أغصانِــهِ   تُمْلِــي حَديــثَ العُــودِ والِمزمــارِ
أنْعِــمْ بِقَصــرٍ يَســتَطِيلُ إلى السُّــها   فــاحَ الشَّــذا مِــنْ عَرْفِـهِ الِمعْطــارِ
مَــنْ أَمَّــهُ يَلقَــى لَديــهِ مُسَــطَّرًا   كَــنْزَ الصَّفــا ومَشــارِقَ الأنــوارِ

وقالَ آخرُ[2]: [من الكامل]

قَصْــرٌ بِمَدْرَجَــةِ النَّسـيمِ تَحَدَّثَـتْ   فيــهِ الرِّيــاضُ بِسِــرِّها المَســتورِ
خَفَـضَ الخَوَرْنَـقَ والسَّـديرَ سُـمُوُّهُ[3]   وثَنَــى قُصــورَ الــرُّومِ ذاتَ قُصــورِ
لاثَ الغَمــامُ عِمامَــةً مِسْــكِيَّةً   وأقــامَ في رَوضٍ مِــنَ الكــافُورِ

٩- الأمْجَدية[4]:

وقريبٌ منه الأمجدية تَحُفُّها رِياضٌ عَنْبَرِية، وقدْ أحاطَتْ بِها الأدواحُ والزّهر، إحاطةَ الهالَةِ بالقَمر، وفيها يقولُ الأستاذُ: [من الخفيف]

نَحْــنُ بِالأمْجَدِيّـــةِ الزّهـــراءِ   وعلينــا سَــحَّتْ سَــحابَةُ مــاءِ

---

(١) الديوان، صفحة ٢٠٥.

(٢) الأبيات لعلي بن ظافر، قالها في قصر بظاهر الإسكندرية لبني خليف. نفح الطيب ٣/٢٥٨.

(٣) نفح الطيب: خفض الخورنقُ والسديرُ سموَّه.

(٤) الأمجدية: بساتين تقع جنوب منطقة الشرف الأعلى. انظر مخطط الصالحية لدهمان.

وَدَواعِي السُّرورِ قَدْ حَمَلَتْنا — نَحْوَ قَصرٍ في مَرْجَةٍ خَضْراءِ
وَنَسيمُ الصَّبا يُشَبِّبُ لَمّا — رَقَصَ الغُصْنُ مِنْ غِنا الوَرْقاءِ
وجَرى الماءُ في الجَداوِلِ عَذْبًا — رائِقًا دَقَّ في عُيونِ الرّائي

١٠- ورِياضُ الخَلْخالِ[1]:

هيَ قِبْلَةُ الشَّرَفِ، المُزَيَّنَةُ بالقُصورِ والغُرَفِ، تُضِيءُ أزاهِرُها كالنُّجومِ، لكنّها في أجْيادِ النَّجْمِ كالدُّرِّ المَنْظُومِ، يَضوعُ نَشْرُها بَينَ الحدائقِ، لما يَهبُّ عَليها مِعْطارُ النَّسيمِ الرّائِقِ، تَخَلْخَلتْ سُوقُ أشجارِها بِلُجَيْنِ الأمْواه، وغَرَّدَ طَيرُها إذْ كانَ مَعَ رَكْبِ النَّسائِمِ هَواه[2]. [من البسيط]

كأنّها مِنْ جِنانِ الخُلْدِ قَدْ كَمُلَتْ — حُسْنًا وحَسْبُكَ مِنْ حَسْناء غَنّاءِ[3]
وصَوتُ بُلبلِها الرّاقي ذُرَا غُصنٍ — في حلّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرّيشِ دَكْناءِ
كَقَرْعِ ناقُوسِ دَيْرِيٍّ على شَرَفٍ[4] — مُسَبِّحٍ في سَوادِ اللّيلِ دَعّاءِ
وقامَ عنْها لِسانُ الزَّهْرِ يُنْشِدُنا — لِلَهْوِ: كَمْ أرِجٌ ما بَينَ أرجاءِ

١١- الفِيجَةُ الخَضْراءُ:

والفيجة الخضرا، هيَ المَرْجَةُ ذاتُ السُّرَى، سَلْوَةُ الغَريبِ عَن أوطانِهِ، والعاشِقِ عنْ كَآبتِهِ وأحزانِهِ، مَحلُّها بَينَ الشَّرَفينِ الأدنَى والأعلى، اللّذَينِ كُلٌّ مِنْهُما نالَ بِحُسنِ رِياضِهِ القَدَحَ المُعلَّى. [من الكامل]

---

(١) انظر الحاشية (٣) صفحة ١٤٥.

(٢) الأبيات لسيف الدين المشد، الديوان صفحة (٥١).

(٣) الديوان: حسناء لفّاء.

(٤) الديوان: كقرع ديريٍّ بناقوسِ.

ماشِئْتَ مِـنْ نَهْـرٍ كَصَـدْرِ عَقيلَـةٍ   شَـقَّتْ أنامِلُهـا عليـهِ صِدارَهـا
مـا بَـينَ أشـجارٍ تَمِيـدُ كأنّهـا   شُـرَّابُ جرْيـالٍ تُديـرُ عُقارَهـا[1]

تَصَوَّبَتْ فِيها فُروعُ الأنهارِ والجَداوِلِ، وتَصاعَدَتْ أنفاسُ أزاهِرِها على نَغَمَاتِ الشَّحاريرِ والعَنادِلِ، وماسَتْ قُضُبُها مَرَحا، وتَعانَقَتْ لِقُدومِ النّسائمِ فَرَحا، طالَما تَغنّتِ الشُّعَراءُ بِمَدْحِ حُسْنِها، ونَظَّموا عُقودَ الدُّرِّ في فَنَنِها وغُصْنِها، فَمِنْ ذلكَ قولُ الأستاذِ: [من السريع]

يـا حبَّـذا المَرْجَـةُ يـا حبَّـذا   نَسِـيمُها الرَّطْـبُ لِرُوحِـي غِـذا
أنهارُهـا تَهْـدُرُ في جَرْيِهـا   وطَيرُهـا إنْ صـاحَ فيهـا هَـذَى
تَصْقُـلُ أنفـاسُ الصَّبـا أرْضَهـا   مِـنْ بَعـدِ مـا تُلْقِـي علَيها الشّـذا

❁ وقولُهُ: [من الخفيف]

مَرْجَـةُ الشـامِ بَهْجَـةُ الأبصـارِ   عَطَّرَتْهـا رَوائِـحُ الأزْهـارِ
يَتَمَشَّـى بهـا لَطِيـفُ نَسِـيمٍ   صـافَحَتْ كَفُّـهُ يَـدَ الأنهـارِ
فَهَلُمُّـوا إلَـى فَسِـيحِ رِحـابٍ   مِـنْ حِماهـا مُفَكَّـكِ الأزْرارِ
يَنْفَـحُ الـرّوضَ بـالأزاهِرِ طِيْبًـا   حَيثُ شَمْسُ الضُّحَى كَجَمْـرَةِ نـارِ

❁ وقولُهُ مِنْ أبياتٍ: [من البسيط]

للهِ يـومٌ بـأعلى ذِرْوَةِ الشَّـرَفِ   في مَرْجَـةِ الشـامِ ذاتِ العِـزِّ والشَّـرَفِ
في رَوضَـةٍ نَشَـرَتْ أيـدي الرّبيـعِ بِهـا   رِداءَ نَشْـرٍ بـأيدي الرِّيـحِ مُخْتَطَـفِ
وحَوْلَنـا المـاءُ يَجْـري في جَداوِلِـهِ   جَرْيَ اللُّجَيْـنِ بـهِ قـدْ جـادَ ذو سَـرَفِ

(١) البيتان هما لعبد الله بن سارّة الإشبيلي، يذكر فيهما غرناطة. خريدة القصر (المغرب) ٢/٣٢٦.

❁ صديقُنا الأديبُ مُصطفَى اللُّقَيْمِيُّ: [من البسيط]

يـا حبَّـذا المَرْجـةُ الفَيحـا بـِذِي شَـرَفِ ... ورَوضُهـا الزاهِـرُ الزاهِـي البَهِـي البَهِـج

شَـفَا عَلِيـلَ الجَـوَى مَـرُّ النّسـيمِ بِهـا ... إذْ راحَ يَروِي الشَّذا عَـنْ عَرفِهـا الأرِجِ

❁ ولهُ: [من البسيط]

اِنْهَـضْ إلى المَرجـةِ الفَيحـاءِ مُبتهِجًـا ... ونَـزِّهِ الطَّـرْفَ في أرجـاءِ دَوحَتِهـا

أمَـا بِهـا الرّوضَـةُ الغَنّـاءُ قـدْ جليـتْ ... جَلْـيَ المَليحـةِ في وَرْدِيٍّ حُلّتِهـا

❁ ولِصديقِنا الفاضِلِ محمدِ بنِ عُثمانَ بنِ الشّمعَةِ: [من البسيط]

سِرْ بـي إلى المَرجـةِ الخَضـراءِ في زَمَـنٍ ... فيـهِ الرّبيـعُ أتَـى والزّهـرُ قـدْ نُـثِرا

واسْتَجْلِ طَرْفَـكَ في بـاهِي مَحاسِـنِها ... معْ شـادِنٍ إنْ تَبَـدّى أخْجَـلَ القَمَـرا

فَكَـمْ بِهـا مِـنْ رُبًـا أزهارُهـا نَفَحَـتْ ... ومِـنْ غَديـرٍ حَكَـتْ حَصْباؤُهُ الـدُّرَرا

وسَيأتِي تَمامُ الكلامِ علَيها عِندَ ذِكْرِ الأوْدِيةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى[1].

١٢ـ التكيّة[2]:

وقريبٌ منها التّكيّةُ سَكَنُ أهلِ الطّريقِ، المُتّصلِ بِهِمْ عنْ سيدِنا الصِّدِّيقِ، وهُمُ السادةُ المَوْلَويّة[3]، أصحابُ الطّريقةِ النّقْشَبَنْدِيّة. [من البسيط]

النـاسُ نَبْـتٌ وأرْبـابُ القُلـوبِ لَهُـم ... رَوضٌ وأهـلُ الحديـثِ المـاءُ والزّهْـرُ[4]

---

(١) انظر صفحة: ٢٢٧.

(٢) هي التكية السليمانية شيّدها في موضع القصر الأبلق السلطان العثماني سليمان القانوني سنة ٩٦٢هـ شرقي المرج الأخضر، بين نهري بانياس وبردى. وقد حوّلت إلى متحف دمشق الحربي سنة ١٩٥٩م.

(٣) المولوية طريقة صوفية تنسب لجلال الدين الرومي (٦٠٤-٦٧٢هـ) اتخذت الرقص والموسيقى طريق الوصول إلى الله.

(٤) البيت لأبي عبد الله الحميدي. نفح الطيب ٤/٣٣٧.

ومكانُهُمْ تُضْرَبُ فيهِ كُوساتُ الفَخارِ، وتُنفَخُ في حَضْرَتِهِ بُوقاتُ المَهابَةِ والوَقارِ، وعليهِمْ خِرْقَةُ الإذلالِ والخُضوعِ، مُرتدينَ[1] ثِيابَ الاسْتِكانةِ والخُشوعِ، كلُّهُم مِنَ الوَجْدِ أوّاهٌ، وليسَ في قُلوبِهِم إلاّ اللهُ، ونَمَطُهُمْ في الذِّكْرِ يَجْذِبُ القُلوب، ويَشُوقُ المُحِبَّ إلى لِقاءِ المَحبوبِ، ولقدْ أحْسَنَ كُلَّ الإحسانِ، مَنْ وَصَفَهُم بهذا الشأْنِ، فقالَ: [من البسيط]

١- ما مِثْلُ جِلِّقَ في الدّنيا ورَبْوَتِها ... إنْ ضِقْتَ ذَرْعًا تَمشِي نحوَ مَرْجَتِها

وإنْ تَرُمْ تَغْتَنِمْ يا صاحِ نُزهَتَها ... عَرِّجْ على المَوْلَوِيَّةِ يَومَ فُرْجَتِها

ترَى دَراوِيشَها[2] يَحنوا ويَنتَصِبُوا

٢- فَلَيْتَ شِعْري مَنْ هَذا الّذي سَكَعُوا[3] ... إلَيهِ حتّى أطاعُوهُ وقدْ خَضَعُوا

أقُولُ واللهُ أدْرَى بِالّذي صَنَعُوا ... كأنَّ مَحبُوبَهُم وافاهُمُ رَكَعُوا

شَوقًا إلَيهِ وإجْلالاً لهُ وَثَبُوا

٣- بَادَرَهُمْ بِسَلامٍ مِنْ تَحِيَّتِهِ ... لَمّا رآهُمْ علَى مِنْهاجِ سُنَّتِهِ

ومُذْ سَقاهُم كُؤوسًا مِنْ مَحبَّتِهِ ... هامُوا بِهِ فاسْتدارُوا عِنْدَ رُؤيَتِهِ

دَوْرَ الرَّحاةِ وقدْ هيَّجْهُمُ الطَّرَبُ[4]

وأمّا التّكيةُ: فهيَ مَلاعِبُ آرامٍ وغِزْلانٍ، ومَسارِحُ حُورٍ وَوِلْدانٍ، مَثوَى الحُبورِ والمَسَرَّاتِ، ومُنتدَى السُّرورِ واللّذّاتِ. [من الطويل]

مَنازِلُ أُنْسٍ للأوانِسِ حبّذا ... لَدَى الصَّبِّ هاتِيكَ الرُّبا والمَنازِلُ

---

(١) الأصل: مترديين.

(٢) الدرويش واحد الدراويش وهم أصحاب الطرق الصوفية، أو هو فَعْليل من الدَّرْشَة أي اللجاجة، إن كان عربياً بمعنى الفقير الشحاذ. متن اللغة.

(٣) جاء في تكملة المعاجم العربية لدوزي ١٠٧/٦: سكع لفلان: حياه بإحناء رأسه.

(٤) سكنت الجيم في كلمة (هيجتم) للضرورة الشعرية.

تَجُولُ في حَدائِقِها كتائِبُ الأزهارِ، كأنّها وَشْيٌ تَطَرَّزَ بزاهِي الوَرْدِ والبَهارِ، وبانياسُ يَجُوسُ خِلالَها، وعلَيهِ قدْ مَدَّتِ الأدْواحُ ظِلالَها، ودُولابُها يَئِنُّ أنِينَ الثَّكْلى، ويَحِنُّ حَنينَ العِشارِ صادَفَتْ مَحَلاً. [من الطويل]

١- ودُولابُها يَبكِي بِدَمعٍ يسيل[1] فَيَضْحَكُ ثَغرُ الدَّوحِ إنْ أبْطَأَ القَطْرُ

٢- حَكَى حَرْفَ نونٍ خَطَّهُ قَلَمُ الجَلا بِحُسْنِ اعوِجاجٍ يَستقِيمُ بِهِ السَّطرُ

٣- ويَحكِي إذا حَقَّقْتَ رَونَقَ شَكْلِهِ هِلالاً ونَجمَ الرَّوضِ أنْجُمُهُ الزُّهْرُ

٤- وقَوْسًا بأطْرافِ السِّهامِ مُفوَّقًا ورامِيهِ بَدرُ التَّمِّ إذْ بَزَغَ البَدْرُ

٥- وكَمْ يَزدَهي قَصرٌ بِشاطِئِ نَهرِها على حُسنِ ذاكَ القَصرِ يُستَحْسَنُ القَصْرُ

١٣ـ غُوطَةُ دِمشقَ[2]:

هيَ كُورَةٌ تَشتَمِلُ على عِدّةِ قُرى مُشتبكَةِ الأَشجارِ، مُتدفّقَةِ الجَداولِ والأنهارِ، وهيَ إحدَى الجِنانِ الأربَعِ[3]، لكنّها في الحُسْنِ أزهَى وأبْدَع، مَفوفَةٌ[4] بالبَساتِينِ الزّاهِيةِ، والرِّياضِ الّتِي بأنواعِ الرّياحِينِ زاهِية، حتى زَهَتْ على سائِرِ الرِّياضِ، وسَلِمَ جَوهَرُ مِياهِها

(١) كذا في الأصول: سائل. ولو جعلت (مُسَيَّلٍ) لكان أصوب.

(٢) غوطة دمشق: هي كل ما أحاط بدمشق من قرى شجراء، وكان من الأرض المطمئنة، التي تروى من بردى، وما اشتق منه من الجداول والأنهار الصغيرة. انظر غوطة دمشق، محمد كرد علي، صفحة ١٦، والريف السوري ٨/٢.
وهي أكبر وأخصب واحة عُرفت من أقدم العصور في هذا الشرق، وأدت إلى ظهور أقدم مدينة مأهولة في التاريخ، وهي دمشق.

(٣) جنان الدنيا أربع: غوطة دمشق، ونهر الأبلّة، وشعب بوّان، وصغد سمرقند. ربيع الأبرار ١٩٦/١ باب الشجر والنبات والفواكه والرياحين والبساتين والرياض في الجنة. وفيه قال أبو بكر الخوارزمي: قد رأيتها كلها، فكان فضل الغوطة على الثلاث كفضل الأربع على غيرهن. كأنها الجنة صوّرت على وجه الأرض.

(٤) الفُوف والفُوفة: ضرب من برود اليمن، وقطع القطن، شبه البساتين بالفوف من الثياب. انظر القاموس (فوف).

مِنْ شوائِبِ الأعراضِ، فغَدَتْ حدائِقُها مُلتَثِمَ شِفاهِ الأنْهارِ، وأدواحُها مُعـتَرَكَ وُفـودِ قبـائِلِ الأطيارِ، وقدْ أحاطَ بأكْنافِها الما، إحاطَةَ المَراشِفِ باللّمى، والهالةِ بالقمرِ، والكَمامةِ بالزّهْرِ.

قالَ المَرحومُ السيدُ عبدُ الرحمنِ بنِ حَمزةَ[1]: [من الكامل]

لَلْغُوطَـةُ الغنّـاءُ أشْـرَفُ رَبْـوةٍ	أضْحـى بِهـا عَيْـشُ الـنّزيلِ رَغِيـدا
فلَـو أنَّ شَـدَّادَ بْـنَ عـادٍ حلّهـا	مـا شـادَ في ذاتِ العِمـادِ عَمُـودا[2]
غنّـتْ بِهـا للـوُرْقِ كُـلُّ مُرِنّـةٍ	تَـدَعُ الخَلِـيَّ بِشَـجْوِها مَعْمُـودا[3]
فكأنّمـا غنّـى الغَرِيـضُ ومَعْبَـدٌ	فِيهـا الثّقِيـلَ وَردَّدا تَردِيـدا[4]

❁ وقالَ[5]: [من الطويل]

سَـقَى اللهُ أيامًـا بِغُوطـةِ جِلّـقٍ	إلى أرضِهـا المَيْثـاءِ مَسْـرَى تَفَرُّجِـي
إلى تلَعـاتِ السَّـفْحِ مِـنْ قاسـيونِها	مَـدارِجُ داريِّ الصَّبـا المُتـأرِّجِ

---

(١) ديوان ابن النقيب ٩٦.

(٢) جاء في حاشية الديوان: يقال إنه عاد الأول، وليس بعاد قوم هود. وهود وقوم هود من ولد ذلك. كان ملكاً عظيماً، وله ابنان هما: شداد، وشديد، فهلك عاد، فبقيا، وملكا البلاد، وأخذاها عنوة، ثم هلك شداد، فبقي شديد، فملـك وحـده، ودانت له ملوك الأرض، فدعته نفسه إلى بناء مثل الجنة، عتواً على الله سبحانه وتعالى، فأمر بصنعة تلك المدينة، إرم ذات العماد، فجمع فيها جواهر الأرض، فلما فرغ الصنَعة منها، جعلوا عليها حصناً، وحول الحصن ألف قصر، ثم سار الملـك إليها بجنوده ووزرائه، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة، بعث الله عز وجل عليه وعلى من معـه صيحـة مـن السـماء، فأهلكتهم جميعاً، و لم يبق منهم أحد. هذا ملخص القصة كما وردت في المظان التأريخية، وفي التنزيل العزيز: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد ❁ إرم ذات العماد ❁ التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾. سورة الفجر.

(٣) المعمود: المعشوق.

(٤) الغريض: عبد الملك من مولدي البربر، من أشهر المغنين في صدر الإسلام، ومن أحذقهم في صناعـة الغنـاء، لقـب بالغريض لجماله، توفي سنة ٩٥هـ. ومعبد: انظر الحاشية (١) صفحة ٢٠٩، والثقيل: ضرب من الغناء.

(٥) ديوان ابن النقيب ٦٣.

إلى مَرْجِهـا المُوشّـي غِـبَّ سَـمائِهِ إلى رَوضِهـا الأحْـوى الأغَـنِّ المُدبَّـجِ

١٤ـ وأما جِسرُ الغيضةِ[1]:

فَهُوَ أُنْمُوذَجُ تِلكَ الجِنانِ المَوسُومَةِ بالجَمالِ، وعُنوانُ شَرَفِها الثابِتِ في صَحائِفِ هاتِيكَ الظّلالِ، وغُرَّةُ مُنتزَهاتِها الناضِرَةِ، وجَبهَةُ أنديَتِها العاطِرَةِ، أدواحٌ تَختالُ كالعرائسِ، وتَرْفُلُ مِنْ أزهارِها بزاهِي الملابِسِ. [من الطويل]

رِياضٌ حكَى بَـرْدَ اليمَـانِيِّ وَشْـيُها وشاطي غَديرٍ مِثْلُ حاشِـيةِ الـبُرْدِ[2]

والماءُ يَشُقُّ تِلكَ الحدائِقَ شرقًا وغربا، ويَرُودُ شِعابَها شِعبًا فشِعبا. [من البسيط]

فَحَيثُ ما جلْتَ تَلْقَى رَوضَـةً أُنُفًـا مِنها ومِسْـكًا على الأرجاءِ مَنهُوبا[3]

❁ ولِبَعضِ الشعراءِ مُزدَوَجَةٌ في جِلّقَ ومُنتزَهاتِها، مِنها:

١- بـاكِرْ إلى جَزيـرةِ الجِسْـرِ الـتي تَختـالُ في أفْنانِهـا كالجَنّـةِ

ولا تَمِـلْ عـنْ وَجهِهـا لِوِجْهَـةٍ صِـفْ حُسْـنَها لِمائِهـا والخُضْـرَةِ

وقِفْ بِشاطيها ولا تَعَدّي

٢- واجلِسْ مِنَ المَرجةِ جَنْبَ الشـاطي مِـنْ فُـرُشِ النّـورِ علَـى البِسـاطِ

فهِـيَ مِـنَ التّدْبيـجِ في أمْـراطِ عَرُوسَـةٌ تَختـالُ بـالأقْراطِ

ومِنْ لآلِي نُورِها في عِقْدِ

---

(١) جسر الغيضة: جسر كبير بين الحديثة وجسرين على بردى، والغيضة هي غيضة السلطان، وحورها كان لا يستطيع الإنسان أن يدخل فيه لانضمامه. حاشية المنجد.

(٢) البيت لسرور بن الحسين الحلبي، يصف منتزهات حلب. خلاصة الأثر ٢/٢٠٧.

(٣) البيت لابن النقيب. انظر ديوانه صفحة ٣٠.

إلى أنْ قالَ:

٣- بلَـدٌ لَهـا التّعظِيـمُ والجَلالـهْ بَـدْرٌ أنـارَتْ واسْـتدارتْ هالَـهْ

أُنمُـوذَجُ الفِـردَوسِ لا مَحالَـهْ فِيهـا علَـى الجَنّـةِ أيُّ دالـهْ[1]

تُذَكِّـرُ النّـاسَ نَعِيـمَ الخُلْـدِ

١٥- الرّبْوةُ[2]:

الربوةُ ذاتُ المِنشارِ[3]، والنّسائمِ المُعَطّرةِ بطِيبِ الأزهارِ، وأنهارُهـا السّبْعةُ الّـتي تَمشِـي بهـ مَشْيَ الكواكِبِ في الفَلَكِ الدّوّارِ، والمَقاسِمُ الّتي تَطرُدُ الأحزانَ بسَلسالِها، وتَروِي حَديثَ الشِّفاءِ عـنْ عَسّـالِها، وسُرادِقاتُ الجَنـكِ والعُودِ، ونافِحـاتُ الزّهـرِ الّـتي تُضاهِي شَـذا العَنبرِ والعُـودِ، وصادِحاتُ أطيارِها الّتي أُعْطِيَتْ مِنْ مَزامِيرِ آلِ داوُدِ، وقـدِ اعْتنـتِ الشّعراءُ في وَصْفِهـا، وتَرنّمـوا بِذِكْرِ جَنْكِها ودَفِّها[4]، فَمِنْ ذلكَ قَولُ المَرحومِ السيدِ عبدِ الرحمنِ بن حَمزةَ[5]: [من الكامل]

---

(١) في الأصل: دلالة. وأثبت ما يناسب الوزن.

(٢) الربوة: وهي أول منفسح الوادي الغربي، الآخذ إلى دمشق، وفيها يخرج بردى مـن سـجنه الضيـق، ولذلـك يقـال لهـا: خـانق الربوة، وعنها قال ابن بطوطة: هي من أجمل مناظر الدنيا ومنتزهاتها، بها القصور المشيدة والبسـاتين البديعـة، وقـال عنهـا ابـن جبير: هي من أبدع مناظر الدنيا حسناً وإشراقاً، وإتقان بناء، ومنها يشرف الإنسان على جميع البساتين الغربية مـن البلـد، ولا إشراف كإشرافها حسناً وجمالاً واتساع مسرح للأبصار، وتحتها الأنهار السبعة، تتسرب وتسيح في الطـرق، فتحـار الأبصـار في حسن اجتماعها وافتراقها، وشرف هذه الربـوة ومجمـوع حسـنها أعظـم مـن أن يحيـط بـه وصـف واصـف. انظـر «جبـل قاسيون» للشيخ محمد أحمد دهمان، صفحة ١٠. وانظر صفحة ٢٠٣ من كتابنا هذا.

(٣) المنشار: صخرة عند فم الربوة. كتب أحدُهم عليها: اذكريني دائماً.

(٤) الجَنْك والدف (بفتح الدال كذا لفظ أهل دمشق) متنزّهان من متنزهات دمشق غربي المدينة، نهاية وادي الربـوة، وأول وادي مكرم عندما ينقسم نهر بانياس، وسُمّيا بهذا لشبههما من آلتَي الطرب الجَنك وهو الطنبور، والدف. انظر الصفحة ١٥٨، وغوطة دمشق ٧٢، ٧٣.

(٥) ديوان ابن النقيب، صفحة ٢١٥.

لله رَبْوةٌ جلّق مِن روضة | لِلغوطتين بها المَحَلُّ الأشْرَفُ
في كُلِّ مَوقِعِ لَحظَةٍ مِنْ دَوحِها | مُلَحٌ عَلَيهِنَّ الفُؤادُ يُرَفْرِفُ
نَهرٌ تَجَعَّدَ في رُبًا يُزْهَى بِها | غُصنٌ يَميسُ علَيهِ طَيرٌ يَهتِفُ
فكأنَّ ذا دِرْعٌ وذا وَشْيٌ وذا | قَدٌّ وذا شادٍ هُناكَ يُشَنِّفُ

❁ وقالَ الشيخُ محمدُ بنُ الشمعةِ: [من البسيط]

باكِرْ إلى الرَّبوةِ الغنَّاءِ مَعْ رَشَأٍ | بِهِ زَمانُكَ يَصْفُو واغْنَمِ الفُرَصا
فالجُنكُ والدفُّ مُذْ حَفَّا جَوانِبَها | غنَّى بِها الطَّيرُ والغُصنُ النَّدِي رَقَصا

❁ وقالَ آخرُ[1]: [من الطويل]

لِرَبْوَتِنا وادٍ حَوَى كُلَّ بَهجةٍ | فعَيشُ الوَرَى يَحلُو لَدَيْهِ ويَعذُبُ
تَرُوقُ لنا الأنهارُ مِنْ تَحْتِ جُنْكِهِ | فلا عَجَبٌ أنّا نَخُوضُ ونَلعَبُ

❁ الصّلاحُ الصّفديّ[2]: [من السريع]

انهَضْ إلى الرَّبوَةِ مُسْتَمتِعًا | تَجِدْ مِنَ اللّذّاتِ ما يَكفِي
فالطَّيرُ قَدْ غنّى على عُودِهِ | في الرّوضِ بَينَ الجَنْكِ والدَّفِّ

❁ بَدْرُ الدينِ الحلبي: [من الكامل]

كمْ تَحْتَ جَنْكِ الرّبوةِ الفيحاءِ مِنْ | دفٍّ زَهَتْ أزهارُها بِشُنُوفِها
سَقيًا لَها مِنْ رَبوةٍ مَنْ حَلَّ فِيـ | ـها أطرَبَتْهُ بِجَنْكِها ودُفُوفِها

---

(١) البيتان لمحمد بن يوسف شمس الدين الخياط. الوافي بالوفيات ٥/٢٨٧.

(٢) أعيان العصر ٣/٦٩٤.

❁ الشّرفُ القوّاسُ: [من الكامل]

سِـرْ بـي إلى الـوادِي وقِـفْ مُتنزّهًـا ... فـالجُنْكُ غنّـتْ فوقَـهُ الأطيـارُ
لَـو لَـم يَكـنْ هـوَ جَنّـةُ المَـأوَى لَنـا ... مـا كـانَ تَجْـري تَحتـهُ الأنهـارُ

❁ ابنُ نُباتَةَ[1]: [من الكامل]

بـالجُنكِ مِـنْ مَغنَـى دِمشـقَ حَمـائِمٌ ... في دَفِّ أشـجارٍ تَشُـوقُ بلُطفِهـا
فـإذا أشـارَ لَهـا الشَّـجِيُّ بِطَرفِـهِ ... غنّـتْ علَيـهِ بِجُنكِهـا وبِدُفِّهـا

١٦ـ [دَفُّ الزَّعفَرانِ والجنك]:

وبِذَيلِ الجَبلِ الغَربيِّ مِنَ الرّبوةِ دَفُّ الزَّعفَـرانِ والجَبـلُ الشّـرقِيُّ رأسُـهُ مِثْـلُ الجَنـكِ، ولِهذا قِيلَ فِيهما: الدّفُّ والجَنكُ، واللهُ أعلمُ، وسيأتِي نُبذَةٌ مِـنَ الكـلامِ علـى الرّبـوةِ عِنـدَ ذِكْرِ الأودِيةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى[2].



(١) ديوان ابن نباتة ٣٣٣.

(٢) انظر صفحة: ٢٠٣.

وأمّا **أنهارُها الأصُولُ المشهورةُ**، فأخبارُها في الدّواوينِ مَسطُورَة، فَلنُورِدْ شيئًا مِنها، ونَروِ حَديثَ التسلْسلِ عنها.

❁ قالَ بَعضُهم: [من البسيط]

شَوقِي يَزيدُ وقلبُ الصَّبِّ ما بَرَدا ... وبانَ ياسٌ مِنَ المَعشُوقِ حِينَ غَدا

ومَدمَعِي قَنواتٌ والعَذُولُ حكَى ... ثَوْرا يلُومُ الفتَى في عِشْقِهِ حَسَدا

علَى مُغنّيةٍ بالجَنكِ جاوَبَها ... شبَّابةٌ كَمْ بِها مِنْ عاشِقٍ سَهِدَا

فالبَدْرُ جَبهَتُها والرِّدْفُ رَبوَتُها ... وخِلُّها ماتَ مِنْ خَلخالِها كَمَدا[1]

قولُه (مُغنّيةٌ): يَعنِي نَهرَ المِزَّةِ، و(شَبابةٌ): نَهرَ الدّاراني.

❁ وقالَ الأستاذُ: [من الطويل]

١- على السّبعةِ الأنهارِ مِنْ جانِبِ الغربِي ... بِوادِي دِمشقَ الشامِ مُفْرِجَةِ الكَرْبِ

٢- ومَوسِمُ آمالِ الفتَى ومُنَى المُنَى ... وعِيدُ التّهاني والتواصُلِ والقُربِ

٣- فنَهْرٌ لِداريّا تَسلْسَلَ ماؤُهُ ... زُلالاً فَما أشْهاهُ في لذَّةِ الشُّرْبِ

٤- ومِنْ دُونِهِ نَهرُ القَناةِ بِمِزَّةٍ ... صَفا جارِيًا في الصَّخْرِ مِنْ كَدَرِ التُّرْبِ

٥- ولِلقَنَواتِ الغُرِّ نَهْرٌ إذا جَرَى ... حَسِبْتَ حُسامًا مُطلَقَ الحَدِّ في الحَرْبِ

٦- وإلاّ حَسِبْتَ الصِّلَّ يَنسابُ في الرُّبا ... خِلالَ غُصونٍ رُكَّعٍ خَشْيَةَ الرَّبِّ

٧- لَقَدْ فاضَ نَهرُ البانياسِ بمائِهِ ... كَما فاضَ دَمْعُ العَيْنِ مِنْ فُرقَةِ السِّرْبِ

٨- وفي وَسَطِ الوادي تَرَى بَردى لَهُ ... هنالِكَ صَوتٌ زادَ في الخَبْطِ والضَّرْبِ

٩- ومِنْ فَوقِهِ ثَوْرا جَرَى نَهرَ فِضَّةٍ ... بِدَرْبٍ صَفا مَجْراهُ ناهِيكَ مِنْ دَرْب

---

(١) الأبيات في نفح الطيب ٢/٤١١ من غير عزو.

١٠- ونَهــرُ يَزيــدٍ فَوقَــهُ زادَ رَونَقًــا وليسَ لهُ في العُجمِ مثلٌ ولا العُـرْبِ

١١- سَـقَى اللهُ وادي الشـامِ غَربِـيَّ جِلِّـقٍ وحيَّـاهُ مِـنْ وادٍ قَضَيْـتُ بِـهِ إرْبِـي

❁ ولَهُ يذكُرُ السّبعةَ الأصُولَ، وزادَ نهرَ عقربا الّذي يَقْسِمُهُ بـرَدى في آخرِ المَيْدانِ الأخْضرِ، قولُهُ: [من الخفيف]

١- نَبَّهتْنــا ذاتُ الجَنــاحِ عَشِــيَّةْ في رُبــا قاســيونَ والصّالِحيــةْ

٢- وسَـرَتْ نَسـمةُ الرّيـاضِ علَينـا فأثــارَتْ روائِحًــا عَنبريّــهْ

٣- يـا سَـقَى اللهُ سَـفْحَ قاسُـونَ لَمّـا فيــهِ بِتْنــا بليلَــةٍ ألْيلِيّــهْ

٤- وعلَينــا لِلْبَســطِ مُــدَّ رُواقٌ ولَنــا رُتبَــةُ الكمَــالِ عَليّــهْ

٥- وبَــدَتْ خُضْــرَةُ الرُّبــا كبِســاطٍ مِـنْ حريـرٍ أطرافُـهُ سُندُسِـيهْ

٦- تَــتَراءَى بُيــوتُ جِلِّــقَ فِينــا والبســاتِينُ والرّيــاضُ البَهيّــهْ

٧- شــامُنا شــامَةُ البِــلادِ وأمّــا نَبتُهــا فــالعَوارِضُ المِسْــكيّهْ

٨- وثُغــورُ الميــاهِ تَبْسُــمُ مِنهــا عــنْ شِــفاهٍ ذاتِ الــزُّلالِ شَــهِيّهْ

٩- بــانَ يــاسُ القِيــاسِ عــنْ قَنــواتٍ صــارَ مِنهـا يَزيـدُ لَطْـفَ السَّـجيهْ

١٠- حيــثُ ثَــوْرًا بِهــا يَخُــورُ وأضْحَــى بَــردى بــارِدَ الرُّبــا المَحْمِيّــهْ

١١- وجَــرى عَقْرَبــا كَعقــربِ صُــدْغٍ فَــوقَ أُخْــدُودِ مَرجَــةٍ مَلْوِيّــهْ

١٢- وقَنــاةٍ لِمَــزّةٍ كَقَنــاةٍ بأنابيبِهــا جَــرتْ فِضّيّــهْ

١٣- رَقَّــمَ الرِّيــحُ صَفحــةَ الدّارانِــي فَرأينــا زَخارِفًــا عَبْقَرِيّــهْ

١٤- وصَبــا الرَّبــوَةِ الّــذي بَــثّ فِينــا عِندمــا جــاءَ نَفحَــةً عِطْرِيّــهْ

١٥- ونَعِمْنــا بِمــا شَــمَمْنا وطِبْنــا نَحــنُ والصّحـبُ بِـالأُمورِ الرَّضِيّــهْ

❁ ولهُ: [من الخفيف]

١- إنّ طِيبَ الهَوى هَواءُ السَّواقي ... فَهوَ كالرّوحِ دَبَّ في الأجْسادِ

٢- جاءَنا بالعَبيرِ مِنْ كُلِّ رَوضٍ ... فيهِ طَلْقُ الشّذا بغيرِ قِيادِ

٣- وجَواري المِياهِ تَركُضُ فيهِ ... حَولَنا رَكْضَ صافِناتٍ جِيادِ

٤- أينَما كُنتَ مِنهُ تَسمَعُ صَوتًا ... مُطرِبًا بِالخَريرِ والتَّرْدادِ

٥- ظِلُّهُ لا يَزالُ فيهِ ظَليلاً ... كُلَّ حِينٍ علَى أتَمِّ مُرادِ

٦- وطُيورُ الغُصونِ فيهِ تَغَنَّتْ ... بِلُحونٍ لَها على الأعْوادِ

٧- هوَ غَربيُّ جِلِّقٍ وهوَ شَرْقٌ ... لِشُموسِ العَطاءِ والإمدادِ

٨- وهوَ بابُ النَّسيمِ في الشامِ مِنهُ ... نَفَسٌ طَيِّبٌ لِجِسْمِ البِلادِ

٩- مُنعِشٌ بِالهُبوبِ كُلَّ عَليلٍ ... وبِتَرْطِيبِهِ يُرَوِّي الصّادِي

١٠- حبّذا حبّذا مَجالِسُ أُنْسٍ ... فيهِ كانتْ لَنا بِأهْلِ الوِدادِ

١١- طابَ فِيها النّهارُ حُسْنًا وراقَتْ ... نَغمَاتُ الإنشاءِ والإنشادِ

١٢- رَبوةُ الشامِ قد حَوتْ مَهْدَ عِيسَى ... مَهَّدَتْ بُسْطَنا أتَمَّ مِهادِ

١٣- وأرتْنا بِسَبعِ أنهارِ ماءٍ ... سَبعَ أفلاكِ سِرِّ سَبْعٍ شِدادِ

١٤- فيَزيدُ الجَوى ويكشِفُ ثَوْرا الـ ... ـقلبِ عَنْ كُلِّ لاعِجٍ مُسْتَفادِ

١٥- بَرَدى بَرَّدْتَ غَليلِيَ حتّى ... بانَ ياسُ العَذُولِ والحُسّادِ

١٦- ثمّ داراني الرّقيبُ فسَالَتْ ... قَنَواتٌ مِنَ المَعاني الجِيادِ

١٧- وجلتْ مِزّةُ الهَوى بِقناةٍ ... فغَزَوْنا بِها قُلوبَ الأعادِي

١٨- يا رَعَى اللهُ ذلكَ العَهدَ مِنّا ... وسَقاهُ بِصَوبِ كُلِّ عِهادِ

١٩- وحَمَى جِيرَةَ الحِمَى مِنْ رُباهُ ذلكَ الغَضُّ عَنْ أيادٍ عَوادِي

٢٠- لِيَدُومَ الهَنا لأهلِ دِمَشقَ هَاهُنا سالِمًا مِنَ الأنكادِ

❁ ❁ ❁

وأمّا المَهْدُ:

فَفِي كِتابِ أبي الحَسَنِ الرَّبْعِيِّ في «فَضائلِ دِمشقَ»[1]، عنْ عليِّ بنِ أبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ تعالَى عنهُ، قالَ: سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ، وَسألهُ رَجُلٌ عنِ الأماراتِ بدِمَشقَ، فقالَ: «بها جَبَلٌ يُقالُ لهُ قاسيونُ، فيهِ قَتَلَ ابنُ آدمَ أخاهُ، وفي أسفلِهِ في الغَربِ وُلِدَ إبْراهِيمُ، وفيهِ آوى اللهُ عِيسَى بنَ مَريمَ وأمَّهُ منَ اليهودِ، وما مِنْ عبدٍ أتى مَعقِلَ روحِ اللهِ، فاغتسلَ وصلّى ودَعا، لَمْ يَرُدَّهُ اللهُ خائِبًا... وفيهِ احترَسَ يَحيى بنُ زكريّا مِنْ هَدّارٍ، رجلٍ مِنْ عادٍ... وقدِ احترَسَ فيهِ إلياسُ النَّبيُّ منْ مَلِكِ قَومِهِ، وفيهِ صلّى إبراهيمُ ولُوطٌ[2] ومُوسَى وعِيسَى وأيّوبُ، فلا تَعجَزوا في الدعاءِ فيهِ».

❁ وعنْ كَعبِ الأحبارِ أنّهُ قالَ: هو مَوضِعُ الحاجاتِ والمَواهِبِ مِنَ اللهِ تَعالَى، لا يَرُدُّ سائِلاً فيهِ[3].

❁ وعنِ ابنِ عَباسٍ في حديثٍ طويلٍ: «.. ومَنْ أرادَ أنْ يرَى ﴿وآويناهُما إلى رَبوةٍ ذاتِ قرارٍ ومَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠]، فَليأتِ النَّيرَبَ الأعلَى بَينَ النّهرَينِ، وليصعدْ إلى الغارِ في جَبلِ

---

(١) فضائل الشام ودمشق، صفحة ٥٦، وقال الشيخ ناصر في تخريجه، صفحة ١٠١: قلت: حديث منكر.

(٢) كلمة (ولوط) ليست في كتاب الربعي المطبوع.

(٣) فضائل الشام، صفحة ٥٨.

قاسيونَ، وليُصلِّ فيهِ[1]، فإنّهُ بَيتُ عِيسَى وأمِّهِ، وهوَ كانَ مَعقِلَهُم منَ اليهودِ، ومَنْ أرادَ أنْ ينظُرَ إلى إرَمَ، فليأتِ نَهرًا في حَفْرِ[2] دِمشقَ، يُقال لهُ بَردى»[3]. انتهى.

❁ وفي المَهدِ يقولُ صديقُنا البارعُ مُصطفَى اللُّقَيْمِيُّ: [من الكامل]

يَا حبّذا المَهدُ الأنِيسُ فإنّهُ ... سامِي المَقامِ سَنًا وزاهِي المَشهَدِ

فَمَطالِعُ الأنوارِ مِنْ آفاقِهِ ... تَدعُو السَّراةَ إلَى عَذِيبِ المَوْرِدِ

فارفَعْ بهِ كَفَّ السُّؤالِ مُرَجِّيًا ... حُسنَ القَبُولِ وطِيبِ نُجْحِ المَقصَدِ

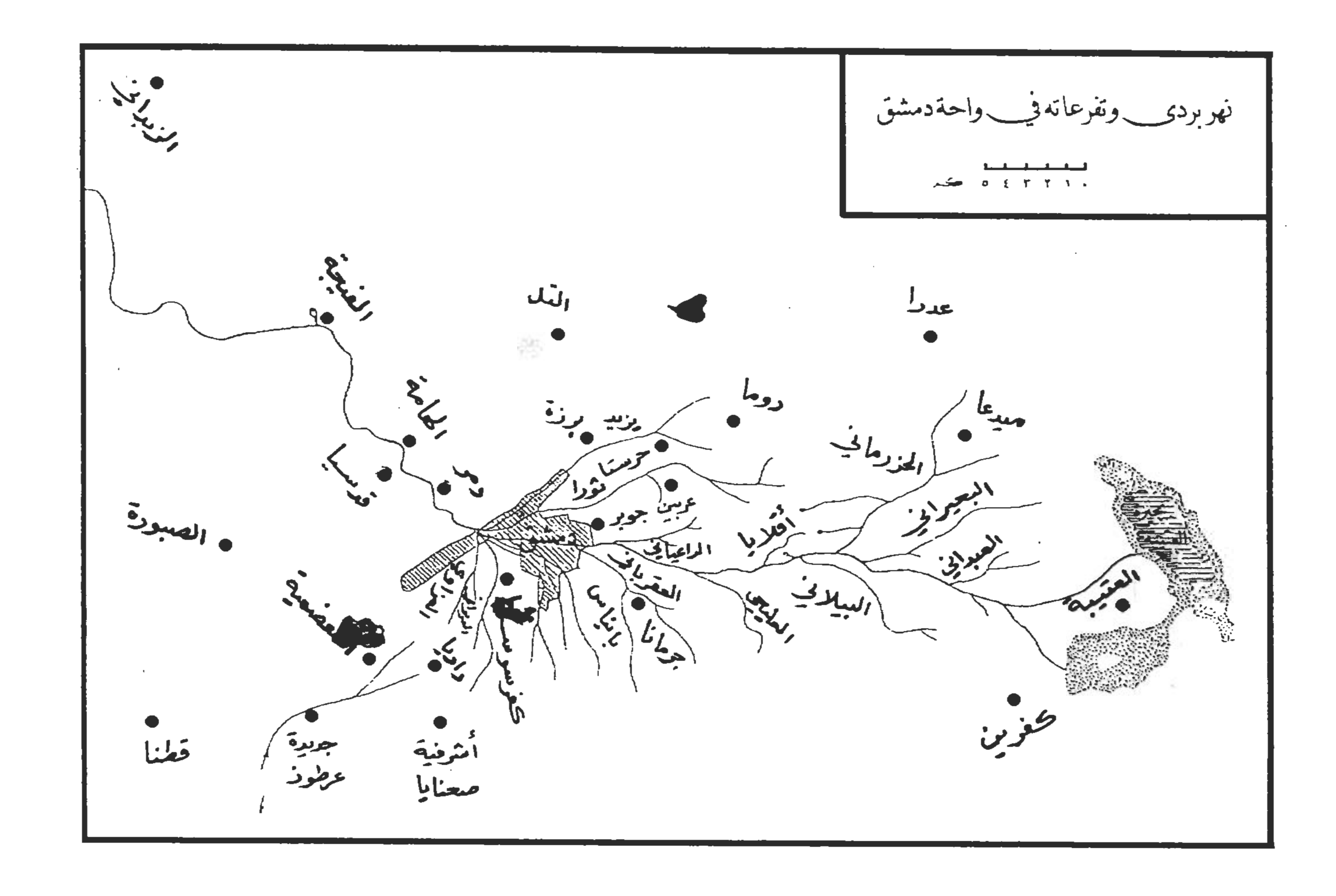
❁ ❁ ❁

---

(١) في (أ) و (ب): ويصعد إلى الغار.. ويصلي فيه.

(٢) في فضائل الشام: في حصن.

(٣) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة ٢٢.


نهر بردى وتفرعاته في واحة دمشق
٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ كم
الزبداني
الفيجة
التل
عدرا
دوما
ميدعا
الهامة
برزة
يزيد
حرستا
ثورا
دمر
قدسيا
عربين
جوبر
الصبورة
دمشق
الداعياني
الجزوماني
البحيراني
أقلايا
العقرباني
المليحي
البيلاني
العبواني
العتيبة
المعضمية
داريا
بابيلا
جرمانا
كفرسوسة
كفرين
قطنا
جديدة
عرطوز
أشرفية
صحنايا

فصلٌ
في ذِكرِ الأنهارِ وتَقسيمِها
وَذِكرِ أصُولِها السّبعةِ وما ينقسِمُ مِنها

حَسبَ ما وقَفْنا عليهِ منْ أربابِهِ والتقَطناهُ منْ أفواهِ أهلِ القُرى والأراضي
وبا للهِ التوفيقُ

١ـ اِعلَمْ أنّ أصلَ ماءِ دِمشقَ منْ **نهرِ بردَى**[1]، الخارجِ مِنْ صَدْعِ جبلٍ دُونَ قريةِ الزّبداني، منْ عَينِ التّوتِ، ثمّ يَنضمُّ لهُ **عَينُ الفيجةِ**، الّتي تَخرجُ منْ جَبلٍ عِندَ قريةِ الفِيجَةِ، بصَوتٍ هائلٍ، ودَوِيٍّ عظيمٍ، فتَصُبُّ في نهرِ بردَى، حتّى يكونَ نهرًا طامِيًا، ثمّ يَنقسِمُ إلى سَبعةِ أقسامٍ، أنهارًا كِبارًا، بإتقانٍ مُحْكَمٍ، فيَختصُّ كلُّ نهرٍ مِنهُم بناحِيةٍ، ويتكفّلُ سَقْيَ أراضِيها ورياضِها، فيكونُ الماءُ مُسلّطًا علَيها منْ جَميعِ جهاتِها، وهذا مِنْ خُصوصِياتِ دِمشقَ، ولا يوجدُ هذا الإتقانُ والترتِيبُ في غيرِها، وا للهُ أعلمُ.

(١) نهر بردى: نهر دمشق، ينبع من سهل الزبداني، من السفوح الشرقية لجبال لبنان، ويصب في بحيرة (العتيبة) من غوطة دمشق، يبلغ طوله (٧٠) كم، وتقوم على مجراه أراضٍ زراعية خصبة وقرى عامرة، ويتفرع عند مداخل دمشق إلى سبعة أنهار فرعية، ويرفده نبع الفيجة، على بعد (٢٠) كم من دمشق، وسُمي «بردى» لبرودة مائه. انظر خطط دمشق لصلاح الدين المنجد صفحة ٢٣.

٢- فأوّلُ ما يُقسَمُ منْ بردَى نَهْرُ يَزيدَ[١]، عندَ قريةِ الهامةِ[٢]، وهيَ أحدُ مُنتزَهاتِ دِمشقَ الأنيقةِ، ذاتِ الحدائِقِ الغَضّةِ الوَريقةِ، والرّياضِ الّتي تَستَوقِفُ الناظِرَ، وتَشرَحُ الصدرَ والخاطِرَ، وأهلُ جلّقَ يَتخِذُونَها مُنتدَى أفراحِهِمْ، وترويحَ أرواحِهِمْ، سِيّما أيامَ المِشْمِشِ[٣] البلدِيِّ، فإنّها اختُصَّتْ بِحُسنِهِ دُونَ سِواها منَ القُرَى والرّياضِ.

وفي نَهرِ يَزيدَ يقولُ الشاعِرُ[٤]: [من الكامل]

لِرِياضِ جِلّقَ تحتَ نَهرِ يَزيدِ	قُمُصٌ تَزيدُ على بُرودِ يَزيدِ[٥]
عَبَثَ النّسيمُ بِصَقلِها فَتنفّسَتْ	في وَجهِ دافِقِ نَهرِها المَوْرُودِ
فَتَقَطّبَتْ جَلَدًا أَسِرَّةُ وَجْهِهِ	جَلَدَ المُصابِ بِسَهمِ لَحظِ الغِيدِ

٣- ثمّ يَقْسِمُ نهرَ المِزّةِ[٦] قبلَ وُصولِهِ إلى قريةِ **دُمّرَ**[٧] بِنصْفِ فَرْسَخٍ.

---

(١) نهر يزيد: يتفرع من بردى، من الجهة اليسرى، على بعد ٤٠٠ م جنوب قرية الهامة، وبعد اجتيازه الربوة يجري في أراضي الصالحية (شمال الدواسة)، وهو أول بستان بعد خانق الربوة، وجنوب أراضي دير مران، ثم يخترق الضواحي الشمالية لدمشق، ماراً من المهاجرين والشركسية وركن الدين، ثم يتابع طريقه إلى القابون، وينقسم إلى قسمين: قسم لأراضي حرستا، وقسم لري أراضي القابون، وأخيراً ينتهي في مجرى سيلي جاف مؤلفاً بذلك حداً فاصلاً بين الأراضي المروية، والأراضي الجافة التي تسقيها (عين منين)، وطوله ١٦ كم. انظر خطط المنجد. وكتاب نهر يزيد من جمع وإعداد أحمد الفضل عيد.

(٢) الهامة: قرية على بعد ١٣ كم شمال غرب دمشق، تتبع ناحية قدسيا، وهي ذات بساتين كثيرة، مزروعة بالأشجار المثمرة، يخترقها بردى من وسطها، وهي الآن تتوسع عمرانياً في كل الاتجاهات. انظر المعجم الجغرافي ٤٤٣/٥.

(٣) أيام المشمس هي أواخر شهر أيار وشهر حزيران.

(٤) الأبيات لابن النقيب. الديوان، صفحة ١٠٢.

(٥) الديوان: على برود تزيد.

(٦) نهر المزة أو المزاوي: قناة المزة، وهو فرع من بردى، يسقي أراضي المزة وما يحيط بها، ينفصل عن بردى عند دمّر. المنجد.

(٧) دمر: قرية كبيرة، من ضواحي دمشق، وهي الآن حي من أحيائها، اشتهرت بجمال موقعها ونقاء هوائها، وتعدد أنهارها وجداولها، وامتازت بكثرة متنزهاتها، تبعد عن دمشق ٧ كم، وترتفع عن سطح البحر ٧٢٥م.

وفي دُمّرَ يقولُ صديقُنا اللُّقَيمِيُّ: [من الطويل]

مَرَرْنــا صَباحًـــا والرِّفـــاقُ بِدُمَّـــرِ   وزَهْـرُ الرُّبـا مِـنْ عَرْفِـهِ الطِّيْـبَ يَنْفَـحُ
وأدواحُهـا تزهُـــو بمَيْـــلِ غُصونِهـــا   إذا مـا بهـا وُرْقُ الحَمـــائِمِ تَصـدَحُ
فأشْـجَتْ فُــؤادِي المُســتَهامَ لأنّهـا   لِمَــتنِ غرامِـــي[1] بالصَّبابَــةِ تَشــرَحُ

وفي الحقيقةِ أنّ دُمَّرَ ورياضَها مَواسِمُ الهَنا، ومواطِنُ أهلِ الخلاعَةِ لِنَيلِ المُنَى، نَسِيمُها يَشفِي جوَى العليل، وحدائِقُها تَرُدُّ الطَّرْفَ وهو كَليل، وثِمارُها منْ ثِمارِ الجنان، كأنْ قَـدْ أهداها لأهلِ جِلَّقَ سيدُنا رضوان. [من البسيط]

حدائِــقٌ أحدَقَتْهـــا للمُنَـــى شَـــجَرٌ   خُضْـرٌ وأوديَـــةٌ حُفَّــتْ برَوضـــاتِ
وللمِيـــاهِ ابتِســـامٌ في جَداوِلِهــــا   كمـا تُشَـقُّ جُيـوبٌ فَـوقَ لَبَّـــاتِ[2]

٤- ثم يَقْسِمُ **نَهرَ الدّارانِي**[3]، بعدَ قَطْعِهِ جسرَ دُمَّرَ وعِندَ هذا المَقْسَمِ تنقَسِمُ الهُموم، وتَطْرُدُ شياطِينَها لِمَا تتناثَرُ مِنهُ شُهْبُ النُّجوم، وهنالِكَ حَدائِـقُ تـأخُذُ بالأبْصار، وتَجلِبُ المَسرَّاتِ، وتُبْعِدُ الأكدار. [من الكامل]

حَيـثُ المِيـــاهُ تَرقرَقَــتْ في جَــدْوَلٍ   مِثْـلَ اللُّجَيْــنِ علَـى طِـرازٍ مُذَهَّـــبِ
والريـحُ ترْكُـضُ في الرِّيــاضِ خُيولُهـا   وتَظَــلُّ في زُمَــرٍ وحُسْــنِ تَشَــبُّبِ

---

(١) يشير إلى منظومة «غرامي صحيح» في ألقاب الحديث تأليف أحمد بن فـرح الإشبيلي نزيـل دمشـق المتوفـى سـنة ٦٩٩، وتعرف بالقصيدة الغرامية لقوله في أولها:

غرامــي صحيـحٌ والرجــا فيـك معضــل   وحزنــي ودمعــي مرسَــلٌ ومسلســـل

وعليها عدة شروح. الرسالة المستطرفة ٢٨٣.

(٢) البيتان لذي الوزارتين محمد بن أحمد بن رحيم. خريدة القصر (المغرب) ٣/٤٠٥.

(٣) نهر داريا: أو الداراني، ينفصل عن بردى بالقرب من الشادروان، فيسقي أراضي المزة، وداريا: انظر خطط دمشق، لصلاح الدين المنجد، صفحة ٣٢.

٧ـ ثم يَقسِمُ **نَهرَ بانياس**[١]، عِندَ الـدَّفِّ والجَنـكِ، وهُنـا نِهايـةُ وادي الرَّبـوةِ، وأوّلُ وادي مَكرَمٍ الآتي ذِكرُهُ[٢].

❁ وفي نَهرِ بانياسَ يقولُ ابنُ فَضْلِ اللهِ: [من السريع]

إنْـزِلْ ببانـاسَ فَفـي نَهـرِهِ سِـرٌّ بـهِ تُجلَـى عَـرُوسُ السُّـرورِ
واسْـمَعْ حَديـثَ المـاءِ في جَرْيِـهِ فإنّـهُ يَشْـفِي غَلِيـلَ الصُّـدورِ

❁ وفيهِ، وفي نَهرِ يَزيدَ يقولُ بَعضُهم[٣]: [من الطويل]

تَهـدَّلَ مِـنْ بانـاسَ شَـطٌّ إلَـى الفَـلا[٤] فـأصْبَحَ كـالمفلوجِ سـالَ لُعابُـهُ
وفي تَلعـاتِ الصَّخـرِ قـدْ شَـقَّ نَهـرَهُ يَزيـدُ فصَـانَتْ ضِفّتيـهِ هِضَابُـهُ

وهذِهِ الأنهارُ مِنها أربعةٌ غَربيّةٌ؛ وهيَ نَهرُ داريَا، ونَهرُ المِزّةِ، ونَهرُ القَنَـواتِ، ونهـرُ بانيـاسَ، واثنانِ شَرقِيانِ؛ وهُما نهرُ يزيدَ، ونهرُ ثَورا، وبرَدى مُمتَـدٌّ بَينَهُـم في وَسَـطِ الـوادي، يَجري بَيـنَ حدائِقَ ورَوْضاتٍ، حتّى ينفُذَ نُفوذَ السّهمِ منْ صَدْرِ الباز إلى المَيدانِ الأخْضَرِ. [من الطويل]

غِيـاضٌ يَفيـضُ المـاءُ في عَرَصَاتِهـا فـتزهُو جَمـالاً عِنـدَ ذاكَ وتُزهِـرُ
تَـرَى بَـردى فيهـا يَجـولُ كأنّـهُ وحَصْبـاءَهُ سَـيفٌ صَقيـلٌ مُجَوهَـرُ[٥]

---

(١) بانياس: الفرع الثاني من بردى الداخل إلى وسط المدينة، يتفرع من بردى عند مخرج بردى من خانق الربوة متجهاً إلى دمشق، كان يروي بعض أحيائها.

(٢) انظر صفحة: ٢٠٥.

(٣) البيتان لابن النقيب. الديوان، صفحة ٥٣ و ٥٤.

(٤) جاء في هامش الديوان: الشط: جانب النهر، وجانب الوادي، والجمع شطوط، ولم يسمع من عربي شط بمعنى النهر، والشاعر يريد هنا بالشط النهر، وهو غير جائز. وقد استخدم هذا الشيخ عبد الغني النابلسي، انظر صفحة (٣٩).

(٥) البيتان لسيف الدين المشد الديوان صفحة (٨٠)، وهما في. نفح الطيب ٢/٤٠٩.

يَسيرُ وقد ضمَّتهُ قَناطِرُ قدِ انْعقَدتْ عليهِ، كأنّها عُيونُ الجآذِرِ تَرنُو إليهِ[1]. [من الكامل]

حيثُ القناطِرُ ألّفتْ عَيْناتُها[2] ... وَاوَاتِ أصْداغٍ لُويْنَ كَدَالِ

أو حيثُ أشبَهتِ القِسِيَّ وقدْ رَمتْ[3] ... تَرمِي مَجارِيْها بِنَبْلِ زُلالِ

ما بينَ أزهارٍ رَوَتْ أغصانُها[4] ... خبَرًا عنِ الأسحارِ والآصالِ

[تفرعات نهر بردى]

١ (٨) - ثُمّ يَقسِمُ في آخرِ المَيدانِ الأخضرِ **نَهرَ عَقْرَبا**[5]، وقدِ اخْتَصَّ بسَقْيِ رِياضٍ ورُبا، وقَرْيَتُهُ المُسمَّى بها، وقدِ انفَصل يرسُمُها، والحدائقُ منْ طَرَفَيْهِ تَستَسقي جَدواه، فتَضحَكُ ثُغورُ الأزاهِرِ لِوُرودِهِ ولُقياه، وعليهِ مِنَ الأدواحِ ظِلٌّ مَمدود، وأطيارٌ تشهدُ بِوَحدانيةِ المَلكِ المَعبود[6]. [من الكامل]

نهرٌ يَهيمُ بِحُسنِهِ مَنْ لَمْ يَهِمْ ... ويُجيدُ فيهِ الشِّعرَ مَنْ لَمْ يَشْعُرِ

ما اصفرَّ وَجهُ الشّمسِ عندَ غُروبِها ... إلاّ لِفُرقَةِ حُسْنِ ذاكَ المَنظَرِ

---

(١) الأبيات لشهاب الدين ابن الخلوف. الديوان ٢١٧.

(٢) الديوان: ألفت وجناتها.

(٣) الديوان: وقد غدت.

(٤) في الأصل: لوت أغصانها، والمثبت من الديوان.

(٥) ورد ذكره في تاريخ ابن عساكر باسم (نهر المجدول) ويسمى اليوم (العقرباني)، نسبة إلى قرية (عقربا)، ينفصل عن بردى في المرجة (ساحة الشهداء)، ثم يمر بشمال قلعة دمشق، إلى (بين السورين)، ثم يماشي المدينة، فيصل إلى (باب السلامة: باب السلام)، ثم يمر بالصفوانية (الصوفانية بلغة العامة)، ثم يمضي فيسقي أراضي جرمانا وعقربا وبيت سحم. انظر خطط دمشق للمنجد، صفحة ٣٦.

(٦) البيتان لمحمد بن إدريس، المعروف بابن مرج الكُحل، من قصيدة قالها بنهر الغنداق في لوشة بالأندلس. المغرب ٣٧٣/٢، نفح الطيب ٥٢/٥.

٢(٩) - ثم يَقْسِمُ **نهرَ داعية**[١]، لَعَمْري إنّ مكانَ مَقسَمِهِ لِلمَسرّاتِ داعِية، كلُّهُ رِياضٌ وارِفَةُ الظِّلال، وأطيارٌ تَنفُثُ السِّحرَ الحلال، تَتمتّعُ الأبصارُ بِمَحاسِنِ بَدائِعِ حدائِقِها، وتَتعطّرُ النّفوسُ مِنْ وَردِها الزّاكي وشقائِقِها[٢]. [من المتقارب]

كأنّ الشُّعاعَ على مَتْنِهِ ... فِرِنْدٌ بِصَفحةِ سَيفٍ نَدِي[٣]

وأشبَهَ إذْ دَرَّجَتْهُ الصَّبا ... بُرادَةَ تِبْرٍ على مِبْرَدِ

٣(١٠) - ثُمّ يَنحَدِرُ بردى إلى فَمِ الوادي الشرقي، وعلَيهِ مِنَ الأدواحِ مَواكب، والعُيونُ تَرْمُقُهُ مِنْ كُلِّ جانب، فَيقْسِمُ هنالِكَ **نَهرَ المَنيحي**[٤]، وهو نهرٌ طامي[٥]، عِصامِيُّ الثّروةِ لا عِظامي، يَجري بَينَ رياضِهِ كالهائِمِ المُستَهام، حتّى يُقْسَمَ عِدّةَ أقسام، وعِندَ مَقْسَمِهِ رياضٌ هيَ مِفتاحُ السرور، وكَنزُ المَسرَّةِ والحُبور، فازَ مَنْ تَعطّرَ بِأرجِ عَبيرِها الفائِح، وشنّفَ مَسامِعَهُ بِنَغَماتِ طُيورِها الصّوادِح. [من البسيط]

ذو شاطِئٍ راقَ غِبَّ القَطْرِ فهوَ علَى ... نَهرِ الأُبُلَّةِ يُزْري أيَّ إزراءِ

---

(١) نهر داعية أو الداعياني: نسبة إلى قرية داعية الدائرة، وتقع في أراضي حمورية، ينفصل عن بردى في الصفوانية، فيسقي طرفاً من أراضي جوبر، ويتفرع منه ثلاثة أنهر أخرى :

١- الأول ينفصل عن الداعياني عند طاحونة العبد، ويسقي أراضي عين ترما وكفر بطنا.

٢- والثاني ينفصل عن الداعياني بالقرب من عين ترما، ويسقي أراضي سقبا وحمورية والأفتريس وبيت سوا.

٣- الثالث وينفصل عن الداعياني، بالقرب من عين ترما، فيسقي قسماً من أراضي كفربطنا وحسرين والمحمدية.

انظر خطط دمشق للمنجد، صفحة ٣٧.

(٢) البيتان التاليان لابن قلاقس الديوان صفحة ٤٠٢. معاهد التنصيص ٢/٩٥.

(٣) معاهد التنصيص: سيف صدي.

(٤) نهر المليحي أو المنيحي: ينفصل عن بردى بالقرب من طاحون (الأحد عشرية)، على بعد ٤٠٠ متر من باب شرقي، ويسقي أراضي المليحة، وبلاط، والخيارة، ودير بجدل.

(٥) طامي كذا للسجع.

كأَنّــهُ عِنــدَ تفريــكِ النّسِــيمِ لــهُ   فِرِنْــدُ سَــيفٍ نَضتْــهُ كَــفُّ جَــلاّءِ[1]

٤(١١) - ثم نهرُ الزَّبدِيني[2] بَعدمــا تَمــدُّهُ العُيــونُ، وتُخْــرجُ مِــنْ مَحاجرِهــا دُرَّهــا المَكنُونَ، وهذا النهرُ مُخضَرُّ الأطرافِ، مُعْشَوشِبُ الضّواحِـي والأكنـافِ، مُتّصِـلٌ بريـاضِ زَبدِينَ، وقدْ عَقدَ عَهدَ المُناسَبَةِ بَينَها وبينَ رَوضاتِ جِسرينَ، لِمَا بَينَهُما مِنَ الشَّبَه، وَوُجودِ الجنسيةِ بينَ تِلكَ الرياضِ الآشِبَة[3]: [من الرجز]

مِـنْ سَـكْرِ زَبديـنَ إلى جِسـرينَ كَـمْ   حيّـا الحيـا حيًّـا علَيـهِ رَوْنَـقُ[4]

أنّـى اتّجَهْـتَ رأيْـتَ رَوضًـا مـاؤُهُ   مُتسلْسِـلٌ يَعلـو علَيـهِ جوسَـقُ

٥(١٢) - نهرُ الوَسْطانيِّ:

اختّصَّ برياضٍ وقُرًى، وقـدِ التَزَمَ لأراضِيهـا بـالقِرى، كَـمِ انْشَـقَّ وَردُ رِياضِـهِ مِـنْ بُرعومِهِ، فخَضعَتِ الأزاهِرُ لِمَنشورِهِ ومَرسومِهِ، ونادى مُطوَّقُها بِحَيَّ علَى الوُرودِ، لِحدائِقِ النّرجِسِ ورَوضاتِ الوُرودِ[5]: [من البسيط]

كأنّمـا النّهـرُ مِـرآةٌ وقـدْ عَكَفَـتْ   علَيــهِ تَدْهَــشُ في حُسْــنٍ وَلألاءِ[6]

---

(١) البيتان لسيف الدين المشد، الديوان صفحة ٥٢، وفيه: كأنه عند تحريك.. سيف صقلته.

(٢) نهر الزبديني: نسبة إلى قرية (زبدين)، ينفصل عن بردى بالقرب مـن بستان القـوادري شـرق جسـر المطير (مـن أراضي زبدين)، ويسقي أراضي الحديثة، و(حتيتة الجرش) وزبدين، وتفيض مياهه في الشتاء على (نهر الحاروش). انظر خطط دمشق للمنجد، صفحة ٣٧.

(٣) البيتان التاليان لمحمد بن الحسن بن سباع شمس الدين الصايغ العروضي، من قصيدة قالها وهـو بمصـر، يتشـوق إلى دمشق. فوات الوفيات ٣/٣٢٨.

(٤) في الأصل: حتى الحمى روض عليه رونق، والمثبت من فوات الوفيات.

(٥) البيتان التاليان لسيف الدين المشد صفحة (٥٢).

(٦) الديوان: من حسن.

كأنَّـهُ حِـينَ يُهـدِي زُرقَـةً وصَفًـا[1]   رَقـراقُ عَـينٍ بوجْـهِ الأرضِ شَــهْلاءِ

٦(١٣) - نهرُ الغَربِيِّ:

وهذا صِنْوُهُ في المِيرَةِ، لكنَّهُ صافي القلبِ والسَّريرةِ، لا يَشُـوبُهُ كَـدَر، غـير مـا تُنَقِّطُـهُ الأدواحُ مِنْ يَوانِعِ الزّهر، تَحُفُّهُ رياضٌ يا لها مِنْ رياض، وجَناتٌ سُمِّيتْ بالغِياضِ[2]. [البسيط]

وقـدْ جـرَى النهـرُ في أُخْـدُودِهِ عَجِـلاً   كما جـرَى النـومُ في أجفـانِ وَطْفـاءِ[3]

يَنسـابُ كـالفَجْرِ في مَجْـرَى غَياهِبِـهِ   وَيلتَـوي كَـالْتِوا رَقشـاءَ رَقطـاءِ

٧(١٤) - نهرُ دَرْمِينا[4]:

بِفَتحِ الدالِ وسُكونِ الراءِ وكَسرِ الميمِ، ذو عَوارِضَ عَنْبَرِيَّةِ الأرجِ والشَّـميمِ، يَتـدرّجُ بينَ نباتٍ وشَجر، قدْ تَتَوّجَتْ هاماتُ أفنانِها بتيجانِ الزّهْر. [البسيط]

والنهـرُ يَصْـدى بِهـاتِيكَ الظِّـلالِ كَمـا   تَصـدَى صَحِيفَـةُ حَـدِّ الصّـارِمِ الذّكَـرِ

والزّهـرُ يَفـرُشُ في شَـطّيهِ مـا رَقَمَـتْ   فيهِ السّـحائِبُ مِـنْ رَيـطٍ ومِـنْ حِـبَرِ[5]

---

(١) الديوان: يجري زرقة.

(٢) البيتان التاليان لشهاب الدين بن الخلوف. الديوان ٨٠.

(٣) الوطفاء: كثير شعر الحاجبين والعينين والأشعار مع استرخاء وطول. متن اللغة.

(٤) فرع من النهر الزبديني.

(٥) البيتان لابن النقيب. الديوان ١٣٤.

٨(١٥) - نهرُ الماصِيّةِ[١]:

نهرٌ جرَى فتَكسَّر، وصَفَـا فلـمْ يتَغيّرِ، صـاحَبَ النّسـماتِ وحالفَهـا، وغنّـتْ علَيـهِ الأطيارُ فخالفَها، وعلَيهِ أدواحٌ بَرَزَ إبْريزُها، وحَسُنَ تَطْريزُها. [الطويل]

ونهـرٍ بِحُـبِّ الـدَّوحِ أصبـحَ مُغْرَمًـا ... يَـروحُ ويَغـدُو هائِمًـا بِوِصالِهـا

إذا بَعُـدَتْ عَنـهُ شَـكا بِخَرِيـرِهِ ... جَفاهـا وأضْحَـى قانِعًـا بِخَيالِهـا[٢]

٩(١٦) - نهرُ الحاجِبيّ:

نهرٌ يَهْوَى الظّلال، لكِنّهُ يَقنعُ منْ وَصْلِها بالخَيـال، عَـذبُ المَنـاهِلِ والمَشـارِبِ، لَـذّةُ النّاظِرِ والشارِبِ. [الكامل]

والنّهـرُ قـد عَشِـقَ الغُصـونَ فلـمْ يَـزلْ ... أبَـدًا يُمَثّـلُ شَـخصَها في قَلبِـهِ

حتّـى إذا فَطِـنَ النّسـيمُ فَجاءَهـا ... عـنْ غَـيْرَةٍ وأمالَهـا عـنْ قُرْبِـهِ

١٠(١٧) - نهرُ البالانِي[٣]:

وهذا صِنْوُهُ في حُبِّ الخَمائِل، فلِهَـذا يَطْـرَبُ لِصَفـيرِ البلابِـلِ، أطْرافُـهُ مُزَرْكَشـةٌ بالأزهـارِ، مُرَصّعةٌ بِجَواهِرِ الفواكِهِ والثّمارِ، تَرمُقُهُ العيونُ في مَسِيرِهِ، وهوَ لا يَفْتُرُ عنْ هَدْرِهِ وخَرِيرِهِ. [المنسرح]

---

(١) الماصية: جمعها مواص، وهي فتحات توجد على ضفتي بردى، تؤخذ منه على شكل جداول صغيرة، وتفتح في أوقات محددة، وأشهرها: ماصية الأنصاري، والغربي، وماصية الشباك، وماصية الكزبري التي تمر مياهها بالزينبية من حي القصاع.

(٢) البيتان لابن لولو. الديوان ٧٢.

(٣) نهر البالاني: ويسمى أيضاً البيلاني، ينفصل عن بردى بالقرب من قرية (بالا)، ويسقي أراضي بالا وحرستا القنطرة، وهو مما ينبع من قرارة بردى، ويتجمع من مصاصات المياه المجاورة. انظر خطط المنجد، صفحة ٣٨، وغوطة دمشق لكرد علي، صفحة ٩٦.

والنّهـرُ قـدْ جُـنَّ بـالغُصون هـوًى   فَـراحَ في قَلبِـهِ يُمثّلُهـا
فَغـارَ مِنـهُ النسـيمُ عاشِـقُها   فَجـاءَ عـنْ وَصْلِـهِ يُميِّلُهـا[1]

١١(١٨) - نهرُ الزّابون[2]:

لَبِسَ منَ الأزاهِرِ حُلّة، وجَعلَ الحدائِقَ وَطنَهُ ومَحلّه، فلمْ يُصْغِ عنْ حُبِّ الغُصونِ لِقولِ عاذِلٍ، ولمْ يُجِبِ النسيمَ اللاحِي إلا بِدَمعٍ سائِلٍ، يَرتاحُ لِوُرودِ النسائِمِ، ويَطرَبُ لِسماعِ غِناءِ الحمائِمِ. [الوافر]

ونهـرٍ خـالَفَ الأهـواءَ حتّـى   غَـدَتْ طَوْعًـا لـهُ في كُـلِّ أمْـرِ
إذا سَـرقَتْ حُلـى الأغصـانِ ألقَـتْ   إليـهِ بِهـا فيأخُذهـا ويَجْـري[3]

١٢(١٩) - نهرُ الملك[4]:

نهرُ الملك، كأنّهُ نَهرُ المَجرَّةِ في الفَلكِ، قدِ انعطَفتْ قُدودُ أشجارِهِ، وابتسَمَتْ ثُغورُ أزهارِهِ، وغنّاهُ طَيرُهُ فَهام، وشبَّبَ لهُ الريحَ فالْتَوى مِثلَ الحُسام. [الكامل]

يـا حبّـذا النهـرُ الّـذي أمْواهُـهُ   تَسْبي العُقـولَ بِحُسْـنِ مـا تُبدِيـهِ
هـوَ في الحدائِـقِ غَـيرَ أنّ عُيونَنـا   إنْ لاحَظَتْـهُ تَـرَ الحدائِـقَ فيـهِ[5]

---

(١) البيتان لإسماعيل بن علي فخر الدين ابن عز القضاة. الوافي بالوفيات ١٦٧/٩.

(٢) نهر الزابون: ينبع من عين السويسي، فيسقي أراضي حسرين والمحمدية وحوش الأشعري. انظر خطط المنجد ٣٨، وغوطة دمشق ٩٦.

(٣) البيتان لمجير الدين ابن تميم (محمد بن يعقوب). فوات الوفيات ٥٨/٤، وفيه: غدا طوعاً. الوافي بالوفيات ٢٣٢/٥.

(٤) ذكره ابن عساكر، ينفصل عن بردى بالقرب من جسر الغيضة، وهذا الجسر يجمع بين قرى شمال الغوطة وجنوبها وجسر توما، فيسقي بعض أراضي حسرين والمحمدية والأفتريس. انظر خطط المنجد، صفحة ٣٨، غوطة دمشق لكرد علي، صفحة ٩٦.

(٥) البيتان لابن لؤلؤ. الديوان ٨٤.

١٣(٢٠) - نهرُ الشيداني[١]:

طَورًا يألَفُ الفَيافِي، وتارةً يتفيّأُ منَ الأدواحِ بظلٍّ ضـافي[٢]، وعليـهِ ريـاضٌ مُدَبَّجَـةٌ، بِنَشْرِ طِيبِ نَورها مُتأرِّجةٌ، مُتوَّجةٌ بالزّهرِ، مُمَنْطَقَةٌ بأنواعِ الدُّرَرِ. [الكامل]

والنّهـرُ خَـدٌّ بالشُّـعاعِ مُـوَرَّدٌ   قـدْ دَبَّ فيـهِ عِـذارُ ظِـلِّ البـانِ

والمـاءُ في سُـوقِ الغُصـونِ خلاخِـلٌ   مـنْ فِضّـةٍ والزّهـرُ كالتّيجـانِ[٣]

١٤(٢١) - نهرُ تلِّ الذّهبِ[٤]:

حدائِقُهُ كمْ بَسَطتْ مِنْها النّفوسُ مَعاطِفا، وتقلّدَتْ مـنْ زَخارِفِهـا قلائِـدًا ومَطارِفـا، يَسرَحُ في ميـادِينِ أفنانِـهِ، ويَسيْحُ على مُبدِّدِ جَواهـرِهِ وعِقْيانِـهِ، وهُنـالِكَ سَرحَةٌ تـأخُذُ بالألبابِ، وتفعلُ بالعُقولِ فِعلَ السُّلافَةِ في عَصرِ الشبابِ. [الكامل]

والنهـرُ لـمَّـا أنْ زهَـا نَـثَرَتْ لـهُ   أغصانُـهُ دُرًّا فَـزادَ تفوّقـا

وأرادَ يَحمِيـهِ فجَـرَّدَ حولَـهُ   مِـنْ كُـلِّ سـاقِيةٍ حُسـامًا مُرْهفَـا

---

(١) نهر الشيداني: ينفصل عن بردى بالقرب من بالا، ويسقي أراضي بالا وحرستا القنطرة.

(٢) كذا ضافي. وقد أثبت الياء لضرورة السجع.

(٣) البيتان للقاضي كمال الدين ابن النبيه. الديوان صفحة ٢٧٨، وهما في معاهد التنصيص ١٥٨/٢.

(٤) تجمع مائي لسبعة عيون من الماء، تصب في بردى عند طاحونة الذهب، ومن هناك تجري شرقاً حتى مقسم الغيلاني، ومن هذا المقسم يتفرع ما يسقي قرى حوش المتبن ودير سلمان والبلالية، ثم يجري حتى مقسم الحزرماني، الذي يتفرع إلى فرعين: الأول يسقي قرى حزرما وحوش الصالحية وميدعا، والثاني يمتد حتى مقسم البحيراني، والذي يتفرع بدوره إلى فرعين، الأول يسقي أراضي قرى البحارية والقاسمية.. إلخ..

ولمعرفة منبع ومجرى كل نهر من الأنهار الفرعية المذكورة، يرجع إلى كتاب الريف السوري لأحمد وصفي زكريا، الجزء الأول، صفحة ٣٣١ - ٣٣٢.

١٥(٢٢) - نهرُ بيتِ نايم[١]:

هوَ فِرقَةٌ مِنهُ، لكنْ أخَذَ مُسلْسلَ الصّفاءِ عنهُ، ماؤُهُ طَبَرْزَد[٢]، يَـرويْ حديـثَ الشّـفا عنِ المُبَرّد، يَألَفُ الرياضَ والصّحاري، وأكثرُ ما يسكنُ البَراري. [الطويل]

ونهرٍ إذا ما الشمسُ حانَ غُروبُها ... عليهِ ولاحَتْ في مَلابِسِها الخُضْرِ

رَأيْنا الذي أبْقَتْ بِهِ مِنْ شُعاعِها ... كأنّا أرَقْنا فيهِ كأسًا مِنَ الخَمْرِ[٣]

١٦(٢٣) - نهرُ حَزْرَما[٤]:

هذا اخْتَصَّ بريٍّ قَريَتِهِ، وساهمَها سِهامَ جُعبَتِهِ، ينسابُ إليها كـالأَيّمِ[٥] في جَداولِهِ، لكنّهُ يَضمّخُ بالعَبيرِ راحةَ مُتناوِلِهِ. [البسيط]

كأنّما النهرُ إذْ مَرَّ النسيمُ بِهِ ... والغَيمُ يَهمِي وَضَوءُ البَرقِ حينَ بَدا

رَشْقُ السّهامِ ولَمْعُ البيضِ يومَ وغًى ... خافَ الغديرُ سَطاها فاكْتسَى زَرَدا[٦]

١٧(٢٤) - نهرُ الغريفَةِ:

نهرٌ رقيقُ الحَواشي، يَجري إلى قَريَتِهِ والعيونُ لهُ كالغَواشي، جِيدُهُ مُعَطّلٌ مِنْ حِلي الظلال، لكنَّ ماءَهُ سائغٌ عَذبٌ زُلال. [المنسرح]

انظرْ إلى النّهرِ في تَطَرُّدِهِ ... وصَفوُهُ قدْ وَشى على السَّمَكِ

---

(١) يسقي أراضي قرية بيت نايم وحوش الصالحية.

(٢) الطبرزد: السُّكر المعروف بسُكّر النبات. معجم متن اللغة.

(٣) البيتان لابن لؤلؤ. الديوان صفحة ٤٧.

(٤) نهر حزرما: نسبة إلى قرية حزرما، ينفصل عن بردى، ويسقي أراضي حوش الصالحية. انظر خطط المنجد، صفحة ٣٨.

(٥) الأيم: الحية الأبيض اللطيف. القاموس.

(٦) البيتان لسيف الدين المشد، علي بن عمر بن قزل. الديوان صفحة ٧٩.

تَوهّمَ الريحُ صَيْدَهُ فَغَدا ينسُجُ فوقَ الغَديرِ كالشَّبَكِ[1]

١٨(٢٥) - نهرُ المُتبِّن:

عَذْبُ المَشارِبِ والمَوارِدِ، يَجري إلى حَدائِقِهِ كالظّبْيِ الشارِدِ، وعليهِ أدواحٌ تَقِيهِ حرَّ الشمسِ، فيَرْوي ظَمأَ الوارِدِ ولَوْ باللّمْسِ، قدِ افترشَ أزاهِرَ تِلكَ الرُّبا، فَحلَّتْ لِوُرودِهِ رياضُها الحُبا. [الكامل]

النهرُ يَجري في الرياضِ وثَوْبُهُ بيَدِ النّسيمِ مُفَرَّكٌ مَصْقولُ
والغُصنُ يُوقِظُهُ الصَّبا فيقومُ مِنْ خَبَلِ الرُّقادِ وفَرعُهُ مَهزولُ

١٩(٢٦) - نهرُ البلاليةِ:

فيهِ لِكأسِ الأُنسِ أيُّ مَساغٍ، قد حُبِيَ عارِضاهُ بِمثلِ رَيحانِ الأصْداغِ، كأنّهُ سِنانٌ يَطْعنُ في صَدرِ البَيدا، لكنّهُ مِن عُجْبِهِ يمشي رُويدًا رُويدا. [الخفيف]

وغَدِيرٍ رَقّتْ حَواشيهِ حتّى بانَ مِنْ قلبِهِ الّذي كانَ ساخا
وكأنّ الطُّيورَ إذْ وَرَدتْهُ مِنْ صَفا مائِهِ تَزُقُّ فِراخا[2]

٢٠(٢٧) - نهرُ العَبَّادةِ:

هذا بَقيةُ مِمّا تَركَ بردى، جَعلوهُ لِهذهِ القريةِ مَدَداً، يَتَناوَبُهُ أهلُها حِصَصاً، فيَذوقونَ مِنْ قِلَّتِهِ غُصَصاً، يأْلَفُ السَّباسِبَ والمَهامِه، فيُصيبُ البعضَ مِنْها بسهامِهِ[3]. [الطويل]

---

(١) البيتان لعمر بن مسعود بن عمر سراج الدين المحار. الدرر الكامنة ٣/٢٧٠، ريحانة الألبا ٥٨، نفحة الريحانة ١/٢٢٩.

(٢) البيتان لابن الرومي. الديوان ٢/٥٨٣.

(٣) البيتان التاليان لابن النقيب. الديوان، صفحة ٢٠٦.

إذا جَعَّـدَتْ أيْـدي النسـيمِ مُتونَـهُ   وقُمْتَ على الشّطّينِ في زي قـائِفِ[1]
حَسِبْتَ أساريرًا مِنَ الأُفـقِ عَبَّسَتْ   بِمِـرآةِ صـافِي مائِـهِ المُـترادِفِ[2]

❁ ❁ ❁

ذِكرُ ما يَقْسِمُهُ المَنيحي منَ الأنهارِ، وكلُّهم يَجري تحتَ ظِلالِ الأدواحِ والأزهارِ [الكامل]

مِن كُلِّ جَدولِ كالحُسامِ إذا انْبَرى   في حُسْنِ رَونَقِهِ وصَفْوِ صِقالِ
ينسـابُ ذُعـرًا كالحُبـابِ إذا الْتَـوَى   كـالنّونِ أو كـاللاّمِ أو كـالدّالِ[3]

١(٢٨) - نهرُ الجامِعيّ:

تردَّى بالخَمائِلِ، وجَرى في ظِلّها بِدمْعٍ سائِلٍ، رُقِّمَتْ بيانِعِ الأزاهِرِ جَنَباتُهُ، فَفـاحَتْ بالعَبيرِ نفَحاتُهُ، والطيرُ فوقَ ذلكَ الطِّرازِ المُعْلَمِ، كأنّهم دَقّوا بَينَهُم عِطْرَ مَنْشِمِ[4]. [الخفيف]

نَهَـرٌ دافِـقٌ وجَـوٌّ فَتيـقٌ   زَهَـرٌ فـائِقٌ وظِـلٌّ ظَليـلُ
لستُ أنسَى ارْتِعاشَ شُحرورِ غُصنٍ   طَرَبًـا والقَضِيـبُ مِنـهُ يَميـلُ[5]

---

(١) الديوان: أيدي الرياح متونها.. وفي الأصل: رقمت على الشطين.

(٢) الديوان: مائها المترادف.

(٣) البيتان لشهاب الدين ابن الخلوف. الديوان ٢١٦، وفيه: كالحباب وينثني.

(٤) مَنشِم: امرأة عطّارة من همدان، كانوا إذا تطيبوا من ريحها اشتدّت الحرب، فصارت مثلاً للشر. قال زهير بن أبي سلمى:

تداركتمـا عبسـاً وذبيـان بعدمـا   تفـانوا ودقّـوا بينهـم عطـر منشِـمِ

(٥) البيتان لأحمد بن صالح بن أبي الرجال، من قصيدة في وصف روضة صنعاء. خلاصة الأثر ١/٢٢٠، نفحة الريحانة ٣/٤٨٦.

٢(٢٩) - نهرُ البِيرَةِ:

كتبَ الزّهرُ على طُروسِ حدائقِهِ صُحُفًا مِنَ التوحيدِ، ونَطقَ الطيرُ بجلالِ القُدرَةِ بما أبداهُ منَ التّغريدِ، فهَوتِ الأدواحُ للسّجودِ، لَمّا نادَى لِسانُ النّسائِمِ: «ما عَبدناكَ حَقَّ عِبادَتِكَ»[1] يا مَعبودُ، فهامَ النّهرُ هُيامَ مَنْ ادّكَرَ، وجَرَى دَمعُهُ على خُدودِ رياضِهِ وانْحدَرَ. [الكامل]

الماءُ يَدفُقُ مِنْ خِلالِ رياضِهِ	مِثْلَ الفُهومِ تُفيدُها الألفاظُ
والرّيحُ يَهدرُ والمِياهُ تَخِرُّ مَعْ	إصْغائِنا فكأنّها وُعّاظُ

٣(٣٠) - نهرُ المَزّازِ[2]:

نهر المزّاز، قدْ أحرزَ السَّبقَ في مَيادينِ رياضِهِ أيَّ إحراز، يمشي وعلَيهِ سُرادِقاتُ الشّجرِ، مُطَرَّزَةً بأنواعِ وَشْيِ الزّهرِ. [الكامل]

والنهرُ قدْ رَقّتْ غُلالَةُ صَفْوِهِ	وعلَيهِ مِنْ صِبْغِ الأصِيلِ طِرازُ
تترَقْرَقُ الأمواجُ فيهِ كأنّها	عُكَنُ الخُصُورِ تَهُزُّها الأعْجازُ[3]

---

(١) روى الطبراني في المعجم الكبير ١٨٤/١٣، والأوسط ٤٤/٤ (٣٥٦٨) عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما في السموات والأرض موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك راكع أو ملك ساجد، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً: سبحانك، ما عبدناك حق عبادتك، إلا أنا لم نشرك بك شيئاً».

(٢) المزّاز: والصحيح المصّاص، من المصّ، وهو المكان الذي ينقسم فيه ماء النهر إلى فروع عديدة، يفصل بينها بحجارة ضخمة، ليوزع كل (مزاز) إلى أصحاب الحقوق فيه. الريف السوري ٣٢/٢.

(٣) البيتان لعبد الله بن سارّة الإشبيلي. خريدة القصر (المغرب) ٣٣١/٢، نفح الطيب (ابن صارة) ٤٩٩/١، ٦٠٠/٣.

٤(٣١) - نهرُ الشَّقّ:

نهر الشقّ، هوَ في صَفائِهِ كمَحلولِ الطَّلْقِ، تَخالُ الدُّرَّ مِـنْ حَصبائِـهِ، وتُفْقَـدُ فيـهِ الشـمسُ لِصَفائِهِ، رَقصَتْ دَلالاً قُضبُ أشجارِهِ، وضاعَ نَشـرُ أطيـبِ أزهـارِهِ، قـدْ تَوشَّـحَتْ أدواحُ رياضِهِ بالثّمَرِ، كتَوشُّحِ الحسناءِ بقلائِدِ الدُّرَرِ. [البسيط]

انظُـرْ إلى النّهـرِ والأدواحُ تَرمُقُـهُ   مِـنْ جانِبيـهِ بأجفـانٍ لَهـا حَـدَقُ
رَأتْـهُ سَـيفًا علَيـهِ للصَّبـا شُـطَبٌ   فقابلَتْـهُ بـأحداقٍ لَهـا أرَقُ[1]

٥(٣٢) - نهرُ السُّلطانِي:

تَخالُ صافِيَ مائِهِ تحتَ الظلالِ، ذَوْبَ لُجَينٍ لَعِبَتْ بـهِ كَـفُّ الشَّـمالِ، يُغْنيـكَ عَـذبُ مائِهِ عنْ رَشفِ اللّمَى، ويُلهيكَ بَرْدُ رُضابِهِ عنْ ظَلْمِ الدُّمَى، ونغَمـاتُ أطيـارِهِ أطـرَبُ مِـنْ تَرنُّمِ زنامٍ[2] بِمزْمارِهِ، والمَوْصِلِيّ[3] بِضَربِ أوتارِهِ. [الكامل]

والجَـدولُ الفِضّـيُّ يَضحَـكُ مـاؤُهُ   فكأنّـهُ في العَـينِ صَفْـحُ مُهنّـدِ
وإذا تَجَعَّـدَ بالنّسـيمِ حَسِـبْتَهُ   لَمّـا تَـراهُ مُشـبّهًا لِلمِـبْرَدِ[4]

---

(١) البيتان لابن سعيد. نفح الطيب ٢/٣٤٧.

(٢) زنام الزامر اسمه محمد بن قيس، قال له المتوكّل: تأهّب للخروج معنا. قال: الناي في كفّي، والريح في فمي. انظر نزهة الألباب لابن الأثير ١/٣٤٥.

(٣) **والموصلي** هو إسحاق، انظر الحاشية (٤) صفحة ٢٠٩.

(٤) البيتان لبعض الأندلسيين يصف حديقة. نفح الطيب ١/٥٣٢.

٦(٣٣) نهرُ الزُّلَف[1]:

نهر الزلف، نهرٌ تَطرَّزَ بالظَّرْف، تَسلْسلَ ماؤُهُ زُلالاً، فاتَّخذَ الشجرَ ظِلالاً، حتّى صَفا مِنَ الأكدارِ، وجرَى على شَفا جُرُفٍ هارٍ، فانْهارَ في حدائِقَ تَبْسُمُ فِيها ثُغورُ الأزهارِ، كعاشِقٍ فَقَدَ مَنْ يَهواهُ، وقدْ أضرَّ بِهِ شَجْوُهُ وهَواهُ. [الكامل]

والنهرُ يَشْكو وَجْدَهُ بِخَريرِهِ   والغُصنُ مَعشوقٌ لَهُ مَوموقُ
والريحُ تَسْحَبُ ذَيلَها مِنْ فوقِهِ   وتَظلُّ تَصْقُلُ خَدَّهُ فَيروقُ[2]

٧(٣٤) - نهرُ الخِيارةِ[3]:

نهر الخيارة، قدْ جرَى بينَ أدواحِهِ في مَوكِبِ الإمارَة، يَرفَضُّ عنْ نُثارِ الدُّرِّ والجُمانِ، تحتَ ازدهاراتِ الشجرِ وأعلامِ الأفنانِ، تارةً يَتجرَّدُ مِنْ غِمْدِ رياضِهِ، وآوِنَةً يَنسابُ بينَ مُروجِهِ وغِياضِهِ. [الكامل]

يا حُسْنَهُ مِنْ جَدولٍ مُتدفّقٍ   يُلهي بِرَونَقِ حُسْنِهِ مَنْ أبْصَرا
ما زِلْتُ أُنْذِرُهُ عُيونًا حَولَهُ   حتّى هوَى مِنْ شاهِقٍ فتَكسَّرا

---

(١) نهر الزُّلَف: هو الحياض المتلثة، ومعناه ساعات الليل الآخذة من النهار، وساعات النهار الآخذة من الليل، وهذا الاصطلاح مازال معمولاً به في السقيا في كل قرية. انظر غوطة دمشق لكرد علي، صفحة ٩٥.

(٢) البيتان لأحمد الكيواني. انظر ديوانه، صفحة ٤٧.

(٣) قد مرَّ ذكر أن هذه الأنهار هي من فروع المليحي. والخيارة (وتُسمى خيارة نوفل) مزرعة في غوطة دمشق الشرقية، تتبع قرية بلاط ناحية المليحة، تبعد عن دمشق ١٠ كم. المعجم الجغرافي.

٨(٣٥) - نهرُ الشَّبْعا[١]:

يَجري بَين رياضٍ وَورُود، كأنّها خُرَّدٌ تَزدانُ بمَحاسِنِ العُيونِ والخُدودِ، وقدْ نَظَمتْ في نُحورِها مِنَ اللآلِئِ عُقوداً، لَمّا كَساها الرَّبيعُ مِنْ خُيوطِ وَدْقِهِ بُروداً، ومَواكِبُ الأطيارِ مُهَيمِنةٌ على تِلكَ الأعلامِ، والمَنْهلُ العَذْبُ كَثيرُ الزّحامِ. [الكامل]

والنهـرُ مَكسُـوٌّ غُلالَـةَ فِضَّـةٍ ... فـإذا جـرَى سَـيْلاً فَثَـوْبُ نُضـارِ
وإذا اسـتقامَ رأيـتَ صَفحـةَ مُنْصُـلٍ ... وإذا استدارَ رأيـتَ عِطْـفَ سَـوارِ[٢]

٩(٣٦) - نهرُ البلاطِ[٣]:

كأنّهُ مِعْصَمُ خَودٍ حَسْنا، قدْ طرَّزتْهُ بالوَشْيِ فازدادَ حُسْنا، صَفا ماؤُهُ وتَحـدَّر، يـرفُّ على بِساطِ الزُّمُرُّدِ كما سِيمَ الحُسامُ المُجَوهَر[٤]. [الطويل]

ومُطَّـرِدِ الأمـواجِ يَصقُـلُ مَتنَـهُ ... صَبًـا أعلنَـتْ لِلعَينِ مـا في ضَمـيرِهِ
جَريـحٌ بـأطرافِ الحَصى كلَّما جـرَى ... عليهـا شَـكا أوجاعَـهُ بِخَريـرِهِ[٥]

---

(١) قد مرَّ ذكر أن هذه الأنهار هي من فروع المليحي. وشبعا قرية تقع في الجنوبي الشرقي للغوطة الشرقية، تتبع ناحية المليحة. المعجم الجغرافي.

(٢) البيتان في نفح الطيب ٤٩٩/١، وهما في التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ٦٧ لمحمد بن الحسين الطاري.

(٣) قد مرَّ ذكر أن هذه الأنهار هي من فروع المليحي.

(٤) كذا الأصل، ويقيني أن نقصاً واقعاً لنقصٍ في السجع لم يعودنا المؤلف على مثله.

(٥) البيتان لابن حمديس. الديوان ١٨٦، وفي نفح الطيب ٤٩٩/١.

١٠(٣٧) - نهرُ كُلَيْبا:

بِضمِّ الكافِ وفَتحِ الّـلام، إذا مرَّتْ بـهِ الرّيـحُ ألْبسَتْهُ مـنَ الزّرديـاتِ لام[1]، طَـوْرًا كـالألِفِ في الاستواءِ، وآونَةً كالصِّلِّ في الالتواءِ، يَروي كلَّ قلبٍ صادٍ، ويَرفُلُ منَ الأزاهرِ في ثَوبِ فِرْصادٍ[2]. [البسيط]

تَشُـوقُني أَلِفـاتُ الـرّوضِ مائِلَـةً ... مـنَ النسـيمِ سُـكارَى وهـيَ دالاتِـي

حُسْنٌ لِكلِّ راءٍ وزَيْن، ما شِينَ مَنظَرُهُ الباهي بِذَمٍّ ولا مَيْن. [البسيط]

والنهرُ طِـرْسٌ تَخُـطُّ الريـحُ أسْـطُرَهُ ... والقَطْـرُ يَتبَـعُ مـا خَطَّـتْ بإعْجـامِ

حيـثُ النّسـيمُ يَجُرُّ الذّيـلَ مِـنْ طَـرَبٍ ... والزّهـرُ يَرقُـصُ مِـنْ عُجْـبٍ بأكْمـامِ[3]

١١(٣٨) - نهرُ عَينِ ترما[4]:

يَجري بَينَ مُروجٍ مُطرَّزةٍ بالأنوارِ، مُتَنَسِّمَةِ الأنْجادِ والأغْوارِ، ومَجامِرُ الزَّهْرِ مُعطَّـرةُ أردِيَةَ النسائِمِ، تَنفَحُ الطِّيبَ منْ أردانِ تلكَ الكَمائِمِ، وخُطباءُ الطُّيورِ فوقَ مَنابرِ الأغصـانِ، تَروي أحاديثَ السُّرورِ بِبَديعِ الألحانِ. [الطويل]

مَررْنـا بِشـاطي النهـرِ بـينَ حدائِـقٍ ... بِهـا حَـدَقُ الأزهـارِ تَسْتوقِفُ الحَـدَقْ

وقـدْ نسَـجتْ كَـفُّ النسـيمِ مُفاضَـةً ... عليـهِ ومـا غَـيرُ الحَبـابِ لَهـا حَلَـقْ[5]

---

(١) لام: مسهلة الهمز. واللأمة: أداة الحرب كلّها.

(٢) الفِرصاد: هو التوت أو حمله، أو أحمره، وصبغ أحمر. القاموس.

(٣) البيتان لابن نباتة المصري. الديوان ٤٤٢.

(٤) الأنهر التي سيمر ذكرها بأسماء قرى الغوطة هي امتداد لبردى من الفرع الداعياني. وعين ترمـاء (ترمـا): قريـة في غوطة دمشق الشرقية تتبع ناحية كفربطنا، وهي شرق دمشق على بعد ٧ كم. المعجم الجغرافي.

(٥) البيتان لأبي القاسم بن العطار الإشبيلي، وهمـا في الخريـدة ٥٢٤/٣، (قسـم المغـرب والأندلـس) ونفـح الطيـب ٦٥١/١.

١٢(٣٩) - نهرُ كَفَر بَطْنا[١]:

حولهُ رياضٌ يَسبيكَ مَنظرُها، ويَزدَهيكَ مَخبرُها، كأنّما فُرِشَتْ صَفحتُهُ بالدُّرَرِ، وقُدَّتْ أدواحُ حدائِقِهِ على قَدَرٍ[٢]. [المنسرح]

كأنّما النّهرُ صَفحَةٌ كُتِبَتْ أسْطُرُها والنسيمُ يُنْشِئُها[٣]
لّما أبانَتْ عنْ حُسْنِ مَنظرِها[٤] مالَتْ عليها الغُصونُ تَقرَؤُها

١٣(٤٠) - نهرُ جسرينَ[٥]:

قدِ التَحفَ منْ خَمائلِهِ بِبُرودِ ظِلٍّ ظَليلٍ، واشْتَملَ منها بِرداءٍ منَ الأزاهِرِ جميلٍ، يَجُولُ بينَ رياضِهِ وحدائِقِهِ، كأنّهُ الإسكندَرُ تحتَ سُرادِقِهِ. [مجزوء الكامل]

والنهرُ يَفصِلُ بينَ رَو ضِ الزَّهْرِ في الشَّطّينِ فَصْلا
كبِساطِ وَشْيٍ جَرَّدَتْ أيدي القُيونِ عليهِ نَصْلا[٦]

---

(١) كفربطنا: ناحية في غوطة دمشق الشرقية، قديمة، عمرت منذ العهد السرياني، وتسميتها سريانية تعني الجنين، تضم سبع قرى ومزرعتين، تقع على الطرف الأيمن لنهر الداعياني وعلى مقربة من قرية جسرين وإلى الشرق من مدينة دمشق بمسافة ٦ كم. المعجم الجغرافي.

(٢) البيتان التاليان لابن سعيد المغربي، قالهما في نهر غرناطة شنّيل. انظر كتابه المغرب في حلى المغرب ٢/١٠٣.

(٣) المغرب: والنسيم منشئها.

(٤) المغرب: حسن منظره.

(٥) جسرين قرية تقع في القسم الشرقي من الغوطة، على الحافة اليسرى لنهر بردى تبعد ١ كم شرق بلدة كفربطنا. المعجم الجغرافي.

(٦) البيتان لأبي فراس، يصف منازل بمنبج. الديوان ٢٣٥.

١٤(٤١) - نهرُ حَمُّوريا[1]:

تَضُمُّهُ رياضٌ لَمْ يَجُلْ في مِثلِها ناظر، ولَمْ يَدعْ حُسنُها حَظًّا للخُدودِ النّواضِر، غُصونٌ تَثنيها الرياحُ فتَميل، ومِياهٌ بِصَفائِها تَشْفِي العليل. [الكامل]

والنهرُ مَصقولُ الحُسامِ متَى يَرِدْ ... دِرعَ الغَديرِ مُصفّقًا فيهِ صَدَرْ

يجري علَى الحَصْباءِ وهيَ جَواهِر ... مُتكسِّرًا مِنْ فَوقِها مَهما عَثَرْ[2]

١٥(٤٢) - نهرُ سَقْبا[3]:

تَحْويهِ رياضٌ تَضمَّختْ بِعَرْفِ الكمائِمِ، كمْ وَهَا شَنَفُ نورِها لَمّا جَمّشتها أيدي النسائِمِ ! تَغنّتْ وُرْقُهُ علَى أفنانِها، فالتقَطتْ حَبَّ القلوبِ بطيبِ ألحانِها. [مجزوء الكامل]

فالنّهرُ منهـا ذو صَفـا ... والزّهـرُ مُفـتَرُّ المَباسِمْ

والغُصنُ يَثنِي عِطْفَهُ ... طَرَبًا لِتَغريدِ الحمائِمْ[4]

١٦(٤٣) - نهرُ الأفْتريسِ[5]:

نهر الأفتريس، يفعلُ بالألبابِ فِعلَ الخَندريسِ، فِضّيُّ المَنظرِ، شَهْديُّ المَخبرِ، كمْ ضاعَ عَبيرُ أشجارِهِ مِنْ أكمامِها ! وذاعَ سِرُّ رياحينِ رياضِهِ بِوَشْيِ نَمامِها! [الكامل]

---

(١) حموريا (حمورة) قرية تتبع ناحية كفربطنا، تقع في القسم الشرقي من الغوطة على بعد ٦,٥ كم شرقي مدينة دمشق، إعمارها قديم يعود إلى العهد الروماني. المعجم الجغرافي.

(٢) البيتان لابن زمرك الأندلسي. الديوان صفحة ٤١٠.

(٣) سقبا: قرية تتبع ناحية كفربطنا تقع شرقي دمشق بمسافة ٥ كم، فيها ضريح عبد الله بن سلام رضي الله عنه. المعجم الجغرافي.

(٤) البيتان للمقري، ذكرهما في كتابه نفح الطيب ٤١٨/٢.

(٥) أُفتريس قرية في غوطة دمشق الشرقية تتبع ناحية كفربطنا، تقع شرق دمشق بمسافة ٧كم. المعجم الجغرافي.

والنهـــرُ بـــينَ مُـــزَرَّدٍ ومُـــدرَّعٍ   والزهـــرُ بـــينَ مُدَرْهَـــمٍ ومُدَنَّـــرِ
حَصْبـــاؤُهُ مِـــنْ جَوهـــرٍ ونَســـيمُهُ   مِـــنْ عَنـــبَرٍ ومِياهُـــهُ مـــنْ سُـــكَّرِ[1]

١٧(٤٤) ـ نهرُ بيتِ سَوى[2]:

نهرُ بيتِ سَوى، فاقَ برياضهِ علَى السِّوا، أشجارُهُ بالزهرِ مُكَلَّلةٌ، لكنَّ أجيادَهـا مـنْ عِقْدِ الثمارِ مُعطَّلةٌ، ورَياحينُهُ بَدويَّةُ الطباع، تَهوَى الطُّلولَ والبِقاع[3]. [الوافر]

ونهـــرٍ للرِّيـــاحِ علَيـــهِ دِرْعٌ   يُذَهّـــبُ بـــالغُروبِ وبالشُّـــروقِ
إذا اصْفـرَّتْ عليـهِ الشـمسُ صَبَّـتْ   علـــى أمواجِـــهِ مـــاءَ الخَلـــوقِ[4]



(١) البيتان لشهاب الدين بن خلوف. الديوان ١٠٦، وفيه بيت بينهما، وروايته:

في روضـــة لـــولا شـــذا أنوارهـــا   قلنـــا لآلٍ في بســـاط أخضـــر
حصباؤهـــا مـــن جوهـــرٍ ونســـيمُها   مـــن عنـــبرٍ ومياههـــا مـــن ســـكّر

(٢) بيت سوى: قرية في غوطة دمشق الشرقية تتبع ناحية كفربطنا، قديمة عمرت منذ العهد اليوناني. تبعد عن دمشق ٧ كم. المعجم الجغرافي.

(٣) في (أ): الطلول واليفاع.

(٤) البيتان لمحمد بن عبد الله السلامي. يتيمة الدهر ٢/٤٨١.

[تقسيم نهر الداراني]

قدِ انتَهتْ مِنْ بَردَى أقسامُهُ، ولاحَتْ منَ الداراني بُنودُهُ وأعلامُهُ، يُقسَمُ أنهارًا عشَرة، وكُلُّها كِرامٌ برَرة، يَنساب بينَ رياضٍ وخمائِل، وأطيارٍ صَدْحُها كعَزْفِ القِيانِ بالجَلاجل. [الكامل]

والطيرُ تَسجَعُ في الغُصونِ كأنّها ... نَقْرُ القِيانِ حنَتْ علَى العِيدانِ
والماءُ مُطّرِدُ المَسِيلِ عُبابُهُ ... كسلاسِلٍ مِنْ فِضّةٍ وجُمانِ[1]

١(٤٥) ـ نهر العَرا:

نهر العرا، وكلُّ الصّيدِ في جَوفِ الفَرا[2]، رَحْبُ الأكنافِ، مُتناسِقُ النُعوتِ والأوصافِ، لا يَألَفُ غيرَ الرياضِ، ولا يَأوي لِغيرِ ظِلالِ الحدائِقِ والغِياضِ. [الوافر]

ونهرٍ دارَ نَرْجِسُهُ علَيْهِ ... وَرقّ نَسيمُهُ فصَفا وراقا
تَراهُ إذا حَلَلْتَ بِهِ لِورْدٍ ... كأنّ عليهِ مِنْ حَدَقٍ نِطاقا

٢(٤٦) ـ نهرُ الذّيبِ[3]:

نهر الذّيب، مُنتدَى غزالٍ وظَبْيٍ ربيب، ظِلُّهُ فَسيحٌ، وطَيرُهُ فَصيحٌ، وماؤُهُ أصفَى منْ دَمعةِ المَهجورِ، وأعذبُ منْ بَردِ رضابِ الحُورِ، وحدائِقُهُ مُضمَّخَةٌ بالعَبيرِ، مُعطّرَةٌ بِنفائِحِ الوردِ النّضيرِ. [الطويل]

ألا حبّذا نهرٌ إذا ما لَحَظْتَهُ ... أبَى أنْ يَرُدَّ اللّحظَ عنْ حُبِّهِ الأُنْسُ

---

(١) البيتان لعبد الله بن أحمد بن سماك العاملي. الإحاطة في أخبار غرناطة ٣/٤١٠، وفيه: تقرأ القيان.. يسيل عبابه.

(٢) الفرا: الحمار الوحشي. أي كل الخير فيه. انظر مجمع الأمثال ٢/١٣٦.

(٣) نهر الذيب: من فروع نهر الداراني. غوطة دمشق ٢٥٦.

تـرَى القَمَرَيْــنِ الدّهــرَ قـدْ عُنِيـا بِــهِ ... يُفَضِّضُــهُ بَــدرٌ وتُذْهِبُــهُ شَــمْسُ[1]

٣(٤٧) - نهرُ الشِّراكِ[2]:

نهر الشراك، قدْ نَصَبَ للسُّرورِ أشراك، يجري بـينَ قُضـبٍ وأزاهـر، وحدائـقَ تُزهِـرُ كالأنْجُمِ الزَّواهِر، وتغريدِ أطيارِ كَرَنَّاتِ المَزاهِـر، قـدِ التحَـفَ مـنْ رياضِـهِ بُـرْدًا، وجَعلَهـا لِفِضّيِّ حُسامِهِ غِمْداً[3]. [الطويل]

ومـاءٍ على الرَّضْراضِ يَجـري كأنَّـهُ ... صفـائحُ تِـبْرٍ قـدْ سُـبكْنَ جَـداوِلا
كـأنّ بِهـا مِـنْ شِـدَّةِ الجَـرْيِ جِنَّـةً ... وقـدْ ألبَسـتْهُنَّ الريـاحُ سَلاسِـلا[4]

٤(٤٨) - نهرُ المَيْلَقون[5]:

نهرُ المَيلَقون، يَجري بينَ جَناتٍ وعُيون، قدْ غُصَّ بمائِهِ، وشَرِقَ بِنُجومِ سَمائِهِ، يَنْـثُرُ لُؤْلُؤَهُ في مَشارِبِ النسيمِ ومَساحِبِهِ، ويَضْطَرِبُ لا عُجْباً لِعبَثِ[6] الرياحِ بِهِ. [الكامل]

للهِ نهــرٌ ســالَ في بطحــاءِ ... أشْـهَى وُرُودًا مـنْ لَمَـى الحَسْـناءِ
مُتعَطِّــفٌ مِثْــلَ السِّــوارِ كأنَّــهُ ... والزهــرُ يَكْنفُــهُ مَجَــرُّ سَــماءِ[7]

---

(١) البيتان لأبي جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد الأندلسي. نفح الطيب ٥١٦/٣، ١٨٩/٤ وفيه: عن حسنه الأنس.

(٢) نهر الشراك من فروع نهر الداراني. غوطة دمشق ٢٥٦.

(٣) في (ب): لفضيّ حسامها.

(٤) البيتان لأبي سعيد الرستمي. يتيمة الدهر ٢٤٤/٣، وفي الأصل: قد سكنَّ جداولا.

(٥) نهر الميلقون: فرع من فروع نهر الداراني غوطة دمشق ٢٥٦.

(٦) في (أ): ويضطرب عجباً لعبث.

(٧) البيتان لابن خفاجة الأندلسي. الديوان صفحة ٣٥٦، وانظرنفح الطيب ٢٠١/٣.

٥(٤٩) - نهرُ الحَجَرِ الدائرِ[1]:

نَهرُ الحَجرِ الدائِرِ، يَجري بينَ رياضهِ كالهائِمِ الحائِرِ، ولِقُضْبِ أدواحِهِ بالزهْرِ أجيابٌ وأجياد، تَدْنو إليكَ دَلالاً وتَبعُدُ حينَ تَنقاد، صفّقَتْ غُدْرانُهُ لَمّا هاجَ بالرّوضِ هُيامُهُ، وتَراقصَتْ غُصونُهُ لَمّا غنّاها حَمامُهُ. [الكامل]

وحدائقٍ يَنسابُ فِيها جَدولٌ ... طَرْفي بِرَونقِ حُسنِها مَدهُوشُ

فكأنّما هوَ مِعْصَمٌ مَنقُوشُ ... يَبدُو خَيالُ غُصونِها في مائِهِ[2]

٦(٥٠) - نهرُ كَفرِ سُوسيا[3]:

هيَ قريةٌ ذاتُ رياضٍ وقُصور، وحدائقُ ليسَ فيها مِنَ الجَمالِ قُصور، تلعبُ في ميادينِها أطفالُ الأزاهِرِ، وتَرْتعُ في بَساتينِها أنواعُ الظّبْيِ والجآذِرِ، تتّخِذُها ظُرَفاءُ الشامِ مَثوَى نشاطِهِمْ في الصيفِ، لإيلافِهِمْ رحلةَ الشتاءِ والصيفِ. [الوافر]

لَها نهرٌ تَخالُ بهِ لُجَيناً ... يُذابُ وقدْ يُذَهِّبُهُ الأصيلُ

كأنّ الروضَ يَعْشقُهُ فَمِنهُ ... علَى أرجائِهِ ظِلٌّ ظَليلُ[4]

فَيقسِمونهُ عِندَهم أربعةَ أقسامٍ، كلُّهم تَرمُقُهُ عُيونُ الأزاهِرِ منَ الأكمامِ.

---

(١) هو من فروع نهر القنوات. انظر خطط دمشق للمنجد، صفحة ٣٣.

(٢) البيتان لابن لؤلؤ. الديوان صفحة ٥٢.

(٣) هو من فروع نهر القنوات. انظر خطط دمشق للمنجد، صفحة ٣٣. وكفرسوسيا (كفرسوسة) التي كانت قرية جنوب دمشق بـ ٣ كم أضحت اليوم متصلة بالمدينة، من أرفع أحياء دمشق عمراناً.

(٤) البيتان للكستندي. نفح الطيب ٤٩٧/٣، ٤٩٨، وبه: وصهريج تخال به..

٧(٥١) - نهرُ الكُرَيْمي[1]:

مُخضلُّ الرُّبا، مُعتَلُّ نَسماتِ الصَّبا، كأنّهُ نهرُ الزابِ، أو الجَوهَرُ المُذابُ، قدْ كُحِّلَتْ أجفانُهُ بالظلالِ، و لَمْ يَحْظَ مِنْ مَعشُوقِهِ بغيرِ الخَيالِ. [الكامل]

شَقَّ النسيمُ عليهِ جَيبَ قَميصِهِ ... فانسابَ مِنْ شَطَّيهِ يَطلُبُ ثارَهُ

فتضاحَكتْ وُرْقُ الحَمامِ بدَوحِها ... هُزْءًا فَضَمَّ مِنَ الحياءِ إزارَهُ[2]

٨(٥٢) - نهرُ الغَربِيّ:

ماءٌ كَعينِ السِّنّورِ، صافٍ كَقُضْبِ البِلّورِ، تَلوحُ في قَرارَتِهِ حَصْباؤُهُ، وتَفوحُ بالعَبيرِ أكْنافُهُ وأرْجاؤُهُ، إذا صافَحَتْهُ مُسلِّمَةً يدُ الريحِ، لَبِسَ لمكافَحتِها الدّرعَ كالمُشيحِ. [الكامل]

ومُنَمْنَمِ الشَّطَّينِ أُحكِمَ صَقْلُهُ ... كالمَشْرفيِّ قدِ اكْتَسَى بِفِرِنْدِهِ

فحمائِلُ الدّيباجِ منهُ حَمائِلٌ ... مُتعانِقٌ فيها البَهارُ بِوَرْدِهِ[3]

٩(٥٣) - نهرُ أبو عيار:

نهر أبو عيار، صاحبُ الأعلامِ والازدهارِ، مُمَسَّكٌ مُعَنْبَر، وحُلَلُ رياضِهِ مِنَ الزُّمُرّدِ الأخضرِ، يَجري بينَ حدائقَ زاهِرَةٍ، ورَياحينَ كالأنجُمِ الزاهِرَةِ، ائْتلَفَ فيها المَنثورُ والمَنظومُ، واختلَفَ مِنها المَطعومُ والمَشمومُ. [الطويل]

ونهرٍ جَلَتْ عَنْ حُرِّ صَفحَتِهِ القَذى ... مِنَ الريحِ مِعطارُ الأصائِلِ والبُكَرْ

---

(١) هو من فروع نهر القنوات. انظر خطط دمشق للمنجد، صفحة ٣٣.

(٢) البيتان لمحمد بن سفر، قالهما في نهر إشبيلية. الوافي بالوفيات ٣/١١٤، نفح الطيب ١/١٥٧.

(٣) البيتان لأحمد بن عبد الحق الجذلي المالقي. الإحاطة في أخبار غرناطة ١/١٨٢، وفيه: كالمشرفي إذا اكتسى.. فحمائل الديباج.. ومعانق فيها البهار.

بــهِ عَبَــقٌ مِمّــا تَسَــحَّبَ فَوقَــهُ   نسيمُ الصَّبا يَجري علَى الماءِ والزَّهَـرْ[1]

١٠(٥٤) ـ نهرُ الأشْعابِ[2]:

نهـر الأشـعاب، قـدِ اسـتوعَبَ المَحاسِـنَ أيَّ اسـتيعاب، مَشْـرَبٌ طابتْ مَشـارِعُهُ، وغَرَّدَتْ علَى أعوادِها سَواجعُهُ، تَرنَّحَتْ أغصانُهُ عُجْباً، لِمَا امْتلأتْ قلوبُها مِنهُ حُبَّاً. [الكامل]

وتـرَى الريـاحَ إذا مَسَـحْنَ غَديـرَهُ   صَقَلْنَــهُ ونَفَيْــنَ كُــلَّ قَــذاةِ

مـا إنْ يَـزالُ علَيـهِ ظَبْـيٌ كـارِعٌ   كَتَطلُّــعِ الحَسـناءِ في المِــرآةِ[3]

نهرُ قَنوات[4]:

يَقسِمُ نَهرًا صَغِيراً، يَجري بينَ رياضٍ تَنفُحُ نَـدىً وعَبـيراً، وباقِيـهِ يَدخُـلُ المَدينـةَ مـعَ صِنْوِهِ بانياسٍ، كَما سَيأتي تَفصِيلُهُ منْ غيرِ التباسٍ[5].



---

(١) البيتان لابن الرومي. الديوان ٩٧٢/٣، وفيه: وماء جلت.. على النور والزهر.

(٢) فرع من نهر القنوات، يسقي أراضي باب السريجة وباب المصلى والميدان. انظر خطط المنجد، صفحة ٣٣.

(٣) البيتان لابن المعتز. الديوان ٢٢٩/٢.

(٤) تقدم برقم (٦) صفحة ١٦٨.

(٥) انظر صفحة: ١٦٨ والصفحة ٢٠٠.

[تقسيم نهر ثورا]

ولْنَشْرَعْ بِذِكْرِ **ثَوْرا وما يَتَقَسَّمُ مِنهُ**، ونَروي أحاديثَ الصّفا عَنهُ، فقدْ قِيلَ: إنّهُ نِيلُ دِمَشقَ المَحميّةِ، وعلَيهِ جُلُّ مَبانِيها البَهيّةِ، وعِندَهُ أكثرُ مُنتزَهاتِها، ومِنْ مائِهِ نَشْأةُ حَدائِقِها ورَوضاتِها، تَحُفُّهُ الأدواحُ منْ طَرَفيهِ، وقدْ شَغفَها حُبًّا فانْعَطفتْ عليهِ. [الوافر]

تَثَنّى الغُصنُ إعْراضًا وعُجْبًا عَلى نَهرٍ يَذوبُ أسىً علَيهِ
فَرَقَّ لهُ النسيمُ فَجاءَ يَسعَى مُلاطَفةً ومَيَّلها إلَيهِ

١(٥٥) - نهرُ الأنصارِ[١]:

نهر الأنصار، ولهُ منَ الرّياحينِ حَفَدَةٌ وأنصار، جَليلُ القَدْرِ والمَهابَة، واسِعُ النّعمةِ المُستَطابة، رياضُهُ تُذكِّرُ الناظِرَ بالنّعيمِ، وتَحضُّ مَوتَى الهَمِّ إذا هَبَّ علَيها مِعطارُ النّسيمِ، والطيرُ يُغَرِّدُ على نَشرِها، وهيَ تُحْيِيهِ بِطيبِ عِطرِها، وقُدودُ الأفنانِ مُتشابكة، وثُغورُ الأزاهرِ منْ طِيبِ رياضِها ضاحِكة. [الرجز]

كأنّما النهرُ وقدْ حَفَّتْ بهِ أشجارُهُ فَصافَحتْهُ الأغْصُنُ
مِرآةُ غِيدٍ قدْ وَقفْنَ حَولَها يَنظُرْنَ فِيها أيُّهُنَّ أحْسَنُ[٢]

٢(٥٦) - نهرُ بشْرٍ[٣]:

نَهرُ بشر، نُزهةُ الناظِرِ في الطّيِّ والنّشْرِ، رائِقُ المَشارِب، كمْ قَضى السُّرورُ عندَ رياضِهِ منْ مَآرِب، نُورٌ يَرُفُّ في جَنباتِهِ، وأدواحٌ تَلعَبُ في هَضباتِهِ، وأطيارٌ تَترَنّمُ بأنواعِ اللّغاتِ، وتَتكلّمُ بِلَطيفِ الإشارةِ عنْ أسرارِ الموجوداتِ. [البسيط]

---

(١) فرع صغير من ثورا (ماصية)، ويسمى ماصية الأنصار، وحسب مخطط الصالحية لدهمان يقع اليوم في منطقة الروضة.

(٢) البيتان لعمر بن محمد بن أبي حرادة العقيلي. أعيان العصر ٦٥٥/٣، وفيه: كأن وجه النهر إذ حفت به.

(٣) فرع صغير من ثورا (ماصية)، ويسمى ماصية بشر، وحسب مخطط الصالحية لدهمان يقع اليوم في منطقة الروضة.

تَضُمُّــهُ الريـــحُ أحيانًـــا وتُفرِّقُـــهُ فالمـاءُ مـا بـينَ مَحبـوسٍ ومُنطَلِـقِ
كـأنّ حافاتِـهِ نُطِّقْـنَ مـن زَبَـدٍ مَناطِقًـا رُصِّعَـتْ مـنْ لُؤلُـؤٍ نَسِـقِ[1]

٣(٥٧) - نهرُ غالب:

نَهرُ غالب، نالَ منْ حُسْنِ حَدائِقهِ أَسْنَى المَطالب، لَبِسَتْ أدواحُهُ ثِيابَ النَّضارَةِ، فَعَلاهُ مِنها سُرادِقاتُ الإمارَةِ، وعُيونُ الأزاهِرِ شاخِصةٌ إِلَيهِ، عاكِفةٌ مِنْ طِيبِ هَواهُ علَيهِ. [الكامل]

والنهـرُ قـدْ مـالَتْ عليـهِ غُصونُـهُ فكأنّمـا هـوَ مُقلَـةٌ وَطْفـاءُ[2]
وبَـدا نِثـارُ الجُلَّنـارِ بصَفْحِـهِ فكأنّمـا هـوَ حيَّـةٌ رَقْطـاءُ[3]

٤(٥٨) - نهرُ المحلات:

نهر المحلات، زَاهي الحدائقِ والرّوضاتِ، ابْتَهجَتْ أفنانُهُ بغَرائبِ الأجناس، وامتازَتْ لمّا نفَحتْها الأزاهِرُ بأطيبِ الأنفاس، حدائقُ بعَرْفِ الأنوارِ عابِقة، وأطيارٌ بفُنونِ التّغريدِ ناطِقة. [الوافر]

ونهـرٍ كالسـماءِ يَجُـولُ فيـهِ سَـحائِبُ مِـنْ ظِـلالِ الدّوحَتـينِ
تَـدرَّعَ للنّواسِـمِ حـينَ هـزَّتْ علَيـهِ كُـلَّ غُصـنٍ كـالرُّدَيني[4]

---

(١) البيتان لعلي بن محمد الإيادي، يصف البحر بالمنصورية (مدينة قرب القيروان). زهر الآداب ١/٢٣٥.

(٢) مُقلة وطفاء: كثيرة الشعر.

(٣) البيتان لعلي بن موسى العنسي. نفح الطيب ٢/٢٦٣.

(٤) البيتان في نفح الطيب ٣/٦٠٥ من غير عزو.

٥(٥٩) - نهرُ السّرداب:

نهر السرداب، تَردَّى مِنْ وَشْيِ أزهارِهِ بأبْهَى جلباب، بدَتْ طلائعُ الصّبا تَجُرُّ ذُيولَ الزّهْوِ علَى صفحاتِهِ، فأهداها زَهرةً مِنْ طِيبِ نفحاتِهِ، وهوَ يَجري في هَواها كَسَيْرِ الهائِمِ، وثُغورُالزّهرِ تَبْسُمُ في وَجْهِهِ مِنَ الكَمائِمِ. [الكامل]

والنهرُ مُذْ عَلِقَ الغُصونَ مَحبَّةً ظلّتْ تُطيلُ صُدُودَهُ وجَفَاهُ
فتَراهُ يَجري لاثِمًا أقْدامَها وخَريرُهُ يَشكُو الذي يَلقاهُ

٦(٦٠) - نهرُ الشباكِ:

نَهرُ الشباك، قدْ مَدَّ لِصيدِ النفوسِ منْ حدائقِهِ شِباك، كمْ قبَّلَتِ النسائِمُ مُحيَّاهُ، وأهداهُ الرّوضُ منْ طِيبِهِ وحيَّاهُ، فَتجعَّدَ وَجْهُهُ خَجَلاً، وجرَى بينَ خَمائِلِهِ سَلسَلاً. [المتقارب]

تَرَى الريحَ تَنسُجُ مِنْ مائِهِ دُروعًا مُضاعَفَةً أوْ شَبكْ
كأنّ الزُّجاجَ بِهِ قدْ أُذِيبَ وماءَ اللُّجَينِ بِهِ قدْ سُبِكْ[1]

٧(٦١) - نهرُ الفَرادِيس:

نَهرُ الفراديس، قدْ ضمَّتْهُ رياضٌ كالفَراديسِ، ومَدّتْ لهُ فُرُشَها العبقرية، وعَطَّرَتْهُ بنَفحاتِها العنْبرية، وغنّاهُ مُطَوَّقُها بألحانِهِ، وهَيْنَمَ شُحرورُها بِغَريبِ فُنونِهِ على أفنانِهِ. [الكامل]

والماءُ مِنهُ سَبائِكٌ مِنْ فِضّةٍ ذابَتْ على دَوحاتِ شاذِرْوانِ
وكأنّما سَيفٌ هُناكَ مُشَطَّبٌ ألقَتْهُ يومَ الحربِ كَفُّ جَبانِ[2]

---

(١) البيتان للصنوبري. الديوان ٤٣٢، وفيه: كأن الزجاج عليها.

(٢) البيتان لابن حمديس. الديوان ٤٩٥، وانظر نفح الطيب ١/٤٩٥.

٨(٦٢) - نهرُ قُلْبين[١]:

نَهرُ قلبينِ، مَنظَرٌ باهرٌ وماءٌ مَعينٌ، تَسربَلَ منْ رياضِهِ حُلَلا، وصاحَتْ بهِ أطيارُهُ فَجرَى مُهَرْوِلا، يَطفو ويَرسُبُ في أُصولِ أشجارِهِ، فتَميلُ سُكْرًا منْ رَحيقِ عُقارِهِ. [الكامل]

والنهرُ كالهِنْديِّ أوْ هُوَ مِعْصَمٌ ... في حُلَّةٍ خَضراءَ أو ثُعبانُ

والقُضبُ تَرفُلُ في غَلائِلِ سُندسٍ ... صِيغَتْ أزاهِرَها لَها تِيجانُ[٢]

٩(٦٣) - نهرُ الزَّيْنَبيِّ[٣]:

ماءٌ كَسلْسالِ الرِّضابِ، مُغتَسلٌ باردٌ وشرابٌ، يسيرُ بينَ رياضٍ أنضرَ منَ الخُدودِ النواضِرِ، تَمنْطقَتْ ببدائِعِ الدُّررِ منْ أنواعِ الأزاهرِ. [الطويل]

فجَدولُهُ في سَرْحَةِ الماءِ مُنْصلٌ ... ولكنَّهُ في الجَذْعِ عطفُ سِوارِ

وأمواجُهُ أردافُ غِيدٍ نَواعِمٍ ... تَلفَّعْنَ بالآصالِ رِيْطَ نُضارِ[٤]

١٠(٦٤) - نهرُ بابِ الثّلثِ[٥]:

هذا النهرُ رَحبُ الجَنابِ، غَزيرُ السّخاءِ واسِعُ الرّحابِ، تُحيطُ بهِ يَفاعٌ حَسَنة، ومُنتَزهاتٌ بَديعةٌ مُستَحسَنة، وهَزارٌ وعَنديب، ونَسيمٌ يَنشُرُ المِسكَ والطِّيب. [المتقارب]

---

(١) قُلبين ذكرها ياقوت نقلاً عن ابن عساكر، وقال: أظنُّها من قرى دمشق. معجم البلدان.

(٢) البيتان لشهاب الدين ابن الخلوف. الديوان، صفحة ١٢٤.

(٣) هو فرع من ثورا، وهو قناة كانت سبيلاً من السُّبلان. انظر خطط المنجد، صفحة ٣٢.

(٤) البيتان لأبي القاسم بن معاوية. الوافي بالوفيات ٤/٣١٠، ومعاهد التنصيص ٢/٩٥.

(٥) قال المنجد في خطط دمشق صفحة ٣٠: ومن ثورا فرعٌ يسمى مقسَم الثلث، يسقي أراضي حزة وزملكا وعربيل، وبعض أراضي عين ترما. والثلث في لغة العامة هي الماصية ذاتها. الريف السوري ٢/٣٢.

كـأنّ المِيـاهَ خـلالَ الريـاضِ وأعـينُ أزهارِهـا نـاظِرَهْ
سمـاءٌ تَقطَّـعَ فيهـا الغَمـامُ فلاحَـتْ بـهِ الأنجُـمُ الزاهِـرَهْ[1]

١١(٦٥) - نهرُ عِلّيتا:

نهر عليتا، يَجري بينَ رياضٍ شتّى، حتّى يتّصلَ بِحدائِقِ حَرستا، وهيَ قريةٌ بارزةُ الحُسنِ واللّطافةِ، كامِلةُ الأوصافِ والظّرافةِ، صَحيحةُ الهوَى، هيَ والجِنانُ علَى حدٍّ سَوا، تُهرَعُ إليها زُمَرُ الناسِ لِورْدِها العَذب، وَورْدِها الّذي يُنعِشُ الروحَ والقلب، وهنالكَ طاحونٌ تَجلُبُ المَسرّاتِ منْ كلِّ جانب، ويَستوقِفُ الناظِرَ ما في بَساتِينِها منَ العَجائب، تُحيطُ بها رياضٌ مُنَمَّقَةٌ بأنواعِ الرّياحينِ، مُطَرَّزَةٌ بطرازِ الأزاهرِ منَ الوَردِ والنّسرينِ، ونهرُها أصفَى منْ دَمعَةِ عاشقٍ رُمِيَ بالنّوَى، ولَعِبَتْ بِهِ تباريحُ المَحبّةِ والهوَى. [السريع]

انظـرْ إلَـى النهـرِ الـذي مـاؤُهُ يَبيْـتُ سَـكْرانًا بـهِ مَـنْ صَحـا
تلاطَمـتْ أمْواجُـهُ فغَـدتْ وبينَهـا صُنْـعٌ يُدِيـرُ الرّحَـى

وفي ذلكَ يقولُ الأستاذُ: [من الخفيف]

١- يـا سـقَى اللهُ سـاحةَ الطـاحُونِ مِـنْ حَرسْتا بِصَـوبِ مُـزْنٍ هَتُـونِ
٢- ورَعَـى ثَـمَّ رَوضـةً ذاتَ مَرْعًـى غَضّـةَ النّبْـتِ قـد أهـاجَتْ شُجوني
٣- نهرُهـا حَولَهـا يَـدورُ كَتُكْلًـى فَقَـدَ الإلْـفَ بـينَ تلـكَ الغُصـونِ
٤- ونسـيمُ الصّبـاحِ حَـرّكَ شَـجْوًا مِـنْ قُـدودِ الريـاضِ كـلَّ سُـكونِ
٥- وسَـمِعْنا تَرنُّـمَ الطّـيرِ لمّـا ضَـجَّ مِـنْ فَـوقِ غُصنِـهِ بـاللّحونِ

---

(١) البيتان لسيف الدين المشد، الديوان صفحة ٩٣، وفيه: عنها الغمام.. فلاحت بها.

❁ وقالَ: [من المديد]

١- في حَرَسْــــتا خـــــارجَ البلَــــدِ	مِـــلْ إلَـــى رَوضٍ هُنـــاكَ نَـــدِي
٢- ثُــــمَّ قِـــفْ في سَـــفحِ مَرْجَتِـــهِ	بَـــينَ نَهْرَيْهـــــا ولا تعـــــدِ
٣- وانْتشِـــــقْ ريَّـــا نَســــائِمِها	إنّـــهُ يَشْـــفِي فُـــؤادَ صَـــدِ
٤- رُبَّ يـــومٍ قـــدْ نَعِمْـــتَ بِـــهِ	مـــعَ صِحـــابٍ ســـالِمي الخَلَـــدِ
٥- ســـاحةُ الطّـــاحونِ مَنزِلُنـــــا	غيرَهـــا في الحُســـنِ لَمْ نَجِـــدِ
٦- روحُ ذاكَ القطْـــرِ تلـــكَ ومِـــنْ	حَولِهـــا الغِيطـــانُ كالجَســـدِ

وهذا آخرُ ما قَسمَهُ ثَوْرا، فَبثَّ في الحدائِقِ زَهْرًا ونورا.



[تقسيم نهر يزيد]

وأمّا **نهرُ يَزيـدَ** فإنّـه سَـمحَ بِجَدْوَلَـينِ، تتحـدَّرُ على صَفحـاتِ صُخورِهـا كـذَوْبِ اللُّجَينِ، أوّلُها:

١(٦٦) - جَدولُ الشّجريّةِ، الذي يَسِحُّ بـهِ على بَعضِ ريـاضِ الصالِحيّـةِ، تَضُمُّـهُ رَوضاتٌ غَضّةُ الجنَى، مَعدُودةٌ لِنَيلِ المُرادِ والمُنَى، يَنثُرُ علَيهـا قِطَـعَ الجُمـانِ، فتُطَـوِّقُ أجيـادَ الأدواحِ بقَلائِـدِ العِقيـانِ، مـاؤُهُ قَرْقَـف، ومَحاسِـنُ رياضِـهِ لا تُوصَـف، وأطيـارُهُ في وَرقِ الأشجار، كأنّها قِيانٌ خلفَ أسْتار، تُملِي أحاديثَ الهوَى والشُّجونِ، وتُـورِدُ علَـى الأسماءِ مِنْ حُسْنِ مَنْطِقِها أنواعَ الفُنونِ، والأفنانُ تَرقُصُ طَرَباً، وتَطرَحُ على الروضِ مِـنْ أكْمامِهـا فِضّةً وذَهباً. [الطويل]

لَهـا جَـدولٌ يَنسـابُ مِـنْ فَـوقِ شـاهِقٍ — كمـا انْسـابَ أَيْـمٌ[1] في صَفِيـحِ غَديـرِهِ

تكَسَّـرَ فـوقَ الصَّخـرِ بِـالجَرْيِ جِسْـمُهُ — فَــدلَّ علَــى آلامِــهِ بِخَريـــرِهِ

٢(٦٧) - ونهرُ مَهدي:

نهر مهدي، رياضُه أحسَنُ الرياضِ عِندِي، بالصّالِحيّةِ مُقامُهُ، وفي أراضِـي السّـهْمَينِ سِهامُهُ، يَسرَحُ بينَ الْتِفافِ خَمائِل، تَقلّدَتْ مِـنْ أنـواعِ زَهْرِهـا بِحَمـائِل، وريـاحينَ تَبـوحُ بأسرارِها، وتَفوحُ على غِناءِ أطيارِها. [الكامل]

وكـأنّ جَدولَـهُ حُسـامٌ مُرْهَـفٌ — مـا إنْ يَـزالُ مـدَى الزمـانِ مُجـرَّدا

صـدأُ الـزّلالِ يَزيـدُ رَونَـقَ حُسْـنِهِ — أرأيـتَ سَـيفًا قَـطُّ يَصْقُلُـهُ الصَّـدا

---

(١) الأيم: الحية الأبيض اللطيف. القاموس (أيم).

وأمّا نَهرا بانياسَ والقنوات:

فَهُما نَهرا المدينةِ الحاكِمانِ علَيها المُسلَّطانِ على دُورِها بالإتقانِ العَجيبِ، والترتيبِ المُصِيبِ، يَنقَسِمُ كلٌّ مِنهُما على أقسامٍ كثيرة، ويتفرَّقُ في المدينةِ بأصابعَ مُقدَّرَةٍ مَعلومة، يَجري في قِنًى مَدفونةٍ في الأرضِ، إلى أنْ يَصِلَ إلى مُستحقّاتِهِ بالدُّورِ والأماكنِ والجَوامعِ والمدارس والرّبطُ على حَسَبِ التّقسِيمِ، ثُمَّ تَنْصبُّ فَضلاتُ الماءِ منَ البرَكِ والمَيْضاواتِ، إلى قِنًى مَعمورَةٍ تحتَ الأرضِ، ثمّ تَجتمعُ وتَخرُجُ جَعْفَرًا طافِحًا إلى ظاهِرِ المدينةِ، لِسَقْيِ أراضٍ وبَساتينَ مُختصّةٍ بهِ. انتهى.

❁ ❁ ❁

وأمّا ما ذَكرْناهُ منَ الأنهارِ العذبةِ، التي ذَكرْناها مُفصّلَةً أُصولاً وأقْسامًا، فَهيَ سِتةٌ وسِتونَ نَهرًا، أشَرْنا إلى عِدّتِها بعدَدِ حُروفِ الجَلالةِ المُعَظّمَةِ مِنْ طَريقِ الجُمّلِ، وهي في البيتِ الذي ختَمْنا بهِ الأنهارَ مِنَ الأُرجُوزَةِ، وهوَ: [من الرجز]

مَواهِبُ اللهِ العَلِيِّ الأعلَى نالَتْها جِلّقُنا فكانَتْ أهْلا[1]



(١) هو البيت (١٣٥) من أرجوزته صفحة ١٦، ولفظ الجلالة في حساب الجمل: الله (أ = ١ + ل = ٣٠ + ل = ٣٠ + هـ = ٥) = ٦٦. كذا أرادها المؤلف رحمه الله أن تكون موافقة لعدد حروف الجلالة المعظمة؛ بعدما جعل نهر الشجرية الذي يتفرع عن نهر يزيد جدولاً، وإلا فإن ما ذكره (٦٧) نهراً مقسمة كما يلي: (٧) أنهر أصلية + (٢٠) نهراً تتفرّع عن نهر بردى + (١٧) نهراً تتفرع عن المنيحي + (١٠) أنهر تتفرع عن نهر الداراني + (١١) نهراً تتفرع عن نهر ثورا + نهرين يتفرعان عن نهر يزيد.

فصلٌ
في ذِكْرِ أوْدِيَتِها

التي ضاهَتْ بِمحاسِنِها الجِنانَ وأربَتْ على نهرِ الأبلةِ وشِعْبِ بَوّانَ. [الكامل]

فِي كُـــلِّ وادٍ للنّواظِــرِ مَســـرَحٌ   تَدعُـــو إليـــهِ مَنـــارَةٌ وبطـــاحُ[1]

فاخرَتِ الدّنيا بتلكَ الحَدائِقِ والرّياضِ، واخْتالَتْ زَهْوًا بِهاتِيكَ الخَمائِلِ والغِياضِ، يـا لَها منْ جَنّاتٍ هَيْنَمَتْ مُفرَداتُها فأطْرَبتْ صَميمَ الأحجارِ! وجَـرتْ أنهارُهـا فَطـابَ لأهـلِ الخَلاعَةِ عِندَها خلعُ العِذارِ! [البسيط]

أنهارُهـــا بِميـــاهِ الحُسْـــنِ دافِقَـــةٌ   كأنّهـــا لِـــذَوِي التّنْعِيـــمِ جَنّـــاتُ

كلُّها رَوضاتٌ وعُيون، وفي ذلكَ فَلْيَتَنافَسِ المُتنافِسونَ. [البسيط]

فَكُـــلُّ وادٍ بـــهِ مُوسَـــى يُفَجِّـــرُهُ   وكـلُّ نَهـرٍ علَـى حافاتِـهِ الخَضِـرُ[2]

---

(1) البيت لابن سعيد في نيل مصر. نفح الطيب ٣٠٦/١، وفيه: منازح وبطاح.

(2) البيت لابن سعيد المغربي في جلق. فوات الوفيات ١٠٥/٣، والوافي بالوفيات ٢٥٦/٢٢

١- وادي بَرَدَى[١]:

هو بَيتُ القَصيدِ، والزّاهِـي على الزّاهِـي والوحيـدِ[٢]، كلُّـهُ دَرانِـكُ[٣] مُفوَّفَـةٌ بالأزهـارِ، مُطَّرِدَةٌ بالجَداوِلِ والأنهارِ، تَزخرَفَتْ أشجارُهُ، وابْتَسمَتْ مِنْ كمائِمِهـا أزهـارُهُ، قـامَ بـهِ سُـوقُ السُّرورِ والطَّرَبِ، وهامَ طَيرُهُ على هامَةِ الأدواحِ فأظْهرَ منْ شَجْوِهِ العَجبَ، ونادَى: هَلُمّوا إلى أشْرَفِيّةِ الطِّباعِ، وجَدِّدوا مَواسِمَ اللذّاتِ عِندَ هذهِ الحَدائِقِ والبِقـاعِ، وهَيْنَـمَ البُلبـلُ بـينَ تلـكَ الجنانِ، لَمّا خَفقَتْ على جسْرِ دُمَّرَ رايـاتُ الأغصـانِ، ومَـدَّ باعَيْـهِ لاعْتِنـاقِ بـرَداهُ، ونـادَى بلسانِ حَريرِهِ: قلبي بحُبِّ تَيّاهٌ، وَضمَّهُ ضَمَّةَ عاشِقٍ أضَرَّ بهِ وَجْـدُهُ، وطـالَ عـنْ رُؤْيَـةِ مَـنْ يَهواهُ عَهْدُهُ، والنّهرُ كأنّهُ مَلِكٌ بينَ جُنودِهِ، يُشبِّبُ لهُ الشُّحرورُ ويُغنّيهِ البلبلُ على عُـودِهِ، والعُيونُ تَرْمُقهُ مِنْ كُلِّ طَرفٍ، والأشجارُ تُهدِيهِ منْ أزهارِها أنواعَ الطُّرَفِ. [الكامل]

لَمّـا بَـدا بَـرَدَى تَجُـودُ فُروعُـهُ	بـينَ الريـاضِ دَعـا إلَـى التّشـبيهِ
فكأنّـهُ فِيهـا سَـبائِكُ فِضَّـةٍ	وكأنّهـا قِطَـعُ الزَّبَرْجَـدِ فيـهِ[٤]

حولَهُ جبالٌ فُروعُها فوقَ الثُّريا شامِخَة، وعُروقُها تحتَ الثّرَى في الماءِ راسِخَة، تُباهِي بأزاهِرِها نُجومَ السَّماءِ، وتُناجِي بأسرارِها أُذُنَ الجَوزاءِ، وهوَ يَسيرُ سَيرَ الهائِمِ، بينَ رَقْصِ غُصونٍ وغِناءِ حَمائِمِ، يَنثُرُ على الرياضِ دُرَرًا، فتَنْظُمُها الأدواحُ بأجيادِها غُرَرًا. [الطويل]

---

(١) وادي بردى: هو المنطقة الواقعة بعد خروج بردى من التكية، حتى حدود مدخل الربوة عند دمشق، حيث يدخل النهر في واد عميق شديد الانحدار، بطول يزيد على (٣٠) كم، حيث القرى العامرة بالنشاط والآهلة بالسكان، وحيث تنتشر الأشجار ذات الفواكه والثمر، والحراجية للزينة والنظر، وكلها تؤلف مشاهد طبيعية خلابة مع النسيم العليل، ومياه بردى وعيون القرى وينابيعها تنتظم الجميع. انظر: المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري ٥٣١/١، والريف السوري ٢٥٩/٢.

(٢) في هامش (أ): الزاهي والوحيد هما قصران لابن عباد. وانظر نفح الطيب ٢٧٤/٤.

(٣) الدارنك جمع الدَّرْنك: كل ما له خمل قصير كخمل المناديل من بساط أو ثوب. معجم متن اللغة.

(٤) البيتان لابن النقيب. الديوان، صفحة ٣٠٨.

فمــا هــوَ إلاّ فِضّــةٌ في زَبَرْجَــدٍ ... تَســاقَطَ مِنـــهُ اللُّؤلُـــؤُ المُتَنــاثِرُ

بحيثُ الصَّبا والتُّرْبُ والماءُ والهَـوى ... عَبـــيرٌ وكـــافورٌ وراحٌ وعـــاطِرُ

ومـا جَنَّـةُ الدُّنيـا سِـوَى مـا وَصَفْتُـهُ ... ومـا ضَـمَّ مِنهُ الحُسن نَجْدٌ وحـاجِرُ

فهـوَ - لَعَمْـري - مُنتهَـى الجَمـالِ[1]، ومُزدهَـى الصَّبـا والشّـمالِ، مَيدانُ الأفـراحِ، ومِضْمارُ سَوابقِ الأُنْسِ والانْشِراحِ، عَديمُ المَثيلِ والشّبيهِ، فَلِلّهِ دَرُّ القائِلِ فيهِ: [من البسيط]

وادِي دِمَشقَ الّـذي يُعْـزَى إلَـى بَـردَى ... إليـهِ كـلُّ فُـؤادٍ في الـورَى صــادِي

فيـهِ المِيـاهُ هـيَ العَـذْبُ الـزُّلالُ مَشـتْ ... علَـى الحصَـى بـينَ إهْبـاطٍ وإصْعـادِ

فيـا لـهُ في الـورَى وادٍ لَطيــفُ شـذًى ... طَلْـقُ الجَوانِـبِ أضْحَـى نُزْهَـةَ الغـادِي

لَمّـا نَسـيمٌ بـهِ قـدْ فـاحَ قُلْـتُ لـهُ: ... للهِ دَرُّكَ مـــا تَحْويـــهِ يـــا وادِي[2]

٢- وادِي الرَّبوَةِ[3]:

صُورةٌ تَجْلو الأبصارَ، وتَرْمـي القلوبَ في حَبـائِلِ الانْبِهـارِ، خيَّمـتْ فيـهِ سُـرادِقاتُ أزهارِهِ، واصْطفَّتْ علـى أدواحِـهِ مَواكِـبُ أطيـارِهِ، ضَرَبَـتْ أنهـارَهُ كُوسـاتُ الطَّـربِ[4]،

---

(١) في (ب): فهي لعمري الجمال.

(٢) لله درّك... عجز بيت لمحيي الدين ابن عربي، وصدره: عرّج ففي أيمن الوادي خيامُهُم. من قصيدة مطلعها:

يـا حـادي العيـس لا تعجـل بهـا وقفـا ... فـإنني زمـن في إثرهـا غـادي

(٣) وادي الربوة: مضيق، يؤلف آخر وادي بردى وأول المتسع الذي تبدأ به أرض الغوطة الغربية، ويقول الشيخ محمد أحمد دهمان: إن ما يسمى اليوم بالربوة إنما هو واد تتدفق فيه المياه وتنساب. والربوة من متنزهات دمشـق، التي تشتبك فيها الأشجار، حتى تشكل غياضاً وارفة الظلال، وفروع بردى تحيط بها من كل جانب ومكان، والوادي واقع بين علوتين شاهقتين كالجدران، من أعضاد قاسيون الممتدة بين دمر وحي المهاجرين، وبين المياه المتدفقة والأشجار الباسقة الملتفة يتشبع الجو بالرطاب المنعش، وهذا ما يجعل وادي الربوة مقصد المتنزهين والباحثين عن الجمال الأخاذ والطبيعة الخلابة. انظر الريف السوري ١٨٨/٢ وما بعدها. وانظر صفحة ١٥٦ الحاشية (٢).

(٤) في (ب): كؤوسات الطرب.

فتناقفَتْ موجاتُها ببوارق بيْضِ الحَبَبِ، شَقَّ الماءُ صُخورَهُ بمِنشارٍ[1]، وتَحدَّرَ في تُخومِ رَبوةٍ ذاتِ قرارٍ، بَرَدَ نسيمُهُ وتعطَّرَ، فلذا يَزيدُ ماؤُهُ ويتقطَّرُ، وخارَ ثَوراهُ بتلكَ البقاعِ، فاختارَتْ قنواتُهُ خَيْطَ الارتفاعِ، واهْتزَّتْ قَناتُهُ اهتِزازَ الصِّلِّ، فَصدَّعَتْ جَوفَ الجَبلِ رَغبةً في الظِّلِّ، ودارَ الدارانيُّ على أخْدانِهِ، فاكْتَنَفهُ الدَّوحُ بظِلالِ أفْنانِهِ، وفاضَ دمعُ بانياسَ وانحَدرَ، وقَصدَ الشقراءَ يسألُ مِنَ النَّسيمِ الخَبرَ، حينَ قَسمَتْهُم أيدي المَقاسِمِ، وتَركَتْ كُلًّا مِنهُم بحُسْنِ رياضِهِ هائم[2]، يسيرُ بينَ ظِلٍّ ظَليلٍ، ورياضٍ تَتراءى لِلناظِرِ بالحَسَنِ الجَميلِ، تُناديهِ أطيارُها: هَلُمُّوا إلى مَغْرِسٍ للحُسْنِ ومَقِيْلٍ، قد سَئِمَتْ أرضُها الما، حتّى احتاجَتْ إلى الظّما. [الطويل]

فَمِنْ رَوضَةٍ غَنّاءَ تجري خِلالَها ... جَداوِلُ مِنْ نَهرٍ يَفِيضُ إلى نَهرِ

رسائِلُ تَمشي بِالمَودّةِ بينَهم ... وتُبدي لَنا ما في حَشاها مِنَ السِّرِّ[3]

تَضمُّهُ جبالٌ تُضيءُ بها قَناديلُ النّجومِ، وتَلتفُّ على هاماتِها أذيالُ الغُيومِ، تَغرَّبَ الماءُ في أكنافِها اغْتِرابَ الحارثِ بنِ مُضاضٍ[3]، واضْطرَبَ في شِعابِها اضْطرابَ الحَيَّةِ النَّضْناضِ[4]، وهامَ شُحرُورُها هُيامَ سَعْدٍ بورْدِهِ[5]، وأبْدَى فَصاحةَ ابنِ يَعْفُرَ حينَ أثارَ الغَرامُ وَجْدَهُ[6]. [السريع]

---

(١) المنشار: بقايا درجات حجرية في سفح جبل قاسيون الغربي، إلى الغرب المجاور لدير مران، فوق خانق الربوة، عند الصخرة المشهورة التي كتب عليها (اذكريني دائماً) وكانت هذه الدرجات تصل إلى مسجد الديلمي الذي جدده نور الدين الشهيد، ولا زالت آثار هذه الصخرة باقية إلى الآن بعد أن أصبحت كأسنان المنشار. معجم دمشق التاريخي.

(٢) كذا الأصول، مراعياً السجعة. (٣) البيتان لابن النقيب. الديوان ١٤٢.

(٣) الحارث بن مُضاض بن عبد المسيح الجُرهمي، من ملوك الجاهلية، خرج من بلاده يجول في الأرض زمناً طويلاً، فضُرب المثل باغترابه، ويقول المسعودي: إنه أول من تولى أمر البيت بمكة من جُرهم.

(٤) النضناض من الحيات: الذي لا يثبت في مكانه لِشِرّته ونشاطه.

(٥) يريد قول النوّار بنت جَلّ، كما جاء في طبقات فحول الشعراء ١/٣٠.

أورَدَها سعدٌ وسعدٌ مُشتملْ ... ما هكذا تُوردُ يا سعدُ الإبلْ

(٦) ابن يعفر هو الأسود، ولعلّه يقصد قوله الذي ذكره ابن قتيبة في الشعر والعشراء ١/٢٥٥.

ماذا أؤمّلُ بعدَ آل محرّقٍ ... تركوا منازلهم وبعدَ إيادِ

الطـيرُ قــدْ غنَّــى علَــى عُــودِهِ   في الــرَّوضِ بـين الجنـكِ والــدّفّ[1]

وحَسبُكَ وادٍ شرَّفَهُ التّنزيلُ، فهوَ وإنْ كَثُرَتْ فيهِ الأقاويلُ. [البسيط]

نــزِّهْ لِحــاظَكَ في أطرافِــهِ لِــترَى   أصنــافَ مــا خَلَـقَ الرّحمــنُ لِلبَشــرِ

تــرَى مَحاسِــنَ وادٍ يحتَــوي نُزهًــا   لَــذادَةَ السّــمعِ والأبصــارِ والفِكَــرِ

مــا بَــينَ رَوْضٍ وأنهــارٍ مُسَلْسَــلَةٍ   تَجــري وتَحمِــلُ أنواعًــا مِــنَ الثّمَــرِ

٣ـ وادِي مكرمٍ:

حَسَنُ المَنظَرِ والغَضارَةِ، قد أَخَذَ على أخَواتِهِ رُتبةَ الأمارَةِ، حيثُ ما يَمَّمْتَ اقْتبَسْـتَ نورًا، وَرأيتَ ثَمَّ نَعيمًا ومُلْكًا كبيرًا، قَدَحَتْ زِنادُ النّسائِمِ زُنودَ أشجارِهِ، فنَفحَتْ مَجـامِرَ الطِّيبِ مِنْ كَمائِمِ أزهارِهِ، يُنادِيكَ طَيرُهُ الأكْيَـس: اخلَـعْ نَعليـكَ فـإنّكَ بـالوادي المُقَـدَّس. [الكامل]

لَـو لَـم يَكُــنْ هــو جَنَّــةَ المـأوَى لَنـا   مــا كــانَ تَجْــري تَحتَــهُ الأنهــارُ

نَشرَ كافورُ الطَّلِّ مِسْكِيَّ الشذَا على كَمائِمِ أشجارِهِ، لَمّا نَصبَتْ على فُرُشِهِ العبقريّـةِ سُرادِقاتِ أزهارِهِ، فَنبَّهَتْ عُيونَها ذُيولُ النسائِمِ، ونِيطَتْ على قُضْبِها مِنهـا تَمـائِم، فَغـدَتْ عيونُها شاخِصَةً، وقُدودُ أغصانِها على غِناءِ الحَمائِمِ راقِصَةً. [الطويل]

كــأنَّ عليهــا عَبْقَــرِيَّ مطــارفٍ   ومِـنْ حُلَـلِ الدّيبـاجِ وَشْــيَ عَصـائِبِ

اخْضرَّتْ مَسارِحُ نَباتِهِ، واخْضلَّتْ مَساري هبَّاتِهِ، ودَمعَتْ بـالطَّلِّ عُيـونُ زَهْـرِهِ، لَمّـا ذابَ على زَبرْجَدِ حَدائِقِهِ بلُّورُ نَهرِهِ. [السريع]

---

١) البيت لابن الوردي. الديوان، صفحة ٣٥٢.

يـا أيّهـا الـوادي الـذي نَشْـرُهُ ... قـدْ مَـلأَ الأرجـاءَ نَشْـرًا فَتيـقْ
إنّ الرّبـا قـدْ كُلِّلَـتْ بـالنّدى ... وانْتَظـمَ المَنْثـورُ بـينَ الشَّـقيقْ
وكُلّمـا مَـرَّتْ بنـا نفحَـةٌ ... أهْدَتْ مِن الأزهـارِ مِسـكًا سَـحيقْ
رَوتْ حَديثًـا عـادَ دَمعِـي لَـه ... مُسلسَـلاً بـالحُبِّ لا يَسـتَفِيقْ[1]

٤- وادي كِيوان[2]:

رَوضُ كِيْـوانَ فُقْـتَ طَبعًـا وَوصْفـا ... فَكثِـيرُ الثَّنـاءِ فِيـكَ قَليـلُ[3]
تِـهْ علَى الشِّعْبِ شِعْبِ بَوّانَ وافْخَـرْ ... فعلَـى مـا نَقـولُ قـامَ الدَّليـلُ[4]

هوَ كَعبةُ الحُسْنِ الغرّا، تَطوفُ بأكنافِهِ وُفودُ السّرا، تَدفّقَ ماؤُهُ بينَ المُحَصَّبِ والصَّفا، وراقَ لُجَيْنُهُ على زُمُرُّدِهِ وصَفا، لَبِسَ مِنَ الوَشْيِ رَونَقَ الإحرامِ، فلبّاهُ حَمامُهُ في حُجْرِ ذلكَ المَقامِ، ونادَى المُطوَّقُ: هَلُمُّوا لِزِيارَةِ بيتِ الهَنا، وارْمُوا جَمراتِ الهُمومِ بوادي المُنَى. [السريع]

احْجُـجْ إلى الزّهْـرِ لِتَحظَـى بـهِ ... وارْمِ جِمـارَ الهَـمِّ مُسْـتَنفِرا
مَـنْ لَمْ يَطُـفْ بـالزّهرِ في وَقتِـهِ ... مِـنْ قَبْلِ أنْ يَحلِـقَ قَـدْ قَصّـرا[5]

---

(١) الأبيات لمحمد الجُرموزي. نفحة الريحانة ٤٠٦/٣.

(٢) كيوان المحلة الواقعة في طريق بيروت على الضفة الجنوبية لنهر بردى، شرقي الربوة وشمالي المزة، بين ساحة الأمويين وساحة مشفى المواساة تنسب إلى كيوان بن عبد الله من كبار ضباط الإنكشارية في الشام بمطلع القرن الحادي عشر الهجري. معجم دمشق التاريخي.

(٣) في (ب): فلكثير الثناء.

(٤) البيتان لأحمد بن صالح بن أبي الرجال، من قصيدة في وصف روضة صنعاء. خلاصة الأثر ٢٢٠/١، ونفحة الريحانة ٤٨٦/٣، وفي المصدرين: روض صنعاء فُقت...

(٥) البيتان للقاضي شرف الدين المقدسي. فوات الوفيات ٥٨/١، الوافي بالوفيات ٢٣٢/٦، قال صاحب معاهد التنصيص ١٤١/٣: ومما جاء في التوجيه في قواعد العلوم في شيء من قواعد الفقه. لذا قال الشيخ محيي الدين عبد الحميد معلقاً، بعد أن أثبت في المتن: بالزهر في وقفة: في الأصل: بالزهر في وقته. وما أثبتناه موافق لما في خزانة ابن حجة، وهو من تمام التوجيه المقصود إليه في البيت.

وعَلا الشُّحرورُ مَنابرَ الدَّوحِ وزَمْزَمَ، وأرْمَلَ البُلبلُ لِقدُومِ النسائِمِ وتَرنَّمَ، والعندليبُ بينَ مُفْرِدٍ وقارِنٍ، مُتمتِّعٌ مِنَ الرياضِ بتلكَ المَحاسِنِ، يَسعَى بينَ غَديرٍ وجَدولٍ، ويَذْبَحُ كَبشَ الأحزانِ عندَ كلِّ حديقةٍ ومَنهلٍ، والحَمائِمُ في عَجٍّ وثَجٍّ، تَزُورُهُم نسَماتُ المَسرَّةِ مِنْ كُلِّ هَضَبةٍ وفَجٍّ، كلُّهم ناطِقٌ بِلسانِ التوحيدِ، يَشهدُ بِوَحدانيةِ المُبدعِ المَجيدِ. [الخفيف]

١- إنَّ وادي كِيْوانُ ألطفُ وادي	ماؤُهُ العَذبُ صادَ قلبَ الصَّادي
٢- حَملتْنا إليهِ نَسْمةٌ فَجْرٍ	ضاعَ فيهِ الشَذا فَباتَتْ تُنادي
٣- والسواقِي جرَى بِها الماءُ عَذْبًا	فوقَ حَصْبائِهِ اللِّطافِ الجِيادِ
٤- فإذا ما رَأتْهُ ذاتُ حِليٍّ	لَمستْ عِقْدَها بِتلكَ الأيادي
٥- وبِدونِ الخَلْخالِ إنْ هِيَ خاضَتْ	فيهِ خاضَتْ بِمثلهِ المُستعادِ
٦- تَحسِبُ الشمسَ فيهِ أُخرَى سِواها	فسَماها للمساءِ كالحُسَّادِ

هـ- وادي الجَناوِلةِ:

هذا الوادي عالي السَّندِ، مَحلُّهُ بينَ العلياءِ والسَّندِ، ماؤُهُ مُتسلسِلٌ مُتَواتِرٌ، مُنخَفِضٌ تحتَ ظِلالِ الأزاهرِ، عَبيرُ نورِهِ على أيدي النَّسائِمِ مَرفوعٌ، وليسَ الخَبرُ الصحيحُ كالمَوضوعِ، ولا الضَّعيفُ كالمَقطوعِ. [الوافر]

ولا بَرِحُ الصَّبا يَروي صَحيحًا   حديثَ رياضِهِ وبِهِ اعتِلالُ[1]

والطيرُ راوي أحاديثِ تلكَ الحدائِقِ، يُملي على الأسْماعِ فُصولَ شَدْوِهِ الغابِقِ. [الخفيف]

وأتَى مُرسَلُ النَّسيمِ إلى الغُصْـ   ـنِ فَيُوحِي إليهِ كيفَ يَميلُ[2]

---

(١) البيت لشهاب الدين التلعفري. انظر ديوانه صفحة ٢٣٣، وفيه: حديث رياضها.

(٢) البيت للقاضي محمد بن إبراهيم السحولي. انظر نفحة الريحانة ٣/٤٨٨.

[وقيل]: [من الكامل]

والزّهـــرُ بـــينَ مُدَبَّـــجٍ ومُجَعَّـــدٍ ومُذهَّـــبٍ ومُفَضَّـــضٍ ومُـــورَّدِ

حسَنُ المَنظرِ والشميمِ، كأنّهُ مَفروزٌ مِنْ جَناتِ النّعيمِ. [الكامل]

مـازلْتُ أُسْـنِدُ مِـنْ مَحاسِـنِ رَوْضِـهِ خَـبرًا صَحيحًـا ليـسَ بـالمقطوعِ
كـمْ مُرْسَـلٍ مِـنْ نَهـرِهِ ومُسَلسَـلٍ ومُدَبَّـجٍ مِـنْ دَوحِـهِ المَرفـوعِ[1]

٦ـ وادي السّفرجَلِ:

حازَ الفَضلَ الرفيع، بِطرازِ وَشْيِ أيدي الربيع، نَسيمُهُ أمينُ أسرارِهِ، مـأمونٌ علَى طَرائِفِ أزهارِهِ، صَدحَ حَمامُهُ الأقمَر، وغنّى على كلِّ ساقِيَةٍ وجَعفَر. [الطويل]

سـيُغنِيكَ عـنْ مِزمـارِ آلِ مُخـارِقٍ ومَرْبَعِهِـم تَغريـدُ تِلـكَ الحَمـائِمِ[2]

ومُطوَّقُهُ رَشيدُ الإيقاعِ والغِناءِ، مَسرورٌ بتلكَ الروضةِ الغَنّاء، مُعتَصِمٌ بأفنانِ أدواحِـهِ، مَنْصورٌ بِجُيوشِ أزاهرِهِ وأرْواحِهِ. [الكامل]

ورقَى خَطيـبُ العندليـب مَنـابِرَ الـ ـأغصـانِ لابِـسَ خِلْعَـةَ الخُلَفـاءِ

(١) المرسل، والمسلسل، والمدبج، والمرفوع: من مصطلحات علم الحديث.

(٢) هو قوله: مزمار مخارق، وكلمة آل زائدة ومخارق هو أبو المهنأ ابن يحيى الجزار إمام عصره في فن الغناء، ومن أطيب الناس صوتاً. اتصل بالرشيد والمأمون ونال استحسانهما، توفي بسرمن رأى سنة ٢٣١ للهجرة.
والبيت في زهر الأكم ٢/١٦٦ من غير عزو، وفيه: وبربطهم تغريد...

حَسَنُ الصوتِ المُغرِبِ، سهلُ الطريقةِ في المُرقِصِ المُطرِبِ، كأنْ قدْ أخذَ الألحانَ عنْ مَعبد[١]، وتصحيحَ الألحانِ عن أبي الأسْوَد[٢]، وعِلْمَ السَّماعِ عن إبْراهيم[٣]، ونَقْرَ الوَترِ عنْ إسحاقِ النّديم[٤]. [الطويل]

تَغنَّتْ بـهِ الأطيـارُ مـنْ كـلِّ نَغْمَـةٍ تُهيِّجْـنَ ألحـانَ النديـمِ ومَعبَـدِ[٥]

يتَرَقْرقُ ماؤُهُ بِسلسالِهِ، فيُديرُ على حدائقِهِ كُؤوسَ جِرْيالِهِ. [الطويل]

بـهِ الفَضـلُ يَبـدو والربيعُ وكـمْ غَـدا بهِ الروضُ يَحيَى وهوَ لا شكَّ جَعفَرُ[٦]

والبلبلُ يَترنّمُ على عُودِهِ، تَرنُّمَ زِرياب[٧] على عُودِهِ. [البسيط]

نَـزِّهْ عُيونـكَ في الـوادي الأريـجِ تَـرَى رَوضَ الرُّبـا قـدْ حـوَى لـلزَّهرِ ألوانـا

بـهِ رَوَيْنـا حديـثَ الأُنْـسِ مُتّصِـلاً لكـنَّ سَلْسَـلَ دَمْـعِ الحُـبِّ عقيانـا

واسمَـع سَـواجِعَ وُرْقٍ مِـنْ صَوادِحِـهِ فقـدْ رَوتْ فيـهِ عـنْ إسـحاقَ ألحانـا

---

(١) معبد بن وهب المغنّي: أبو عبّاد المدني، نابغة الغناء العربي في العصر الأموي، كان أديباً فصيحاً، نشأ في المدينة، ثم رحل إلى الشام، فاتصل بأمرائها، وارتفع شأنه. مات في عسكر الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ.

(٢) أبو الأسود الدؤلي: ظالم بن عمرو (١ق هـ - ٦٩هـ) كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان، واضع علم النحو، وكذلك الحركات والتنوين في لفظ الكلمة. ولي إمارة البصرة، شهد صفين مع علي رضي الله عنه. ولما وفد على معاوية بالغ في إكرامه.

(٣) إبراهيم بن محمد المهدي (١٦٢-٢٢٤هـ): أخو هارون الرشيد، كان حاذقاً بصنعة الغناء.

(٤) إسحاق النديم بن إبراهيم الموصلي (١٥٥-٢٣٥هـ): من أشهر المغنين في العصر العباسي، تفرد بصناعة الغناء، وكان عالماً باللغة والموسيقا والتاريخ والكلام، راوياً للشعر، حافظاً للأخبار.

(٥) البيت لعبد الله بن محمد حجازي. نفحة الريحانة ٢/٥٧٠.

(٦) في البيت تورية لطيفة فالفضل هو الفضل بن يحيى، ويحيى هو ابن خالد بن برمك، وجعفر هو ابن يحيى فضلاء من آل برمك.

(٧) زرياب: علي بن نافع، مولى المهدي العباسي، نابغة الموسيقا في زمانه. كان شاعراً مطبوعاً، حسنَ الصوت، وهو الذي جعل العود خمسة أوتار، وكانت أربعة، سافر إلى الأندلس وعلت بها شهرته. توفي بقرطبة سنة ٢٣٠هـ.

٧- وادي الحِمصيّ:

وادٍ يفوحُ منهُ عَرْفُ الطّيب، فَيوردُ لِلقلبِ ذِكْرَ حبيب، أزاهِرُهُ كَعُقودِ الجُمانِ في النُّحورِ، وقلائِدِ العِقْيانِ فوقَ صُدورِ الحُورِ، والوُرْقُ في أفنانِها كالشّادي المُغْرِبِ، تترَنّمُ بألحانِها بالمُرْقِصِ المُطْرِبِ، ولسانُ العندليبِ تُرجُمانُ الأشواقِ، فلذا تُري حضرتُهُ مَصارِعَ العُشّاقِ، يَرفُلُ بينَ وَرْدِ الرّوضِ ورَيْحانِهِ، فَيُزَمِّرُ لهُ النسيمُ على رنّةِ ألحانِهِ، إلى عبيرٍ يَفْعَلُ فِعْلَ السُّلافَةِ بالألبابِ، والدُّميةِ في العاشقِ المُرتابِ، والمُطوَّقُ آخِذٌ في مقاماتِ الطربِ، يُمْلي عليكَ المُعْرَبَ منْ لِسانِ العَربِ، تَخِذَ الرياضَ مَعاهِدَ أُنْسِهِ، وديوانَ صَبابَتِهِ ونُزْهَةَ نَفْسِهِ. [الوافر]

فلا تَغْفَلْ عنِ الأطيارِ تَسمَعْ ... إذا غَنّتْ مقاماتِ الحَريري

لَعَمْري هو لِلأنْفُسِ مَطْمَحٌ، ولِلخاطِرِ والناظِرِ مَسرحٌ، مَرْكزُ إحاطةِ الحُبورِ، وقُطبُ دائرةِ الأُنْسِ والسُّرورِ، ونُزهةُ النفوسِ ومِرآةُ الزمانِ، وخَريدةُ العَجائِبِ وحياةُ الحَيوانِ، ونَهرُهُ كأيْمٍ أدْرَكهُ الطَّلَبُ فَذهبَ، وانسابَ بينَ حَصْباءِ الفِضةِ ومُروجِ الذهبِ. [الكامل]

١- فانْهَضْ إلى الوادي السّعيدِ وماؤهِ الـ ... ـعَذْبِ الفُراتِ وظِلُّ ذاكَ الآسِ

٢- هذي الجِنانُ تنفّسَتْ في أوْجهِ الـ ... ـخُضْرِ الرياضِ بأطْيَبِ الأنفاسِ

٣- ومشَى النسيمُ مُصَحَّحًا ما اعتلَّ مِنْ ... أدواحِها فهو العليلُ الآسي

٤- والقَطْرُ مُنْتَثِرٌ على جَنباتِها ... كاللُّؤلُؤِ المُتناسِقِ الأجْناسِ

٥- والعندليبُ مُصَفِّقٌ يَشدو على ... تِلكَ الهِضابِ وغُصنِها المَيّاسِ

٦- وكأنّما الأزهارُ قدْ صِيغَتْ لهُ ... قَفَصًا مِنَ الياقوتِ والألماسِ

٧- مُتوَشِّحًا بِسَحيقِ مِسْكٍ جِيْدُهُ مُتَلَفِّعًا في عَنْبَريٍّ لِباسِ[1]

٨ـ وادي الشّقرا[2]: [الخفيف]

مَنظَرٌ يَبعثُ السُّرورَ ومَرآى يُذَكِّرُ المَرْءَ طِيبَ عَصْرِ صِباهُ[3]

هو المَيدانُ الأخضر، الحاوي لِنَهْرَيّ بارقٍ[4] والكَوثَر، والجَبْهَة والخَلخال، والمَرجة الخَضراءُ ذات السّلسال. [السريع]

سِرْ بي إلى الشّقراءِ مِنْ جِلّقٍ واثْنِ إلى الخَضْراءِ مِنكَ العِنانْ
وانزِلْ بوادِيها الذي نَشْرُهُ مِسْكٌ وحَصْبا النهرِ فيهِ جُمانْ

نالَ الشّرفَ الأعلَى بِشرَفَيْهِ، وبِأدواحِهِ التي تُظِلُّهُ أفنانُها مِنْ طرَفيهِ. [الكامل]

والأرضُ تَرْفُلُ في مَطارِفِ سُندُسٍ كالخُودِ في حُلَلِ الحَريرِ الأخْضَرِ
والرّوضُ مُعْتَلُّ النسيمِ كأنّهُ دارُ النعيمِ وماؤُهُ كالكَوثَرِ[5]

وبالجُملةِ، فهوَ جَنّةٌ تَتقاصَرُ عنْ دَرْكِ وَصْفِها أعناقُ الفَصاحَةِ، وتُقَصِّرُ عنْ مُناوَلَةِ مَحاسِنِها في مَيدانِ البلاغةِ كلُّ راحةِ. [الكامل]

لَمْ يَحْكِ جِلّقَ في المَحاسِنِ بَلدَةٌ قَولٌ صَحيحٌ ما بِهِ بُهتانُ

---

(١) الأبيات للأمير منجك. الديوان، صفحة ٤٥.

(٢) وادي الشقراء: من متنزهات دمشق، في الجانب الغربي منها، طوله أثنا عشر ميلاً، وعرضه ثلاثة أميال، وتطل عليه صنعاء الشام (قبل المزة)، وكان اسمه وادي البنفسج، ومكانه اليوم معرض دمشق. انظر معجم دمشق ٣٣٥/٢.

(٣) البيت لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني. خريدة العصر (المغرب) ٢٦١/١، نفح الطيب ٤٩٧/١.

(٤) بارق والكوثر نهران من أنهار الجنة. انظر مسند الإمام أحمد ٢٦٦/١.

(٥) البيتان للمحبي، ذكرهما في كتابه خلاصة الأثر ١٣٧/٤.

ولَئِــنْ غَــدَوْتَ مُنافِسًــا في غَيرِهــا ... هــا بَيْنَنــا الشّــقراءُ والمَيْـــدانُ

٩- وادي الصُّفَيْرى[١]:

ماؤُهُ لِلوارِدِ وِرْد، وعِطْرُهُ العَـرارُ والـوَرْدُ، هَـواهُ مُرسَـلٌ، ومـاؤُهُ مُسَلسَـلٌ، هَـدَرَ كالدَّأْمـاءِ اللُّهامِ[٢]، وهَرْوَلَ هَرْوَلَةَ العَرامِ، وعَمَّ الوِهادَ والآكامَ، مَـرِحَ دَوْحُـهُ مَـرَحَ الإدلال، ومَـاسَ أُمْلُـودُهُ دَلالاً ومال، لمّا أهداهُ المِسكُ عِطْرَه، وأعطاهُ السُّـرورُ لِـواءَ الإمـرَة، هـدَرَ حَمامُـهُ وصَـدح، ومَـلأ مَحارَ الأسْماعِ دُررَ المِلَح، سَرَدَ آلاءَ اللهِ وحِكَمَه، ودَرَسَ مَكارِمَ رَسولِهِ وكَرَمَـه، وسـادَ أسْوَدُهُ وصاح: هَلُمُّوا لِمَورِدِ اللَّهْوِ ومَسارِحِ الأرواح، الأمْواهُ لأدواحِهِ كالسّوارِ لِلمِعْصَمِ، والظِّـلُّ حَولَـهُ كالسِّمْطِ المُحْكَمِ، لَعَمْرُكَ هو للآرامِ مَسرحٌ، وللآمالِ مَرامٌ ومَطْمَحٌ. [الكامل]

لله وادٍ للســـرورِ مَـــراحُ ... دَوْحٌ ومـــاءٌ سَلسَـــلٌ رَحْـــراحُ

وَرْدٌ وآسٌ أســـودٌ صَـــدّاحُ ... عَطِـــرٌ حَمُـــومٌ عـــاطِرٌ أرواحُ

١٠- وادي بَرْزَةَ[٣]:

كلُّهُ نَضْرَةٌ ونَعيم، كيفَ وقدْ شرَّفهُ سيدُنا إبْراهيم، ومَسجِدُهُ مَوضِعُ الإنابَة، ومَحَـلُّ لِقَبولِ والإجابَة. [البسيط]

مَقامُـــهُ حَـــرَمٌ فيهـــا ومُحـــتَرَمٌ ... عـنْ حُسْـنِ مَحْتِدِهِ يَـروي لَنــا سَـنَدا

---

(١) وادي الصُفيرى: واد في جبل قاسيون، عند النهاية الشرقية لحي ركن الدين، بينه وبين حي برزة. وأصل التسمية سرياني من (صفره) وتعني العصافير أو الطيور. معجم دمشق.

(٢) الدأماء اللهام: البحر العظيم.

(٣) برزة: هي اليوم حي من أحياء دمشق، أما في الأصل فهي قرية قديمة، بدليل آثارها القديمة ومقام إبراهيم الخليل فيها، وينحدر واديها إلى قريب من سهل القابون، حيث كانت الزراعة مزدهرة فيها، من الحبوب والزيتون وأشجار الجوز والتين، وزراعة نبات اليانسون، تسقى من نهر منين، وبعض مياه يزيد. المعجم الجغرافي ٢/٢٨١.

لــهُ مَقــامٌ بِـــهِ الأنـــوارُ ســـاطِعةٌ تَجلُـو العيـونَ فـلا تَشـكو إذًا رَمَـدا

وقدْ تَداوَلَتِ الأَلْسُنُ[1] فَضْلَهُ وعِزَّه، لِوُرودِ الخَبرِ في ما بينَ أَرْزَةَ[2] وبَرْزَة. [الكامل]

أمّـــا الريـــاضُ فـــإنّهنّ عَرائِـــس لمْ يَحْتَجِبْـنَ حَـذارَ عَـينِ الكـالِي[3]

تَثنِـي الصَّبـا مِنهـا أَكُـفَّ زَبَرْجَـدٍ مَنظومَـــةً أطرافُهـــا بِـــلآلِ[4]

رِياضٌ وجنان، أفنانُها في الحُسْنِ ذاتُ افْتِنـان، بَـرزَتْ أدواحُهـا في ثِيابِهـا المُنَمْنَمَـة، واخْتالَتْ في حُلَلٍ منَ الزّهْوِ مُعْلَمَـة، شـاخِصَةً لِـربِّ السـماءِ، الـذي كَوّنَهـا عـنْ أصـلابِ السُّحُبِ في أرحامِ الغَبراء. [الكامل]

والأرضُ زاهِيــــةٌ بِحِلْيَتِهـــا الـــتي نُسِــجَتْ بِلُطْــفِ مُدَبِّــرِ الأشـــياءِ

والغُصونُ تَترَنَّحُ تِيْهاً، تُسبِّحُ بِحَمدِ مُوجِدِها ومُنْشِيها. [الكامل]

وَرَقُ الغُصـــونِ إذا نَظَـرْتَ دَفـــاتِرًا مَشــــحونةً بأدِلّـــةِ التوحيـــدِ[5]

وبينَ ذلكَ أزهارٌ تَبوحُ بأسْرارِها، وتَهطُلُ منْ دَمعِ الطَّلِّ على خَريرِ أنهارِها. [البسيط]

وفـاحَ مِـنْ أرَجِ الأزهـارِ طِيْـبُ شـذًا نَشْـرٌ تَعطَّـرَ مِنْـهُ كـلُّ مُنْتَشِــقِ

كـأنَّ ذِكْـرَ رســولِ اللهِ مَـرَّ بِهــا فأكْسَبَتْ أرجًـا مـن نَشْـرِهِ العَبِـقِ[6]

---

(١) في (ج): تداولت الأنس.

(٢) أرزة: قرية دارسة بدمشق، قام في موضعها اليوم حي الشهداء في طريق الصالحية بين ساحتي البرلمان وعرنوس. معجم دمشق.

(٣) الكالي: المراقب.

(٤) البيتان لعبد الله بن سارّة الإشبيلي. خريدة القصر (المغرب) ٣١٧/٢، المغرب في حلى المغرب ٤١٩/١.

(٥) البيت لحسن بن محمد البوريني. خلاصة الأثر ٥٧/٢، ريحانة الألبا ٢٣، ١٠٨، وفيه: ورق الرياض إذا نظرت دفاترٌ.

(٦) البيتان لصفي الدين الحلي، الديوان ١٥٣/١، وفيه: أرج الأزهار منتشرًا.

تُحيطُ بهِ جبالٌ كأنّها جَبَلا نَهاوَنْدِ وكَوكَبان، أو جَبَلُ الفَتْحِ أو سيلان، بَلغَ كلٌّ مِنهُم منَ الارتفاعِ ما يَتوهَّمُهُ الناظِرُ نَجْماً، وإذا استدارَ عليهِ قَوسُ السحابِ كانَ لهُ سَهماً، وهُنالِكَ منَ الصّوادِحِ، ما يُبَرْهِنُ دَعوَى المادِحِ: [الكامل]

١- مِنْ عَندَليبٍ رَاحَ يَلعَبُ بالنُّهَى بِفُنونِ لَحنٍ زانَهُ الخُيَلاءُ

٢- وَيليهِ بالمِزمارِ شُحرورٌ لَهُ صَدْحٌ لَهُ تَتَنَبَّهُ الأهواءُ

٣- عَجَبًا لَهُ يَبدو كأعْبَدِ ناسِكٍ قَدْ جلَّلَتْهُ حُلَّةٌ سَوداءُ

٤- ولِصبْغَةِ الجريالِ في مِنْقارِهِ حُكْمٌ علَى إلْحادِهِ ونِداءُ

٥- وخِلالَ هذَيْنِ الحَمائِمُ ألْفَتْ هَزَجًا لَهُ ما تَفعلُ الصَّهباءُ

٦- فتَرى الغُصونَ تَميدُ مِنْ طَرَبٍ بِها حتّى يُناجيْها الغَرامَ الماءُ

٧- مِنْ كُلِّ مُنْسابٍ يَجِدُّ كأنّهُ صَبٌّ لَهُ مِنْ حُبِّهِ اسْتِدعاءُ

٨- وتَرَى لأنفاسِ النسيمِ تَعَرُّضًا في وَجْهِهِ فكأنّها رُقَباءُ

٩- وتَنِمُّ عِندَ مُرورِها بِسرائِرِ الـ زَهْرِ الّتي أوْدَعْنَها الأنْداءُ

١٠- للهِ مِنْ أسرارِ نَشرٍ لَيسَ في سِرٍّ سِواها يَحْسُنُ الإفشاءُ

١١- وادي مَعْرَبا[1]:

وادٍ بَديع، قدْ أحْكَمَ إتْقانَهُ مُهَندِسُ الربيع، غنّى هَزارُهُ على فُروعِ أدواحِهِ، فَمالَتْ أصُولُها طَرَبًا لِقُدومِ أرواحِهِ، وأفْصَحَ الشُّحرورُ بِتَفسيرِ لُغةِ التوحِيدِ، فهَدرَ الماءُ لِبيانِ مَعاني ذلكَ التغْريدِ، وفَقِهَ النهرُ مَنْطِقَ الطيرِ فَهام، وفَرضَ للروضِ مِنْ فَيضِ جُودِهِ سِهام، والحَمامُ

(١) معربا: قرية تبعد عن دمشق ١١ كم، وهي واقعة عند ملتقى وادي حلبون بوادي منين، اللذين يجتمعان ويهبطان نحو برزة، وهي تشرف من مرتفعها على وادي عين الصاحب المشجّر الأغنّ. الريف السوري ٤٣٢/١.

في حَدلِ بينَ دَوحِهِ وأوراقِهِ، مُعتَقِدًا أنَّهُ استعارَ نَقْشَ أطواقِهِ، وازْدَهرَ النَّجمُ في فَلَكِ الرياض، واختالَ في بُرْدٍ مِنَ الوَشْيِ فَضْفاض، وتَرنَّمَ البُلبلُ نحوَ مائِهِ النَّميرِ، ورَوَى حَديثَ الوَجْدِ لدَى كُلِّ ساقِيةٍ وغَديرٍ، ونادَى المُطَوَّقُ بصَوتٍ رَخيم: أنا مِنَ الشعراءِ ألَمْ تَرَ أنّي في كلِّ وادٍ أهِيم، وحرَّكَ مُوسِيقى الطَّرَبِ على دَساتِينِ الأوتارِ، فأنْسَى ذِكْرَ الفلهدِ[1] وصاحِبِ المِزمارِ. [البسيط]

أمَا ترَى الطيرَ قد غنَّتْ وقدْ طَرِبَتْ تَحكِي بنَغمتِها وزنَ الدَّساتِينِ[2]

تُظِلُّهُ جِبالٌ لَوْ رآها المَلِكُ الضلِّيلُ، لَمَا زَمَّلَ ثَبيرًا بِبجادِ التَّبْجيلِ[3]، غنَّى بها مُطَوَّقُ الحَمامِ، لَمّا صافَحتْها راحةُ الغَمامِ، فَطُوبَى لِمَنْ أمَّهُ وَزارَه، وقضَى مِنَ الصَّبابَةِ أوطارَه. [الكامل]

للهِ مِنْ عَهدِ الصَّبابَةِ والصِّبا يومٌ على وادي الدُّرَيْجِ ومَعْرَبا

طارَتْ بِنا خَيْلُ السُّرورِ وأزْلَفَتْ حتَّى حَلَلْنا في مَغانِيهِ الحُبا[4]

١٢ـ وادي حُرْنَة[5]:

وادٍ بينَ جِبالٍ يَضِلُّ فِيها الذِّيب، كأنّها جَبلُ الراهونِ أوْ سَرَنْدِيب، تُسامِتُ العَيُّوقَ[6] ارتفاعاً، كأنَّها مَدَّتْ لِتَناولِ الجَوزاءِ باعاً، أوْ فَقَدَتْ في زُحَلِ السماءِ صُواعاً،

---

(١) الفهلد: الغلام السمين الذي راهق الحلم.

(٢) البيت في المحب والمحبوب ٢٨/٣ من غير عزو، والدساتين جمع، مفرده الدستان، وهو الوتر من العود.

(٣) إشارة إلى قول الملك الضليل امرئ القيس في جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ٢٧٤:

كأنَّ ثَبيراً في عَرانينِ وَبْلِهِ كبيرُ أُناسٍ في بِجادٍ مُزمَّلِ

(٤) البيتان لابن النقيب. الديوان ٥٣.

(٥) حرنة: وادٍ للقرية الواقعة بين معربا ووادنيها، يقع شمال دمشق بـ ١٥ كم، تغمره البساتين المزروعة بالخضار وأشجار الفواكه المثمرة، وأكثرها أشجار الجوز، كما يزرع فيها المشمش والأجاص والخوخ. الريف السوري ٣٩٢/١، للمعجم الجغرافي ٤٩/٣.

(٦) العَيُّوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرّة الأيمن، يتلو الثريا، لا يتقدّمها. القاموس.

حِلَلُها الشِّيْحُ والخُزامُ، وحِلْيُها الرَّنْدُ والبَشامُ، وبَيْنَها رِياضٌ تَلْعَبُ بالنُّهَى، وأزاهِرُ تَنْظُرُ مِنْ حَدَقِ المَها، تَسْتَوقِفُ الطَّرْفَ حُسْنًا وازدِها، ماؤُهُ عِدٌّ، ومَحاسِنُهُ لا تُعَدُّ، وعِنْدَهُ أطيارٌ يأتونَ بالسِّحْرِ الحَلال، ويُطَوِّقُونَ مِنْ سَجْعِهِم بما هو أجملُ منْ سِمْطِ اللآل. [الكامل]

انظُرْ إلى الوادي إذا ما غَرَّدَتْ أطيارُهُ شَقَّ النسيمُ ثِيابَهُ

أَتَراهُ أطْرَبَهُ الهَديلُ وزادَهُ طَرَبًا وحَقِّكَ أنْ حَلَلْتَ جَنابَهُ[1]

١٣ـ وادي التّلّ[2]:

هذا الوادي، ناظُورَةُ ذلكَ النادي، مركزُ تلكَ الدارَةِ، ونُقطَةُ هاتِيكَ الأفلاكِ المِعْطارةِ، فاقَ بحُسْنِهِ على المَرام، فَلِذا ترَى طَيْرَهُ كأنّهُ في يومِ رام، وقد بَلغَ مِنْ لَهْوِهِ المَرام، يُغازِلُ الأدواحَ غَزلَ ابنِ أُذَيْنَة[3]، ويَكْلَفُ بها كَلَفَ جَميلٍ بِبُثينَة، ويرتاحُ بشَميمِ عِطْرِ تلكَ القُرَى، كما ارتاحَ ابنُ حُمَيْدٍ بوادي القُرَى، وفيهِ منَ الزهر، ما يُزْري بِمَحاسِنِ ابنِ زُهْر[4]، ومنَ النّضارَة، ما تَهْزَأُ بأوْصافِ ابنِ دارة[5]، أرْبَى على نُزهَةِ هِشامٍ بِدَيْرِ

(١) البيتان لابن البراق. نفح الطيب ٥٠٦/٣، المغرب في حلى المغرب ١٥٠/٢، وفيه: انظر إلى الوادي الذي مذ غرّدت.

(٢) التل: وادٍ جميل، يؤمه المصطافون لعذوبة مائه وعليل هوائه، وجميل منظره وكثرة أشجاره، وخاصة الجوز والتين، والجوز فيه من أجود الأنواع، إضافة إلى أشجار الفواكه الأخرى وطبيعته الخلابة. الريف السوري ٣٩٤/١، يقع هذا الوادي الجميل في الجانب الشرقي من مدينة التل. تقع شمال دمشق بـ ١٤ كم. المعجم الجغرافي ٤٦٢/٢.

(٣) ابن أذينة: هو عروة بن يحيى (لقبه أذينة) بن مالك الليثي، شاعر غزل مقدم من أهل المدينة، وهو معدود من الفقهاء والمحدثين، ولكن الشعر غلب عليه، توفي نحو ١٣٠ للهجرة.

(٤) ابن زهر: هو محمد بن عبد الملك بن زهر الإيادي أبو بكر (٥٠٧ـ٥٩٥هـ) من نوابغ الطب والأدب، له كتب في الطب، وشعر رقيق، وموشحات انفرد بإجادة نظمها أشهرها موشحة مطلعها: ما للموله من سكره لا يفيق، وأخرى:

أيها الساقي إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

(٥) ابن دارة: هو سالم بن دارة واسم أبيه مسافع، وأمه دارة من بني أسد، وسمّيت دارة لجمالها، شُبّهت بدارة القمر. وهو شاعر هجاء مخضرم. انظر الشعر والشعراء ٤٠١/١.

الرُّصافة[1]، وأنافَ على حُسْنِها أيَّ إنافَة، تَعْتَنِقُهُ جبالٌ أبْعدُ مِنْ مَناطِ العَيّوق[2]، وأعزُّ في ارتفاعِها مِنْ بيض الأَنُوق، يَجري بينهما نَهرٌ أرَقُّ مِنَ الصَّبا، وأشْهَى وأعْذَبُ مِنْ شَرخِ الصِّبا، ولمّا طابَ منهُ الشذَا والنفح، أنْشَدَ فيهِ ابن أبي الفَتْح[3]: [من الطويل]

١- أقَمْنا بِوادي التّلِّ نَسْتَجْلِبُ البَسْطا ... بحيثُ دَنا مِنا السُّرورُ وما شَطّا

٢- وقدْ ضَرَبَتْ أفنانُ أغصانِهِ لَنا ... سَتائِرَ إذْ مَدَّتْ خمائِلُهُ بَسْطا

٣- يُباري بهِ الوُرْقُ الهَزارَ كَراهِبٍ ... يُحاكي بِعِبرانيِّ ألفاظِهِ القِبْطا

٤- ويَعطِفُ ما بَينَ الغُصونِ نَسيمُهُ ... كما اجْتَمعَ الإلْفانِ مِنْ بَعدِ ما شَطّا

٥- جَلسْنا على الرَّضْراضِ فيهِ هُنَيْئَةً ... وقدْ نُظِمَتْ كالدُّرِّ حَصْباؤُهُ سِمْطا

٦- بهِ مِنْ لُجَيْنِ الماءِ يَنسابُ جَدْوَلٌ ... تُجَعِّدُهُ أيدي النسيمِ إذا انْحَطّا

٧- صَحِبْتُ بهِ مِثلَ الكواكِبِ فِتْيَةً ... أحاديثُهُم في مَسْمَعِي لَمْ تَزلْ قُرْطا

٨- يُديرونَ مِنْ كأسِ الحديثِ سُلافَةً ... وربَّتما تَحكِي الأحاديثُ إسْفَنْطا[4]

١٤- وادي منين[5]: [الرمل]

يا رعاهُ اللهُ مِنْ وادٍ وَسِيمٍ ... رَقَّ فيهِ الماءُ واعتلَّ النسيمُ[6]

---

(١) هشام بن عبد الملك: الخليفة الأموي اجتمعت في خزائنه من المال ما لم يجتمع لأحد من ملوك بني أمية، وبنى الرصافة على أربعة أميال من الرقة غرباً، وكان يسكنها في الصيف، وتوفي بها سنة ١٢٥ للهجرة.

(٢) العيّوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرّة الأيمن، يتلو الثريا. القاموس.

(٣) هو يوسف بن أبي الفتح بن منصور الدمشقي (٩٩٤ - ١٠٥٦ هـ)، نزيل الأستانة، شاعر، من الفقهاء، ولي إمامة ثلاثة سلاطين من آل عثمان. والأبيات في نفحة الريحانة ٧٧/١، وخلاصة الأثر ٤٩٧/٤.

(٤) الإسفنط: المطيب من عصير العنب، أو أعلى الخمر.

(٥) منين: قرية جبلية كبيرة، شمال دمشق بـ ٢٠كم، تحيط بها الجبال من الجهات الأربع، وهي ذات مشاهد جميلة ومياه من عينها المشهورة عذبة، وهواء بارد عليل، وجو هادئ رخيم، ونبعها غزير، يتفجر من أسفل الجبل، وهو عذب بارد نمير. الريف السوري ٣٩٧/١، وقال البدري في نزهة الأنام، صفحة ٣٤٥: هذه القرية من محاسن الشام...

(٦) البيت لمصطفى عثمان البابي من موشح يذكر فيه مياه عين الذهب في بلدة الباب بحلب. نفحة الريحانة ٤٦٤/٢.

قدْ عَلا على غَيْرِهِ مَحلاً ومَكاناً، وفاقَهُم بِحدائِقهِ حُسناً وإتقاناً. [الطويل]

مَعَـالِمُ أحبـابٍ ومَغْنَـى حَمـائِمِ وَدَوحَـةُ أغصـانٍ وسَـرْحُ رَبـارِبِ
ومَنْبَـعُ أمـواهٍ وحانَـةُ قَهـوةٍ ورَوضَـةُ أزهـارٍ وأُفـقُ كواكِـبِ[1]

جالَ طَيْرُهُ في مَيادينِ مَرْجتهِ الخَضْرا، إجالَةَ ابنِ عَبَّادٍ[2] جَوادَ لَهْوِهِ في مَلاعِبِ الزهرا، ضَحِكَتْ في أرجائِهِ ثُغورُ الأزهارِ، وتَنقَّشتْ بظِلالِ أدواحِهِ مَعاصِمُ الأنهارِ. [الطويل]

فأنهـارُهُ تَجْـري وأزهـارُهُ تُضـي وأشـجارُهُ زِيْنَـتْ بِتـينٍ وأعْنـابِ

وفَوقَهُ جِبالٌ أمْنَعُ مِنَ العُقابِ، وأرفَعُ مِنَ السحابِ، يُناجي السِّماكَ سِماكُها، ويُباهِي الأفلاكَ اسْتِمْساكُها، فاحَ زَهرُها بِعَرْفٍ كَما وَشَّى المِسْكُ رَيّاه، ونَمَّ على الصَّباحِ مُحَيّاه، والطيرُ في هَـزْلٍ وَجِدٍّ، مِنْ رَوضةِ نَرْجِسٍ إلى حَديقةِ وَرْدٍ، يَتصرَّفُ ترنامُهُ في القلوب، تَصرُّفَ فَقْدِ يوسُفَ في فُؤادِ يَعقوب. [الوافر]

ووادٍ قَـدْ حَكَـى جَنّـاتِ عَـدْنٍ بِرَونَـقِ مَنْظَـرٍ وحَصـاءِ دُرِّ
وقَـدْ حـاكَ الربيـعُ بـهِ بِسـاطًا كـأثوابٍ مُوَشّـاةٍ بِتـبْرِ
وقَـدْ سـالَ الـزُّلالُ بـهِ لُجَيْنًـا كـأيمِ خـائِفٍ مِـنْ فَـرْطِ ذُعْـرِ

وهذهِ القريةُ مِنْ قُرَى الشامِ، الموصوفةِ بِطِيبِ الهواءِ والانْسِجامِ، وعَيْنُها الآتي ذِكْرُها[3]، يَتسَلْسلُ على تِلكَ المُروجِ الزاهرةِ نهرُها، تَدْعوكَ إلى اللَّذاتِ حدائِقُها

(١) البيتان لشهاب الدين ابن الخلوف، الديوان صفحة ١٥٤، وفيه: وسرب ربارب.. ومنبع أنهار.

(٢) ابن عباد: محمد بن عباد بن إسماعيل اللخمي أبو القاسم، المعتمد على الله (٤٣١-٤٨٨ هـ) صاحب إشبيلية وقرطبة وأحد أفراد الدهر شجاعة وحزماً وضبطاً للأمور.

(٣) انظر صفحة: ٢٣٣.

والبساتين، وزمانُ أُنْسِها أيامَ العِنَبِ والتين، تَهُشُّ إليها زُمَرُ أهـلِ اللّطافَـة، فـيَزِدْهُمْ هَواهـا لُطفًا وظَرافَة، ولو لَمْ تَكُنْ للنّعيمِ مَلاذ[1]، لَما قالَ يَمْدَحُها الأستاذ، بِقولِهِ: [من الخفيف]

١- يـــا لَيـــالٍ مَنَّــتْ بِهِـــنَّ مَنِـــينُ	كـــانَ فيهـــا لنـــا الصّفـــاءُ المُبِـــينُ
٢- بَوّأَتْنـــا مِنْهـــا الخَمـــائِلُ دارًا	أرضُهـــا الـــوَرْدُ فـــاحَ والياسَـــمينُ
٣- ونَزلْنـــا مِـــنْ عَيْنِهـــا فـــوقَ جَفْـــنٍ	أخْضَـــرِ الهُـــدْبِ زانَـــهُ التّحســـينُ
٤- وشَـــمَمْنا المَســـاءَ نَفْحـــةَ وَرْدٍ	قَـــطُّ مـــا شَـــمَّ مِثْلَهـــا العِرْنِـــينُ
٥- والحَصـــا في المِيـــاهِ عَقْـــدُ لآلٍ	هـــوَ مِـــنْ أفْخَـــرِ العُقـــودِ ثَمـــينُ
٦- وكَـــأنَّ الشَّـــمسَ المُنِـــيرةَ تِـــبْرٌ	ذابَ والمـــاءُ تحـــتَ ذاكَ لُجَيْـــنُ
٧- حَولَـــهُ الحُـــورُ قائِمـــاتٌ صُفوفًـــا	هُـــنَّ حُـــورٌ خُضْـــرُ الغلائِـــلِ عِيْـــنُ
٨- ونَســـيمُ الحدائِـــقِ الرَّطْـــبُ وافَـــى	يَنفَـــحُ الطِّيْـــبَ فيـــهِ لُطْـــفٌ ولِـــينُ
٩- وتَغنَّـــتْ علـــى الغُصـــونِ طُيـــورٌ	راقَ مِنهـــا الغِنـــاءُ والتّلحِـــينُ
١٠- يـــومَ وادي مَنِـــينَ بِـــالأُنسِ لَمّـــا	مِنْـــهُ مَـــدّتْ لِجَـــذْبِ قلـــبي يَمِـــينُ
١١- قريـــةٌ مِثْـــلُ جَنّـــةِ الخُلْـــدِ لكـــنْ	جَنـــةُ الخلـــدِ مِسْـــكَةٌ وهـــي طِـــينُ

١٥ـ وادي الدُّرَيج[2]:

صَفا الظلالُ على مَجاري أنهارِهِ، وجادَ النسيمُ فَبدَّدَ دَراهِـمَ أزهـارِهِ، وسـرَى نَبْـتٌ عـارَضَ النهـرَ في صفَحـاتِ خُـدودِ البِطـاحِ، وانْثَنَـى عَطْـفُ الـدَّوحِ لِـوُرودِ النسائِمِ عِنـدَ الصباحِ، وهَبَّ مُؤَقِّتُ وَرْقِهِ مِنْ نَومِهِ، فأذَّنَ بالسَّحَرِ بينَ رِنْدِهِ وقَيْصُومِهِ. [بجزوء الرمل]

---

(١) كذا في الأصول، مراعياً السجعة.

(٢) قرية الدريج: قرية جبلية صغيرة في القلمون، تقع بين حلبون وإفرة من الشمال، وحرنة والتل ومنين من الشرق، ومن الجنوب دمر ومعربا. تبعد عن دمشق ٢٢ كم، في شرقها وادٍ مشجر جميل، ينحدر من عين الصاحب، طيبة الهواء، وفيها بساتين العنب وأشجار التين والجوز. الريف السوري ١/٤١٢، المعجم الجغرافي ٣/٣٣٤.

أذَّنَ القُمْــــريُّ فِيهـــــا عنــــدَ تَهْويــــمِ النُّجـــــومِ
فـــانْثنى الغُصْـــنُ يُصَلِّـــي بِتَحِيِّـــــاتِ النســــيمِ[1]

تَجاوَبَتْ منْ أدواحِها أطيارُهُ، فَسَلكَتْ فيهِ منْ كلِّ طَرَفٍ أنهارُهُ، وفـاضَتْ عيونُـهُ منْ كلِّ جانب، وتدفَّقَتْ على تلكَ المُروجِ والسَّباسِبِ. [الرجز]

عيـــونُ مـــاءٍ وريـــاضٌ أشِـــبَهْ تُسْـمَعُ لِلطيـــورِ فيهـــا جَلَبَـــهْ

تُناديكَ صَوادِحُهُ بِحَيَّ على البُكورِ، إلى مَرْبَعِ اللّذاتِ ومَثْوَى السرورِ. [الكامل]

شـتّى مَحاسِـنُهُ فَمِـــنْ زَهْـرٍ علـى نهـرٍ تَسلسَـلَ كالحَبَـابِ تَسلْسُـلا[2]

وعليهِ جبالٌ شَـمَخَ كـلٌّ مِنهـا على الجَـوْزاءِ بأنْفِـهِ، واتّخَـذَ الثّريّـا وِشـاحًا لِعِطْفِـهِ، فالأرضُ تدَّعِيهِ لأنّهُ ثَبتَ على مناكِبِها، والسماءُ تُنازِعُها فيهِ لأنّهُ تَمنْطقَ بكَواكِبِها. [البسيط]

مَجـامِرُ الزَّهْـرِ في أرجائِـــهِ نفَحـــتْ والـوُرْقُ قـدْ صَدحَـتْ فيـهِ بأفنـــانِ
أشـجارُهُ بَسـقَتْ أغْصانُـهُ اتّسـقَتْ خِيـــامَ ظِـلٍّ ولكِـــنْ ذاتُ أفنـــانِ[3]
وقـدْ رأى بَصري مِنْ حُسْـنِ رَونَقِـهِ أضعافَ مـا وَصَفُـوا في شِعْبِ بَوّانِ[4]

---

(١) البيتان لسيف الدين المشد الديوان صفحة (١٤٠). من قصيدة مطلعها:

اســـــقنيها يـــــا نديمـــــي بثنيــــــات الكـــــــروم

(٢) البيت لابن الأبّار محمد بن عبد الله بن أبـي بكـر القضـاعي البلنسـي. الديـوان ٤٥٧، وفيـه: نهـر يسـيل، الـوافي بالوفيات ٣٥٨/٣، ونفح الطيب ١١٩/٤.

(٣) في (ب): خيال ظلّ.

(٤) الأبيات لعبد اللطيف بن محمد محب الدين المحبي، يصـف منتزهـاً في الـروم، بالقرب مـن أق بابـا. نفحـة الريحانـة ١٨٩/٢.

وشعب بوان بأرض فارس أحد متنزهات الدنيا.

١٦ـ وادي حَلْبُون[١]:

حدّثني نسيمُ بنُ زَهْرٍ، وكانَ أعذبَ روايةً من ابنِ نَهْرٍ، قالَ: دَخلْتُهُ فَرأيْتُهُ جاـ بالقَضِّ والقَضيضِ، ورمَى الناظِرَ في الطّويلِ العريضِ، نَبْتُهُ أزكَى منَ المِسكِ الأصْهَبِ. بالعَنبرِ الأشْهَبِ، وأطيبُ نَشْرًا منَ الصِّوارِ[٢]، وأعْطَرُ نَفْحًا مِنْ هُبوبِ النسائِمِ المُضَمَّخَةِ بطِيْبِ الأزهارِ، ماؤُهُ مَسُوس[٣] وصَيدُهُ الظِّباءُ والنُّسوس، جبالُهُ تكادُ تَغْرِفُ مِنْ حَوْضِ الغَمامِ، كأنّها جَبَلا دَمْخٍ وشَمامِ[٤]، تَوشّحَتْ بالغُيومِ، وتَحلّتْ بالنُّجومِ، عانَقتْ بارتفاعِها السِّماكَ، يَطْمَعُ راقِيها أنْ يَقطِفَ نَرْجِسَ الكواكِبِ مِنْ حَدائِقِ الأفلاكِ، شَبَّ مُطَوَّقُهُ عنِ الطَّوْقِ[٥]، وثارَ في رياضِهِ ثَورَةَ مالكِ بنِ طَوْقٍ[٦]، وحَنَّ حَنينَ الهَيْجمانِ[٧]، وهَيْنَمَ بما يُزرِي بفَصاحةِ حَسّانَ، وقدْ أَخذَ مِنْ جَدِّهِ المُعْجِبِ، إلى هَزْلِهِ المُطرِبِ، بما هوَ أعذَبُ من ماءِ بارِقٍ[٨]، وأطربُ منْ نَغماتِ زَنامٍ ومُخارِقٍ[٩]، حتّى انْبرَتْ لِمُساجَلَتِهِ حَمامةٌ، أجْمَلُ

---

(١) حلبون: قرية من قرى القلمون، تتبع منطقة التل، تقع في ضفة وادٍ منخفض، مختبئ بين ثلاثة جبال، وينحدر واديها إلى أن يجتمع بوادي منين، وهذا الوادي أغنُّ كثير البساتين والغياض، فيه مياه كثيرة وينابيع عديدة، وهي بلدة جيدة الهواء، عذبة الماء، ذات مناظر طبيعية خلابة. الريف السوري ١/٤٠٢، المعجم الجغرافي ٣/١٠٩.

(٢) الصوار: المسك. مجمع الأمثال ١/٤٣٩.

(٣) المسوس: الماء العذب المذاق، المريء في الدواب. مجمع الأمثال ١/١٧٨.

(٤) جبل دَمْخ: من الجبال الضخام لبني نفيل بن عمرو.
وجبل شمام: جبل له رأسان. وشمام مبني على الكسر عند الحجازيين. مجمع الأمثال ١/١٥٥، ١٥٦.

(٥) شبَّ أي كبر، انظر مجمع الأمثال ٢/١٣٧: كبر (شبَّ) عمرو عن الطوق.

(٦) مالك بن طوق التغلبي أبو كلثوم أمير كان من الأشراف الفرسان الأجواد، ولي إمرة دمشق للمتوكل، وبنى رحبة مالك على الفرات توفي سنة ٢٥٩هـ.

(٧) الهيجمان: الدُّرَّة والعنكبوت الذكر. القاموس.

(٨) نهر من أنهار الجنة. انظر مسند الإمام أحمد ١/٢٦٦. وقيل: ماء البارق: ماء السحاب يكون فيه البرق. مجمع الأمثال ٢/٤٩.

(٩) زنام: انظر الحاشية (٢) صفحة (١٨١) ومخارق أبو المهنأ ابن يحيى الجزار إمام عصره في فن الغناء، توفي سنة ٢٣١ هـ.

مِنْ صاحبِ العمامَةْ[1]، وقالَتْ: إنّ هذا لَهِتْرُ أهْتار[2]، ومَنْ سَلكَ الجَدَدَ أمِنَ العِثارَ[3].

لَعَمْري، لقدْ أساءَ الزّمان، حتّى صارَ الزجُّ قُدّامَ السِّنان[4]:

عندَ الصباحِ يَحمدُ القومُ السُّرى ... وتَنْجَلي عَنْهم غَيابَاتُ الكَرَى[5]

فصاحَ بها العندليبُ، وقالَ: بَخٍ بَخٍ ساقٌ وخَلْخالٌ، أوائِلٌ ورَبابُ، ولكنّ جَرْيَ المُذْكِياتِ غلاّبٌ[6]، لقدْ غرَّ بكِ الإصْباحُ فأدْلِجي، وليسَ بعُشِّكِ فادْرُجي[7]، إنّما أنتِ كبارحِ الأرْوَى، قليلاً ما يُرى[8]، فناداهُ الهَزارُ: لقدْ سُدْتَ يا عِصام، ألَمْ تَدْرِ أنّها ألقَتْ مَراسِيها بذِي رَمْرام[9]؟ [الكامل]

أنا صَخْرةُ الوادي إذا ما زُوحِمَتْ ... وإذا نَطقْتُ فإنّني الجَوزاءُ[10]

---

(١) أجمل من ذي عمامة: مثل من أمثال مكة، وذو العمامة سعيد بن العاص بن أمية، وكان في الجاهلية إذا لبس عمامة، لا يلبس قرشي عمامة على لونها. مجمع الأمثال ٨٨/٢.

(٢) إنه لهتر أهتار: الهتر العجب والداهية، يضرب للرجل الداهي المنكر. مجمع الأمثال ٢٧/١.

(٣) من سلك الجدد أمن العثار: الجدد الأرض المستوية، يضرب في طلب العافية. مجمع الأمثال ٣٠٦/٢.

(٤) صار الزج.. مثل يضرب في سبق المتأخر المتقدم من غير استحقاق. مجمع الأمثال ٤٠٣/١.

(٥) بيت شعر قاله خالد بن الوليد رضي الله عنه، بعد قطعة مفازة مهلكة. المثل يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة. معجم الأمثال للميداني ٣/٢.

(٦) المذكية من الخيل: التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان، والغِلاب: المغالبة. أي إن المذكي يغالب مجاريه فيغلبه لقوته. يضرب لمن يوصف بالتبريز على أقرانه في حلبة الفضل. مجمع الأمثال ١٥٨/٢.

(٧) أي ليس هذا من الأمر الذي لك فيه حق، فدعيه. يقال: درج، أي مشى ومضى. يضرب لمن يرفع نفسه فوق قدره. مجمع الأمثال ١٨١/٢.

(٨) الأروى (الوعل) مساكنها الجبال، فلا يكاد الناس يرونها سانحة ولا بارحة إلا في الدهر مرة. يضرب لمن يُرى منه الإحسان في الأحايين. مجمع الأمثال ٢٥/١.

(٩) أي سكنت الإبل واستقرّت وقرّت عيونها بالكلأ والمرتع. والرمرام ضرب من الشجر، وحشيش الربيع. يضرب لمن اطمأن وقرّت عينه بعيشه. مجمع الأمثال ١٨٦/٢.

(١٠) البيت للمتنبي. شرح ديوانه ١٤٣/١.

أَأخرَقُ مِنْ حَمامةٍ[1] ؟ وأجْـرأُ مـنْ أُسـامةَ[2] ؟ أمـا تَخْشَـى سَيْلَ تَلْعَتِـي[3]، وبُـروزَ سِلْعَتِي ؟ ﴿والشمسِ وضُحاها﴾ إنّ وَراءَ الأكَمَةِ ما وراها[4]، أنّةٌ وزَفِير، وأنتَ لا في العِيْرِ ولا في النَّفِيْر، فاهْتَزَّ الغُصْنُ ومَرِح، وماسَ لِسَماعِ تلكَ المُلَح، وحَيَّتْهُ الصَّبـا فَصَبـا، وحَرَّكَـهُ الهَوَى فَهوَى. [الكامل]

وجـرَى النسـيمُ يَجُـرُّ فَضْـلَ رِدائِـهِ ... بـينَ الحدائِـقِ مِشْـيَةَ الخُيَـلاءِ
نَشْـوانَ يَعْبَـثُ بـالغُصونِ ويَنْثَنِـي ... مَرِحًـا فَيعْـثُرُ في غَديـرِ المـاءِ[5]

فَمِلْتُ طَرَبًا بأخبارِهِ، حينَ أدارَ على سَمْعِي كُؤوسَ إخبارِهِ، وهِمْتُ وَجْدًا بِتلكَ الشمائِلِ، وأنْشَدْتُ تَسلّيًا قَولَ القائِلِ: [من البسيط]

اِنْـزِلْ بِحَلْبُونَ حَـولَ المـاءِ في الـوادي ... بـينَ التشـابيكِ مِـنْ أَقْفـاصِ أعْـوادِ
والْبِسْ ثِيـابَ خَلاعـاتِ الصِّبـا مَرِحًـا ... عنـدَ الرُّبـا كُلّمـا غنّـى لـكَ الحـادي
واسْـمَعْ خَريـرَ جَـواري المـاءِ مُطْرِبَـةً ... إسْماعَ كمْ رائِحٍ في الـرّوضِ أو غـادي
وقِفْ هُناكَ علـى الـوادي وقُـلْ طَرِبًـا: ... للهِ دَرُّكَ مـا تَحويـهِ يـا وادي[6]

---

(١) أخرق من حمامة مثل يضرب في الغباء، لأنها لا تحكم عشها، وذلك أنها ربّما جاءت إلى الغصن من الشجرة، فتبني عليه عشها في الموضع الذي تذهب به الريح، فبيضها أضيع شيء. مجمع الأمثال ١/٢٥٥.

(٢) أسامة هو الأسد. مجمع الأمثال ١/١٨٩.

(٣) التلعة مسيل الماء من السند إلى بطن الوادي (لأن من نزل التلعة فهو على خطر أن يجيء السيل فيحرفه) ومعنى المثل: إني أخاف شر أقاربي وبني عمي. مجمع الأمثال ١/٣٣.

(٤) مجمع الأمثال ١/١٣.

(٥) البيتان لمحمد بن هانئ الأزدي الأندلسي. خريدة القصر (مصر) ١/٢٨١، قال ابن العماد: ووجدت في ديوانه قصيدة، لكنها في ديوان ابن خفاجة الأندلسي.

(٦) انظر الحاشية (٢) صفحة ٢٠٣.

١٧- وادي بَسِّيمَة[١]:

ما كلُّ مُرتَفَعٍ نَجد، ولا كلُّ وادٍ يُنْبِتُ العَرارَ والرَّند، مَنْظَرُهُ قَيَّدَ الأبْصارَ والبَصائِرَ، وأمَدَّ الأفكارَ والخَواطِرَ، كلُّهُ رياضٌ مُزَرْكَشةٌ بالأزهارِ، مُطرَّزَةٌ بالسَّواقي والأنهارِ، خُذْ حَيثُ قَصَدْتَ طِيْبًا وعِطْرًا، وأنّى اتّجَهْتَ ساقيةً ونَهرًا، تَصدحُ في أفْنانِهِ مُطرِباتُ العَنادِلِ، وتُغنّي بَلابِلُهُ فَتُهَيِّجُ البلابِلَ[٢]، تَطِيبُ الأفواهُ بِذكْرِ نَوّارِهِ، والمَسامُ بِعَبيرِ أردانِ[٣] أسحارِهِ.

[الكامل]

وادٍ يَفوحُ المِسْكُ مِنْ جَنباتِهِ ... ويَصِحُّ فيهِ لِلنسيمِ عَليلُ[٤]

تَطوفُ بهِ جِبالٌ كأنّها وَكْرٌ لِنَسْرِ السما، أو هامَةٌ مُتوَّجَةٌ بكلِّ سَحابةٍ دَكْنا، تَرتَعُ العُيونُ في حَدائِقِهِ فَتجْني ثمارَ الأعاجيب، وتَمْتلِئُ أصْدافُ الأسماعِ مِنْ دُرَرِ هَيْنَمَةِ هَزارٍ وعَندليب، قدْ شَنَّفَتِ الأسماعَ، وأقامَتِ السَّماعَ، فاسْتمالَتِ الطِّباعَ، وأنوارُهُ تَتغازَلُ بِعُيونِ المَها، وتَميدُ أغصانُها بِوُرودِ وَفْدِ النَّسائِمِ عُجْبًا وازْدِها، تَتوَّجَتْ هِضابُهُ بِطرازِ الرَّنْدِ والكَبا[٥]، وفاحَ عِطْرُ الخُزامَى فَعطَّرَ أردانَ الصَّبا، وصاحَ أسْوَدُهُ على شَقائِقِ النُّعمان: إنّي مُنذِرُكُم عُيونَ ابنِ ماءِ السما، وطلائِعَ جُيوشِ النسيمِ أنْ تَطْرُقَكُمْ في الحِمَى، وقدْ أخذَ في فُنونِ الهَيْنَمَةِ، على طُرَرِ أغصانِهِ المُنمْنَمَةِ. [الطويل]

---

(١) بسيمة: قرية تقع في أسفل وادي بردى، عند عدوته اليسرى، ينحدر واديها انحداراً سحيقاً نحو وادي بردى، وأشهر ينابيعها عين القطين العليا وعين القطين السفلى، وتنتثر على طول واديها الأشجار الباسقة المتكاثفة، وهي ذات مياه وبساتين وغياض، ومناظر طبيعية جميلة، تأخذ بمجامع القلوب. الريف السوري ٢/٢٢٤، المعجم الجغرافي ٢/٣١٢.

(٢) البلابل: الهم والوساوس في الصدر. تاج العروس.

(٣) في (ب): بعبير أدوان أردان.

(٤) البيت لسيف الدين المشد. الديوان صفحة (١٢٥)، وهو في نفح الطيب ٢/٤٠٩.

(٥) الكباء: عود البخور. القاموس.

وما هاجَنِي إلاّ ابنُ وَرقاءَ سُحْرَةً لـهُ فوقَ أفنانِ الرياضِ هَدِيْلُ
يُردِّدُ في صُحفِ الرّياضِ قصائِدًا منَ الشوقِ يُمْلِيها لَنا ويَمِيْلُ
تَسنَّمَ غُصنًا في رياضِ أريْضَةٍ تَهُبُّ عليها شَمْأَلٌ وقَبُولُ
يُصفِّقُ جَذْلانَ الفُؤادِ كأنّما تُدارُ عليهِ في الكُؤوسِ شَمُولُ[1]

طَربَ لِسَوطِ جائشَةِ الخَرير، جَذِلٌ يَمرحُ بينَ ساقِيةٍ وغَديرٍ، والرياضُ قدْ تَقمَّصَتْ غَلائِلَ الزّهورِ، وتَخلخلتْ بِلُجَينِ الجَداولِ والنُّهورِ. [الوافر]

١- وقانا لَفْحَةَ الرّمْضاءِ وادٍ سَقاهُ مُضاعَفُ الغَيْثِ العَمِيْمِ
٢- نَزلْنا دَوْحَةً فَحَنا علينا حُنوَّ المُرضِعاتِ على الفَطِيمِ
٣- وأرْشَفَنا على ظَمأٍ زُلالاً أَلَذَّ مِنَ المُدامَةِ للنَّدِيمِ
٤- يَصُدُّ الشمسَ أنّى واجَهتْنا فَيَحْجُبُها ويَأْذَنُ للنسيمِ
٥- تَروعُ حَصاهُ حالِيَةَ العَذارَى فَتلْمسُ جانِبَ العِقْدِ النظيمِ[2]

١٨- وادي الخَضْراء[3]:

وادي الخَضْرا، ما كلُّ نَبْتٍ مَرعَى، ولا كلُّ عَهدٍ يُرعَى، مَعهدُ أُنْسٍ وداعِيةُ سُرورٍ، ومَربَعُ لَهوٍ ومَسرَحُ لُبانَةٍ وحُبورٍ، أعلامُ الأُنْسِ في ضَواحِيهِ خافِقَة، وألْسُنُ الأطيارِ بأنواعِ

(١) الأبيات للحسن بن محمد البوريني. ريحانة الألبا ٢٥.

(٢) الأبيات لأحمد بن يوسف المنازي، يصف وادي بُزاعا. الوافي بالوفيات ٢٨٥/٨، معاهد التنصيص ٢٤٨/١. قال ياقوت في معجم الأدباء ١٢١٢/٣: وقد نسب أهل المغرب لحمدة (حمدونة) بنت زياد بن بقي الأبيات الشهيرة المنسوبة للمنازي. والأبيات في نفح الطيب ٢٨٨/٤.

(٣) وادي الخضراء: يقع غربي بسيمة، بأقل من كيلو متر واحد، وانظر الحاشية (١) صفحة (٢٣٢).

التَّرنُّمِ ناطقة، يَغشاهُ حَبلانِ، كُلٌّ مِنهما عِرْنينُهُ قدْ شَمخَ، وقَدَمُهُ قدْ غاصَ ثُبوتًا ورَسخَ، فَصَحَّ أنْ يُقالَ فيهِ: أنفٌ في السماءِ، واسْتٌ في الماءِ[1]. [الطويل]

رسا أصلُهُ تحتَ الثّرى وسما بِهِ ... إلى النَّجْمِ فَرعٌ لا يُنالُ طويلُ[2]

يَستوقِفُ الطَّرْفَ بِباهِرِ أزهارِهِ، ويصقُلُ الخاطرَ بِصَفاءِ أنهارِهِ. [الطويل]

تأمَّلْ على مَجرَى المِياهِ حُلَى الزهْرِ ... كعَهدِكَ بالخَضراءِ والأنْجُمِ الزُّهْرِ

وقدْ ضَحِكَتْ للياسَمينِ مَباسِمٌ ... سُرورًا بخفْاقِ النسيمِ على النهرِ

وأصْغَتْ منَ الآسِ النَّضيرِ مَسامِعٌ ... لِتَسْمَعَ ما يتلوهُ في سُورِ الشِّعْرِ[3]

إلى مَغانٍ تُثيرُ جوَى العشاقِ، تَهزأُ بِرياضِ أصفهانَ وأرضِ العِراقِ، زارَها النسيمُ مِنْ شِعابِ نَجدٍ وهِضابِها، على ظمأٍ منهُ فأرْشَفتْهُ عَذبَ رُضابِها، وهَيْنَمَتِ الوُرْقُ على نوَى الهديلِ، وهبَّتِ الصَّبا فغدا رَكْبُ الغُصونِ يترنَّحُ ويَميل. [الكامل]

فكأنَّما القُمْريّ يُنْشِدُ مَصْرَعًا ... مِنْ كلِّ بيتٍ والحَمامُ يُجيزُ

وقدْ جرَى النهرُ لاستقبالِ عَساكرِ النسيمِ، لابِسًا بُرْدَ الأزاهرِ بقلبٍ سليم. [الكامل]

١- وَصفَتْ شَمائِلُهُ وَرقَّ نَسيمُهُ ... وَصفَتْ على حَصْبائِهِ غُدرانُهُ

---

(١) مجمع الأمثال ٢١/١.

(٢) البيت للسموأل. الديوان ١٢، الأمالي لأبي علي ٢٦٥/١.

(٣) الأبيات لصفوان بن إدريس أبي بحر، فقد خرج يوماً وجماعة في مرسية، فقعدوا على صهريج ماء، يحف به أدواح مزهرة، وسقيط نورها على الماء، فقال أبو بكر البلنسي محمد بن ثعلبة الكاتب:

خليلي أبا بحرٍ وما قرقفُ اللمى ... بأعذب من قولي خليلي أبا بحرِ

أجزْ غير مأمور قسيماً نظمته ... تأمّلْ على مجرى المياه حُلى الزّهرِ

فأجابه صفوان بن إدريس. الوافي بالوفيات ٢٨٢/٢، نفح الطيب ٢٧١/٣.

٢- وتجـــاوبتْ أطيـــارُهُ وتــبرَّجتْ أقمـــارُهُ وتنعَّمـــتْ غِزلانُـــهُ

٣- وتبسَّـــمَتْ أزهـــارُهُ وتنسَّـــمَتْ أسْـــحارُهُ وتمـــايلَتْ أغصانُـــهُ

٤- ودَنـــتْ قُطـــوفُ اللّهـــوِ في أفنانِـــهِ وتزخْرفَـــتْ لـــلزائرينَ جنانُـــهُ

٥- وشَـــكتْ تبـــاريحَ الصَّبابـــةِ وُرْقُـــهُ وتمـــايلَتْ بِيَـــدِ الصَّبـــا أفنانُـــهُ

٦- والمـــاءُ بـــينَ مُصفِّـــقٍ ومُرقْـــرقٍ ومُـــروّقٍ شَـــرِقَتْ بـــهِ غِيطانُـــهُ

٧- والطـــيرُ بـــينَ مُسَـــجِّعٍ ومُرَجِّـــعٍ ومُفَجَّـــعٍ تَشـــكو الهـــوَى ألحانُـــهُ

٨- يـــا حبّـــذا آرامُـــهُ وظِبـــاؤُهُ ورياضُـــهُ وغِياضُـــهُ وأوانُـــهُ[1]

١٩ـ وادي الفِيْجَةِ[2]:

هو مُلتقَى الأنهارِ، حاوي الأماني والأوطارِ، عَديمُ الأشباهِ والنظائِرِ، تَنْويرُ الأبصارِ والبصائِرِ، تجتمِعُ فيهِ مِياهُ الشامِ، اجتمـاعَ الرافِدَيـنِ بـدارِ السـلامِ، مَـرَجَ النهريـنِ يلتقيـانِ، بَيْنَهُما بَرزَخٌ لا يبغِيان[3]، ماؤُهُ للناظِرِ بَحْرٌ، لكنّـهُ في الحقيقـةِ نهـرٌ، ورياضُـهُ فَرْشُـها دُرَر، وعَرْشُها غُرَر، تَفجَّرتْ ينـابيعُ لُجَيْنِـهِ علـى مُـروجِ رياضِـهِ، وتَبـدَّدَتْ جَواهِـرُهُ في حُجـورِ الحدائِقِ فَطابَ النهرُ برَضْراضِهِ، وتَجارَتْ سَوابِقُ الطيرِ في ميادينِ تلكَ الجِنانِ، وجَـرَّدَ المـاءُ صِفاحَ الطَّربِ فهَزمَ جُيوشَ الأحزانِ. [المتقارب]

فَمـــا تَقَـــعُ العَـــينُ إلاّ علَـــى ريـــاضٍ تَضيّـــفُ أنوارُهـــا

---

(١) البيتان ١ و ٥ في المدهش ٢٥٣، وفيه: راقت خمائله.

(٢) الفيجة: أكبر قرى وادي بردى وأعمرها، وأجملها بحكم الماء الدافق من نبعها الكوثري، المتميز من جميع ينابيع الشام، وهي مهوى أفئدة المتنزهين، تبعد عن دمشق ٢٤ كم، ومنها تشرب مدينة دمشق. الريف السوري ٣٣٠/٢.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الرحمن ١٩ـ٢٠: ﴿مرج البحرين يلتقيان ۞ بينهما برزخ لا يبغيان﴾.

هــيَ الخُلْــدُ تَجْمَــعُ مــا يُشْــتَهى فزرْهــا فَطُوبَـــى لِمَـــنْ زارَهـــا[1]

نُفِحَتْ بِنَوافِحِ المِسْكِ أزهارُهُ، فتَعارَضَتْ بغَرائِبِ المَنْطِقِ أطيارُهُ. [البسيط]

مِنْ كُلِّ وَرْقـاءَ في الأفنـانِ صَادِحَـةٍ بَـينَ الحدائِـقِ في فَيْحـاءِ زهْـراءِ
وُرْقٌ تَغَنَّتْ بجَنّـاتٍ رَقَيْـنَ علَـى عِيدانِهـا فالْـهُ في مَغْنًـى وغَنّـاءِ[2]

تَحْضُنُهُ جبالٌ تُزاحِمُ الأفلاكَ بالمناكِبِ، يكادُ مَنْ يَرقاها أنْ يلْتقِطَ لآلِئَ الكواكِبِ، تَقِيهِ حَرَّ الشمس، وتُظِلُّ رياضَهُ التي تَتمتّعُ بحُسْنِها الحواسُّ الخمس، محاسِنُ تروقُ للناظِر، وتُذْهِلُ السامِعَ والناظِر[3]. [المنسرح]

يــا مَنْظَــرًا إنْ نَظــرْتُ بَهْجَتَــهُ أذْكَرَنِيــهِ لِجَنّــةِ الخُلْــدِ[4]
تُرْبَــةُ مِسْــكٍ وجَــوُّ عَنْــبَرَةٍ وغَيْــمُ وَرْدٍ وطَــشُّ مــاوَرْدِ
كأنّمــا جــائِلُ الحَبــابِ بــهِ[5] يلْعَــبُ في جانِبَيْــهِ بــالنَّرْدِ

---

(١) البيتان لكشاجم محمود بن الحسين من أهل الرملة بفلسطين، يصف مدينة حلب. الديوان، صفحة ١٩٩. وفيه: تجمع ما تشتهي.

(٢) البيتان لسيف الدين المشد. الديوان صفحة (٥٢-٥٣)، وفيه :

ورق تغنّت بجنـاتٍ رَتَعـنَ علـى عيدانهـا فأرتْنـا رقـص هيفـاء

وهما من قصيدة مطلعها:

يا فاتر اللحظ قد أضرمت أحشائي لـولاك مـا سـهرت بالليل عينـائي

(٣) الأبيات التالية في نفح الطيب ٦٤٤/١، نسبت إلى عبد الله بن السيد البطليوسي، قالها في مجلس الناعورة في المُنية، وفيه أيضاً ١٥٨/٤ منسوبة إلى ابن عائشة.

(٤) نفح الطيب: أذكرني حسن جنة الخلد.

(٥) نفح الطيب ١٥٨/٤: جائل.

٢٠ـ وادي العَرَّادِ[١]:

وافِرُ المَحاسِنِ والألطافِ، كامِلُ المَلاحَةِ والأوصافِ، تَسلْسلَ عارِضُ نَهرِهِ بِحواشِي الريحانِ، وتَرنَّمَ مُغَرِّدُهُ في ديوانِ خَمائِلِهِ بِتَوقِيعِ الألحانِ، تَعلّقتْ بأذيالِ الصَّبا أشطانُ أغصانِهِ، وخطَّ على مَهارِقِ الحدائِقِ رِقاعَ الزهورِ بِطُومارِ حسّانِهِ[٢]. [البسيط]

يا حُسْنَ ما قَلَمُ الأشعارِ خَطَّ على	تلكَ الرياضِ فلا يَسْلُوهُ إنسانُ[٣]
أقسَمْتُ بالمُصحَفِ السامي وأحْرُفِهِ	ما مَرَّ بالبالِ يومًا عنهُ سُلوانُ
ولا غُبارَ على تلكَ الرياضِ فَلِي[٤]	حِسابُ شَوقٍ لهُ في القلبِ ديوانُ

ونهرُهُ يُزعِجُ القلوبَ بِهَدِيرِهِ، لكنّهُ يُطرِبُ الأسماعَ بِخَريرِهِ، يَتدفّقُ بينَ تلكَ الحدائِقِ والشعابِ، كما انْهلّتْ بِعزّالِها[٥] مُعصِراتُ السحابِ، وأدواحُهُ خاشِعةٌ كأنّ على رُؤوسِها الطير، تَحْسَبُها للاسْتِكانَةِ في نادي زُهيرٍ[٦]. [الكامل]

هو مُلتقَى أرِجِ النسائِمِ فانْظُرا	هلْ تعرفانِ بهِ القَضِيبَ الأخْضَرا
وتَتوّجَتْ بالزّهْرِ هامُ هِضابِهِ	ذَهَبًا فقلّدَها نَداهُ جَوْهَرا

---

(١) وادي العرّاد: وادٍ سيلي في ناحية قدسيا، من ريف دمشق، يمتد من قرية رأس العين غرباً حتى بلدة الهامة شرقاً لينتهي في نهر بردى، وهو وادٍ تنتشر فيه أشجار الفواكه ذات الثمار، وأشجار الحور، وتنتشر عيون الماء العذب في هذا الوادي الجميل، منها عين الصفرا، وعين البيضا، ونبع العراد. المعجم الجغرافي ٤/٢٧٥.

(٢) الأبيات التالية لابن جابر في ذكر الأقلام السبعة. معاهد التنصيص ٣/١٥٣، نفح الطيب ٢/٦٨٢.

(٣) مصادر الشعر: ذاك الجبين فلا يسلوه.

(٤) مصادر الشعر: ولا غبار على حبّي فعندك لي.

(٥) العزالِ والعزالي: مفردها عزلاء: مصب الماء من أسفل الراوية والقربة.

(٦) وكأنه يعني بيت زهير بن أبي سلمى الوارد في ديوانه صفحة ٤٣:

وإنْ جئتهم ألفيت حول بيوتهم	مجالس قد يُشفى بأحلامها الجهلُ

وكأنّمــا طَــرِبَ الغَديــرُ فَمزَّقَــتْ عَــنْ صَدرِهِ النّكْبــاءُ بُــرْدًا أخْضَــرا[1]

٢١- وادي الشّرقِيّ:

وادي الشرقي، إنْ كانتِ الجنةُ في الأرضِ فهوَ هيَ لَعَمْرِيْ، قُصورٌ مِـنْ أدواح تحتَهـا الأنهارُ تَجـري، وحدائِـقُ تَغشَـى أنوارَهـا الأحـداق، وعِيانُهـا للخَبَرِ عنْهـا مِصْداق وأيُّ مِصْداق، وقدْ أحاطَتْ بها الأنهار، إحاطةَ الهالاتِ بالأقمار. [الطويل]

جِنــانٌ وأشـجارٌ تَلاقَــتْ غُصونُهــا فــأُوْقِرْنَ بالأثمــارِ والــورقِ الخُضْــرِ
وأنهــارُ مــاءٍ كالسّلاسِــلِ فُجِّــرَتْ لِـتُرضِعَ أولادَ الريــاحينِ والزَّهْــرِ[2]

فَما شِئْتَ منْ أنهارٍ ذاتِ انسجام، وأطيارٍ تَصدَحُ بأبْهَى تَغَرُّدٍ وترنام، وخمائِلَ تُهدي طِيبَ الأرْجِ والعَرْف، وَوُرودٍ تُـرَوِّحُ النفسَ وتُمَتِّعُ الطّـرف، ينســابُ فيهــا جَـداولٌ كالصِّلال، لا تكادُ تَرْمُقُهُم الشمسُ مِنْ تَكاثُفِ الظِّلال، تُبْصِرُ بكلِّ سَرْحَةٍ منهُ ظِلاًّ ضافِياً، ونَهرًا وافِياً، وطَيرًا يَصدَحُ على فَنَنٍ، فيَذْهَبُ بأثقالِ الهَمِّ والحَزَن. [الطويل]

١- ومــا هــاجَني إلاّ ابــنُ وَرْقــاءَ سُــحْرَةً علــى فَنَــنٍ بــينَ الجزيــرةِ والنهــرِ
٢- مُفَسْــتَقُ طَــوْقٍ لازَوَرْدِيٍّ كَلْكَــلٍ مُوَشَّى الطُّلى أحوَى القوائِمِ والظهرِ
٣- أدارَ علــى اليــاقوتِ أجفــانَ لُؤلُــؤٍ وصاغَ على الأجيادِ طَوْقًا مِنَ التِّبْرِ
٤- حديــدُ شَــبا المِنقــارِ دَاجٍ كأنّــهُ سَنا قَمَرٍ مِـنْ فِضّـةٍ مـدَّ مِـنْ حِـبْرِ
٥- توسَّــدَ مِــنْ تلــكَ الريــاضِ أريكَــةً ومـالَ على طَيِّ الجَناحِ مَعَ النَّحْـرِ[3]

---

(١) الأبيات لابن قلاقس. الديوان ١٠٥، وفيه: أرج النواسم.. القضيب الأنضرا.

(٢) البيتان لابن المعتز، يمدح المعتضد ويصف الثريا. الديوان ٤٧٨/١، وفي الأصول: فأورقن، والمثبت من الديوان.

(٣) الأبيات لعلي بن غالب بن حصن. المغرب في حلى المغرب ٢٤٦/١، مع اختلاف، وفي الأصل: غدا في طوق لازوردي، والمثبت من المغرب.

فصلٌ
في الأعيُنِ الكِبارِ الّتي تَجْرِي مَجْرَى الأنهارِ

وكلُّ واحدةٍ تكفَّلَتْ برياضٍ وحدائِق، فأظَلَّتها الأدواحُ منْ أفنانِها بِسُرادِق، وضَمَّتْها الأزاهرُ في حُجورِ رياضِها، فانسابَتْ كالصِّلالِ في خمائِلِ غِياضِها. [الكامل]

فَوُجوهُ هاتيكَ الرياضِ سَوافِرٌ غِيدٌ تُزانُ مِنَ المِياهِ بأعْيُنِ

١- عينُ الصاحِبِ[1]:

صَفا مَشْرَبُها على صَفحاتِ الصُّخورِ والأحجار، والْتَوَى ماؤُها الْتِواءَ فِضَّةِ السِّوار، وهيَ تَجري بينَ رياضٍ أشهَى منْ بُلوغِ الوَطَر، وأعذَبَ إلى النُّفوسِ منْ يومِ المَطر، ماءٌ عَذْب، يَسيحُ على اللُّؤلُؤِ الرَّطْب، وعليهِ طُيورٌ صَوادِح، تُضْرِمُ نارَ الأشواقِ في مَجامِرِ الجَوانِح، تَحمِلُها أغصانٌ يَعطِفُها النسيمُ بِرَقيقِ الأنفاسِ، فتَميلُ كأنَّها رَكْبٌ أمالَهُم سُكْرُ النُّعاسِ. [الطويل]

سقَى اللهُ عينَ الصاحِبِ العَذبُ ماؤُها تَسلْسَلَ في حَصْباءَ كاللُّؤلُؤِ الرَّطْبِ
وجَدْوَلَها المُنْسابَ كالأيْمِ مُسْرِعًا إذا ما الْتَوَى يَمْشِي إلى داخلِ السَّرْبِ

---

(١) عين الصاحب: نبع غزير، يتفجر من أرض قرية حلبون ذات العيون المائية الثرة الغزيرة، وهي من مذوب الثلج، باردة نقية، تسقي بساتين تلك القرية (وادي البساتين) وتمتد لتسقي بساتين القرى المجاورة وسكانها. منها معربا، وتقع شمال دمشق بـ ١١كم. انظر الريف السوري ١/٣٨٤.

٢ـ عينُ الخَضْراءِ[١]:

تَخرُجُ منْ ذَيلِ جَبلِ وادِيْها، مثلَ تَناثُرِ الدُّرِّ بوادِيْها، ثُمَّ يَحضُنُها مَهْدٌ مِنَ النباتِ الأخْضَرِ، بعدَ ما بَرِقَ صَفاؤُها منْ أجفانِ ذلكَ المَحْجَرِ، فَلِذا قِيلَ: الماءُ منْ صَفائِهِ، يَتلوَّنُ بلَونِ إنائِهِ. [الكامل]

قـدْ رَقَّ حتَّى ظُـنَّ قُرْصًـا مُفرغًـا ... مِـنْ فِضَّـةٍ في بُـردةٍ خَضـراءِ[٢]

يَتساهَمُها رِياضٌ تَجلُو صدأ النفوسِ، وتَفعَلُ في عَليلِ الجَوَى ما لا يَفْعَلُهُ طِبُّ جَالينوس. [الطويل]

نَسـائِمُها راقَـتْ ورَقَّـتْ شَـمائِلاً ... فَخِلْنا شَـمُولاً ثُـمَّ تَلْعَـبُ بـاللّبِّ

إذا نفَحـتْ هَبّاتُهـا وتَرقْرَقَـتْ ... تقـولُ هـيَ العَـذراءُ بالشَّـنَبِ العَـذْبِ

٣ـ عينُ سيَّافةٍ:

قامَتْ هيَ والعَرَّادُ بِميرَةِ رياضِ الهامَةِ، وانْحَدرَتْ إليها مِنْ رَبْوتِها كالمُسْتَهامَةِ، رياضٌ خَفقَتْ عليها أعلامُ الشَّجَرِ، وتَزركَشتْ تُربَتُها بِوَشْيِ الزَّهْـرِ، جَناتٌ ونَعيم، وماءٌ مِنْ تَسْنيم. [الكامل]

وكأنّمـا سَـكَنَ الأراقِـمُ جَوفَهـا ... مِـنْ عَهـدِ نُـوحٍ مُـدَّةَ الطّوفـانِ

فـإذا رأيْـنَ المـاءَ يَطفَـحُ نَضْنَضَـتْ ... مِـنْ كـلِّ خَـرْتٍ حَيَّـةٌ بِلِسـانِ[٣]

---

(١) عين الخضراء: نبع عذب غمير، يقع غرب قرية بسيمة وامتدادها (وهي على بعد ٢٢ كم من دمشق) على أقل من كيلو متر واحد منها، وهي مقصد المتنزهين لطيب هواء المنطقة وكثافة أشجارها، وخرير مياه بردى قربها. انظر الريف السوري ٢/٢٢٤، والمعجم الجغرافي ٤/٣٨٦.

(٢) البيت لابن خفاجة. الديوان صفحة ٣٥٦، وانظر نفح الطيب ٣/٢٠١.

(٣) البيتان لعلي بن حريق. المغرب في حلى المغرب ٢/٣٢٠، فوات الوفيات ٤/٣٢٠، نفح الطيب ٣/٤١١، ٤/٥٧.

٤- عينُ مَنين[١]:

هذهِ العَينُ التي تَغنّتْ بذِكْرِها الحُداة، وتَعطّـرَتْ بنَشْـرِ مَحاسِـنها أفـواهُ الـرُّواة، مـاءٌ كالقِنْدِ حَلاوةً، والطَّبَرْزَدِ لَذّةً وطَلاوَةً، طامِيةٌ أرجاؤُهُ، يبُوحُ بأسرارِهِ صَفاؤُهُ. [الطويل]

فَلِلّـهِ عَـينٌ لَمْ تـرَ العـينُ مِثلَهـا ... ولا تَلْتقِـي إلا بجَنّـاتِ رضـوان[٢]

تَجري بينَ أزاهرٍ كقِطَعِ المَعادِنِ، وتَختالُ أفنانُ رياضِها بينَ شادٍ وشادِنِ. [الطويل]

فَفِـي اللّـونِ بِلّـورٌ وفي اللّمْـعِ لُؤلُـؤٌ ... وفي الطِّيبِ قِنديدٌ[٣] وفي النَّفْعِ دِرْياقُ[٤]

تَنحدرُ منْ أرفَعِ مَكانٍ ومَحلّ، حتّى تَنسابَ انْسِيابَ الصِّـلّ، في حدائِـقِ التّـلّ، بـينَ بَهْجَةِ جَنباتٍ، وطِيْبِ نَفحاتٍ وَهبّاتٍ. [الوافر]

ألا للهِ عَـــينٌ في مَنـــين ... لَهـا مـاءٌ يَشـوقُكَ بـالخَرير
وقـدْ جَـرَّ النسـيمُ ذُيـولَ نَشْـرٍ ... لَنـا مِنْـهُ فَحَـدّثْ عـنْ جَريـرِ
فمَتِّـعْ مُقلَتَيْـكَ بِطِيْـبِ أرضٍ ... لَنـا مَـدّتْ بِسـاطًا مِـنْ حَريـرِ

٥- عينُ مُرجانَة:

هيَ في القريةِ الصّحيحةِ الهَوا، مُنتدَى أهلِ الخَلاعَةِ والهوَى، المزَّةُ الفَيْحاءُ ذاتُ الرّياحينِ، والفواكِهِ الّتي يُضْرَبُ المَثلُ منها بالعِنَبِ والتينِ، ومَوقِعُها بالسَّفْحِ قُربَ الرَّبوة،

---

(١) عين منين: عين ثرة غزيرة، في قرية منين من منطقة التل، يتدفق ماؤها من أسفل جبل العين، تجري مياهها نحو الجنوب ضمن وادٍ عميق، تنتشر فيه الأشجار بكثافة، حتى تشكل غياضاً جميلة رائعة في حسنها وجمال منظرها، وتنتهي مياهها في أراضي قرية برزة، التي أصبحت جزءاً من دمشق. المعجم الجغرافي ٣٦٥/٥.

(٢) البيت لعبد الرحمن بن محمد بن سعيد. نفح الطيب ٣٧١/٢.

(٣) القنديد: عسل قصب السكر إذا جمد. القاموس.

(٤) البيت للصنوبري. الديوان ٣٥٨.

وكمْ تَحدَّدَ في رياضِها لأهلِ الصَّبابةِ صَبْوَة، فهيَ - لَعَمْري - يَعجزُ عنْ وَصْفِ رَوضاتِها اللّبيب، ويقفُ عندَ حَصْرِ مَحاسنِها يَراعُ الأديب، مياهٌ تُطرِبُ الأسماعَ بخريرِها، وأطيارٌ تُرَوِّحُ الأرواحَ بِصَفيرِها، وقدْ نالَتْ منَ الشَّرَفِ أوفى بُغْيَة، حيثُ ضَمَّتْ تُربُها سيدَنا دِحْيَةَ[1]. [البسيط]

جئنا إلى المِزَّةِ الفَيْحاءِ فاكْتَسَبَتْ ... أخلاقُنا مَنْظَرًا مِنْ لُطفِها حَسَنا

لو لمْ يكُنْ تُربُها بالحُسْنِ مُتَّصِفًا ... لَما بِها دِحْيَةُ الكَلْبيُّ قدْ دُفِنا

وهَواها بالرِّقَّةِ مَوصُوف، وبطِيبِ الشَّميمِ مَعروف، يَتدرَّجُ إليها مِنْ قاسيونَ وسَفْحِه، فتَطيبُ ضَواحِيها مِنْ طِيْبِ نَفْحِه، وقدْ قالَ فيها المرحومُ الأستاذُ: [الخفيف]

١- قدْ دَعانا داعِي الهوَى نَحوَ مِزَّةْ ... قريةٍ تِينُها حَلا وهيَ مَزَّةْ

٢- كلّما هبَّتِ النسائمُ فيها ... أخذَتْ مِعْطَفَ الحدائِقِ هِزَّةْ

٣- قدْ أتَيْنا معَ الصّحابِ إلَيْها ... بِقُلوبٍ مِنَ الهوَى مُسْتَنفِزَّةْ

٤- وسَمِعْنا الطيورَ في الدَّوحِ غَنَّتْ ... فأذلَّتْ دَمعَ العيونِ الأعِزَّةْ

٥- وصَفا في الرياضِ جَدولُ ماءٍ ... ونَسيمُ الصَّبا يُجَعِّدُ خَزَّةْ

٦- وجميعُ البلادِ وحدةُ عَينٍ ... وهيَ شامٌ على السَّوَى وهيَ عِزَّةْ

---

(١) دحية بن خليفة الكلبي صحابي، بعثه رسول الله ﷺ برسالته إلى قيصر. كان جميلاً مهيباً، نزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ بصورته، وقبره ما زال قائماً بالمزة.

٦ـ عينُ الكرشِ[١]:

مَنشَؤُها منْ جَوفِ الرياضِ، ومَسكَنُها بينَ الحدائِقِ والغِياضِ، تَجري بينَ دَساكِرٍ وقُصورٍ، وقِبابٍ منَ الدّوحِ قَناديلُها الزُّهور، كأنّ عُيونَ أنوارِها تُناجيك، وثِمارُها الدانيةُ لاقتِطافِها تُناديك، لو رآها ابنُ عَبّادٍ لَما أجالَ في الزهراءِ طَرْفَه، ولا أسْرَجَ للتفرّجِ في مُنتزَهاتِها طُرفَة، ماءٌ يترقْرقُ سَلسالُه، قدْ فاضَ على مَغاني اللّهوِ جِريالُه. [الكامل]

انظُرْ إلى الأغصانِ في أدواحِها ... والريحُ تَزْمُرُ والطيورُ تُغَرّدُ

حارَتْ عُقولُ الناسِ في إبْداعِها ... ألِسُكْرِها أمْ شُكْرِها تَتأَوَّدُ

فتَقولُ أصحابُ البَطالةِ: تَنْثَني ... وتقولُ أربابُ الحقيقةِ: تَسْجُدُ[٢]

٧ـ عينُ الورّاقةِ[٣]:

اتّخذَها أهلُ الشامِ لِعلاجِ المَرْضَى، وقدْ جَعلوا ذلكَ عليهم فَرْضاً، لِعُذوبةِ مائِها ولَطافَتِهِ، وصَفاءِ جَوهرِهِ ونَظافتِهِ، والحدائِقُ بِها مُحدِقَة، وشُموسُ الأُنْسِ مِنْ رياضِها مُشْرِقَة. [الخفيف]

قدْ زكا عَرْفُ طِيبِها فَحَسِبْنا ... نَفْحَةً قدْ سَرَتْ مِنَ الفِردوسِ

وتَغنّى مُبَهْرَمُ الكَفِّ فِيها ... بِغِناءٍ يَشُوقُ شَجْوَ النفوسِ

---

(١) عين الكرش: يطلق اليوم على حي سكني في دمشق، نسبة إلى عين الماء التي ذكرها المؤلف، حيث كانت المنطقة منطقة بساتين وغياض وأراض زراعية في ظاهر دمشق في ذاك الزمان، والحي يقع بين سوق صاروجا ومنطقة المزرعة. انظر مخطط الصالحية لدهمان.

(٢) البيتان ٢ و ٣ في الإحاطة ٣/٥٢٠ لعبد الرحمن بن يخلفتن، من قصيدة قالها شكراً لله على غيث جاء بعد قحط.

(٣) عين الوراقة: جدول ماء، كان في الشرف الأعلى إلى الجنوب من المدرسة العزّية (قبالة مدرسة التجهيز الأولى) على الطرف الشمالي لشارع بيروت. معجم دمشق ٢/٩٢.

كَـمْ أَتَيْنـا مُسَلِّمينَ فَـرَدّتْ   هِيَـفُ باناتِها بِخَفْضِ الرُّؤوسِ
قُـمْ نُجَـدِّدْ عُهودَنـا يـا بـنَ أُنْسِـي   في رُباهـا فـأَنْتَ خَـيْرُ جَلِيـسِ[1]

٨- عينُ الزَّيْنَبيّةِ[2]:

مَكْرَعُ نَميرٍ زُلالٍ، يَسرحُ بينَ خُضْرِ نَباتٍ وسُمْرِ ظِلالٍ، ماءٌ عذب، صافي السريرةِ والقلب، ينسابُ بينَ حِلَى أزاهر، وغناءُ طَيْرٍ أطرَبُ منْ رنّاتِ المَزاهِر، والقُضبُ كالأحبابِ في إيناسِها، تسعَى بينَهُم الصَّبا بنَميمَةِ أنفاسِها. [الخفيف]

فـتَرَى الزهـرَ يَرقُـمُ الأرضَ رَقْمًـا   وتـرَى الريـحَ تَنْقُـشُ المـاءَ نَقْشـا
فكـأنَّ المِيـاهَ سَـيفٌ صَقيـلٌ   وكـأنّ الريـاضَ غِمْـدٌ مُوشَّـى
مَنظَـرٌ يَمْـلأُ النّواظِـرَ نُـورًا   قـدْ غَـدا عِبْرَةً لِمَـنْ كـانَ يَخْشَـى[3]

٩- عينُ الشَّرْشِ[4]:

هيَ في رَوْضٍ جادَ طِرازُهُ، وتَساوَتْ في البَصرِ حقيقتُهُ ومجازُهُ، أتقَنَ وَشْيَهُ راقِمُهُ، وانْسلَّتْ بينَ أدواحِهِ أراقِمُهُ، هو مُنتدَى اللّهوِ والخَلاعَةِ، ومَثْوَى أهلِ الظّرفِ والبراعَةِ، ومَجْمَعُ إخوانِ الصَّفا، ودارُ الإخاءِ والوَفا، فهوَ أَنْضَرُ منْ باكورَةِ الشبابِ، وأعذبُ منْ بَرْدِ رِضابِ الأحبابِ، بعدَ طيٍّ بِساطِ العِتابِ. [الخفيف]

---

(١) الأبيات لإبراهيم بن محمد السفرجلاني. نفحة الريحانة ١/٤٨٦، سلك الدرر ١/٢٢.

(٢) الزينبية: هي اليوم حي سكني في منطقة القصاع من مدينة دمشق، وهو مدخل المدينة من جهة الغوطة الشرقية. وعين الزينبية موقعها اليوم مكان محطة وقود عبد الله ديوانه في ساحة العباسيين. (المصدر: حديث مع العالم بالمنطقة الشيخ المعمّر أحمد الفضل عيد).

(٣) البيتان الأولان في الإحاطة ١/٢٥١، وهما لأحمد بن علي ابن خاتمة الأنصاري.

(٤) عين الشرش: في حارة الشرش، شرقي محلة القرائين (قرب باب توما). معجم دمشق ١/١٦١.

فَتشَمَّرْ واخلَعْ عِذارَكَ للرو ... ضِ بقلْبٍ لِمَنْ تُحِبُّ مُطيعِ
واسْتمِعْ صوتَ بُلبُلٍ وهَزارٍ ... يَتغنَّى برائِقِ التَّسْجيعِ
هذهِ لذّةُ الحَياةِ وهذا ... مُقتضَى الوقتِ جاءَ بالتوقيعِ

١٠- عينُ الدُّقّيَةِ:

تَحُفُّها مُروجٌ وعيون، ورياضٌ تحارُ في رَونَقِها العيون، في الوادي الشّرقِيِّ مَخرَجُها، وبينَ خَمائِلِ روضاتِهِ زَبْرَجُها. [الكامل]

عَذُبَتْ فمَا نَدري أماءٌ ماؤُها ... عندَ المَذاقَةِ أم رَحيقٌ سَلْسَلُ[1]

وهيَ تَرْصُفُ في تلكَ المرجةِ الخَضْرا، فتَنفَحُ ما حولَها منَ الأزاهرِ منْ كَمائِمها عِطراً. [الطويل]

ومَرْجاءَ في وادٍ يَروقُكَ وَصْفُها ... ولاسِيَّما إنْ جادَ غَيْثٌ مُبَكِّرُ
بها فاضَ ماءٌ منْ لُجينٍ كأنّهُ ... صَفائِحُ أضْحَتْ بالنّجومِ تُسَمَّرُ
تُلاحِظُها عينٌ تَفيضُ بِأدْمُعٍ ... يُرقرِقُها منهُ هنالكَ مَحْجَرُ[2]

١١- عينُ قَرْقُوزٍ[3]:

تَتجرَّدُ منْ غِمْدِها عندَ جِسْرِ الغَيْضَة، وكمْ سَكِرَ بكأسِ رَحيقِها حَديقةٌ وغَيْضَة، طفحَ ماؤُها وتَدفّقَ، وتَوشّحَ غُصنُ رياضِها بالزّهرِ وتَمنْطَقَ، وجرَى جَدولُها مُهرْولاً، وانسابَ في خَمائِلِهِ مُتسلسِلاً. [الكامل]

---

(١) البيت للقاضي التنوخي. يتيمة الدهر ٢/٣٩٩.

(٢) البيتان ١ و ٣ لعبد الله بن عبد الظاهر الجذامي المصري. الوافي بالوفيات ١٧/٢٨٥، وفيه: وبطحاء في واد يروقك روضها.

(٣) قرب جسر الغيضة كما ذكر المؤلف، انظر الحاشية (١) صفحة ١٥٥.

مُتسلسِـــلٌ وكأنَـــه لِصفائِــــهِ دمـعٌ بِخـدّي كـاعِبٍ يَتسلسَـــلُ

وإذا الريـاحُ جَرَيْـنَ فـوقَ مُتونِـــهِ فكأنّـــهُ دِرْعٌ جَلاهـــا صَيْقَـــلُ[1]

والأدواحُ تُحَيِّيها النسائِمُ فَتدْنو إليه، تُشيرُ بِبَنانِ الأفنانِ مُسلِّمةً عليه، والطيرُ بينَ مُصْطَخِبٍ وفاقدٍ، وعاكفٍ في غُصْنِهِ تحتَ ظِلالِ الغَراقِدِ. [الكامل]

١- رَقَمَـتْ بزَهـرٍ يـانِعٍ جَنباتُهـا كالوَشْـيِ في الدّيباجَـةِ الخَضـراءِ

٢- مِسْـكِيّةٌ أنفاسُـهُ فكأنّمـا هبَّـتْ نَسـائِمُها بِنَشـرِ كِبـاءِ[2]

٣- تَسْـري بِهـا ريـحُ الشـمالِ عَليلـةً فَتحُـضُّ مَوتَـى الهَـمِّ بالإحيـاءِ

٤- وتَجـرُّ أذيـالاً هنـاكَ بَليلَـةً تَنْـدَى لِمَـسِّ دَرانِـكٍ[3] الأفيـاءِ

٥- مـا بـينَ نَغْمَـةِ مَنطِـقٍ بِبَنانِـهِ الـ ـوتَـرُ الفَصيـحُ ورنّـةُ الوَرْقـاءِ

٦- ومُغـرِّدٍ فيـهِ اشْـتياقُ مُتيَّـمٍ يَشْـدو بأشْـجَى مَنْطِـقٍ وغِنـاءِ[4]

١٢- عينُ أقلايا[5]:

ما عَسايَ أنْ أقولَ فيها ودونَ الغايةِ عَجْزٌ فاضِح، وما أغنَى الشمسَ عنْ مدحِ المادحِ، تَرقرقَ ماؤُها على مُروجِهِ وتَسلسل، وصَفا في مَجاري حدائِقهِ صفاءُ السَّجَنْجَل[6]،

---

(١) البيتان للقاضي التنوخي. يتيمة الدهر ٢/٣٩٩.

(٢) الكِباء: عود البخور. القاموس.

(٣) تقدم شرح كلمة (درانك) في الصفحة (٢٠٢) الحاشية (٣).

(٤) القصيدة لأحمد الكيواني. الديوان ٣٧.

(٥) عين أقلايا: تنبع من أراضي قرية المحمدية في الغوطة الشرقية، قرب قرية حسرين، فتسقي بعض قرى المرج. غوطة دمشق، لمحمد كرد علي، صفحة ٩٦.

(٦) السجنجل: المرآة.

ورياضُهُ قدْ نظمَ الزهرُ جَواهرَهُ في أجيادِها، وابتسَمتْ ثُغورُ كَمائِمِها بِصَوْبِ عِهادِها.

[الكامل]

أنَّى نَسختَ بلحظِ عَينِكَ لا تَرَى ... إلاّ غَديرًا جالَ فيهِ الماءُ

وتَرَى بنفسِكَ غِرَّةً في دَوْحِهِ ... إذْ فوقَ رأسِكَ حيثُ سِرْتَ لِواءُ

١٣- عينُ حَرُّوشٍ[١]:

تَنسابُ بينَ سَباسِبٍ ورِياضٍ، وتَجري في مَساحِي خَمائِلٍ وغِياضٍ، تَجلو صَدأَ القلوبِ بِصَيْقَلِها، وتَخُطُّ دائِرَةَ المَسرَّةِ بِبركارِ جَدْوَلِها، وتُحرِّرُ وَفقَ الأُنْسِ على بَسيطِ مُروجِها، وتَرصدُ شمسَ الصَّفا في زاهِي بُروجِها، والطيرُ مُشترِي تلكَ المَسرّاتِ بِزَهرةِ غِنائِهِ، مُحيطٌ عليها بِخَطِّ اسْتِوائِهِ. [الطويل]

كأنَّ ظِلالَ القُضْبِ فوقَ غَديرِها ... إذا اضْطرَبَتْ تحتَ الرِّياحِ أراقِمُ

كأنَّ غِناءَ الطيرِ ألحانُ مَعبَدٍ ... إذا رَقصَتْ تلكَ القُدودُ النّواعِمُ

كأنَّ ثِمارًا في غُصونٍ تَوسْوَسَتْ ... لِعارِضِ خَفّاقِ النسيمِ تَمائِمُ

كأنَّ القُطوفَ الدانِياتِ مَواهِبٌ ... ففي كلِّ غُصنٍ ماسَ في الدَّوحِ خاتِمُ[٢]

❁ ❁ ❁

---

(١) عين حروش أو حاروش: تنبع من أرض زبدين، فيتكون منها قناة تسقي عدة قرى في المرج، وهي في حقيقتها رشح من ماء بردى. غوطة دمشق، لمحمد كرد علي، صفحة ٩٦.

(٢) الأبيات لعفيف الدين التلمساني. الوافي بالوفيات ١٥/٤١٣، فوات الوفيات ٢/٧٥.

تَذْييلٌ

وعلى ذِكْرِ المياهِ، فَلْنَذْكُرْ نُبْذَةً، وإنْ كانَ فيها بَعضُ الطُّولِ، فالبَديعُ غيرُ مَمْلُولٍ.

اعلَمْ أنّ العربَ تَستَعيرُ في كلامِها الماءَ، لِكُلِّ ما يَحْسُنُ مَنْظرُهُ ومَوقِعُهُ، ويَعْظُمُ قَدْرُهُ ومَحلُّهُ، فتقولُ: ماءُ الوجْهِ، وماءُ الشبابِ، وماءُ الحياةِ، وماءُ النّعيمِ، كما تَستعيرُ الاستسقاءَ في طَلبِ الخيرِ.

❁ ومّما اسْتُعِيرَ لهُ **ماءُ الوجهِ**، وهوَ عِبارةٌ عنِ الحالِ الذي هو أفضلُ منَ الماءِ، قولُ أبي تَمامٍ[1]: [من البسيط]

ومـا أُبالِي وخَيرُ القَولِ أصْدَقُهُ　　حَقَنْتَ لي ماءَ وَجْهِي أمْ حَقَنْتَ دَمِي

❁ ومِمّا أُرِيدَ بهِ **رَوْنَقُ الحُسْنِ**، كَقولِ ابنِ المُعتزِّ[2]: [من الخفيف]

لمْ تَرِدْ ماءَ وَجْهِكَ العَينُ إلاّ　　شَرِقَتْ قَبْلَ رِيِّها بِرَقِيبِ

❁ ومِنهُ **ماءُ الشِّعرِ والكلامِ**، كَقولِ أبي تمّامٍ[3]: [من الوافر]

وكيفَ ولمْ يَزلْ لِلشِّعْرِ ماءٌ　　يَرُفُّ عليهِ رَيحانُ القلوبِ[4]

(١) ديوان أبي تمام ٣/٢١٨.

(٢) ديوان ابن المعتز ١/٣١٤.

(٣) ديوان أبي تمام ٤/٣١٥.

(٤) في (أ): عليه يرف.

❁ ومِنهُ **ماءُ الشبابِ وماءُ الحُسْنِ**، وقدْ أكثروا مِنَ التّصرّفِ فيهما؛ قالَ أبو مُحمدٍ الفياض[1]: [من الوافر]

وما بَقِيَتْ مِنَ اللّذاتِ إلاّ مُحادَثَةُ الكِرامِ على الشَّرابِ
ولَثْمُكَ وَجْنَتَيْ قَمَرٍ مُنِيرٍ يَجُولُ بِخَدِّهِ ماءُ الشبابِ

وأحسنُ ما قيلَ في الحُسْنِ قولُ ابنِ المُعتزِّ[2]: [من مجزوء الرمل]

ويَكادُ البَدْرُ يُشْبِهُهُ وتَكادُ الشمسُ تَحكِيهِ
كيفَ لا يَخضَرُّ شارِبُهُ ومِياهُ الحُسْنِ تَسْقِيهِ

❁ ومِنهُ **ماءُ النّضارَةِ والنّدَى والبِشْرِ**، قالَ بَعضُهم: [من الطويل]

يَجولُ بهِ ماءُ النّضارةِ والنّدَى كما جالَ ماءُ البِشْرِ في وَجْهِ قادِمِ[3]

❁ ومِنهُ **ماءُ النّدَى والكَرمِ والنّوالِ والجُودِ**، قالَ العَتّابي[4]: [من الطويل]

أأَتْرَبُ مِنْ جَدْبِ المَحْلِ وضَنْكِهِ[5] وكَفّاكَ مِنْ ماءِ النّدَى تَكِفَانِ

---

(١) هو عبد الله بن عمرو بن محمد الفياض، أبو محمد، كاتب سيف الدولة ونديمه، والبيتان في ثمار القلوب ٨١٢/٢، ويتيمة الدهر ١٣٠/١.

(٢) ديوان ابن المعتز ٤٤٠/١.

(٣) البيت لابن خفاجة. الديوان، صفحة ٧٨.

(٤) ثمار القلوب ٨١٣/٢، والعتابي هو كلثوم بن عمرو التغلبي شاعر محسن، وكاتب مجيد، له جملة كتب. صحب البرامكة. انظر تاريخ بغداد ٤٨٨/١٢، ومعجم الأدباء ٢٢٤٣/٥.

(٥) في ثمار القلوب: أتتركني حدب المحلّة ضنكها.

وقالَ البُحتُريُّ[1]: [من الطويل]

وما أنا إلاّ غَرْسُ نِعْمَتِكَ الّتي أَفَضْتَ لهُ ماءَ النَّوالِ فأوْرَقا

وقالَ[2]: [من الوافر]

وَوجْهٍ سالَ ماءُ الجُودِ فيهِ على العِرْنِينِ والخَدِّ الأسِيلِ

❁ ومِنهُ ماءُ **البَشاشةِ**، قالَ أبو العَتاهِيةِ[3]: [من الطويل]

ليالِيَ تُدْنِي مِنكَ بالقُربِ مَجْلِسي وَوجهُكَ مِنْ ماءِ البَشاشَةِ يَقْطُرُ

❁ ومِنهُ ماءُ **الظَّرْفِ**، في قولِ الصاحِبِ بنِ عبَّادٍ[4]: [من الرجز]

وشادِنٍ أحْسَنَ في إسْعافِهِ يَقطُرُ ماءُ الظُّرفِ مِنْ أطْرافِهِ

❁ ومِنهُ ماءُ **الودِّ**، في قولِ الشريفِ الرّضيِّ[5]: [من الطويل]

تَرقرَقَ ماءُ الودِّ بَيْنِي وَبينَهُ وطاحَ القذَى عنْ سَلْسَلِ الطَّعْمِ رائِقِ

❁ ومِنهُ ماءُ **النعيمِ**، في قولِ بَعضِهم في مُزَيِّنٍ[6]: [من المتقارب]

إذا لَمَعَ البرقُ في كَفِّهِ أفاضَ على الرأسِ ماءَ النعيمِ

---

(1) ديوان البحتري ١٥٠٧/٣، وبه: وما أنا إلا غرسك الأول الذي.

(2) ديوان البحتري ١٧٣٨/٣، وفيه: ووجهٌ رق ماء الجود فيه.

(3) ديوان أبي العتاهية ٥٣٤.

(4) ديوان الصاحب ٢٤٨، ثمار القلوب ٨١٤/٢، وفيهما: من أعطافه.

(5) ديوان الشريف الرضي ٦٦/٢، وفيه: تروّق ماء...

(6) البيت للسري الرفاء. الديوان ٢٤٧.

❁ ومِنهُ **ماءُ المُنَى** في قولِ الشريفِ الرّضيِّ[1]: [من الكامل]

فاسْـمَحْ بِفعْلِـكَ بعـدَ قولِـكَ إنّـهُ لا يُحْمَـدُ الوَسْـمِيُّ إلاّ بِـالْوَلِي
فلَعلّنـا نَمتـاحُ إنْ لمْ نَغْـتَرِفْ مـاءَ المُنَـى ونُعَـلُّ إنْ لمْ نَنْهَـلِ

وأمثالُهُ مما يَقطُرُ منهُ ماءُ البَراعَة، كثيرٌ اكتَفيْنا منهُ بِجرْعَة.



(١) ديوان الشريف الرضي ٢/١١٧.

فَصلٌ

ولّما مدحَ شُعراءُ الأندلُسِ قُطرَهُم البَديع، بِموشَّحاتٍ(١) هيَ أزهَى وأنضَرُ منْ وَشْيِ الربيع، ووَصفوا مَعالِمَها ومَحاسِنَها بِأبدَعِ لَفظٍ وأعذَبِ عِبارَة، ووَسموا تلكَ المُوشَّحاتِ

---

(١) ١ ـ لما أفرد مؤلف الكتاب فصلاً كاملاً عن الموشح، أجد لزاماً عليّ التعريف به تعريفاً مفصلاً، فأقول مشجّراً للموشح الأول:

	١ـ المطلع أو المذهب	في رياض الشام لطف وصفا	وسرور طارد للحزن
		وبصفو من لها قد وصفا	صادق في وصفه لم يمن
٥ـ البيت	٢ـ الدور	حبذا المرجة ذات الشرفين	صادت الناس بصدر الباز
		حيث فيها النهر زاهي الطرفين	وهو يجري بسواها هازي
		ناظرانا ليس بالمنصرفين	عن رباها بهجة المجتاز
	٤ـ القفل	قنوات ماؤها قد وكفا	وعليها بان يأس المحن
		بردى الرائق حسبي وكفا	يا صفا سلسله العذب الهني

في رياض الشام لطف وصفا	٦ ـ غصن	وسرور طارد للحزن	٦ ـ غصن	
وبصفو من لها قد وصفا	٦ ـ غصن	صادق في وصفه لم يمن	٦ ـ غصن	
حبذا المرجة ذات الشرفين		صادت الناس بصدر الباز	٣ ـ سمط	
حيث فيها النهر زاهي الطرفين		وهو يجري بسواها هازي	٣ ـ سمط	
ناظرانا ليس بالمنصرفين		عن رباها بهجة المجتاز	٣ ـ سمط	
قنوات ماؤها قد وكفا	٦ ـ غصن	وعليها بان يأس المحن	ـ غصن	
بردى الرائق حسبي وكفا	٦ ـ غصن	يا صفا سلساله العذب الهني	ـ غصن	اللازمة

٧ ـ الخرجة: وهي قوله في آخر بيت في الموشح (١٥) صفحة: ٢٥٢.

وأحاذي باتضاعي شرفاً ... عالياً فوق ذرى المجد بني

بالكَواكِبِ السبْعةِ السّيارَة، انتُدِبَ لِمُباراتِهم مِنَ الشامِ رِجالٌ وأيُّ رِجال! ونَظموا في جلِّقِهِم ما يُزْري بعُقودِ اللآل، شَبَّبوا بذِكْرِ رياضِها الّتي تَسْتَوقِفُ الناظِر، ووَصفوا مُنتَزهاتِها الّتي تُفْحِمُ المُناظِر، فَمنْ ذلكَ:

١- **المطلع أو المذهب**: اصطلاح يطلق على مطلع الموشحة ويتكون عادة من شطرين أو أربعة (وهنا أربعة)، وقد تختلف القافيتان (وصفا - للحزن. وصفا - يمن) وقد تتفقان.

وموشحنا قد بدأ بمطلع، وهو القفل الأول فيُسمّى (التام). وإذا لم يبدأ به فهو أقرع.

٢- **الدَّوْر**: وهو ما يأتي بعد المطلع في الموشح التام، ويتكون الدور من مجموعة من الأقسمة لا تقل عن ثلاثة، وقد تزيد على ثلاثة شريطة أن تُكرر بالعدد نفسه في بقية أدوار الموشحة. وأن تكون من وزن المطلع، ولكن بقافية تختلف عن قافيته، إضافةً إلى ذلك فإن أقسمة الدور الواحد تكون على قافية واحدة.

٣- **السمط**: اسم لكل شطر من أشطر الدور (وقد يكون السمط مكوناً من جزء واحد، وقد يكون مؤلفاً من جزأين كما هو الحال هنا) ولا يقل عدد الأسماط في الموشح عن ثلاثة، وقد يزيد إلى أي عدد يرتئيه الوشاح، ويشترط في قوافي الأسماط في كل دور أن تكون على روي واحد، ويلتزم بعدد الأسماط في كل أدوار الموشحة، ويُسمّى السمط مفرداً إن كان مؤلّفاً من جزء واحد، ومركّباً إن كان من جزأين (كما هو الحال هنا).

٤- **القفل**: هو ما يلي الدور مباشرة، ويُسمّى أيضاً (مركزاً). وهو شبيه بالمطلع في الموشح التام وزناً وقافية وعدد أجزاء.

٥- **البيت**: وهو في الموشحة غيره في القصيدة، ففي الموشحة البيت هو الدور مع القفل الذي يليه.

٦- **الغصن**: هو كل شطر من أشطر المطلع أو القفل أو الخرجه. وتتساوى الأغصان عدداً وترتيباً وقافية في كل الموشحة. وقد يكون الغصنان من قافيتين مختلفتين (وصفا - للحزن) وقد تتفق قوافيها.

٧- **الخرجة**: اسم لآخر قفل في الموشحة. والفرق بين القفل والخرجة أن القفل غير ملتزم به في المطلع إذ يأتي الموشح أقرع، والخرجة تشبه القفل في كل شيء إلا أنها تأتي في نهاية الموشحة، ويجب وجودها.

انظر معجم مصطلحات العروض والقافية ٢٩١-٢٩٧.

[الموشح الأول]

مُوشّحُ سَيدي المرحومِ **الشيخِ عبد الغنيِّ**، قُدِّسَ سِرُّهُ:

في رياضِ الشامِ لُطْفٌ وصَفا ... وسُرورٌ طارِدٌ لِلْحَزَنِ
وبِصَفْوِ مَنْ لَها قَدْ وصَفا ... صادِقٌ في وَصْفِهِ لَمْ يَمُنِ

١ـ دَور:

حبّذا المَرجَةُ ذاتُ الشّرَفينِ ... صادَتِ الناسَ بِصَدْرِ البازِ
حيثُ فيها النهرُ زاهِي الطّرَفينِ ... وهوَ يَجْري، بِسِواها هازي
ناظِرانا ليسَ بالمُنْصَرِفَيْنِ ... عنْ رُباها بَهجةِ المُجْتازِ
قَنواتٌ، ماؤُها قدْ وَكَفا ... وعليها بانَ يَأْسُ المِحَنِ
بَردَى الوائِقُ حَسْبي وكَفى ... يا صَفا سلسالِهِ العَذْبِ الهَنِي

٢ـ دَور:

قُمْ إلى الرّبوةِ والمِنْشارِ ... وتَنشَّقْ طِيْبَ ذاكَ الوادِي
ومِياهُ السّبعةِ الأنهارِ ... جارياتٌ لارتِواءِ الصّادِي
والبساتينُ أُلُو الأزهارِ ... نَفْحُها المِسْكِيُّ فِيها بادِي
رَوضُها أزهَرُ وَجْهًا وقَفا ... كادَتِ الأرضُ بهِ لَمْ تَبِنِ
كلُّ مَنْ مَرَّ عليها وقَفا ... يتمنّاهُ كَحُبِّ الوطنِ

٣ـ دَور:

والحَواكيرُ الّتي قدْ نفَحتْ ... في زُهورِ الياسَمينِ البَهَجِ

ورِيـــاضُ الزَّهـــرِ فيهـــا فتّحـــتْ أعْيُـــنَ الـــوَرْدِ بِطيْـــبِ الأرجِ
وزِنـــادُ البُسْـــطِ فيهـــا قَدحَـــتْ للّـــذي يَقْـــرَعُ بـــابَ الفَـــرَجِ
وعَـــلا الخَـــيرُ عليـــهِ وطَفـــا وهـــوَ غَرْقـــانُ بِبَحْـــرِ المِنَـــنِ
ولِحـــاظُ الغِيـــدِ تَزْهـــو وَطْفـــا حَـــيَّرَتْ أعْيُـــنَ حـــورِ عَـــدنِ

٤- دَور:

يـــا نَسِـــيمًا فائحًـــا بِالنَّـــيرَبِ بـــينَ هـــاتيكَ الرّوابـــي والريـــاضْ
عَهدُنـــا المـــاضي بِوَصْـــلِ الرَّبْـــرَبِ مـــا لَنـــا عنـــهُ وإنْ فـــاتَ اعْتِيـــاضْ
شَـــرْقِي يـــا صَبْوَتِـــي أو غَرْبِـــي نحـــنُ مَرضَـــى أعـــينِ الغِيـــدِ المِـــراضْ
طالَمـــا قلبِـــي عليهـــا وجَفـــا خافِقًـــا مـــنْ خَفْـــقِ قُـــرْطٍ مُثمـــنِ
ذُبْـــتُ وا وَيْـــلاهُ هَجْـــرًا وجَفـــا لَيْـــتَ لـــو فَـــكَّ أسِـــيرَ الشَّـــجَنِ

٥- دَور:

وبقاسُـــونَ وسَـــفحِ الجَبـــلِ وسَـــواقي المـــاءِ مـــنْ نهـــرِ يَزيـــدْ
كـــمْ ضَريـــحٍ لِنَبِـــيٍّ وَولِـــيّ صـــارَ منـــهُ النُّـــورُ يَبْـــدو ويَزيـــدْ
والفتَـــى يُـــدْرِكُ كُـــلَّ الأمَـــلِ دائِمًـــا في ظِلِّـــهِ ذاكَ المَدِيـــدْ
والأسَـــى والهَـــمُّ عنـــهُ صُرِفـــا وهـــوَ بـــالأفراحِ في عَيْـــشٍ سَـــنِي
ولِـــدُرِّ الأُنْـــسِ أضْحَـــى صَدَفـــا في بِحـــارِ البَسْـــطِ كـــالمُرْتَهِنِ

٦- دَورٌ:

يـــا سـقَى الـــوادي بِشَـــرقيِّ البـــلادِ صَـــوْبُ مُـــزْنٍ في رُبـــاهُ يَهطِـــلُ

كَـمْ بـِهِ مِـنْ نُزْهَـةٍ فـوقَ المُـرادِ   رَقَـصَ الغُصـنُ وغنَّـى البلبُـلُ
وجـرَى النهـرُ لديـهِ بـامتِداد   حولَـهُ النَّبـتُ الأغَـضُّ الأخْضَـرُ
لَـوْ عَـلا فـوقَ خيَـالٍ لَطفَـا   رِقّـةً جالِبَـةً لِلْفِطَـنِ
وبِمَـنْ يَجلِـسُ فيـهِ لطُفَـا   كـلّ حـينٍ تحـتَ ظِـلِّ الفَنَـنِ

٧ـ دَور:

هـذِهِ الشـامُ وفي جامِعِهـا   للقَنـاديلِ ثُريّـاتٌ تَلـوحْ
كنُجـومٍ في ذُرَى طالِعِهـا   مُبْهِـراتٍ كُـلَّ ذي عَقْـلٍ ورُوحْ
وعَـروسُ الحُسْـنِ في شـارِعِها   ما لَهـا عـنْ طَـرَبِ السَّـمعِ نُـزوحْ
قُـلْ لِـذاكَ الصَّحـنِ منـهُ أَسَـفا   وَيْحَـكَ الهـمَّ عـنِ المُمْتَحَـنِ
وإذا فـاتَ عليـهِ أَسِـفا   زادَ بـينَ النـاسِ طُـولُ الزّمَـنِ

٨ـ دَور:

طَلَـعَ البَـدْرُ علينـا طَلْعـا   وهـوَ في قامَتِـهِ فـوقَ قَضيـبْ
طَرْفُـهُ الصّـارِمُ قلـبي قَطَعـا   مَـنْ تُـرَى يُنْصِفُنِـي في ذا الحَبيـبْ
خَـدُّهُ الـوَرْديُّ إذا مـا امْتَنعـا   عَقْـربُ الصِّـدْغِ لـهُ فيـهِ دَبِيـبْ
قـدْ جَنـاهُ نـاظِرِيْ واقْتَطَفـا   يـا لـهُ مِـنْ وَرْدِ بُسـتانٍ جَنِـي
والحَيـا مِثـلُ النَّـدَى وقـتَ طَفـا   فوقَـهُ ذابَ اصْطِبـاري وفَنِـي

٩ـ دَور:

يـا أخِلاّئـي فُـؤادِي في الْتِهـاب   في هـوَى الأهْيَـفِ ذي الخَـدِّ الأسِيلْ

وا عَذابي مِنْ ثَناياهُ العِذاب   تركَتْ دَمْعِيَ في العَينِ يَسِيلْ
وإلى كَمْ نحنُ بالحُسْنِ المُهاب   كالأسارَى في يَدِ الظَّبْيِ الكَحِيلْ
لَوْ رآهُ صَلْدُ هَجرٍ لَهَفا   نَحوَهُ مِنْ نُورِ وَجْهٍ حَسَنِ
ذابَ فيهِ القلبُ مِنّي لَهَفا   لَيْتَهُ بالوَصْلِ لَوْ يَرْحَمُني

١٠- دَور:

يلعبُ السالفُ في وَجْنَتِهِ   أسودٌ في روضِ وَرْدٍ أحمرِ
ويَغارُ الظَّبْيُ مِنْ لَفْتَتِهِ   أسمرٌ صالَ بقَدٍّ أسْمرِ
كلُّ شمسٍ في ضِيا بَهْجَتِهِ   تَختفِي مَعْ كلِّ بَدْرٍ مُقْمِرِ
قَدُّهُ الهمزةُ صارتْ أَلِفا   وهوَ مِنْ خَمرِ صِباهُ يَنْثَنِي
قلبُهُ لِلهَجرِ فينا أَلِفا   كيفَ يَقسُو وهوَ رَطْبُ الأَلْسُنِ

١١- دَور:

جَلَّ مُنْشِيهِ مِنَ النُّورِ الذي   نَشأَتْ منهُ جَميعُ الكائِنات
وهوَ نورُ المُصطفَى الطَّلْقِ الشَّذِيّ   قدْ هَدانا مِنْ ضَلالِ الظلمات
وبهِ في كلِّ حينٍ نَغْتَذي   قامَ بالآياتِ فينا البيِّنات
نفسُهُ في اللهِ بيعَتْ سَلَفا   نَصْرُها كانَ لهُ كالثَّمَنِ
يا رعَى اللهُ زَمانًا سَلَفا   كانَ فيهِ هادِيًا لِلسُّنَنِ

١٢- دَور:

أحمدُ المُختارُ طَهَ ذو الكَمالْ   صاحبُ المِعراجِ للسَّبْعِ الطِّباق

مَــنْ لــهُ الإسْــراءُ في جُنْــحِ اللّيــالْ وتَرقّــى راكِبًــا فــوقَ الــبُراق

نــابِعٌ مِــنْ يَــدِهِ المــاءُ الــزُّلالْ وبــهِ للصَّحْــبِ أروَى والرِّفــاق

وهــوَ عــنْ كــلِّ كَمــالٍ كَشَــفا نُــورَ حــقٍّ ظــاهرٍ مُكْتمِــنِ

ومِــنَ الــداءِ لِعــافي كَشَــفا قُــلْ دواءٌ هــوَ لِلمُفتتِــنِ

١٣- دَور:

خــاتَمُ الرُّسْــلِ وكــلِّ الأنْبيَــا مَــنْ أتَــى بــالحَقِّ والذِّكْــرِ الحَكيــم

وإمــامُ النُّجبَــا والأوليَــا قــدْ هَدانــا لِلصِّــراطِ المُســتقيم

حَوضُــهُ تَشــربُ منــهُ الأتْقِيــا وبــهِ يَلقَــونَ جَنــاتِ النعيــم

وصَــلاةٌ عَرْفُهــا مــا خَلفَــا عنــهُ طِيْــبٌ في نَواحِــي الدِّمَــنِ

وسَــلامٌ عَــمَّ منــهُ خَلَفَــا صَالِحًــا هــامَ بــهِ عَبْــدُ غَنِــي

١٤- دَور:

لمْ يَــزلْ هــذا عليــهِ دائِمًــا أبَــدًا كــلَّ مَســاءٍ وصَبَــاحْ

مــعَ أصْحــابٍ كِــرامٍ قائِمًــا أهــلِ جُــودٍ وكَمــالٍ وسَــماحْ

مــا شَــجَى الطــيرُ فُــؤادًا هائِمًــا بــالتّغنّي وثَنــى الغُصــنَ ريــاحْ

وعَــنِ الأغيــارِ سَــمْعي عَزفــا[1] إذْ غَــدا شــادِي الحِمَــى يُطرِبُنِــي

وعلَــى العِيــدانِ فينــا عَزفــا طــائِرُ السِّــنِّ كثــيرُ الحَنَــنِ

١٥- دَور:

قُلــتُ هــذا وأنــا المُعــتَرِفُ بِقُصــورِ البــاعِ عــنْ أوْجِ النُّجــومْ

(١) في (أ): وعن الأغياد.

ومـــنَ البحـــرِ أنـــا المُغـــتَرِفُ	بحـر فَيـضِ الغَيـبِ في ظِـلِّ الكُـرومْ
وذُنوبًـــا إنّنِـــي مُقـــتَرِفٌ	ولَيـالي العَفـوِ أرجُوهـا تَـدومْ
فَعسَـى يُـدرِكُ قَـدْرِي شَـرفًا	وارْتِقـاءً فيـهِ نحـوَ الظَّنـنِ[1]
وأُحـاذِي بِاتضـاعِي شَـرفًا	عالِيًّـا فـوق ذُرى المَجْـدِ بُنِـي



---

(١) في (ب): عالياً وارتقاء فيه.

[الموشح الثاني]

ومِنْ ذلكَ قولُ المَرحومِ السيد **عبد الكريمِ بن حَمزةَ النقيب**[1]:

يـــا زَمانًـــا بالتّهـــاني سَـــلَفا　　في رُبـــا جلّـــقَ ذاتِ الحُسْـــنِ
لا أرَى بَعـــدَكِ يومًـــا خَلَفـــا　　لا عَـدَتْ ذِكْـراكِ رَطـبَ الألسُـنِ

١ـ دَور:

كـمْ حُبيـتُ الحَـظَّ في رَبْوتِهـا　　إذْ غَـدَتْ دارَ قـرارٍ ومَعِـينِ
ولُبانـــاتٍ بهـــا بُلّغتُهـــا　　حيـثُ مَـنْ أهـواهُ لي طَـوعَ اليمـينِ
يـا لَهـا مِـنْ رَبـوةٍ نَضرَتُهـا　　صَيْقَـلُ الأبْصـارِ والقلـبِ الحَزيـنِ
لا عَدِمْناهـــا لِقَصْـــفٍ مَألَفـــا　　ولِجَمْـعِ الشَّـمْلِ أزهَـى مَوطِـنِ
وسَـقَتْها المُـزنُ مِنهـا مـا صَفـا　　وشُـؤونُ الدّمـعِ مـاءَ الأعْيُـنِ

٢ـ دَور:

يـا رَعـاكَ اللهُ عَهـدَ النَّـيْرَبَيْنِ　　وأرَانـا مِنْـكَ عَـوْدًا أحْمَـدا
يـا لَشَـجْوٍ أيهمـا مِـنْ جَنّتَـينِ　　فِيهمـا الأنهـارُ تَجـري سَـرْمَدا
حُـقَّ أنْ يَزْدَريـا بِـالرَّقْمَتينِ　　إذْ غَـدا طَيرُهُمـا مُغَرْبِـدا
كيـفَ لا يَأْويهمـا مَـنْ كَلِفـا　　والهـوَى قـدْ خَصَّـهُ بـالمِحَنِ
وعلَـى ظِلِّهِمـا مُنْعَكِفـا　　كيـفَ لا يُلفَـى خَدِيـنُ الحَـزَنِ

---

(١) انظر ترجمته صفحة: ٤٤.

٣- دَور:

وحَمَــى الخَضْــراءَ ذاتِ الشَّــرفِ عــنْ عفــاءٍ وسَــقاها الوابِــلُ
قــدْ غــدَتْ مَرتَــعَ كــلِّ مُسْــتَرَفِ ســحرُ عَينيــهِ عَنَتُــهُ بــابلُ
لا أرَى عــنْ فَيْئِهــا مُنْصَــرَفي ونضــارُ المــاءِ فيهــا ســائِلُ
إنْ تكُــنْ يــا صــاحِ حَقّــاً مُنْصِفــا بــالرّقي حــقٌّ لَهــا أنْ تَعْتَنِــي
إذْ غَــدتْ لا غَــرْوَ رَوْضَــاً آنِفــا قــدْ حَباناهــا بِعُظْــمِ المِنَــنِ

٤- دَورٌ:

ورعَــى الغُوطــةَ مِــنْ مُنْــتَزَهٍ فــاقَ في الحُسْــنِ سِــواهُ وَسَــما
في ذُرَى أفيائِهــا كــمْ نُــزَهٍ تَجْتَلِــي والنّجــمُ يَحكِــي الأنْجُمــا
المَزايــا قــدْ حَــوتْ مِــنْ أوْجُــهٍ فَهــيَ لِلآمــالِ تُلْفَــى مَغْنَمــا
كــمْ حَلَلْنــا مِــنْ حِماهــا غُرَفــا ونَعِمْنــا صــاحِ بــالعَيْشِ الهَنِــي
واتّخَذْنــا دَوحَهــا مُنْعَكَفــا وشَــهِدْنا فَيْــضَ مــاءِ الأعْيُــنِ

٥- دَور:

وبِسَــوحِ السَّــفْحِ كــم مِــنْ ليلــةٍ بالهَنــا أحْيَيتُهــا حتّــى الصَّبــاحْ
حيــثُ حَظِّــي في الهــوَى ذُو دَولَــةٍ والصَّبــا يَمْرَحُنِــي نحــوَ الصِّبــاحْ
لا خَلَــتْ أنْحــاؤُهُ مِــنْ رَحْمَــةٍ تَتوخّاهــا صَباحًــا ورَواحْ
مُــذْ تَقضَّــتْ إثْرَهــا القلــبُ هَفــا فأنــا نِضْــوٌ لِفَــرْطِ الشَّــجَنِ
وإذا مــا الصَّــبُّ أضْحَــى لَهِفــا كيــفَ يَلْقَــى راحــةً في البَــدَنِ

٦ـ دَور:

سَــــلَفَتْ لي والأمــــاني أَمَــمْ حيــثُ مَــنْ أهــواهُ لي كــانَ سَــميرْ
أَسْـعَدَتْ حَظِّــي بِــذاكَ القسـمِ بُرْهَــةً كــانَتْ كَسِــرٍّ في الضَّمــيرْ
إذْ تُرِينِــي اللُّطْــفَ منــهُ الشِّــيَمُ ويُراقيــــني بِوَجْــــهٍ مُسْــــتَنيرْ
كلّمــا حَرّكْــتُ منــهُ طَرَفــا يَجْتَنِــي سَــمْعي ثِمــارَ اللَّسَــنِ
وإذا مــا سِــمْتُهُ الوَصْــلَ وفَــا يُنْجِــزُ الوَعْــدَ وفيــهِ لا يَنِــي

٧ـ دَور:

لِسَــميري كيــفَ لا أرعــى الذِّمَــامْ ولــهُ طــارِفُ وَجْــدِي والتّلِيــدْ
فَعليــهِ وعلَــى الحَــظِّ السَّــلامْ إذْ بِــهِ حَظّــي لقــدْ كــانَ سَــعيدْ
لَيْــتَ ذاكَ الحَــظُّ لَــوْ عــادَ دوامْ وتَمنّــى عَــوْدَهُ جَهْــدُ العَميــدْ
كَــمْ أُقضّــي بــالتّمنّي زُلَفــا وأُعــاني في الدَّيــاجِي مِحَنِــي
ولقــدْ قَضّيْــتُ قدمًــا كَلَفــا في هــوَى مَــنْ حُبُّــهُ تَيَّمَــنِي

٨ـ دَور:

إنّمــا العُمْــرُ لهــاتِيكَ اللّيــال حيثُ شَملي كــانَ كــالعِقْدِ النّظِيــمْ
بأُصَيْحــابٍ لهُــم وَصْــفُ الكمَــال وحِــلالٍ تَــزْدَري لُطْــفَ النســيمْ
نَجْتَلِــي إذْ نحْــنُ في أنْعَــمِ بــال كــأسَ ســاقٍ أجْيَــدَ الجِيــدِ كريــمْ
مــا عَهِدْنــاهُ لِكــأسٍ عَكَفَــا عــنْ مُرِيــدٍ وعــنِ الحَــثِّ وَنــي
لِســوَى تَقبيلِــهِ مُرْتَشِــفا مِــنْ أعاليــهِ لِقَصْــدٍ حَسَــنِ

٩- دَور:

يـا لَـهُ سـاقٍ حـوَى كـلَّ الجَمـالِ تَتفـدّاهُ هَـوىً مِنّـا النُّفـوسْ
تَـرِفُ الجِسْـمِ رَبيـبٌ بـالدّلالِ سيفُ لَحْظيهِ سَبا حربَ البَسوسْ
طَيِّـبُ العَـرْفِ فَمِـنْ رَيّـاهُ نـالَ قـالَ: لا عِطْـرَ إذَنْ بعـدَ عَـروسْ
حبّـذا منـهُ التّدانِـي والوَفـا فَمتَـى الحَـظُّ بـهِ يُسْـعِدُنِي
وأراهُ لي مُعيـدًا لُطفـا ومُديـرًا لي كُـؤوسَ اليُمْـنِ

١٠- دَور:

مِـنْ مُـدامٍ تُـلزِمُ السـاقي انْعِطـافْ تَتدانَـى منـهُ نَحْـويَ القُبَـلُ
تُكسِـبُ النَّشـوةَ قبـلَ الارتِشـاف[1] بشَـذاها الكـأسُ قَبْلِـي ثَمِـلُ
بِنْـتُ كَـرمٍ خُطِبَـتْ قبـلَ القِطـافْ ثـمَّ زُفّـتْ حـينَ وافَـى الأجَـلُ
قـدْ تَحلّـتْ بِحَبـابٍ قـدْ طَفـا تَـوّجَ الكـأسَ بِتـاجٍ مُثمـنِ
فَهْـوَ صِرْفًـا يَجْتَلِيهـا قَرْقَفـا مازِجًـا لي بـاللّمى كأسِـيَ السَّـنِي

١١- دَور:

مـا علَـى مَـنْ يَحتلِـي الـراحَ جُنـاحْ إنْ تَعاطاهـا بشُـرْبِ الأربِ
للتّصَـابي هـيَ يـا صـاحِ جَنـاحْ تَطـرُدُ الهـمَّ بخَيْـلِ الطَّـرَبِ
فاحْتَسِـيها قَبـلَ إفْصـاحِ الصّبـاحْ مِـنْ يَـدَيْ سـاقٍ شَـهِيِّ الشَّـنَبِ
كُلّمـا عاطـاكَ كأسًـا مُلطفًـا حَـثَّ مِـنْ لَحْظَيـهِ كـأسَ المِحَـنِ

---

(١) في (ب): تكسب النشأة.

فَبكأْسَيْهِ تَرَى مُعْتَرِفًا قائِلاً: أَيُّهما أسْكَرَني

١٢- دَور:

أَتَرَى يَقْضِي لِصَحْوي سُكْري مِنْ حُمَيّا كأسِ راحٍ وغَرامْ
أَمْ بِسُكْرِ الحُبِّ يَمْضي عُمُري حبّذا لي ذاكَ بلْ أقْصَى مَرامْ
إنّ صَحْوي ليسَ بالمُغْتَفَرِ لستُ أرضاهُ ولَوْ ذُبْتُ اضْطِرامْ
فَحُمَيّا الحبِّ طِبٌّ وشِفا ما اسْتحالَتْ لِصلاحِ المَعْدِنِ
ما احْتَساها غيرُ مَنْ قدْ عَرَفا وغَدا عَنْ حُبِّها لا يَنْثَنِي

١٣- دَور:

كمْ بِها نالَ الأماني عارِفٌ مُذْ تَراءَتْ نارُ لَيلاهُ فَمالْ
وإلى حاناتِها كمْ واصِفْ لِمزاياها دَعانا فاسْتِمالْ
لا عَدانا مِنْ سَناها عاطِفٌ أبَدًا يَعطفُنا نحوَ الجَمالْ
إنّما أعنِي جَمالَ المُصْطفَى والِدَ الزهراءِ جَدَّ الحَسَنِ
دامَ لي صاحِ ذُراه كَنَفا ومَلاذًا فهوَ إحْدَى مَأْمَني

١٤- دَور:

إذْ هوَ المَلْجأُ لا غَرْوَ غَدا حيثُ يُضْنِي الناسَ هَولُ المَوْقِفِ
فَلِعلْياهُ انْتِسابي قدْ غَدا واضحاً بُرهانُهُ غيرَ خَفِي
مَنْ سِواهُ منهُ أرجُو المَدَدا وهوَ لِلذمَّةِ أوْفَى مُنْصِفِ
وبِهِ الأُمّةُ أضْحتْ حُنفا فلَها البُشرَى بِعِزٍّ بَيِّنِ
فاجْزِهِ اللّهمَّ عنّا رَأَفا بالّذي يُرضِي جَنابَ المُحْسِنِ

[الموشح الثالث]

ومنْ ذلكَ للمرحومِ **سعودي بن يحيى، الشهيرِ بالمُتَنَبّي**(1):

يـــا رياضًـــا غَيْثُهـــا قـــدْ وَكفـــا	في دِمَشْقِ الشامِ ذي الحُسْـنِ السَّـنِي
قـــدْ مَـــلأْتِ العَـــينَ أُنسًـــا وصَفـــا	مُـــذْ نَشَـــرْتِ الزّهـــرَ والـــوَردَ الجَنِـــي

١ـ دَور:

بَسَـــمَ الـــبَرْقُ وغَنّـــى العندليـــبْ	حيـثُ كنّـا في رُبـا السّـفْحِ نُـزُولْ
وصَفـا اللّيـلُ وقـدْ غـابَ الرقيـبْ	واسْـتَنارَتْ بَهجـةً تلـكَ الطُّلـولْ
وانْجلَـى مـا بَيْنَنَـا كـأسُ النّسِـيبْ	فـانْثنَى عِطْـفُ النّدامَـى بالشَّـمولْ
يالَهـــا ليلـــةَ أُنْـــسٍ وصَفـــا	غالَهـا الصُّبْـحُ بلَيْـلٍ مُمْكِـنِ
وإذا مَـــا الفَجـــرُ أبْـــدَى مُرْهَفـــا	ذَهَـبَ الليـلُ كـأنْ لمْ يَكُـنِ

٢ـ دَور:

قُـمْ بِنـا نَسْـعَى لأعلَـى الشَّـرَفِ	نَنْتَشِـقْ مـنْ عَـرْفِ ذَيّـاكَ النسـيمْ
واتْحِـفِ الطَّـرْفَ بتلـكَ التُّحَـفِ	في ريـاضٍ هـيَ جَنـاتُ النعيـمْ
بِصَبـا المَرجَـةِ دائِـي يَشْـتَفي	وشَـذاها يُـبْرِئُ القلـبَ السّـقيمْ
كَـمْ عليهـا مِـنْ نَسـيمٍ أشْـرَفا	بَعدَمـا صـافحَ شِـيْحَ اليَمَـنِ

---

(1) هو سعودي بن يحيى بن محيي الدين الشهير بالمتنبي العباسي الشافعي الدمشقي أحد العلماء والأفاضل أديب شاعر، له ديوان شعر سماه: مدائح الحضرات بلسان الإشارات توفي سنة ١١٢٧هـ ودفن بمرج الدحداح. ذيل نفحة الريحانة ٢٥٤، ويوميات البديري الحلاق ٢٣١، وورد اسمه في سلك الدرر ٦٩/١: أبو السعود بن يحيى.

وعلَـــى أدْواحِهـــا قـــدْ عَكَفـــا　　ناشِـــرًا مِنْهـــا عَبـــيرَ السَّوسَـــنِ

٣ـ دَور:

حبّـــذا رَوضـــاتُ أُنْـــسٍ بَهَـــرَتْ　　بِسَـــناها إذْ بَـــدَتْ لِلنّـــاظِرينْ

ولأرْجـــاءِ الرّوابـــي عَطّـــرَتْ　　وبِهـــا قـــدْ فـــاحَ عَـــرْفُ الياسَـــمينْ

يـــا لَهـــا جَنـــاتِ عَـــدنٍ زُخْرِفَـــتْ　　وبِهـــا كَوثَرُهـــا مـــاءٌ مَعـــينْ

حيـــثُ ذاكَ الغُصـــنُ نَحـــوي انْعَطَفـــا　　وحَبـــانِي منْـــهُ بـــالعَيْشِ الهَنِـــي

ومَحـــا بـــالوَصْلِ أوقـــاتَ الجَفـــا　　إنّ هـــذا مِـــنْ عَظيـــمِ المِنَـــنِ

٤ـ دَور:

ورُبـــا الرّبْـــوةِ أقْصَـــى أرَبـــي　　طـــابَ لِي مِنْهـــا صُـــدورِي والـــوُرود

فـــاجْتلِي فِيهـــا كُـــؤوسَ الطّـــرَبِ　　بـــينَ جَنْـــكٍ مِـــنْ سَـــواقِيها وعُـــود

واسْـــقِنِي شَمْسًـــا كلَـــوْنِ الذهَـــبِ　　عَرْفُهـــا عَطّـــرَ أنفـــاسَ الوُجـــود

وصَفـــا الكـــأسُ بهـــا حـــينَ صَفـــا　　مُـــذْ سَـــناهُ وَجْـــهُ ذاكَ الحَسَـــنِ

فالحُمَيّـــا والمُحَيّـــا ائْتلَفـــا　　في تَلافِـــي والهَـــوَى والمِحَـــنِ

٥ـ دَور:

قـــدْ سَـــقاني شَـــفَقًا مـــنْ خَـــدِّهِ　　لاحَ في الكـــأسِ فَخِلْنـــاهُ رَحيـــقْ

بَـــلْ مِـــنَ الرّيـــقِ ونـــادَى وَرْدَهُ　　خَمْرُنـــا والثّغْـــرُ كَـــأْسٌ مـــنْ عَقيـــقْ

مـــاسَ تِيهًـــا يَنْثنِـــي في بُـــرْدِهِ　　فَســـبانا قَـــدُّهُ ذاكَ الرّشـــيقْ

رَشـــأٌ إنْ لاحَ لِلبَـــدرِ اخْتفَـــى　　وغَـــدا مِـــنْ عِشْـــقِهِ في شَـــجَنِ

لَيتَـــهُ يَســـــمَحُ يومًـــا بِوفَـــا   لأسِـــيرٍ في الهَـــوَى مُرْتَهِـــنِ

٦ـ دَور:

ظَبْـيُ أُنْـسٍ قــدْ أعــارَ الحَدَقــا   للظِّبــا والحُسْــنَ منــهُ لِلمِــلاحْ
وبِــلالُ الخــالِ في الصُّبْــحِ رَقــا   جِيْـدُهُ مُـذْ شـامَ عـامودَ الصّبــاحْ
وأقــامَ اللّحْــظُ لَمّــا رَمَقــا   بــازْوِرارٍ بَينَنَــا سُــوقَ السّــلاحْ
طَرْفُــهُ الوَسْــنانُ أبْــدَى مُرْهَفــا   ثُــمَّ بِالسِّــحْرِ أتَــى للفِتَــنِ
وأراشَ الجَفْــنَ ثُــمَّ انْعَطَفــا   بِهمــا في حَرْبِــهِ يَقْصِدُنِــي

٧ـ دَور:

حَدِّثــاني عَــنْ سَـنا الـبَرقِ اللّمــوعْ   يــاخَليليَّ فقــدْ بــانَ النهــارْ
وانْفِجــارِ النــورِ مــا بيــنَ الربــوعْ   مــنْ قُصــورِ الشــامِ دانِـي الاشْـتِهارْ
يــا لَقومِــي كيــفَ يَهْنــا لي هُجــوعْ   وأنــا مَأْسُــورُ أشْــواقٍ غِــزَارْ
بِهُمــامٍ قــدْ عَلاهُــم شَــرَفا   وهــوَ رَوْحٌ والسِّــوَى كــالبَدَنِ
قَصْــرُهُ السّــامِي علَيهِــم أشْــرَفا   فسَــناهُ ليــسَ بــالمُمْتَكِنِ

٨ـ دَور:

إنّ فَتحِــي بالثّنــا فيــهِ مُبِيْــنْ   حيــثُ للأفْـرادِ قـدْ أضْحَـى خِتَــامْ
وهــوَ بــالإرْثِ لِخَتْــمِ المُرْسَــلِينْ   خُـصَّ في ذا العَصـرِ مـنْ دُونِ الأنـامْ
كــامِلٌ أضحَــى يَمُــدُّ الكــامِلِينْ   وهــوَ للأقطــابِ قُطْــبٌ وإمــامْ
نُــورُهُ سِــرُّ المَثــاني كَشَــفا   وبَــدتْ عنــهُ بُــروقُ السُّــنَنِ

كيـفَ لا يَحـدُو بنـا حَـدْوَ الصَّفـا   وهـوَ سِـرُّ المُصْطفـى عبـدُ الغَنِـي

٩ـ دَور:

أحْمـدُ المُزمِّـلُ الهـادي الأمِـين   مَظْهَـرُ الـذّاتِ وعَـرْشُ الاسْـتِوا
فـارِقٌ بِـالنُّورِ بـينَ العـالَمَيْن   جـامِعٌ لِلحـقِّ والخَلْـقِ سَـوَى
فهـوَ عـينُ الكُـلِّ في عـينِ اليَقِـين   حيـثُ منـهُ السِّـرُّ لِلكُـلِّ حَـوَى
فَعليـهِ صَلَـواتٌ تُصْطَفَـى   كـلَّ آنٍ في مَمَـرِّ الزَّمَـنِ
وسَـلامٌ بَرْقُـهُ قـدْ هَتفـا   بالرِّضـا مـنْ ربِّـهِ والمِنَـنِ

١٠ـ دَور:

وعلَـى الخِـيرَةِ مـنْ كـلِّ الأنـامْ   نُخبَـةِ الأبْـرارِ أهـلِ الاصْطِفـا
وهُـمُ الأصْحـابُ والآلُ الكِـرامْ   مَـنْ بِهِـمْ نِلْنـا الهُـدَى والشَّـرَفا
وبِهِـمْ أرجُـو مِـنَ اللهِ المَـرامْ   وهـوَ حَسْـبي في أُمُـوري وَكفَـى
وسُـعودي بـالقُصورِ اعْتَرَفـا   عـنْ ذَوي أهـلِ النُّهَـى واللَّسَـنِ
وإذا مَـولاهُ عنـهُ قـدْ عفَـا   فهـوَ في أسْـنَى مَقـامٍ حَسَـنِ

❁ ❁ ❁

[الموشح الرابع]

ومِنْ ذلكَ للمرحومِ **محمدٍ صادق، الشهير بابنِ الخرَّاطِ**[1]:

جـادَ رَبْـعَ الشـامِ غَيْـثٌ وَكَفَـا وسَـقَى عَهـدي بتلـكَ الدِّمَـنِ
لَمْ تكُـنْ إلاّ وِصـالاً وَوفَـا واخْتِلاسًـا مِـنْ أيـادِي الزَّمَـنِ

١- دَور:

يـا حَمَـى اللهُ زَمانًـا في حِمَـى نَيْرَبَيْهـا قَـدْ تَقضَّـى كالخَيـالْ
حَيْثُمـا تَغْـرُ الرّوابـي ابتسَـما وعُيـونُ الزهـرِ تَنْـدَى بـاللآلْ
ونسـيمُ الأُنْـسِ فِيهـا نسَّـما وثَنَـى الأغصـانَ خفّـاقُ الشِّـمالْ
وابـنُ وَرقـاءَ بِهـا قَـدْ هتَفـا بِفُنـونِ الشَّـوقِ فَـوقَ الفَنَـنِ
فشَـجا قلبًـا كَئِيبًـا دَنِفـا مُحِيَـتْ آثـارُهُ بِـالمِحَنِ

٢- دَور:

يـا لَيـالِي الوَصْـلِ أيـامَ الصِّبـا جـادَكِ صَـوْبُ الحَيـا كـلَّ صَبـاح
في رُبـا رَبْوتِهـا مَرْبَـى الظِّبـا وفَنـا أفنانِهـا ذاتِ المِـرَاح
كلّمـا هبَّـتْ بهـا ريـحُ الصَّبـا أو شَـدَتْ في دَوْحِهـا ذاتُ الجَنـاح
أذْكَرَتْنِـي طِيْـبَ عَيـشٍ سَـلفا يـا لَـهُ في الدَّهـرِ مِـنْ عَيـشٍ هَنِـي

---

(١) كذا في الأصل، و لم أجد له ترجمة، ولعلّه هو صادق بن محمد بن حسين الشهير بالخراط، انظر ترجمته صفحة (٤٤) وكأني بالمؤلف قد درج على زيادة اسم (محمد) قبل بعض الأسماء، أو هي موجودة أصلاً حذفها بعض المؤرخين، وانظر لصاحب الدور التالي وهو محمد سعدي العمري وذكره صاحب سلك الدرر ٢/١٧١: سعدي ابن عبد القادر العمري.

لمْ أزلْ أبكِـــي علَيـــهِ أسَـــفا   وفُـــؤادِي لمْ يَـــزلْ في شَـــجَنِ

٣ـ دَور:

عَمــــركَ ا للهِ إذا مــــا جُــــزْتَ في   جــانِبِ السَّــفْحِ صَباحًــا يــا نسـيمْ
فَعلَــى المَرجَــةِ ذاتِ الشَّــرَفِ   عــجْ وحيِّيهــا بــأنواعِ النَّعِيــمْ
فَلِوادِيهـــا رفيـــعُ الغُـــرَفِ   لم يَـزلْ شـوقي مـدَى الدهـرِ مُقيـمْ
يـــا خَليلَـــيَّ حُذانِـــي وَقِفَـــا   في رُباهــا حيــثُ مَجْلَــى الحَــزَنِ
إنّـــي مـــازِلْتُ فيهـــا كَلِفَـــا   فعَسَـــى الآمـــالُ أنْ تُسْـــعِدَني

٤ـ دَور:

صَفَّـقَ النهـــرُ وغنّـــى البلبـــلُ   عندمـا قـدْ رَقَصَـتْ هِيْـفُ الغُصـونْ
ونســـيمُ البَـــانِ وافَـــى يَنقُـــلُ   نَفحـةَ الزهـرِ عـنِ الـروضِ المَصـونْ
ولَنـــا أهْـــدَتْ شَـــذاهُ الشَّـــمأَلُ   بعدَمـــا ابْتلَّـــتْ بـــأطرافِ العُيـــونْ
والصَّبـــا مُـــذْ مَـــرَّ فيهـــا حَلفَـــا   إنّـــهُ عـــنْ ظِلِّهـــا لا يَنْثَنِـــي
فســـقَى الوَسْـــميُّ رَوضًـــا أُنُفـــا   عِنـــدَهُ أصْبَحْـــتُ كـــالمُرتَهَنِ

٥ـ دَور:

قُـمْ بنـــا نَجلُـــو كُـــؤوسَ الطَّـــرَبِ   في رُباهـــا بـــينَ وَرْدٍ وشَـــقيقْ
وامْـــلأِ الكـــأسَ بمـــاءِ الذَّهَـــبِ   إنّمـــا اللّـــذَّةُ كـــأسٌ ورَفيـــقْ
شمـــسُ راحٍ حُرِسَـــتْ بالشُّـــهُبِ   كأسُـــها مِنْهـــا غَـــدا لا يَسْـــتفيقْ
فاعطِنِيهـــا يـــا نَديمـــي قَرْقَفـــا   ودَعِ اللاّحِـــي عليهـــا يَلْحَنِـــي

فلَهـا مـازِلْتُ أصْبـو شَـغفا وهـيَ تَسْـري كالشِّـفا في البَـدَنِ

٦ـ دَور:

قَهـوةٌ في الحَـانِ تُجْلَـى كـالعَروسْ راحَـةُ الـرُّوحِ وكَـنْزُ المِنَـحِ
لَسْـتُ أدري أَبُـدُورٌ أمْ شُـموسْ قـدْ أضـاءَتْ مـن أعـالِي القَـدَحِ
رقَصَـتْ مـن طَـرَبٍ فيهـا الكُـؤوسْ حـينَ دارَتْ بالهَنـا والفَـرَحِ
فاحْتَسَـيْناها سُـرورًا وشِـفا وانْتَهَزْنـا فُرصـةً لَمْ تَكُـنِ
فرَعَـى اللهُ لِوَيـلاتِ[1] الصَّفـا إذْ حَبَتْنـا بِعَظِيـمِ المِنَـنِ

٧ـ دَور:

كيـفَ لا أذكُـرُ هـاتيكَ اللّيـالِ وبهـا قـدْ مَـرَّ لي عَيـشٌ رَغيـد
حيثُ كـانَ الدهرُ صافٍ[2] كـالزُّلالِ وغَـزالُ الأُنْـسِ عَنِّـي لا يَحيـد
يَنثنِـي بالتِّيـهِ في بُـردِ الجَمـالِ فيَغـارُ الغُصـنُ منـهُ إذْ يَميـد
لَـوْ رأى البَـدْرُ سَـناهُ انْكسَـفا وقَضيـبُ البـانِ أمْسَـى مُنْحَنِـي
سَـلَّ مِـنْ لَحْظَيْـهِ عَضْبًـا مُرْهَفـا يـا لِقَومـي مـنْ سُـيوفِ اليَمَـنِ

٨ـ دَور:

تخِـذَ الجَـوزاءَ في الجِيـدِ عُقـودْ بعدمـا قـدْ صـيَّرَ البَـدرَ غُـلامْ
وبَـدتْ مِـنْ فَرْقِـهِ شمـسُ الوجـودْ واحْتَسَـيناها مـن الثّغـرِ مُـدامْ
وأعـارَ الـوردَ في الـرَّوضِ خُـدودْ وغُصـونَ البـانِ لِيْنًـا وقَـوامْ
واسْـتبانا مُـذْ تَثنّـى هَيَفـا بِجَمـالٍ يُخجِـلُ البَـدرَ السَّـنِي

---

(١) كذا الأصل، وكأن الصواب: لييلات الصفا، أو: لُوَيَّاتِ.
(٢) كذا (صافٍ) للضرورة الشعرية.

وعـــنِ المُرْهَــــفِ بــــالغَمْزِ اكْتفَــــى ... يــا بِرُوحِــي غَمْــزَ تلــكَ الأعْيُــنِ

٩- دَور:

ظَبْـــيُ أُنْـــسٍ في فُـــؤادي رَتَعـــا ... أتْلَـــعُ الجِيـــدِ كَحيـــلُ المُقْلَتـــين

خـــانَ وِدِّي ولِعَهْـــدي مـــا رَعـــى ... وصَلَـــى قلـــبي بِنَـــارِ الوَجْنَتـــين

وإذا رُمْـــتُ وفَـــاهُ امْتَنَعـــا ... ولـــوَى جِيْـــدًا وأدلَـــى طُرَّتـــين

يـــا عَـــذولاً في هَـــواهُ عَنَفـــا ... لا حَبـــاكَ اللهُ بـــالعَيْشِ الهَنِـــي

كـــمْ تَرانِـــي ذُبْـــتُ فيـــهِ كَلفـــا ... وبِفَـــرْطِ اللّـــومِ تَذَكّـــى شَـــجَنِي

١٠- دَور:

أيُّهـــا السـائِلُ عـــنْ حَـــالِ الغريـــبْ ... سَـــلْ ظِبـــاءَ المُنْحَنـــى لِمْ يَعِـــدوا

إنّ لي مـــن بُعْدِهـــم حـــالاً عَجيـــبْ ... لَيْتَهـــم وَفّـــوا بِمـــا قـــدْ وَعَـــدوا

خلّفونـــي بـــينَ وَجْـــدٍ ونَحيـــبْ ... وضُلـــوعٍ جَمْرُهـــا يَتّقِـــدُ

وعُيـــونٍ جَفنُهـــا قـــدْ رَعَفـــا ... وبِهـــمْ عـــافَتْ لَذيـــذَ الوَسَـــنِ

واصْطبـــارٍ حـــينَ بـــانوا قـــدْ عَفـــا ... وغَـــرامٍ لِلْهَـــوَى لَمْ يَخُـــنِ

١١- دَور:

آهِ وا شـــوقِي بِهـــاتيكَ الطُّلـــولْ ... يـــا سَـــقاها اللهُ أوفَـــى الدِّيَـــمِ

إنّ لي في ظِلّهـــا عُرْبًـــا نـــزولْ ... لَيْتَهـــم زاروا ولَـــوْ في الحُلـــمِ

قَسـمًا عــنْ حُبِّهـم لسْـتُ أحُـولْ ... لا ولا يَشْـفَى الحَشـا مـــنْ ألَـــمِ

غـــيرَ ذِكْـــرِي لِجَنـــابِ المُصْطفـــى ... مَـــنْ حَمانـــا مـــن جَميـــعِ الفِتَـــنِ

أحمدُ المُختارُ كَنزُ الإصْطِفا أشرفُ الخَلْقِ إمامُ اللّسَنِ

١٢- دَور:

مَنْ سرَى لَيلاً إلى أعْلا العُلا ورأى بالعَينِ أنْوارَ اليَقين
ولَهُ شَوقًا سعَى جَذْعُ الفَلا وحُبِي بالنَّصْرِ والفَتْحِ المُبين
ولدِينِ الحقِّ بالحقِّ جَلا وأبادَ الشِّرْكَ بالعَزْمِ المَتين
زادَهُ ربُّ البَرايا شَرَفا إذْ دعا الخَلْقَ بِخُلُقٍ حَسَنِ
وأبَانَ الحقَّ مِنْ بعدِ الخفَا وَهدَى الناسَ لأعلَى سُنَنِ

١٣- دَور:

فَعلَيهِ كلّما هبَّتْ شَمالْ صَلَواتُ اللهِ تَترَى والسلام
وعلَى الآلِ الأُلَى نالوا الوِصالْ أبَدًا ما أسْفَرَ البَدرُ التَّمام
واخْصُصِ الأصْحابَ أربابَ الكَمالْ بتَحِيّاتٍ لَها المِسْكُ خِتام
ما تَذكَّرْتُ أُوَيْقاتِ الوَفا وغَدا الشَّوقُ لَها يُنْشِدُنِي
حادَ ربعَ الشامِ غيثٌ وكَفا وسقَى عَهدِي بتلكَ الدِّمَنِ



[الموشح الخامس]

ومِنْ ذلكَ لِمَنْ اشْتملَ بأوصافِ الظّرافَة، وتَحلّى بأنواعِ الكمالِ واللّطافَة، أُنْمُوذَجِ البلاغَةِ الصَّعبةِ المَرام، وفَذْلَكةِ البَراعَةِ التي تَسجُدُ لَها الأقلام، رَوضُ المَجدِ العاطِر، وبحرُ الفضلِ الزاخر، صديقُنا المرحومُ **محمد سعدي العُمَرِيّ**[1]، رحِمَهُ الله تعالَى:

يا رعَى اللهُ زَماناً سَلَفا ‍ ‍ ‍ ‍ في رياضِ الشامِ بالعَيْشِ الهَنِي
كَمْ حَلَلْنا مِنْ رُباهُ غُرَفا ‍ ‍ ‍ ‍ قَلّدَتْنا بِعُقودِ المِنَنِ

١ـ دَور:

والتّصابِي رَوضُهُ الغَضُّ قَشِيبْ ‍ ‍ ‍ ‍ والصِّبا ماءٌ بأعطافِي يَجُولْ
وشَبابِي غُصْنُهُ اللّدْنُ رَطِيبْ ‍ ‍ ‍ ‍ والهوَى يلعَبُ بي لَعِبَ الشَّمولْ
وانتهابِي فُرَصَ العيشِ الرحيبْ ‍ ‍ ‍ ‍ جَرَّ بي مِنْ فاضلِ اللّهوِ ذُيولْ
لَمْ يكُنْ إلاّ خيالاً وعفَا ‍ ‍ ‍ ‍ وتَقاضَتْهُ عَوادي المِحَنِ
كَمْ بهِ جاوَرْتُ رَوضاً أُنُفا ‍ ‍ ‍ ‍ حَسَدَتْ عَينِي علَيَّ أُذُنِي

٢ـ دَور:

حيثُ طيرُ اللّهوِ خفّاقُ الجَناح ‍ ‍ ‍ ‍ وجُموعُ[2] الدّهرِ مَغلُولُ اليَدَيْن
ودَواعِي الأُنْسِ وَفْقَ الاقتِراح ‍ ‍ ‍ ‍ والمُنَى تَلْحَظُ آمالي بِعَيْن

---

(١) هو سعدي بن عبد القادر العمري الشافعي الدمشقي المعروف بابن عبد الهادي الشيخ العالم الفاضل البارع الأديب الناظم الناثر. توفي سنة ١١٤٧هـ، ودفن بتربة مرج الدحداح. انظر سلك الدرر ٢/١٧١، وانظر الحاشية السابقة صفحة (٢٦٢).

(٢) كذا الأصل، ولعلّها: وجموحُ الدهر.

ورَخيــمُ الـــدَّلِّ مَحلُــولُ الوِشـــاح حاسِــرُ الطُّــرَّةِ عـــنْ مِثْــلِ اللُّجَـين
كلّمـــا ســـاوَمْتُهُ الوَصْـــلَ وفَـــا وحَبـــاني وَردَ خَدَّيْـــهِ الجَنِــــي
وسَـــقاني مـــنْ لَمـــاهُ قَرْقَفــا أطْفَــأَتْ حَــرَّ الجَــوَى والشَّـــجَنِ

٣- دَور:

بِــأَبي أَفْديــهِ مِــنْ ســاقٍ رَشِــيقْ واضِــحِ الغُــرَّةِ مَعْسُــولِ الشَّــنَبْ
في صَفـــا خَدَّيْـــهِ وَردٌ وشَـــقيقْ وبِكَـــنْزِ الـــدُّرِّ خَمْـــرٌ وضَـــرَبْ
والشِّـــفاهُ اللّعْـــسُ مِسْـــكٌ وعَقيـــقْ غُشِّـــيَتْ أسْـــلاكَ دُرٌّ وحَبَـــبْ
زَمْـــزَمَ الكـــأْسَ وأحيـــا دَنِفَـــا بشَـــذَى خـــاتِمِ ثَغْـــرٍ حَسَـــنِ
بِنْـــتُ كَـــرْمٍ بِسَـــناها والصَّفـــا سَـــلَبَتْ رِقَّـــةَ بِنْـــتِ اليَمَـــنِ

٤- دَور:

والرُّبـــا تَسْـــحَبُ لِلظِّـــلِّ ذُيـــولْ مِـنْ حِلَـى الـدَّوحِ علَـى زُرْقِ العُيـونِ
والنسـيمُ الرَّطْـــبُ خفّـــاقُ الذّيـــولْ يَتَهـــادَى بـــينَ أعطـــافِ الغُصـــونِ
وجُفـونُ الزّهــرِ مــنْ بَعــدِ الذُّبــولْ مَسَـــحَتْها راحـــةُ الطَّـــلِّ الهَتُـــونِ
وبِهـــا الطـــائِرُ مَهْمـــا هتَفـــا سَـــلبَ الطَّـــرفَ طُـــروقَ الوَسَـــنِ
وإذا مـــا طـــارَحَ الصَّـــبَّ هفَـــا وانْثَنَـــى يَهْـــتَزُّ شَـــروَى الغُصـــنِ

٥- دَور:

كيــفَ لا آسَــى علَــى تلــكَ الليــال وأنـــا في قَبْضَـــةِ الهَـــمِّ أسِـــيرْ
وغَوانــي الأُنْــس مــن بعْــدِ الحِجــال كســفَ الخَطْـــبَ مُحيّاهـــا النّضـــيْرْ

والأولَـى عـاطَيْتُهم صِـرْفَ الكَمـال عـاهَدُوا التّفريـقَ في كـلِّ سَـفير
فـإذا حـاولْتُ مِنْهـا طَرَفـا أجِـدُ الأقـدارَ لا تُسـعِدُنِي
فأنـا بـينَ التأسّـي والجَفـا غـائِضُ الفِكْـرَةِ عـافِي البَـدَنِ

٦- دَور:

كـانَ للشِّـعْرِ وأهليـهِ زَمـانْ رَكَضَـتْ في ظِلّـهِ قَبْلِـي رِجـالْ
نَصبُـوا للسَّـبْقِ مَيْـدانَ الرِّهـانْ وجَـرَوا في سُـوحِ ذيّـاكَ المَجـالْ
ورَمُـوا الأفهـامَ عـنْ قَـوسِ البَيـانْ فأصـابُوا سَـهْمَ مَـنْ وشّـى وقـالْ
جـادَ رَبْـعَ الشـامِ غيـثٌ وكَفـا وسـقَى عَهـدِي بتلـكَ الدِّمَـنِ
فَتجـارَيْتُ وحَسْـبي شَـرَفًا مَـدْحُ خَـيرِ الخَلْـقِ جَـدِّ الحَسَـنِ

٧- دَور:

خَـيرُ مَـنْ شَـيَّدَ أرْكـانَ الهُـدَى بيَـدِ التوفيـقِ مِـنْ بـاري النَّسَـمْ
وجَـلا الرُّشْـدَ لأهْـلِ الاهْتِـدا بِمَسـاعٍ أرهَفَـتْ بِيْـضَ الهِمَـمْ
وامْـتَرى بـالقُربِ أخْـلاقَ النَّـدَى وارْتَـوى بـالصِّدْقِ مِنْ ضَـرْعِ الكَـرَمْ
خَـرَقَ الحُجْـبَ بـأنوارِ الصّفـا واجْتلَـى بـالقُربِ مـا لَمْ يَكُـنِ
ورأى مـا عنْـهُ جِـبْريلُ اخْتفَـى وتَحـامَى ذلـكَ الشَّـأْوَ السَّـنِي

٨- دَور:

مَـنْ حَكَـتْ آياتُـهُ زَهْـرَ النُّجـومِ وعلَـى مـا يَعلَـمُ اللهُ اشْـتَملْ
وجَـرتْ منـهُ يَنـابيعُ العُلـومِ بِـرَوِيِّ الصِّـدقِ وإشْـراقِ العَمَـلْ

فـارتَوتْ منهـا بـأقْداحِ الفُهـومِ جُمَـلُ الأفكـارِ عَـلاًّ ونَهَـلْ
ودَعانـا لِلهُـدَى فانْكَشـفا عـنْ مُحَيّـا الحـقِّ رَيْـبُ الوَهَـنِ
ومَحـا عنّـا بآيـاتِ الشِّـفا كـلَّ مـا خَطّتْـهُ أيْـدي الفِتَـنِ

٩- دَور:

كَـنزُ أنـوارِ الهُـدى طـهَ الأمِـينْ مَعـدِنُ الأسْـرارِ كشّـافُ الكُـروب
قـائِدُ الغُـرِّ بأسْـبابِ اليقـينْ لاقْتِباسِ النورِ مـنْ شَـمسِ الغُيـوب
جـاءَ بالآيـاتِ والنـورِ المُبـين فأمـاطَ الغَيْـنِ عـنْ عَـينِ القلـوب
قِبلَـةُ الحـقِّ لأهـلِ الإصْطِفـا مُسـتوَى عَـرْشِ الرَّشـادِ البَيِّـنِ
مـنْ ظُهـورِ الكـونِ يَجلِـي والخَفـا لِمَرائـي سِـرِّهِ والعلَـنِ

١٠- دَور:

فهـوَ في غَيْـبِ مُناجـاةِ القَديـرْ حـاضِرُ القلْـبِ لإدْراكِ السُّـعود
واضِـحُ الآثـارِ والوجْـهِ المُنـيرْ سـاطِعُ النُّـورِ بآفـاقِ الوُجـودِ
جَوهَـرِيُّ الـذّاتِ قُدْسِـيُّ الضَّمـيرْ غـائِصُ الأفكـارِ في بحـرِ الشُّـهود
مَـنْ نَحـا بحـرَ هُـداهُ اغترَفـا وارتـوَى مِـنْ كوثَـرِ الحَـقِّ الهَنِـي
ورأى وجْـهَ الهُـدَى مُنكَشِـفا فـاهتدَى منـهُ لأقْـوى سُـنَنِ

١١- دَور:

ضاقَ ذَرْعُ اللُّـبِّ والفِكـرِ الصَّحيـحْ عنْ مدَى عَلْيـاكَ واسْـتعفَى اليَـراعْ
وتَحـامَى وَصْفَهـا كـلُّ فَصيـحْ بَعدَمـا جَفَّـتْ عُيـونُ الاخـتِراعْ

هــلْ يَفِـي بـالقولِ مـنْ رامَ المَديــحْ ومَنــالُ الزهـــرِ مـــا لا يُســتَطاعْ
فـــإذا المـــادِحُ أثْنَـــى اعتَرفَـــا بِعُـــلا تُعْيِـــي جَميـــعَ الألْسُـــنِ
لكـــنِ الآمـــالُ إنْ غِيْـــضَ الوَفـــا فيـكَ يـا غَـوثَ الـــورَى تُطمِعُنِـــي

١٢- دَور:

فعسَـــى مَدحِـــي لِذَيّـــاكَ الجَنـــابْ منـكَ أنْ يَطْـرُفَ في ذَيْـلِ القَبـولْ
وأرَى ريَّـــا شَـــذاهُ المُســـتطابْ سَـــاحِبًا في عَـــينِ أمـــالي ذُيـــولْ
لِيَقِينِـــي عَرْفُـــهُ مَـــسَّ العَـــذابْ يـومَ يَغشَـى النـاسَ هَـولٌ وذُهـولْ
ويَـــدُ الأقـــدارِ تَجلُـــو صُحُفـــا مُلِئَـــتْ مـــنْ سَـــيِّئٍ أوْ حَسَـــنِ
فـــإذا المَـــرءُ رأى مـــا اقْتَرفـــا عَـــرَفَ المُذْنِـــبُ فَضْـــلَ المُحْسِـــنِ

١٣- دَور:

وأفـــانِينُ صَلاتـــي والسَّـــلام لـكَ يـا مُختـارُ حِيْنًـا بعـدَ حِـينْ
وعلَـــى الأصْحـــابِ والآلِ الكِـــرام مَصْـــدَرِ الحـــقِّ وأنـــوارِ اليقـــينْ
راجِيًـــا في حُبِّهِـــم حُسْـــنَ الخِتـــام واثِقًـــا بـــا للهِ رَبِّ العـــالَمينْ
مـا حَـلا مَدحِـي لِطَـهَ المُصْطفَـى وثَنَـى أعطـافَ أهـلِ اللَّسَـنِ
وجَـــلا الأسْـــماءَ منـــهُ طَرفـــا دُرُّهـــا المَكْنـــونُ غـــالي الثَّمَـــنِ



[الموشح السادس]

ومنْ ذلكَ للمرحومِ **عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ الرّزّاقِ**[1]:

كَـمْ جَنَيْنَـا زَهـرَ أُنْـسٍ وصَفَـا	في رَوابِـي الشـامِ ذاتِ الأعْيُـنِ
واجْتَلَينـا مِـنْ أُوَيْقـاتِ الوفَـا	شمسَ أفـراحٍ لـدَى عَيـشٍ هَنِـي

١ـ دَور:

ـا لِوادِيهـا المُفَـدّى بـالعُيونْ	في رُبـا رَبْوتِهـا الرَّحْـبِ الوَسِـيمْ
حيثُمـا يَمّـمْتَ نهـرٌ وعُيـونْ	ونَسِـيمًا لُطفُـهُ يُحيِـي الرَّمِيـمْ
طالَمـا حيَّيْـتُ وادِيـهِ المَصـونْ	والرُّبـا يَثْنِيـهِ أنفـاسُ النسِـيمْ
وهَـزارُ الـدَّوْحِ فيـهِ هتَفـا	بلُحُـونٍ قـدْ أثـارَتْ شَـجَنِي
وبِمَـرْآهُ الشَّـجِي قـدْ شُـغِفا	كـلُّ طَـرْفٍ يـا لـهُ مَـرْأىً سَـنِي

٢ـ دَور.

لَسْـتُ أنْسـاهُ أُوَيقـاتِ السَّـحَرْ	والصَّبـا يَعطِـفُ أعطـافَ المِيـاهْ
وغُصـونُ البـانِ تَنـدَى بـالزهرْ	وَجَـنِيُّ الـوَردِ يَنـدَى مِـنْ حَيـاهْ
حبّـذا تَجلُـو بمَـرْآهُ النَّظَـرْ	وتـرَى الأطيـارَ تشـدُو في رُبـاهْ
كـلُّ طَـرْفٍ كـمْ تَـراهُ وَقَفـا	عِنـدهُ زهـرُ التَّهـاني يَجْتَنِـي
وبـهِ مـازالَ طَرْفِـي كَلفـا	جـادَهُ دَمعِـي غَزيـرَ المُـزُنِ

---

(١) انظر ترجمته صفحة ٥٢.

٣- دَور:

بِـأَبي والــرُّوحِ عــالِي الشــرَفِ ... دَيــرُ مُــرَّان البَهِــيُّ الأَنِــسِ
لَمْ تَــزلْ أكْنــافُ ذاكَ الطَّــرَفِ ... بالبَهــا تَزهُــو علَــى الأنْدلُــسِ
كَــمْ بــهِ النُّدْمــانُ بــالأُنسِ الــوَفي ... مَزَجُــوا الصَّهبــا بِمــاءِ اللُّعَــسِ
وشَــمالٍ في ذُراهُ عَكَفَــا ... ناشِــرًا أزهــارَ تلــكَ الدِّمَــنِ
كيــفَ لا يَصبُــو فُــؤادٌ دَنِفــا ... لِحِمــاهُ وهــوَ أهنَــى مَوْطِــنِ

٤- دَور:

رَقَــصَ الغُصــنُ وغنّــى العنْدليــبْ ... في رُبــا نَيْرَبِهــا الغَــضِّ النَّضِــيرْ
والحَيــا قلَّــدَ أجْيــادَ القَضيــبْ ... بِــلآلٍ زانَهــا الزهْــرُ الوَثــيرْ
وخُوَيْــطٍ نــاعمِ الجســمِ رَطيــبْ ... يَنثَــني مــا بــينَ رَوضٍ وغَديــرْ
يــا فَدتْــهُ الــروحُ رَوضًــا أُنُفــا ... فَرشُــهُ العَنــبَرُ والــوَرْدُ الجَنِــي
لَمْ أكُــنْ أُلْفِــي سِــواهُ مألَفــا ... يــا شَــقيقَ الــرُّوحِ طُــولَ الزَّمَــنِ

٥- دَور:

فَســقَى جِلَّــقَ وَسْــمِيُّ العِهــادْ ... ورَعَــى غُوطَتَهــا مَجنَــى الســرورِ
إذْ هَواهــا لَمْ يَــزلْ يُحْيِــي الفُــؤادْ ... حبَّــذا مــا بــينَ أنفــاسِ الزُّهــورِ
إنّهــا الشــامةُ في جيــدِ البــلادْ ... يــا لَهــا تَزهُــو بوِلْــدانٍ وحُــورِ
بــلْ هــيَ الجنّــةُ حُفَّــتْ بالصَّفــا ... دُرُّهــا الحَصْبــاءُ غــالِي الثَّمَــنِ
بِعْــتُ نَفسِــي في هَواهــا سَــلَفا ... كيــفَ عنْهــا غُصــنُ شَــوقي يَنْثَنِــي

٦- دَور:

قُــمْ بِنــا نَقْــضِ لُبانــاتِ الهَــوَى يا سَــميري عنــدَ هــاتيكَ الريــاضْ
نَحتَسِــي صِرْفًــا علَــى وَفْــقِ الْمُنَــى والتّهــانِي قَهــوةً تَشْــفِي المِــراضْ
إنّهــا لِلجِســمِ رُوحٌ مــا لَنــا إنْ تَنــاءَتْ لَحظَــةً عنْهــا اعْتِيــاضْ
نَجْتَلــي مــا رَقَّ منْهــا وَصَفــا بــينَ رَيْحــانٍ وغَــضٍّ السَّوْسَــنِ
في ريــاضٍ غَيْثُهــا قــدْ وَكَفــا والشَّــحاريرُ بِهــا تُطْرِبُــني

٧- دَورٌ:

ونَديــمٍ قــامَ يَجْلُوهــا صَبــاحْ بِكْــرُ دَنٍّ أشْــرقَتْ منْهــا الشُّــموسْ
خَــدُّهُ يَزهُــو بِــوَرْدٍ وأقــاحْ وبهــا يُسْــفِرُ عَــنْ سُــوقِ العَــروسْ
مــا علَى مَنْ هــامَ فِيهــا مِــنْ جُنــاحْ يــا لَهــا تُحْيِــي بِرَيَّاهــا النُّفــوسْ
هاتِهــا شمْــسَ الحُمَيّــا قَرْقَفــا ودَعِ اللاّحِــي علَيهــا يلْحَــني
مِــنْ يَــدَيْ حُلْــوِ الثّنايــا أهْيَفــا تَــرِفِ الجِســمِ رَطِيــبِ البَــدَنِ

٨- دَور:

ـنَثُ الأعطــافِ ســاجِي الحَــدَقِ لَمْ يَــزلْ يَختــالُ في زَاهِــي البُــرود
وَجْهُــهُ يَسْــبِي بُــدورَ الغَسَــقِ والحَيــا قــدْ زانَ تُفّــاحَ الخُــدود
عِطْفُــهُ الرَيّــانُ بِــالدلِّ سُــقِي وتَبــدَّى فيــهِ رُمّــانُ النُّهــود
يــا لِقَومِــي سَــلَّ عَضْبًــا مُرْهَفــا مِــنْ عُيــونٍ خَمْرُهــا يُسْــكِرُني
ودَنــا نَحْــوي بِطَــرْفٍ أوْطَفــا آه وا وَيْــلاهُ لَــوْ يَرْحَمُنِــي

٩- دَور:

تَقْطُـــرُ الآدابُ مـــنْ أعْطافِـــهِ
عِندَمـا يَجلُـو كُـؤوسَ الطَّـرَبِ

وإذا مــا جَــالَ في أَلْطافِــهِ
يَمـلأُ الدَّلْـوَ لِعَقْـدِ الكُـرَبِ

يـا حَيـاةَ الصَّـبِّ في إسْـعافِهِ
نَهلَـةً مـنْ رَشْـفِ مـاءِ الضَّـرَبِ

حَشْـوُ بُرْدَيْـهِ يُرينـا طَرَفًـا
والهـوَى يُبـدِي فُنـونَ الفِتَـنِ

آهِ مــا أحْــلا لَمَــاهُ مَرْشَــفًا
دُرُّهُ أهــدَى عُقــودَ المِنَــنِ

١٠- دَورٌ:

كلّمـا حـاوَلْتُ لَثْـمَ الوَجْنتيـن
أحْـرَقَ الأحْشـاءَ ذاكَ الاضْطِـرامْ

وإذا مـا خِلْـتُ غَمْـزَ المُقلَتَيْـن
فَوَّقـا للقلـبِ أنـواعَ السِّـهامْ

ذُبْـتُ وا وَيْـلاهُ في ذا الحـالَتين
فـاقْرؤوا يـا قَومُ منْ رُوحـي السَّـلامْ

كـلُّ مَـنْ في حُبِّـهِ قـدْ عَنّفـا
لا يَـرَى إلاّ فُنـونَ المِحَـنِ

يـا رَعـاهُ اللهُ حَسـبِي وكفَـى
ورَعَـى في الحُـبِّ مَـنْ تيَّمَـني

١١- دَور:

وسـقَى عَصـرَ التّصـابي والشـبابْ
سُـحْبُ دَمْـعٍ مـنْ جُفـونٍ تَقْطُـرُ

ورعَـى عهـدَ الندامَـى والصِّحـابْ
وأُوَيْقـاتٍ سَـناها يبْهَـرُ

هـلْ لَهـا يـا صـاحِ رَجْـعٌ وإيـابْ
أمْ تُراهـا في الأمـاني تَخطُـرُ

يـا لَعَمْـري قـدْ بَكَتْهـا أسَـفا
أعْيُـنٌ مـا ذُقْـنَ طَعْـمَ الوسَـنِ

لا ولا مِـنْ بَعدِهـا طَـرْفٌ غفَـا
لَيْـتَ لَـوْ تُفْـدى بِغَمْـضِ الأعيُـنِ

١٢- دَور:

لَيْتَ شِعْري كيفَ قدْ مزَّقَها ساعِدُ الدَّهرِ ورَدّاعُ الخُطوبْ
والنَّوى مِنْ جَورِهِ أحْرَقَها بجَوىً جَفَّ بنيرانِ الكُروبْ
هكذا الأقْدارُ مَنْ حَقَّقها يَلْقَها تَجْري صَباحًا وغُروبْ
بقضَاءٍ ليسَ يُدْنيهِ خفَا لكنِ الظَّنُّ بهِ يُطمِعُني
إنّه لا غَرْوَ يُحْبِينا الوفَا وَفْقَ ما يَرضَى وفيهِ لا يَني

١٣- دَور:

يا لِدمْعٍ جادَ مِنْ فَرْطِ الغَرَام تَخِذَتْهُ العينُ للجِيْدِ عُقُودْ
إنّني مازِلْتُ في جُنْحِ الظّلام هائِمًا في شَمسِ أنوارِ الوجُودْ
سيِّدُ الرُّسْلِ وقدْ وافَا خِتام ورقَى مِعْراجَ قُربٍ وشُهودْ
مَلْجأُ الرّاجينَ طَهَ المُصْطفى أحمدُ الهادي لِخَيْرِ السُّنَنِ
مَنْ سعَى شَوقًا لهُ صَلْدُ الصّفا ثُمَّ حيَّاهُ بِصوتٍ حَسَنِ

١٤- دَور:

كمْ لَديهِ مُعجِزاتٌ بَهرَتْ مِثلُ نَبعِ الماءِ صافٍ كالزُّلال
وأحاديثٌ لهُ إنْ نُشِرَتْ تُلمِسُ الحسناءَ مَنْظومَ اللآل
يا نَبيًّا سارَ حتّى ظَهرَتْ حَضْرَةُ الذات لهُ جُنْحَ اللّيال
فَرأى وازْدادَ حَقًّا شَرَفا ربَّهُ المُحْبِيْهِ بالقَدْرِ السَّنِي
وعَلا في نُورِ غَيْبٍ شَرَفا لِسِواهُ ﴿والضُّحَى﴾ لمْ يَكُنِ

١٥- دَور:

فَصــلاةُ اللهِ تَــتْرَى كُــلَّ حــين	مــعْ سَلامٍ فــاحَ مــنْ رَوضِ الكمَــال
دائِمًــا تُهْــدَى إلى طَــهَ الأمِــين	مَــنْ أعــارَ الكــونَ أنْــوارَ الجمَــال
وذَويــهِ الآلِ أربـــابِ اليَقِــين	مَــنْ تَحلَّوا في الهُدَى أسْنَى الخِصــال
وكَـذا الأصْحـابِ أهــلِ الإصْطِفــا	أبْحُـــرِ التّقْــوَى إمـــامِ اللَّسَــنِ
مــا عُبَيْــدٌ يَرتَجِــي حُسْــنَ الوفَــا	في رِضــا الرّحمــنِ والعَيــشِ الهَنِــي



[الموشح السابع]

ومِنْ ذلكَ للأديبِ الكاملِ صَديقِنا **محمدِ بنِ عثمانَ، الشهير بابنِ الشمعةِ**[1]:

قُـمْ بِنـا ياصـاحِ نَجْلُـو القَرْقَفـا	في ريـاضٍ مائِسـاتِ الأغْصُـنِ
واسْـقِنيها في زمـانٍ قـدْ صَفـا	مِـنْ صُـروفِ الدّهـرِ ثُـمَّ المِحَـنِ

١- دَور:

خَمْـرَةٌ تُحْيِـي فُـؤادَ المُسْـتَهامْ	في يَـدِ النُّدمـانِ تُجْلَـى كـالعَروسْ
مـا علَـى شـارِبها عِنـدِي مَـلامْ	سِـيَّما إنْ عُتِّقَـتْ عنـدَ القُسـوسْ
كـمْ بِهـا قلـبي المُعَنَّـى في غَـرامْ	وبِهـا مِنّـا لَقـدْ طـابَتْ نفـوسْ
فاحْتَسَـيْناها فَنِلْنـا شَـرَفا	مـعَ سُـرورٍ تَـمَّ بـالعَيْشِ الهَنِـي
آهِ مـا أحْـلا أُوَيْقـاتِ الصَّفـا	حيـثُ كُنّـا في عَظيـمِ المِنَـنِ

٢- دَور:

يـارعَى اللهُ دِمَشْـقًا إنّهـا	زِينَـةُ الأرضِ ومِصْبـاحُ البِـلادْ
كـمْ غَريـبٍ قـد أتاهـا ظَنَّهـا	جَنَّـةَ الفِـرْدَوسِ أو ذاتَ العِمـادْ
وَصْفُهـا أعْيَـى لأربـابِ النُّهَـى	إذْ بِذِكْـرَى وَصْفِهـا يَحْيـا الفُـؤادْ
فـاحْيِ خِلِّـي قلـبَ صَـبٍّ دَنِفـا	بِصِفـاتٍ علّهـا تُنْعِشُـنِي
إنّهـا دارُ سُـرورٍ وصَفـا	بَهجـةُ الدُّنيـا وتـاجُ المُـدُنِ

(١) انظر الحاشية (٢) من الصفحة (٧٩).

٣- دَور:

بلـــدةٌ أكْرَمَهـــا المَولَـــى الكريـــمْ   مَسْـكَنُ الأبْـدالِ مَـــأوَى الصـــالحين

وَبِهـا قاسُـــونُ ذُو السَّـــفحِ العَظيـــمْ   كَـــمْ بِـــهِ مِـــنْ أنْبِيـــاءِ ســـاكِنين

وَبِهـــا جامِعُهـــا الرَّحْــبُ الوَسِـــيمْ   فيـــهِ يُتْلَـــى قَـــوْلُ رَبِّ العـــالَمِين

مَنْبَـــعُ الأقطـــابِ أهــــلُ الاصْطِفـــا   مُذْهِـــبٌ لِلْهَـــمِّ ثُـــمَّ الحَـــزَنِ

رَحِـــمَ اللهُ وَلِيـــدًا سَـــلَفا   قـــدْ بَنـــاهُ مِـــنْ قَديـــمِ الزَّمَـــنِ

٤- دَور:

حبّــذا نَيْرَبُهـــا السّـــامِي السّـــعيدْ   كَـــمْ بِـــهِ مِـــنْ نُزُهـــاتٍ وقُصـــور

وكَذا الـوادي البَهـي الغَـضُّ الفريـدْ   مَرْتَعًـــا أضْحَـــى لِوِلْـــدانٍ وحُـــور

طالَمـا أمْسَـــى بِـــهِ عَيْشِـــي رَغِيـــدْ   ثَمِـلاً مِـنْ كـأسِ صَهْبـاءِ الثُّغـور

وبِـــهِ طَـــيْرُ الهَنـــا قـــدْ هتَفـــا   بلُغـــاتٍ هَيَّجَـــتْ بـــي شَـــجَنِي

والرَّشـــا قـــدْ حـــازَ قَـــدًّا أهْيفـــا   كلّمـــا هَـــبَّ نَســـيمٌ يَنْثَنِـــي

٥- دَور:

يـــا بِنَفْســـي دَيْـــرَ مُـــرّانَ القديـــمْ   قـــدْ عَـــلا رَبْوتَهـــا دارُ السُّـــعودْ

وَبِهـــا ياصـــاحِ كَـــمْ هَـــبَّ نَســـيمْ   عَرْفُـــهُ فـــاقَ علـــى مِسْـــكٍ وعُـــودْ

بِرُبـــا مَرْجَتِهـــا دارُ النعيـــمْ   كَمْ ظَبـيً بـالطَّرْفِ قـدْ صـادَتْ أُسُـودْ

وبِـــأعلا شَـــرَفيْها وَقفـــا   أكْحَـــلُ العَيْنَيْـــنِ مَـــنْ تيَّمَـــنِي

وضَمـــيري مَـــعْ فُـــؤادِي اعْتَرَفـــا   أنَّ سُـــقْمِي مِـــنْ سَـــقيمِ الأعْيُـــنِ

٦- دَورٌ:

خُـوطُ بـانٍ أغْيَـدٍ زَيـنِ المِـلاحْ | فـاقَ بَـدرَ التِّـمِّ بالوَجْـهِ الصَّبُّـوحْ
ذِي قَـوامٍ أهْيَـفٍ يَحكِـي الرِّمـاحْ | إنْ تَثَنَّـى أثْخَـنَ القلـبَ جُـروحْ
يـا لِقَومـي خالُـهُ المِسْـكيُّ فـاحْ | واللآلِـي مِـنْ ثَنايـاهُ تَلـوحْ
والعيـونُ الوُسْـنُ أبْـدتْ مُرْهَفـا | مِـنْ سُـيوفِ الهنـدِ ثُـمَّ اليَمـنِ
ورِضـابُ الثَّغْـرِ خَمْـرٌ بـلْ شِـفا | أبْتَغـي كأسًـا بـهِ يُسْـكِرُني

٧- دَورٌ:

يـا صَبـا نَجـدٍ ويَـا رِيـحَ الشَّـمالْ | عَرِّجـا صُبْحًـا علَـى تلـكَ الطُّلـول
إنَّ لي في رَبْعِهـا بـاهي الجمَـالْ | بلِّغـاهُ مـا بِجِسْـمي مِـنْ نُحـول
قمَـرًا يَختـالُ عُجْبًـا ودَلالْ | ولِمـاهُ العَـذْبُ يُـزْري بالشَّـمول
قـدْ عَـلا كـلَّ البَرايـا ووَفـا | بالْبَهـا واللُّطْـفِ والحُسْـنِ السَّـنِي
مِثلمَـا قـدْ فـاقَ أربـابَ الصَّفـا | فَخْـرُ كـلِّ الأصْفيـا عبـدُ الغَنِـي

٨- دَور:

قُطْبُ هـذا العَصْرِ مَـنْ حـازَ التُّقَـى | عـينُ هـذا الدَّهْـرِ بَـلْ إنْسـانُها
مَـنْ عَـلا فَـوقَ السُّـهَى بالارْتِقـا | عـالِمُ الأمْصـارِ بَـلْ نُعمانُهـا
مَـنْ إلى عَلْيـاهُ شَـدَّ الأيْنُقـا | فَضَّـلا أهـلِ الدُّنـا أعْيانُهـا[1]
مَعْـدِنُ التَّحْقيـقِ حقًّـا والوَفـا | مَـأْمَنُ الخـائِفِ مُحْيِـي السُّـنَنِ
مَنْهَـلُ الـورّادِ كَهْـفُ الضُّعَفـا | مُوصِـلُ الرّاجـي لأهْـدَى سَـنَنِ

---

(١) كذا في (أ). وفي (ج): فضلا.

٩- دَور:

سَـيّدي مَـنْ جلّـقٌ ضَـاءَتْ بـهِ حيـثُ أضْحَـى ثالِثًـا لِلنَّـيْرَين

لَوذَعِـيٌّ مَـنْ دنَـا مِـنْ قُرْبـهِ نـالَ أسْـمَى رُتْبَـةٍ في الخَـافِقَيْن

شَـهِدَتْ عُجْـمُ الـورَى مـعَ عُرْبـهِ أنّـهُ شمـسُ الضُّحَـى في المَشْـرِقَين

مَـنْ تسَـامَى بِعُـلاهُ عـنْ كفَـا مُخلِـصٌ في سِـرِّهِ والعلَـنِ

بَحـرُ فَضْـلٍ غَيْثُـهُ قـدْ وكَفـا فَهـوَ يَـروي كـلَّ حَـبْرٍ فَطِـنِ

١٠- دَور:

رَوضُ عِلْـمٍ ضـاعَ ذاكِـي عَرْفِـهِ فـالغَوالي مِـنْ شَـذاهُ تَنْشُـقُ

وابـنُ هـاني عـاجزٌ عـنْ وَصْفِـهِ ثُـمَّ قُـسٌّ عِنـدَهُ لا يَنْطِـقُ

حـازَ أنـواعَ العُلَـى في لُطْفِـهِ والمَعـالي نَحـوَهُ تَسْـتَبِقُ

مـاجدٌ في وَعْـدِهِ لـنْ يُخْلِفـا صـادِقٌ في قولِـهِ لا يَنْثَنِـي

نُـورُهُ إنْ لاحَ لِلبَـدْرِ اخْتفَـى تحـتَ أذيـالِ الغمَـامِ الهُتُّـنِ

١١- دَور:

يـا إمامًـا سِـرُّهُ عَـمَّ الوجُـودْ أنـتَ مِصبـاحُ البَرايـا في الدُّجَـى

يـا مَنـارَ الحـقِّ يـا مُـوفي العهُـودْ يـا غَزيـرَ الفَضْـلِ أنـتَ المُرْتجَـى

قـدْ أضـا نَجْمِـي بـأفلاكِ السُّـعودْ بـامْتِداحي مَـنْ لـهُ السّعدُ الْتجَـى

جِهْبِـذٌ تحريـرُهُ كـمْ كشَـفا حُجُبًـا عـنْ مُشْـكِلٍ لمْ يَبِـنِ

أروعٌ تقريـرُهُ كـمْ أوْقفَـا كـلَّ مِنْطِيـقٍ فَصِيـحٍ لَسِـنِ

١٢- دَور:

كيفَ أُحْصي وَصْفَ شَهْمٍ قدْ غَدا　　وارِثًا عِلْمَ الرسولِ الطَّيِّبِ
مَظهرُ الآياتِ مِشْكاةُ الهُدَى　　مَنْ رَقا أعْلا العُلَى في الغَيْهَبِ
جاءَتِ الأشْجارُ تَمشي سُجَّدا　　نَحوَهُ مِنْ كلِّ قَفْرٍ سَبْسَبِ
يا نَبِيًّا فَضْلُهُ لنْ يُوصَفا　　بِلسانٍ بلْ بِكُلِّ الألْسُنِ
كيفَ تستطيعُ الورَى أنْ تَصِفا　　مَنْ أتانا بالكِتابِ البَيِّنِ

١٣- دَور:

مَنْ مَحا الأقطارَ مِمَّنْ قدْ ظَلَمْ　　وَجلَتْ أنوارُهُ جُنْحَ الظلام
وَرمَى الأصنامَ مِنْ أعْلا الحَرَمْ　　وَسقَى الكفّارَ كاساتِ الحِمَام
وَجرَتْ في فَيْضِ كفّيْهِ دِيَمْ　　فَرَوتْ جَيْشًا مِنَ الصَّحْبِ لِهام
فَعليهِ صَلِّ ربّي ما هفا　　طائِرٌ في مكّةٍ أو عَدَنِ
وعلَى الآلِ الكِرامِ الحُنفا　　معَ سَلامٍ هاطِلٍ كالمُزْنِ

١٤- دَور:

وارْضَ عنْ صِدِّيقهِ الغيثِ الوَهوب　　ثانيَ الإِثْنينِ يَنبُوعِ الكَرَمْ
وارضَ عنْ مُردي العِدَى لَيثِ الحُروب　　عُمَرَ الضِرْغامِ فَلاّقِ القِمَم
وارضَ عنْ عُثمانَ كَشّافِ الكُروب　　جامِعِ القُرآنِ مِصْباحِ الظُّلَم
وارضَ عنْ حَيْدَرةٍ كمْ قَطفا　　رأسَ قومٍ في الوَغَى عنْ بَدَنِ
واعفُ عنْ مُحمّدٍ بالمُصْطَفى　　واتّحِفْهُ بالخِتامِ الحَسَنِ

[الموشح الثامن]

ومِنْ ذلكَ لِخاتِمَةِ البُلَغاءِ، صاحبِنا المرحومِ **عبدِ الرحمنِ بنِ محمدٍ التّركُماني، الشّهير بالبُهلولِ**[1]، رَحِمهُ الله تعالى:

غَنّيانِي بِسُعادٍ وصَفا — مَطلعَ الشامِ بِمَغنًى[2] حَسَنِ
دارُ أُنْسٍ وصُعودٍ وصَفا — جَنّةُ الأرضِ عَروسُ المُدُنِ

١- دَور:

ما لِوادِيها لَعَمْرِيْ مِنْ نَظير — مَسْرحُ الآرامِ آرابُ النُّفوس
وازْدِهاءُ الجامِعِ الرَّحْبِ المُنير — غادرَ المُدْنَ كَسَوْداءِ العَروس
كَمْ لَنا في رَوضِهِ الغَضِّ النّضير — صَبوةٌ أطيبُ مِنْ حَثِّ الكُؤوس
شامَةُ الدُّنيا دِمَشقٌ وكفَى — إنّها مَثْوَى الكِرامِ الفُطَّنِ
كيفَ لا وهِيَ بِنَصِّ المُصْطفى — مَعْدِنُ الإيمانِ حِينَ الفِتَنِ

٢- دور:

كَلَّلَ الطَّلُّ رُبا رَبْوَتِها — فاكْتسَى الدَّوحُ لُجَيْنًا وشُذورْ
ولقدْ نَمَّ شَذا بُقْعَتِها — بابْتِسامِ الرّوضِ عنْ شَرْوَى الثُّغورْ
إنَّ لِي في شَرَفَيْ مَرْجَتِها — مَرْتَعًا بينَ تهَاني وسُرورْ
ورَخيمُ الدَّلِّ يَجلو قَرْقَفا — مِنْ رَحيقِ الدَّنِّ والثّغْرِ الجَنِي

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن علي الشهير بالبهلول النحلاوي الشافعي الدمشقي أديب شاعر لغوي، له شعر رائق، ومعرفة في علم التاريخ. توفي سنة ١١٦٣هـ. ودفن بتربة الباب الصغير بدمشق. سلك الدرر ٢/٣٥٥.

(٢) في (ب): بمعنىً حَسَن.

فاسْتَحالَ الكــأسُ شَمْسًــا وصَفــا   واخْتَلَسْــنا طِيْــبَ عَيْــشٍ أيْمَــنِ

٣ـ دَور:

حبّــذا النّــيْرَبُ مُصْطــافُ الهَنــا   حَيْثمــا أرْفُــلُ في الــرّوضِ الأرِيْــض
سَــاحِبًا بالتّيــهِ أذيــالَ المُنَــى   ولَنــا لاحَ مــنَ البِشْــرِ وَمِيــض
مــعَ مَيْســونَ إذا طارَحْتنــا   نَــثرَ اللّؤلُــؤِ نَــثْرًا وقَريــض
بــأبي أحْــوَر أحْــوَى أهْيَفــا   كلّمــا سَــاجَلْتهُ يُنْشِــدُني
قُــمْ بِنــا نَنْهَــبْ أُوَيْقــاتِ الصَّفــا   قبــلَ تَغْشــانا خُطــوبُ المِحَــن

٤ـ دَور:

بــاكرِ الحانَــةَ واجْــلُ الخَنْدَريــسْ   مُترعًــا أكْؤسَــها فــاللّهوُ طــابْ
مِــنْ رَشيقٍ حَسَــنِ الغُنْــجِ أنِيــسْ   فــاحِمِ الطُّــرَّةِ مَعْسُــولِ الرّضــابْ
يــا بنَفْســي ثَغْــرُهُ الــدُّرُّ النَّفِيــسْ   ولَمَــىً طــابَ رُضابًــا و حبــابْ
ذُو حُلَــىً أَلْطَــفُ مــنْ راحِ الشّــفا   وأُحَيْــلا مِــنْ لَذيــذِ الوَسَــنِ
خُــوطُ بــانٍ حــازَ ظَرْفًــا أوطفَــا   فَضَــحَ السُّــمْرَ وبِيْــضَ اليَمَــنِ

٥ـ دَور:

يــا سقَى الــوَدْق لِوَيْــلاتِ السُّعود   وَرعَــى مــاضِيّ أيّــامي الحِســان
إذْ تُعــاطيني الغوانِــي بِنْــتَ عُــود   وتَهــاداني الأمــاني بالأمــان
أفلَــتْ أنْجُــمُ هــاتِيكَ العُهــود   بأُصَيْحــابٍ وخَــيْراتٍ حِســان
يَمِّــمِ السَّــفْحَ وحَيّــي الغُرَفــا   وادَّكِــرْ آونَــةَ العَيْــشِ الهَنِــي

كــــانَ لي عَهْـــــدٌ قَديـــــمٌ وعفَـــا لسْــــتُ أنْســـاهُ بِتلـــكَ الدِّمَـــنِ

٦- دَور:

مــا رِيــاضُ الحُسْــنِ مــا دارُ النّعيــمْ رَفلَـــتْ في ظِلِّهـــا بِيْــضُ الغُـــرَر
وشَـــذَا العُـــودِ ومَغْنــــاهُ الرَّخِيــــمْ والغَــوالي مــعَ نُسَــيْماتِ السَّـــحَر
وارتِشــافُ الــراحِ مــنْ راحِ النّديــمْ وارْتِــوا الظمْــآنِ مِــنْ لَثْــمِ الثّغــر
ولَذيــذُ الوَصْــلِ مِــنْ خَشْــفٍ وفَــا بَعْـــدَ بُعْـــدٍ لِسَـــميرِ الشَّـــجَنِ
بـــأُحَيلا مِـــنْ مَديـــحِ المُصْطفَـــى شـــارِعِ الديـــنِ الصّحيـــحِ البَيِّـــنِ

٧- دَور:

مَـــنْ بـــهِ افْـــتَرَّ بـــلْ ازْدانَ الوجـــودْ جَـــذَلاً بـــلْ مِنـــهُ بَـــدْءُ الخَلْـــقِ كـــان
وتَبـــاهَتْ أمّهـــاتٌ وجُـــــدودْ وتسَـــــامَى كـــــلُّ عَصْـــــرٍ وأوَان
لاحَ في المَولِـــــدِ لألاءُ السُّــــعودْ وتَـــلاهُ البِشْـــرُ مِـــنْ كـــلِّ مَكـــان
وشَـــدَتْ وُرْقُ الهنَـــا بـــلْ هتَفـــا بُلبُـــلُ الأفـــراحِ فـــوقَ الغُصُـــنِ
وبَشـــيرُ الأُنْـــسِ وافَـــى وهفـــا رائـــحَ البُشْـــرَى لِنفْـــيِ الحَـــزَنِ

٨- دَور:

أوْدَعَ اللهُ ينـــــابيعَ العلـــــومْ قَلْبَـــهُ فانْبَجَسَـــتْ منـــهُ الحِكَـــمْ
وارْتَعَــى مِــنْ فِيــهِ يَعسُــوبُ الفُهــومْ وارْتَــوَى مِــنْ بَحْــرِ كفّيــهِ الكَــرَمْ
ســارَ مِــنْ فَيــضِ عَطايــاهُ غُيــومْ فــاجْتَنَى مَــنْ أرْيِ[1] نُعمــاهُ النّسِــمْ

---

[1] الأَرْي: العسل، ومن السحاب درّته، ومن الريح عملها وسوقها السحاب، والندى.

وانْتمَى الفَضْلُ إليهِ والوفا ... بوعُودٍ وبَذْلِ المِنَنِ
وحَباهُ ربُّهُ اللهُ احْتفَى ... بمقامٍ دُونَهُ العرشُ السَّنِي

٩- دَور:

سيّدُ العالَمِ فَضْلاً وجَمالْ ... صَفوةُ العالَمِ مِنْ لُبِّ العَرَبْ
مَوردُ الحِكْمةِ ينبوعُ الكمَالْ ... عَبقريُّ الأصْلِ مَيْمُونُ النّسَبْ
أفْرغَ اللهُ عليهِ ذو الجَلالْ ... حُلَلَ الآدابِ حِلْمًا وحَسَبْ
كعبةُ الرُّشْدِ وسِرُّ الاصْطِفا ... ذَروةُ الفَخْرِ عِمادُ السُّنَنِ
وإذا الجَاني سَعَى واطّوّفا ... بِذُراهُ نالَ عَفوَ المُحْسِنِ

١٠- دَور:

بالتُّقَى تَوَّجَهُ المَولَى البَديعْ ... واعتمَاهُ بالكِتابِ المُسْتَبين
ولقدْ أُفْرِدَ بالوصْفِ البَديعْ ... وهوَ لِلْعلمِ اللّدُنّيِّ أمِين
وبهِ تَحلُو أفانِينُ البَديعْ ... برَقِيقِ النُّظْمِ والنَّثرِ الحَسِين
فَرعَ الخَلْقَ عُلاهُ شَرَفا ... فرعَى الحقَّ بِصدقِ اللّسَنِ
مِثلمَا السُّؤْدُدُ فيهِ شَرُفا ... عَشِقَ الحُسْنُ مُحيّاهُ السَّنِي

١١- دَور:

شَأْوُكَ الأسْنَى مُحالٌ أنْ يُرامْ ... وحَلاكَ الغُرُّ عَزّتْ عنْ مَثِيلْ
مَنْ بِها الأفْهامُ عَيَّتْ والقِلامْ ... حاشَ أنْ يَسْتطيعَها إلاّ جَليلْ

هَبْنِيَ الإغْضاءَ عـنْ فَحوَى النّظـامْ	لـكَ يَتلُو ﴿فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلْ﴾[1]
كـمْ مَعـانيكَ الّتي لـنْ تُوصَفـا	أفْحمَـتْ عـنْ لَوْذَعِـيٍّ فَطِـنِ
لكـنِ المـأمولُ يـا كَـنْزَ العفَـا	بِقَبُـولٍ منـكَ أنْ تُتْحِفَنِـي

١٢- دَور:

علِّنِـي أُدْرَجُ في سِـلْكِ الأُولَـى	ظفـروا مِنـكَ بتوفيـقِ السَّـداد
راقِيًـا بَحْبُوحَـةَ الفَـوزِ بِـلا	مِحْنَـةٍ تُخْطِـئ بـي نَهْـجَ الرَّشـاد
سـيِّدي إنْ لَمْ تكـنْ لِيْ مَوئِـلا	فـإلى مَـنْ أَلْتَجـي يـومَ المَعَـاد
لـنْ يَخـافَ الدهـرَ شـادٍ هتَفـا	وَصْـفَ مَعْنـاكَ البَهـيِّ الحَسَـنِ
فَـأغِثْني يـومَ آتِـي المَوقِفـا	واحْمِـني مِـنْ كـلِّ مـا يُحْزِنُنِـي

١٣- دَور:

زادكَ اللهُ سَـناءً واحْـتِرامْ	وصَـلاةً وسَـلامًا دائِمَـين
نَفْحُهـا عَـرْفُ لَطِيـمٍ وبشَـامْ	وسَـناها فـاقَ ضـوءَ النَّـيِّرَين
حَـقُّ مِقْـدارِكَ والآل الكِـرامْ	وذَويـكَ الغُـرِّ سِـيْما الصّـاحِبَين
مـا اسْـتبانَ ابـنُ ذُكـاءٍ أوْ خفَـا	بـارِقٌ مِـنْ طَيْبَـةٍ واليَمـنِ
وتَحلّـى كـلُّ نَظْـمٍ ألفَـا	بافْتِتـاحٍ واخْتِتـامٍ حَسَـنِ



(١) الحجر: ٨٥.

[الخاتمة]

وهُنا حَبسْنا عِنانَ اليَراعةِ لا عنْ مَللٍ، بلِ اكْتفينا عنِ التّفصيلِ بالجُمل، ولو اسْتقْصَينا ما بِها منَ الأعاجيبِ، لاتّسَعَ بنا المَجالُ وضاقَتِ المهَارِق فاقْتصَرْنا على ما ذَكرناهُ في هذهِ الرسالةِ البديعةِ الأساليب، العديمةِ المثالِ المُتحلّيةِ بكلِّ مَعنًى رائِقٍ. وَضبْطُ مَحاسِنها بَعِيدُ المَرامْ، صَعْبٌ على مَنْ رام. [المجتث]

مَحاسِنُ الشامِ جَلَّتْ ... عنْ أنْ تُحَدَّ بحَدٍّ

عنْ حُسْنِها فتحدَّثْ ... وعنْ سِواها فَعَدِّ

❀ كما قالَ المرحومُ عبدُ الباقي الحَنْبليّ: [من المجتث]

مَحاسِنُ الشّامِ قالتْ ... كلُّ المَدائِنِ جُنْدي

فَلا تَقِسْني بغَيْري ... واتْرُكْ لشؤم التّعدّي

❀ وقولُ الآخرِ: [من المجتث]

مَحاسِنُ الشامِ نادَتْ ... أنا الفَريدَةُ وَحْدِي

وكلُّ حُسْنٍ لِغَيْرِي ... فإنّما هوَ بَعْدِي



واللهُ المُوفّقُ، وعليهِ الاتّكالُ، وهو عُمدتي في كلِّ حالٍ.

وهذا آخرُ ما سَردَهُ اليَراعُ، وسلكَ بهِ مَهيَعَ الإبْداعِ.

وقدْ ختمتُها بهذَينِ البيتينِ البَديعَيِّ النِّظامِ، راجيًا منَ اللهِ سُبحانَهُ حُسْنَ الخِتامِ، وهُما: [من مجزوء الخفيف]

وبِحَمْـــدِ الإلـــهِ مُـــذْ	حـــازَ لُطفًـــا نِظامُهـــا
قلـــتُ فيهـــا مُؤَرِّخًـــا	جـــاءَ مِسْـــكٌ خِتامُهـــا[1]

❁ ❁ ❁

وقدْ يسَّرَ[2] اللهُ تعالَى الفَراغَ منْ تأليفِها نهارَ الخَميسِ غُرَّةَ شهرِ جُمادَى الآخرةِ، سنةَ إحدَى وسَبعينَ ومئةٍ وألفٍ، على يَدِ مُحرِّرِها، الفَقيرِ إلى اللهِ تَعالى: السيدُ محمدُ ابنُ المرحومِ[3] السيد مُصْطفى ابنُ المرحومِ خَداويردي بنِ مُرادِ بنِ إبْراهيمَ، الشهيرُ بابنِ الراعي الدِّمشقيِّ.

غَفرَ اللهُ تعالَى لهُ ولِوالِدَيهِ، ولِسائرِ المسلمينَ أجْمعينَ

وصلَّى اللهُ تعالَى على سيِّدِنا ومَولانا مُحمدٍ

وعلَى آلهِ وأصْحابهِ أجْمعينَ

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين

---

(1) قوله في حساب الجُمَّل يساوي: (جاء = ٤ + مسك = ١٢٠ + ختامها = ١٠٤٧ = ١١٧١).

(2) في (ب): قال مؤلفها: وقد يسّر.

(3) في (ب): ابن السيد مصطفى.

وجاء في نسخة (ب): قال مؤلفها: وقد يسر... وقد وافق الفراغ من نسخها نهار الاثنين سلخ محرم الحرام، سنة ١١٩٩ تسع وتسعين ومئة وألف، على يد أفقر الورى إلى عفو رب البرية محمد درويش بن يحيى بن مصطفى بن محمد الطالوي، الشهير بجامي السنانية، غفر له آمين.

الفهارس العامة

ـ فهرس الآيات القرآنية الكريمة ـ

ـ فهرس الأحاديث الشريفة ـ

الحديث	الصفحة
أقسم الله تعالى بمساجد	٢٢
إن الله خلق الورد من بهائه	١٢٣
إن دهن البنفسج سيد الأدهان	١٣٠
إن قارئ القرآن يؤتى بياسمين الجنة	١١١
إن الورد سيد رياحين الجنة	١٢٣
أنت الأندر، ومنك المنشر	٢١
أهبط آدم عليه السلام من الجنة	١٠٥
أول شيء غرس نوح الآس	١٠٥
بالشام من قبور الأنبياء ألفا	٢٢
بها جبل يقال له قاسيون	٨٧، ١٦٢
تلك ملائكة الله باسطو أجنحتها	٢١
سيد رياحين الدنيا والآخرة	١١٢
الشام كنانتي، فإذا غضبت	٢١
شموا النرجس، فإن في القلب	١١٩
طوبى للشام	٣٩
معدن الإيمان (دمشق) حين الفتن	٢٨٣
لو يعلمون الناس ما في مغارة الدم	٨٨
ما بين بيتي ومنبري روضة	٣
ما عبدناك حق عبادتك	١٨٠
موضع الدم في جبل قاسيون موضع	٨٨
من أراد أن يرى الموضع الذي	٢٢
من أراد أن يرى: وآويناهما	١٦٢
من عرض بريحان فلا يرده	١٠٣
هو بالغوطة، مدينة يقال لها دمشق	٨٧
هو موضع الحاجات والمواهب	١٦٢
يا طوبى للشام، يا طوبى	٢١

- فهرس الأعلام -

ـ فهرس الأقوام والجماعات والقبائل والأمم ـ

ـ فهرس الأماكن والمدن والأنهار والوديان ـ

- فهرس الكتب -

- فهرس الأمثال -

- فهرس الورود والأزهار -

فهرس الأشعار

ـ أ ـ

الشطر الأول	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
ومحنية الأضلاع تحنو على الثرى	الترائبِ	الطويل	ابن سعيد	٤	٩٤
وذات حنين لا تزال مطيفة	السواكبِ	الطويل	ابن سعيد	٤	٩٣
وقد لاح زهر الأقحوان كأنه	القضبِ	الطويل	-	٢	١٢٦
على السبعة الأنهار من جانب الغربي	الكربِ	الطويل	النابلسي	١١	١٥٩
كأن عليها عبقري مطارف	عصائبِ	الطويل	-	١	٢٠٥
فأنهاره تجري وأزهاره تضي	أعنابِ	الطويل	-	١	٢١٨
معالم أحباب ومغنى حمائم	ربارِبِ	الطويل	ابن خلوف	٢	٢١٨
سقى الله عين الصاحب العذب ماؤها	الرطبِ	الطويل	-	٢	٢٣١
نسائمها راقت ورقت شمائلاً	باللبِ	الطويل	-	٢	٢٣٢
كأنما دوحة الحناء إذ فتحت	مرتقبِ	البسيط	-	٢	١١٣
والأقحوانة تحكي ثغر غانية	القضبِ	البسيط	-	٢	١٢٦
انظر إلى الورد ما أحلى شمائله	الحطبِ	البسيط	-	٢	١٢٢
أما ترى شجرات الورد مظهرة	قضبِ	البسيط	ابن طاهر	٢	١٢٢
وعرف الديك وسط الروض أضحى	العجيبِ	الوافر	ابن الشمعة	٢	١١٠
وكيف ولم يزل للشعر ماء	القلوبِ	الوافر	أبو تمام	١	٢٤١
وما بقيت من اللذات إلا	الشرابِ	الوافر	الفياض	٢	٢٤٢
حيث المياه ترقرقت في جدول	مذهبِ	الكامل	-	٢	١٦٧
والنهر قد عشق الغصون فلم يزل	قلبِهِ	الكامل	-	٢	١٧٤
يا نسمة الروض الخصيب	الرطيبِ	مجزوء الكامل	صادق الخراط	١٦	٤٤
يا نسمة نسمت حبيبي	بطيبِ	مجزوء الكامل	محمد القدسي	٢١	٤٥
كأن آذريونها	القضبِ	مجزوء الرجز	الصنوبري	٢	١٣٢
كأنما الياسمين حين بدا	الكثبِ	المنسرح	ابن آيبك	٢	١١١
كأنما الجلنار حين بدا	القضبِ	المنسرح	ابن عبد الظاهر	٢	١١٥
بحر فضل لو قيس بالبحر كان	السرابِ	الخفيف	محمد الحلبي	٢	٧٤

- خ -

- د -

الشطر الأول	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
وصحب سرينا في الصباح بهم على	الحدِّ	الطويل	النابلسي	١٠	٣٩
سقى جلقا صوب السحاب المزرد	معهدِ	الطويل	ابن قضيب البان	٣	٥٥
وأضنى الجوى قلبي بتذكار معهد	المواردِ	الطويل	مصطفى اللقيمي	٢	٨٤
وحاكورة تحكي سماء زبرجد	المنضدِ	الطويل	النابلسي	٦	٩٢
رياض تردت بالرياض مجودة	المواردِ	الطويل	البحتري	٢	١٠٩
وذي هالة في الزهر أبيض ناصع	الوردِ	الطويل	ابن النقيب	٣	١١٤
وزنبق روض مذ تبدى خلته	المترددِ	الطويل	النابلسي	٢	١١٨
وياقوتة صفراء في رأس درة	زبرجدِ	الطويل	المأمون	٢	١١٨
ونيلوفر يحكي لنا المسك طيبه	مسعدِ	الطويل	الصولي	٣	١٣١
رياض حكى برد اليمانيّ وشيها	البردِ	الطويل	سرور	١	١٥٥
تغنت به الأطيار من كل نغمة	معبدِ	الطويل	-	١	٢٠٩
تنبه فقد شق البهار مغلساً	الندي	الطويل	ابن برد	٢	١٢٧
في حرستا خارج البلد	ندي	المديد	النابلسي	٦	١٩٣
الآس فرد بديع في محاسنه	بموجودِ	البسيط	ابن طباطبا	٢	١٠٤
انزل بحلبون حول الماء في الوادي	أعوادِ	البسيط	-	٤	٢٢٣
وادي دمشق الذي يعزى إلى بردى	صادي	البسيط	-	٤	٢٠٣
أرانا الورد في حمر الخدود	القدودِ	الوافر	ابن خلوف	٢	١١٦
فكأنما الورد الجني إذا بدا	عسجدِ	الكامل	-	٢	١٢٢
هيا بنا فالطير صاح مغرداً	بمغردِ	الكامل	النابلسي	٢	١٢٥
يرتاح للنيلوفر القلب الذي	وجهدِهِ	الكامل	ابن الرومي	٢	١٣١
يا حبذا المهد الأنيس فإنه	المشهدِ	الكامل	اللقيمي	٣	١٦١
لرياض جلق تحت نهر يزيد	يزيدِ	الكامل	ابن النقيب	٣	١٦٦
والجدول الفضي يضحك ماؤه	مهندِ	الكامل	-	٢	١٨١
ومنمنم الشطين أحكم صقله	بفرندِهِ	الكامل	الجذلي	٢	١٩١

- ر -

الشطر الأول	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
كـأن الميـاه خـلال الريـاض	ناظرَهْ	المتقارب	المشد	٢	١٩٧
احجج إلى الزهـر لتحظى بـه	مستنفرا	السريع	الشرف المقدسي	٢	٢٠٦
سقى الجنك منهـل الربـاب فشـوقنا	حصرُ	الطويل	القيراطي	٢	٥٧
ودولابهـا يبكـي بدمـعٍ سـائلٍ	القطرُ	الطويل	-	٥	١٥٣
فيا نهر ثورا قد أثـرت مـن الهـوى	الصدرُ	الطويل	ابن الخياط	٢	١٦٨
غيـاض يفيـض المـاء في عرصاتهـا	تزهرُ	الطويل	المشد	٢	١٦٩
فمـا هـو إلا فضـة في زبرجـد	المتناثرُ	الطويل	-	٣	٢٠٣
بـه الفضل يبدو والربيـع وكـم غـدا	جعفرُ	الطويل	-	١	٢٠٩
ومرجـاء في واد يروقـك وصفهـا	مبكرُ	الطويل	الجذامي	٣	٢٣٧
ليـالي تدنـي منـك بـالقرب مجلسـي	يقطرُ	الطويل	أبو العتاهية	١	٢٤٣
أمـا دمشـق فجنـات معجلّـة	الحورُ	البسيط	عرقلة الكلبي	١	٢٨
مـا فتـح النـور إلا أشـرق النـور	منثورُ	البسيط	عرقلة	٥	٥٩
وسوسـن راق مـرآه ومخـبره	منظرُه	البسيط	أبو عامر	٢	١٠٧
قصـر الأمـير بـوادي النـيربين سـقى	مدرارُ	البسيط	منجك	٣	١٤٠
النـاس نبـت وأربـاب القلـوب لهـم	الزهرُ	البسيط	الحميدي	١	١٥١
فكـل واد بـه موسـى يفجـره	الخضرُ	البسيط	ابن سعيد	١	٢٠١
ووردًا أبيضـًا قـد زاد حسـنًا	احمرارُ	الوافر	خطيب النيربين	٢	١٢٤
انظـر إلى الكركيـش وهـو محـدق	يدارُ	الكامل	-	٢	١٣٣
سـر بـي إلى الـوادي وقـف متنزهـًا	الأطيارُ	الكامل	الشرف القواص	٢	١٥٨
أنـا نرجـس حقًّـا بهـرت عقولهـم	بهارُ	الكامل	الجزري	١	١٢٠
لـو لم يكـن هـو جنـة المـأوى لنـا	الأنهارُ	الكامل	-	١	٢٠٥
بلـد تحـف بـه الريـاض كأنـه	عذارُهُ	الكامل	ابن الخطيب	٢	٦٧
إنمـا قاسـيون في الشـام نـور	سرورُ	الخفيف	النابلسي	١٠	٨٨
جلـق الشـام جنـة الخلـد تجـري	الأنهارُ	الخفيف	النابلسي	٢	٩٩

الشطر الأول	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
فمـــا تقـــع العــــين إلا علــــى	أنوارُها	المتقارب	كشاجم	٢	٢٢٧
يــزر عليــه الجــو جيــب غمامــه	الزهرِ	الطويل	-	١	٨٧
خليلــي مــا لــلآس يعبــق نشــره	الهواجرِ	الطويل	ابن وكيع	٢	١٠٥
وذي قامـة في الزهـر تنـدى غضـارة	الشحرِ	الطويل	ابن النقيب	٢	١١٠
بـدا أبيـض الـورد الجـني كأنمـا	كافورِ	الطويل	السري	٢	١٢٤
وللأقحـوان الغـض ثغـر مفلـج	تبرِ	الطويل	العمري	١	١٢٦
رعـى الله وادي النـيربين فـإنني	العمرِ	الطويل	-	٣	١٣٧
ونهـر إذا مـا الشـمس حـان غروبهـا	الخضرِ	الطويل	ابن لؤلؤ	٢	١٧٧
ونهـر جلـت عـن حـر صفحته القـذى	البكرِ	الطويل	ابن الرومي	٢	١٩١
فجدولـه في سـرحة المـاء منصـل	سوارِ	الطويل	أبو القاسم	٢	١٩٦
فمـن روضـة غنـاء تجـري خلالهـا	نهرِ	الطويل	ابن النقيب	٢	٢٠٤
تـأمل على مجرى المياه حلى الزهـر	الزهرِ	الطويل	صفوان	٣	٢٢٦
ومـا هـاجني إلا ابـن ورقـاء سـحرة	النهرِ	الطويل	علي بن غالب	٥	٢٣٠
جنـان وأشـجار تلاقـت غصونهـا	الخضرِ	الطويل	ابن المعتز	٢	٢٣٠
لها جدول ينساب من فوق شاهق	غديرِهِ	الطويل	-	٢	١٩٩
ومطّـردِ الأمـواج يصقـل متنـه	ضميرِهِ	الطويل	ابن حمديس	٢	١٨٣
حيَّا دمشـق فكـم فيهـا لـذي وطـر	البصرِ	البسيط	ابن النقيب	٢٦	٤١
حيَّـا الحيـا جلقـاً داراً بهـا وطـري	المطرِ	البسيط	ابن الشمعة	٢٦	٧٩
حتى امتطـى صهـوات المجد سـامية	الغررِ	البسيط	الطالوي	٣	٨١
رأيـت في السـمرة الحنـاء ذا عجـب	خمّارِ	البسيط	-	٢	١١٣
ومرزجـوش كـأن القطـر شـنفه	أبكارِ	البسيط	الهذلي	٢	١٣٤
رياضهـا نصبـت أعلامهـا وغـدا	مجرورِ	البسيط	صفي الدين	٣	١٤١
والنهـر يصدى بهـاتيك الظلال كمـا	الذكرِ	البسيط	ابن النقيب	٢	١٧٣
نـزه لحـاظك في أطرافـه لـترى	للبشرِ	البسيط	-	٣	٢٠٥

- ص -

- ض -

- ط -

- ظ -

- ع -

الشطر الأول	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
ونوفـرة كعـين الصـب شـكرى	يراقا	الوافر	الطالوي	٢	١٣١
ونهـــر دار نرجســـه عليـــه	راقا	الوافر	-	٢	١٨٨
إن سـامك الخطـب المهـول فأقلقـا	جلقا	الكامل	النابلسي	٦٥	٣٤
والنهـر لمـا أن زهـا نـثرت لـه	تفوقا	الكامل	-	٢	١٧٦
يـا صباحـاً بديـر مـران راقـا	الأحداقا	الخفيف	النابلسي	٧	٩١
لعـل سـنا بـرق الحمـى يتـألق	يطرقُ	الطويل	المجد الحنفي	٢٧	٦٤
ولما بـدا الخشـخاش في الـروض مزهـراً	الحدائقُ	الطويل	-	٢	١٠٨
ففـي اللـون بلـور وفي اللمـع لؤلـؤ	درياقُ	الطويل	الصنبوري	١	٢٣٣
انظـر إلى النهـر والأدواح ترمقـه	حدقُ	البسيط	ابن سعيد	٢	١٨١
والشـام شـامة وجنـة الدنيـا كمـا	جلقُ	الكامل	عرقلة	٣	٥٩
لي نحـو ربعـك دائمـاً يـا جلـق	أتمزّقُ	الكامل	الشمس الأسدي	٢١	٦٢
كـم ليلـة بالنـيربين قطعتهـا	شهيقُ	الكامل	المنيني	١٧	٧٣
شـوق تقطـع دونـه الأعـلاق	فراقُ	الكامل	سعيد السمان	٥٩	٧٥
وأصـابع المنثـور عضتهـا الصبـا	يعبقُ	الكامل	النابلسي	٢	١٠٥
وعشـية بالنـيربين تـروق	تسوقُ	الكامل	النابلسي	٦	١٣٩
مـن سـكر زبديـن إلى جسـرين كـم	رونقُ	الرجز	العروضي	٢	١٧٢
والنهـر يشـكو وجـده بخريـره	مومومقُ	الكامل	الكيواني	٢	١٨٢
ترقـرق مـاء الـود بيـني وبينـه	رائقِ	الطويل	الشريف الرضي	١	٢٤٣
يـا رب سوسـنة قبلتهـا كلفـاً	ريقِ	البسيط	ابن المعتز	٢	١٠٨
ونرجـس الـروض قـد حيّـا بمضعفـه	يققِ	البسيط	ابن النقيب	٣	١٢٠
وأقبـل الـورد مـن برعومـه خجـلاً	العبقِ	البسيط	ابن النقيب	٣	١٢١
تضمـه الريـح أحيانـاً وتفرقـه	منطلقِ	البسيط	الإيادي	٢	١٩٤
وفـاح مـن أرج الأزهـار طيـب شـذاً	منتشقِ	البسيط	الحلي	٢	٢١٣
ونهـر للريـاح عليـه درع	بالشروقِ	الوافر	السلامي	٢	١٨٧

- ك -

- ل -

الشطر الأول	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
يـــا حبـــذا جلـــق مـــن بلـــدة	تلا	السريع	النابلسي	٢٢	٣٨
دمشــق فــي شــوق إليــك مــبرح	عزولُ	الطويل	ابن عنين	٢	٥٨
محاســن يبديهــا العيــان كمــا تــرى	العقلُ	الطويل	البستي	١	٩٨
منـــازل أنـــس للأوانـــس حبـــذا	المنازلُ	الطويل	-	١	١٥٢
ومــا هــاجني إلا ابــن ورقــاء ســحرة	هديلُ	الطويل	البوريني	٤	٢٢٥
رســا أصلــه تحــت الــثرى وسمــا بــه	طويلُ	الطويل	السموأل	١	٢٢٦
هـو الأبلـق الفـرد الـذي شـاع ذكـره	يطولُ	الطويل	السموأل	١	١٤٧
حمـراء مـن صنعـة البـاري وقدرتـه	صقالُ	البسيط	كشاجم	٢	١١٥
لهـــا نهـــر تخـــال بـــه لجينـــاً	الأصيلُ	الوافر	الكستندي	٢	١٩٠
ولا بــرح الصبــا يــروي صحيحــاً	اعتلالُ	الوافر	التلعفري	١	٢٠٧
عجبــاً لميدانــي دمشــق وقــد غــدا	يؤولُ	الكامل	ابن تميم	٢	٦٧
كـم مــنزلٍ في نهرهــا آلى الســرور	ينزلُ	الكامل	التنوخي	٣	٩٨
وإذا نظـــرت الصالحيـــة خلتهـــا	تخيلُ	الكامل	القاضي التنوخي	١	١٠٠
النهــر يجــري في الريــاض وثوبــه	مصقولُ	الكامل	-	٢	١٧٨
واد يفــوح المســك مــن جنباتــه	عليلُ	الكامل	المشد	١	٢٢٤
عذبـت فمــا نــدري أمــاء ماؤهــا	سلسلُ	الكامل	التنوخي	١	٢٣٧
متسلســـل وكأنـــه لصفائـــه	يتسلسلُ	الكامل	التنوخي	٢	٢٣٨
والنهـر قـد جـن بـالغصون هـوى	يمثلها	المنسرح	عز القضاة	٢	١٧٥
كجنـان الفـردوس ألـوان وولـدان	تجولُ	الخفيف	ابن أبي الرجال	٥	١٤٤
نهـــر دافـــق وجـــو فتيـــق	ظليلُ	الخفيف	ابن أبي الرجال	٢	١٧٩
روض كيـوان فقـت طبعـاً ووصفـاً	قليلُ	الخفيف	ابن أبي الرجال	٢	٢٠٦
وأتـى مرسـل النسـيم إلى الغصـن	يميلُ	الخفيف	السحولي	١	٢٠٧
دمشـــق موطـــن أنـــس	العليلُ	المجتث	ابن حمزة	٣	١٠١
ونهـر يجـب الـدوح أصبـح مغرمـاً	بوصالِها	الطويل	ابن لؤلؤ	٢	١٧٤

- م -

- ن -

ـ الألف اللينة ـ

ـ فهرس الأرجاز ـ

ـ فهرس أنصاف الأبيات ـ

- فهرس الأدوار -

- فهرس المخمسات -

جريدة المصادر والمراجع

- **ابن وكيع التنيسي**: شاعر الزهر والخمر، جمع شعره وحققه د. حسين نصار، مكتبة مصر.
- **الإحاطة في أخبار غرناطة**: لسان الدين الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- **الأعلام**: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين (ط٤)، ١٩٧٩.
- **تاريخ مدينة دمشق**: ابن عساكر، أجزاء، مجمع اللغة العربية بدمشق.
- **التذكرة الفخرية**: الصاحب بهاء الدين الإربلي، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، دار البشائر. دمشق ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤.
- **التشبيهات من أشعار أهل الأندلس**: محمد بن الكتاني الطبيب، تحقيق د. إحسان عباس، دار الشروق ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**: الثعالبي، تحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- **جبل قاسيون**: محمد أحمد دهمان، مطبعة الترقي ١٩٤٩ م.
- **جمهرة أشعار العرب**: لأبي زيد القرشي. تحقيق د. محمد علي الهاشمي. دار القلم دمشق ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- **حدائق الأنوار وبدائع الأشعار**: جنيد بن محمود، تحقيق هلال ناجي، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٥ م.
- **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**: عمر بن الوردي، مطبعة الشيخ عثمان عبد الرازق بالقاهرة ١٣٠٢ هـ.
- **خريدة القصر وجريدة العصر**: عماد الدين الأصبهاني الكاتب.
- **خطط دمشق**: صلاح الدين المنجد، نشر المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٤٩ م.

- **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**: المحبي، مصورة دار صادر.
- **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**: ابن حجر العسقلاني. مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن ١٣٤٨.
- **ديوان ابن الأبار**: تحقيق د. عبد السلام الهراس، الدار التونسية للنشر ١٤٠٥ - ١٩٨٥.
- **ديوان البحتري**: تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف بمصر ١٩٦٣ م.
- **ديوان ابن حمديس**: تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر ودار بيروت ١٣٧٩ - ١٩٦٠.
- **ديوان ابن خفاجة**: تحقيق د. السيد مصطفى غازي، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- **ديوان ابن الخياط**: تحقيق خليل مردم بك، المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٧٧ - ١٩٥٨.
- **ديوان ابن الرومي**: تحقيق د. حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣ م.
- **ديوان ابن زمرك الأندلسي**: تحقيق د. محمد توفيق النيفر، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٧ م.
- **ديوان ابن عنين**: تحقيق خليل مردم بك، المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٦٥ - ١٩٤٦.
- **ديوان ابن الفارض**: دار صادر ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- **ديوان ابن قلاقس**: تحقيق د. سهام الفريح، مكتبة المعلا، الكويت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- **ديوان ابن لؤلؤ الذهبي**: تحقيق محمد إبراهيم لاشين، دار الآفاق العربية، القاهرة ٢٠٠٤ م.
- **ديوان ابن المعتز (أشعار الأمير أبي العباس)**: تحقيق د. محمد بديع شريف، دار المعارف.
- **ديوان ابن نباتة المصري**: مطبعة التمدن بمصر ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م.
- **ديوان ابن النبيه المصري**. تحقيق عمر محمد الأسعد. دار الفكر ١٩٦٩.
- **ديوان ابن النقيب**: تحقيق عبد الله الجبوري، المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.
- **ديوان ابن الوردي**: تحقيق د. أحمد فوزي الهيب.
- **ديوان أبي تمام**: شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر.
- **ديوان أبي العتاهية**: تحقيق د. شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م.

- **ديوان أبي الفتح البستي:** تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
- **ديوان أبي فراس الحمداني:** تحقيق د. محمد ألتونجي، منشورات المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
- **ديوان أحمد الكيواني:** المطبعة الحنفية بدمشق ١٣٠١ هـ.
- **ديوان التلعفري:** تحقيق د. رضا رجب، دار الينابيع ٢٠٠٤ م.
- **ديوان السري الرفاء:** مكتبة القدسي ١٣٥٥ هـ.
- **ديوان السموأل:** تحقيق محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
- **ديوان سيف الدين المُشد:** جمع وتحقيق د. محمد زغلول سلام. منشأة المعارف بالإسكندرية.
- **ديوان الشاب الظريف:** بعناية ونفقة المكتبة الأهلية، بيروت، بلا تاريخ.
- **ديوان الشريف الرضي:** تحقيق إحسان عباس، دار صادر ٢٠٠٤ م.
- **ديوان شهاب الدين ابن الخلوف:** جمع وتحقيق د. هشام بوقمرة، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٨ م.
- **ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري:** تحقيق د. عمر موسى باشا، مجمع اللغة العربية بدمشق.
- **ديوان الصاحب بن عباد:** جمع وتحقيق محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م.
- **ديوان صفي الدين الحلي:** تحقيق د. محمد حور، ط ٢٠٠٠ م.
- **ديوان الصنوبري:** تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر ١٩٩٨ م.
- **ديوان ظافر الحداد:** جمع وتحقيق د. حسين نصار، دار مصر للطباعة.
- **ديوان عرقلة الكلبي:** تحقيق أحمد الجندي، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.
- **ديوان منجك:** المطبعة الحفنية بدمشق ١٣٠١ هـ.

- **ديوان الوأواء الدمشقي:** تحقيق سامي الدهان، المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٠ م.
- **رحلة ابن جبير:** دار التراث، بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- **الرسالة المستطرفة:** تأليف محمد بن جعفر الكتاني. تحقيق محمد المنتصر الكتاني. دار البشائر الإسلامية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦.
- **الروض المعطار في خبر الأقطار:** محمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان ١٩٧٥ م.
- **ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا:** شهاب الدين الخفاجي. طبعة بولاق بمصر ١٢٧٣هـ.
- **الريف السوري:** أحمد وصفي زكريا، دمشق ١٩٥٧ م.
- **زهر الآداب وثمر الألباب:** باعتناء د. زكي مبارك، المكتبة التجارية، ط ثانية.
- **زهر الأكم في الأمثال والحكم:** الحسن اليوسي، تحقيق الدكتور محمد حجي، والدكتور محمد الأخضر، منشورات معهد الأبحاث والدراسات والتعريب، المغرب ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- **الزيارات:** القاضي محمود العدوي، تحقيق صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٦ م.
- **سنن أبي داوود:** تحقيق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار الحديث، حمص ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م.
- **سنن الترمذي:** تحقيق أحمد محمد شاكر وأساتذة، دار إحياء التراث العربي.
- **شرح ديوان المتنبي:** عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- **شعب الإيمان:** أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- **شعر ابن طباطبا:** تحقيق جابر الخاقاني، منشورات اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين ١٩٧٥ م.
- **شعر ابن عبد ربه الأندلسي:** جمع وتحقيق محمد أديب جمران، مكتبة العبيكان ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

- **شعر ابن هذيل القرطبي:** جمع وتحقيق د. محمد علي الشوابكة، منشورات جامعة مؤتة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م.

- **الشعر والشعراء:** ابن قتيبة. تحقيق أحمد محمد شاكر. دار الحديث القاهرة ١٤١٧- ١٩٩٦م.

- **شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل:** شهاب الدين أحمد الخفاجي. باعتناء محمد بدر الدين النعساني. مطبعة السعادة ١٣٢٥ هـ.

- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا:** أحمد بن علي القلقشندي، القاهرة ١٣٣١ هـ.

- **صحيح البخاري.**

- **صحيح مسلم:** تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.

- **طبقات فحول الشعراء:** ابن سلام الجمحي. تحقيق محمود شاكر.

- **غوطة دمشق:** محمد كرد علي، المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٤٩ م.

- **الفردوس بمأثور الخطاب:** شيرويه بن شهردار الديلمي، تحقيق السعيد زغلول، دار الكتب العلمية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- **فضائل الشام ودمشق:** لأبي الحسن علي الربعي المالكي، تحقيق صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٠ م.

- **فوات الوفيات:** محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر.

- **القاموس المحيط:** الفيروزبادي، مؤسسة الرسالة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية:** محمد بن طولون. تحقيق محمد أحمد دهمان. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون:** حاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد.

- **مجمع الأمثال:** لأبي الفضل الميداني. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصورة دار النصر بيروت.

- **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء**: الراغب الأصبهاني، تحقيق د. رياض عبد الحميد مراد، دار صادر ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- **المحب والمحبوب والمشموم والمشروب**: السري الرفاء، تحقيق مصباح غلاونجي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- **المدهش**: لأبي الفرج ابن الجوزي، المؤسسة العالمية، بيروت ١٩٧٣ م.
- **المستدرك على الصحيحين**: محمد بن عبد الله الحاكم، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد الدكن ١٣٣٤ هـ.
- **مسند الإمام أحمد**: المكتب الإسلامي ودار صادر.
- **مسند البزار**: أحمد بن عمرو البزار. تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله. مؤسسة علوم القرآن، ومكتبة العلوم والحكم. بيروت. المدينة ١٤٠٩ هـ.
- **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**: عبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصورة عالم الكتب، بيروت.
- **معجم الأدباء**: ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي ١٩٩٣م.
- **معجم دمشق التاريخي**: د. قتيبة الشهابي. منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٩م.
- **المعجم الذهبي**: د. محمد ألتونجي، المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق ١٩٩٣ م.
- **معجم مصطلحات العروض والقافية**: تأليف الدكتور محمد علي الشوابكة والدكتور أنور أبو سويلم دار البشير ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م
- **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**: إعداد الدكتور سهيل صابان. مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- **المعجم الوسيط**: مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- **المعرب من الكلام الأعجمي**: الجواليقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦١ هـ.

- **المغرب في حلى المغرب:** تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف بمصر.
- **المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار:** المقريزي، تحقيق د. أيمن فؤاد السيد. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي. لندن ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.
- **موسوعة العلوم الطبيعية:** إصدار إدوار غالب، بيروت، المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٥ م.
- **موطأ الإمام مالك:** تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م.
- **نزهة الأنام في محاسن الشام:** عبد الله البدري، المكتبة العربية ببغداد، المطبعة السلفية بمصر ١٣٤١ هـ.
- **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب:** أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- **نصرة الثائر على المثل السائر:** صلاح الدين خليل الصفدي، تحقيق محمد علي سلطاني، مجمع اللغة العربية بدمشق.
- **نهاية الأرب في فنون الأدب:** أحمد بن عبد الوهاب النويري، مصورة وزارة الثقافة المصرية.
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:** ابن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر.
- **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر:** تحقيق د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق:** المجلد ٢٧



فهرس البرق المتألق

الموضوع	صفحة